



32101 074298215

توضیحات و دستاویز

الشَّيْءُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ

تأليف

مُحْسِنٌ مُؤَنِّسٌ

درجة ماجستير في التاريخ، بمرتبة الشرف

Husayn Mu'nis



يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي، مصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة جحّازي بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

Avec mes meilleures amitiés

Mahmoud Beyroun

8-5-1938

مكتبة جحّازي بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى : مايو سنة ١٩٣٥

الطبعة الثانية : مارس سنة ١٩٣٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مقدمة

بقلم المؤرخ الجليل الأستاذ محمد شفيق غريبال
أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بالقاهرة

في القرن العاشر الهجري أو السادس عشر الميلادي بلغ ملك السلاطين من آل عثمان ما قدّر له من كمال القوة، وأصبح أهل البلقان من يونان ورومانيين وبلغار وصقالبة وألبانيين من رعايا الدولة العثمانية، ولم يقف اتساع الدولة في أوروبا عند ذلك الحد، فقد ملك العثمانيون بلاد المجر ووصلت جيوشهم عند فينا، ولولا فشلها في الاستيلاء على هذه المدينة لكان لتاريخ أوروبا الوسطى شأن آخر، أما في آسيا فقد تم في ذلك العصر اندماج الإمارات التركية الأناضولية في العالم العثماني، وهي الإمارات التي كشف لنا ابن بطوطة في رحلته عن جوانب طريفة من عيشة أهلها، وفي آسيا أيضاً كان الكفاح الحربي بين العثمانيين وخصومهم من الصفويين والمماليك، وقد دارت الدائرة على المماليك فتمزق ملكهم وامتد حكم سلاطين القسطنطينية إلى الشام ومصر وورثوا ما كان للقوري وأسلافه من نفوذ في الحجاز وفي ساحلي البحر الأحمر اليمني والأفريقي ومن حقوق وواجبات

في الأرض المقدسة . أما الصفويون فكان أمرهم على غير ذلك ، فقد استطاع اسمعيل الصفوي وخلفاؤه أن يثبتوا للعثمانيين - ولم يقابلوهم بحد السلاح فقط كما فعل النورى وطومان باي - بل واجهوهم بهضة قومية دينية كانت أمضى من السيف ، حقيقة استطاع خلفاء سليم الأول أن يخضعوا الجزيرة والعراق ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحولوا دون قيام إيران الحديثة .

ويختلف المؤرخون في الكشف عن سر هذا الفتح العظيم وعما أدى إلى إقامة هذه الدولة الإسلامية الجديدة على انقاض دول المماليك والروم والصقالبة وما خلفته إغارات التتار والصليبيين من مختلف الممالك والإمارات ، وعما دعا السلاطين الواحد بعد الآخر إلى الامعان في شن الحروب في البر والبحر ، في أوروبا وأفريقية وآسيا - والداعي إلى هذا كله - فيما أرى - هو نصرة الاسلام ولشر بنوده في الأرضين والذب عن بيضته : لنصرة الاسلام نشأت أمانة عثمان ولأجلها خلق أرخان أداة النصر - العسكر الجديد - ، وفي سبيلها استشهد مراد في ساحة قوصوة وفتح محمد القسطنطينية وتطلع إل كرسي المسيحية الآخر - روميه - ولصون الاسلام سلك جيش سليم أوعر المسالك - الجبال إلى تبريز والصحراء إلى القاهرة - ولحفظ هذا التراث أنفق سليمان أحسن العمر في ميادين القتال ، وحال دون امتداد النفوذ الأوروبي إلى سواحل البحر المتوسط وجزره واعترض تقدم الأوروبيين في اتجاه البحار العربية . فلا عجب إذن أن أصبح العالم الاسلامي والدولة العثمانية في نظر الأوروبيين اسمين لشيء واحد .

وليس من شك في أن ذلك العالم الاسلامي قد تطور بموجب الفتح العثماني تطوراً جديداً ، كما أنه ليس من شك في أن ذلك الفتح يبدأ عهداً جديداً في تاريخ أمم أوروبا الشرقية ، وبحق المؤرخ أن يجعل منه أساس التاريخ الحديث للشرق العربي والشرق الأوربي - وأما ما ذهب إليه بعض الباحثين من الغرض من شأن هذا الحادث فأمر لا يقوم على نظر قويم : فالقول مثلاً بأن المصريين

وغيرهم قد خضعوا للحكام من الترك قبل خضوعهم للترك العثمانيين ، وأن كل ماجرى في القرن العاشر هو استبدال ترك بترك بفعل فروقا جوهرية بين النوعين من حكم الترك ، ولا يستطيع أى مستقص لأحوال المصريين أو العراقيين إلا أن يدرك مقدار اختلاف طبيعة الحكم السلجوقي في بغداد والخلافة العباسية قائمة ، والحكم المملوكى في القاهرة ، وتقاليد الفاطميين والايوبيين مستمرة ، عن حكم السلاطين العثمانيين للمصريين وللعراقيين على يد نوابهم من الباشوات ، تؤيد هؤلاء أو تفرقهم جماعات من أجلاف الجند وأخطاى الناس . وأين هؤلاء الباشوات من سلاطين بغداد وسلاطين القاهرة ؟ وأين ادارتهم العابثة من تلك الدواوين المرية للسان الجامعة لكل ذى بيان ولكل صاحب فضل ؟ والحق ان العرب شقوا بالعثمانيين والعثمانيين شقوا بالعرب شقاء يدركه كل من قرأ تاريخ الشام والعراق واليمن في القرون الأربعة الأخيرة ؛ ومثل هذا يقال (وأولى به أن يقال) عن خضوع الصقالية واليونان لحكومة غريبة عنهم في كل شيء .

وذلك أن الأمم الشرقية - الأوروبية والعربية - التي خضعت لتلك الحكومة خيم عليها نوع من الركود زهاء ثلاثة قرون ، وأنها تعرضت بسبب هذا الخضوع لأحداث واحدة أكسبتها لونا من الوحدة التاريخية هي الظاهرة في هذا الكتاب .

ولا يحق لنا أن ننسب هذا الركود لكون الحكام العثمانيين من شعب يميل إلى المحافظة بسليقته ، فالعثمانيون لم يكونوا من شعب واحد ، ولم تكن العثمانية إلا دلالة على الانتماء لطائفة الحاكمين . هذا إلى أن نظم العثمانيين الأولى وما اختطه سلاطينهم الأول لشئون الحرب والسياسة كان على جانب عظيم من المرونة والمقدرة .

قد يرجع الركود إلى أن القوة العثمانية حالت بلا شك دون اتصال أمم الدولة بالحضارات الأجنبية عموما وبالحضارة الأوروبية الناهضة خصوصا .

ولكن الباحث المنصف لا يستطيع أن يسلم بأن الأوروبيين في القرن السادس عشر وما تلاه من الأزمنة كانوا على استعداد لأن يقدموا للشرقيين المسيحيين والمسلمين من رعايا السلطان ثمرات نهوضهم العلى هدية خالصة ، كما أن الباحث لا يستطيع أن يجهل أن تقدم الحضارة الأوروبية كان في أغلب الأحيان اسماً مرادفاً لما كانت تقوم به الأسرات المالكة في أوروبا من الحروب في سبيل المجد ، ويشدأز الملوك - ولكن في سبيل المجد الأعلى - رجال الدين وفي سبيل الاستقلال رجال المال ، أما والامر كذلك فلا سبيل إلى القول بأن الشرق العثماني كان يستطيع الافادة من النهضة الأوروبية دون أن ينزل عن رجولته وحرية .

والصحيح في مسألة الركود هو أن الدولة العثمانية تولت أمر أمم كانت على نوع من الاعياء لم يكن الحكم العثماني قادراً على أن يرزله عنها ، فالعثمانيون كانوا قوماً يأخذون ولا يعطون ، تشهد بذلك خططهم وقثم وآدابهم ، فلم يكن منهم إلا أن نظموا ما وقع تحت سلطانهم في ملك عريض ، وعملوا على ألا يتطرق اليه تغيير وتعديل ، شأنهم في هذا شأن الدول الكبرى المتعددة الأجتناس والأديان تهددها دول كبرى أخرى معادية .

ولم يقم الملك العثماني إذن على فكرة سياسية أو اجتماعية جديدة ، ولم يفتح لرعاياه العديدين المختلفين باباً لتنظيم علاقاتهم المختلفة على غير ما عرفوا من المبادئ ، فصاعت عليهم بذلك الافادة مما كان لهذا الملك من موقع جغرافي فريد في نوعه ، ومن ميزات اشماله على أمم لها مالها من نصيب وافر في تقدم الانسانية ، ولا أدل على ما أصاب أمم الدولة العثمانية من السوء أن أصبح تخلصها من حكم الدولة شرط خروجها من شقائها وسلوكها طريق العزة والرفاهية .

وتاريخ هذا التخلص هو تاريخ الشرق الأوروبي والشرق العربي في القرنين الحالي والسابق ، وقد سبقهما عصر تعرضت فيه أمم الشرقيين لأفات

واحدة من سوء الحكم والاختلال والاضطراب وعث الأقوياء والمستضعفين
وكان مصير هذه الأمم عبارة عن « مسألة » هي المسألة الشرقية ١ واكتسبت
بذلك وحدة هي انى عمر عنها شوقى فى قوله

« ولكن كلما فى الهم شرق »

ولم تتحقق لنا وحدة غير هذه ، فان المهصت القومية والتدخل الأوربى
وتحول العناية إلى عصرية تركية سمعت تحول الوحدة من وحدة فى الهم -
حسب قول شوقى - إلى وحدة أساسها المساواة وتبادل المنافع والاحتفاظ
بمقومات الحياة القومية مع الاعتراف بما للعير من حقوق
هذا شرح يحمل لتطور تاريخ أمم الشرق فى العصر الحديث وقد تولى
حسين مؤنس - من خيرة أبناء مدرسة التاريخ بكلية الآداب - تفصيل عرصه
فى هذا الكتاب ، وقد صرف فى وضعه وترتيب مسائله الشئ الكثير من
المكر والدرس ، ويسرى أكر السرور أن أبوه محمده وأن أقرر أن الكتاب
جدير بعناية المؤرخين من أساء الأمم العربية

شعبه فربال

كلية الآداب

أبريل سنة ١٩٣٨

موضوعات الكتاب

١ - ر
٢ - ح
٣ - ق

مقدمة
١ - ر
٢ - ح
٣ - ق

القسم الأول

مقدمات العصر الحديث

١ - ر
٢ - ح
٣ - ق

١ - الشرق الأدنى :

ظروبه - عمره - أثره في برعته ١٣٠٩ - أمه - تاريخه القديم - ٢ - اتحاد التاريخ
لشعوب الشرق الأدنى - ٥ - وحدة الحضارة - ٦ - سكان الشرق الأدنى - ٧ - مهمهم في
الحضارة - ٨

١١ - ر
١٢ - ح
١٣ - ق

٢ - الاسلام وتاريخ الشرق الأدنى :

اسمه - الاسلام - اوضح الاسلام - ٩ - الشرق الاسلامي - ١٠ - الشرق الاسلامي
يحيى الحضارة من فترات البدء وأثر ذلك في تاريخه - ١١

١٥ - ر
١٦ - ح
١٧ - ق

٣ - الوحدات المتميزة داخل المجموعة الاسلامية

همه دراسة عميقة لكل وحدة - ١١ - وحدة الحضارة - الاسلام - ١٢ - القوميات
الاسلامية - ١٣ - ١٥

٢٠ - ر
٢١ - ح
٢٢ - ق

٤ - ظهور العناصر التركية على مسرح السياسة الاسلامية

الفرج الاسلامي وحقيقته - ١٥ - دائرة اهتمامه - ١٦ - مائه - ١٧ - حلقه
١٧ - اضمحلال الدولة الفاطمية - ١٨ - أصل الحضارة التركية وتطورها في الشرق الأدنى
وإسقاطها على مسرح السياسة - ١٩ - ظهور الدول التركية - ٢٠ - الخلافة الفاطمية - ٢١ -
موضع الأتراك في التاريخ - ٢٢

٢٣ - ر
٢٤ - ح
٢٥ - ق

٥ - العالم الاسلامي قبل الفتح المغولي

أولا : فارس : همه القرب الذي في ظل الاسلام - ٢٦ - همه فارس العسكرية
خلال الفترات الثلاث عشر وأربع عشر والخمس عشر - ٢٧ - همه فارس السياسية
في هذه الفترات الثلاث - ٢٨ - اضمحلال الفرس - ٢٩ - بلاد الهند - ٣٠ - معبركة - ٣١

لث مصر
 بدر ظهور القومية المصرية ٥٥٥ - المبادئ - ٥٧ و هزتهم أعمم الفرنسيين ٥٨ .
 موقعة ٥٨٩

ل — اثر اللقاء الاول في نفوس المصريين
 فرع الشعب لشرفه - ٦٠ ، محور قوة الفاصل - ٦١ ، حجرة الاوروبيين الى بلاد
 الشرق الاسلامي - ٦٢ ، تفويض السرج - القومية والحيية ٦٣ .

القسم الثاني

مشاة المسألة الشرقية

١ — المطامع الفرنسية في بلاد الشرق الادنى
 الاسباب الحقيقية لحروب المصريين من أوروبا ٦٧ ، براع هجوم أوروبا على بلاد الشرق
 الادنى ٦٩ ، هجوم فرنسا - لمركز ضعف ٧٠ ، الامارات ٧١ ، نابليون ومشارعته
 الشرقية ٧٢ .

ب — الحملة الفرنسية على مصر
 مطالع فرنسا في مصر - ٧٣ ، اوجاع الفرنسيين - ٧٤ ، العلاقات بين فرنسا وبرك
 ميل الحملة - ٧٦ ، اوبير دوبريه - ٧٧ ، التفكير في بعد الحملة - ٧٨ ، مذهب العلم
 منها - ٧٩ ، نزول الحملة في مصر ٨٠

ج — الفرنسيون في مصر
 جهودهم العلمية واثرها في واحدة - ٨١ ، كتاب وصف مصر ٨٢ ، حملة نابليون
 على الشام - ٨٣ ، دخول نابليون ٨٤ ، معارضة اعداء الفرنسيين - ٨٤ ، موصيه عن
 شمس - ٨٦ ، هيو وحروب الفرنسيين من مصر ٨٧ ، آثار الحملة : مذهب جديد
 مصر - ٨٩

د — مصر من خروج الفرنسيين إلى هوص محمد علي
 اضمحلال البلاد - ٩٥ ، ظهور المصريين على مسرح السياسة - ٩٦ ، أسس المصريين من
 لارث - ٩٧ ، مصر ، فكرة الاستقلال - ٩٨ ، العلماء وشؤونهم السياسي - ١٠٠

١٠٨-١٠٠

٥ - السيد عمر مكرم

شأنه وشخصه أفكاره ومبوه - ١٠٣ ع موهبه من العريبيين ١٠٣ ع هل تأثر
تفكير السيد عمر بالاراء الغربية - ١٠٤ السيد عمر والاراك - ١٠٥ السيد عمر يرغم
النهضة المصرية ١٠٨

١٣٧-١٠٨

و - تنازع البقاء في مصر

الاراك - ١٠٩ ع المباش ١١٠ ع الاجير - ١١١ ع المرسوب ١١٢ ع القديس ١١٣ ع
تتاقم الحالة وشعور عمر بصوره العمل - ١١٥ ع اتحاد عمر وعبد علي - ١١٦ ع حركات محمد
علي الاول - ١١٨ ع هل لمرسايد في ولاية محمد علي ١٢٥

١٤٦ ١٣٨

ز - الثورة المصرية

طبعة الثورة المصرية - ١٣٨ ع حالة اخبر عن المصرية - ١٣٩ ع دهانه السيد عمر مكرم
- ١٤٠ ع مقدمات الثورة المصرية - ١٣٩ ع حركة المبارك - ١٣٢ ع تولد محمد علي - ١٣٤
دفاع المصريين من محمد علي - ١٣٥ ع عمر حود الثورة - ١٣٦ ع حانه الهيك - ١٤١ ع
محمد علي سجن المصريين من هناك - ١٤٢ ع هل عمر مكرم - ١٤٣ ع محمد علي
والمصريون - ١٤٦

١٦٠-١٤٦

ح - محمد علي ينهض بمصر

شخصه محمد علي - ١٤٦ ع علاقته بمرسا - ١٤٧ ع سياسته وديانته - ١٤٨ ع انفراد
بالممل - ١٤٩ ع موفاته انفراد من بعده محمد علي - ١٥١ ع حيله حيلاته محمد علي -
١٥٣ ع لاجير سجونته وحبوب القف عنه ١٥٦ ع موهبه العريبيين منه - ١٥٨ ع محمد
علي والدولة العلية - ١٥٩

١٧٣-١٦٠

ط - محمد علي ومرايمه السياسية

هل كان محمد علي في التجديد - ١٦١ ع محمد علي و عنه ١٦٣ ع امراهه في العمل -
١٦٥ ع امراهه راجس - ١٦٦ ع طرته في الاستقلال الاقتصادي للدولة - ١٦٦ ع دراسة
تحليله دراهمه السبب ووقته في إنشاء دولة اسلامية ١٦٧ ع ١٧٣ ع اسباب فطلة - ١٧٣

١٧٨-١٧٣

ي - الارراك محاولون الهوى

أثر المصوم الاوروبي في هوى الارراك - ١٧٣ ع احسن اورد عرب اجير لدوله
التيه - ١٧٤ ع نقاة المسألة الشرقية - ١٧٤ ع نابليون والمسألة الشرقية - ١٧٥ ع مد
لاصلاح في ترك - ١٧٧ ع موجر اعمال محاولة الاصلاح وشبهها - ١٧٨

١٨١-١٧٨

ك - لمحة عن هذه البلاد الاسلامية في اواخر القرن التاسع عشر

ظهور رزقها - ١٧٩ ع لفسد مع على - ١٧٩ ع الفرس محاولون الاسماء

بالمصريين — ١٨٠٠ م معاهدة فككتشر - شعوب لاسلامه بحون خلاص - الثورة
على الدولة العثمانية ١٨٨١

القسم الثالث

تفكك الوحدة الاسلامية

١ — الثورة على الدولة العثمانية

١٨٨١ — ١٨٨٨

سخط الشعوب الاسلاميه على حكمه ١٨٥٥ م - الحصار لاولونه ساعد على الثورة
صعب الحكود ١٨٦٦ م - يد الثورات العنيفة والسياسة و اجتماعه ١٨٧٧ م

ب — الوهابيون ، ثورة على اسطخ الديني للدولة العثمانية

١٨٨٨ — ١٨٩٨

مهددت حركة الوهابية . من سنة ١٨٨٨ م محمد بن عبد الوهاب ١٩٠٠ م - بوجهه ومهمور
عونه ١٩٩١ م - احميه بلاد العرب للدولة العثمانية ١٩٩٢ م - لنبوة سعين محمد علي ١٩٩٣ م -
النتائج السياسية فتح مصر بين بلاد العرب ١٩٩٥ م - العرب الانجمنه من وجهه الامارات
العربية لصاحبة ١٩٩٨ م

ج — فتح السودان

١٩٩٨ — ٢٠٠٣

أ . ١٩٩٨ م - محاولة محمدي الاث ٣٠٠ م - محاولة بدعوى اسباب ١٩٩٨ م - ٢٠٠٣ م
فتح باب السودان لتألمه بمصره ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م
د . ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م

٢٠٠٣ — ٢٠٠٣

شعوب القاف ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م
الموانئ اصبح روستا ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٣ م
بدعوى الجبر ٢٠١٠ م - ٢٠١٠ م - ٢٠١٠ م - ٢٠١٠ م - ٢٠١٠ م - ٢٠١٠ م
مصر من بلاد القاف ٢٠١٣ م - ٢٠١٣ م - ٢٠١٣ م - ٢٠١٣ م - ٢٠١٣ م - ٢٠١٣ م

هـ — اصراع بين مصر وتركيا

٢٠١٥ — ٢٠٢٠

حقيقة شعور محمد علي نحو الدولة العثمانية ٢٠١٥ م - ٢٠١٥ م - ٢٠١٥ م - ٢٠١٥ م - ٢٠١٥ م - ٢٠١٥ م
بحار وروبا ٢٠١٨ م - ٢٠١٨ م - ٢٠١٨ م - ٢٠١٨ م - ٢٠١٨ م - ٢٠١٨ م
لي مساهمة دولية ٢٠٢٣ م - ٢٠٢٣ م - ٢٠٢٣ م - ٢٠٢٣ م - ٢٠٢٣ م - ٢٠٢٣ م
في ثلثات ٢٠٢٦ م - ٢٠٢٦ م - ٢٠٢٦ م - ٢٠٢٦ م - ٢٠٢٦ م - ٢٠٢٦ م
على محمد علي بن علي ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م
٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م - ٢٠٢١ م

٢٤٠—٢٤٤

و — حركة الإصلاح في تركيا

مقدمات الإصلاح ٢٤٩ — حركة كنى ٢٤٣ — متخكير و^١ حن لاطمة الان وية
٢٤٣ — الفتات الى حال من السلطان والاصلاح ٢٤٦ — سلب ثالث وحوادثه ٢٤٧ —
محمود الثانى وجموده ٢٥٠ — ش ٢٥٣ — حشره حن ٢٥٣ — السلطان محمد
رضا باشا ٢٥٥ — انصار رجمه ٢٥٦ — اسار من حركة لاصلاح ٢٥٩ — مولف
الدول الاورويه من الاصلاح بكي ٢٦٠ — عن السلطان محمد ٢٦٣ — السلطان
عبد العزيز ٢٦٣ — المرحه الى القديم ٢٦٤

٢٦٤—٢٨٥

ز — الشام

اعلام الشام الادارى ٢٦٥ — اثر لاهل ز ٢٦٧ — اتحاد الدول نحو الشام ومعه
٢٦٨ — عد الله الخاير ٢٦٨ — ٢٦٩ — ٢٧٠ — د و^١ الخاير ٢٧٢ — أم^١ لدرور
٢٧٢ — لاثيرا شير سيات — دولة احمد بن بوق الفقيه لدرور لمر ٢٧٣ — د^١ د^١ د^١
حرب الشام لنديه ٢٧٤ — فتح لمدى لقدم وكنونه مصر ٢٧٥ — لايجل لبرون
أهل الشام على حكمه مصر ٢٧٦ — ثواله ٢٧٧ — فكرة الدولة لبريه ٢٧٨ — د^١ د^١
شام للامك ٢٧٩ — اتحاد نزع لمدى ٢٨٠ — فرنسا ومعه لمدى ٢٨١ —
مطامع روس ٢٨١ — مصر لمدى لمدى ٢٨٢ — اتحاد لمدى لمدى ٢٨٣ —
٢٨٣ — الدول الاورويه تحت الشام متويا واقتصاديا ٢٨٤

٢٨٥—٢٨٩

ح — حرب القرم

أسماء ٢٨٥ — اصح لمدى لمدى ٢٨٦ — د^١ لمدى ٢٨٦ — د^١ لمدى ٢٨٦ —
دور لمدى لمدى ٢٨٧ — دور لمدى لمدى ٢٨٨ — د^١ لمدى ٢٨٨ —
سنة ١٨٥٦ لمدى ٢٨٩ — فرصة طيله لمدى ٢٨٩

٢٨٩—٢٩٢

ط — المغرب

الحرب لنديه لمدى ٢٨٩ — د^١ لمدى لمدى ٢٩١ — د^١ لمدى
الادنى لمدى ٢٩١ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٢ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٢ —
المرسته لمدى لمدى ٢٩٣ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٤ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٤ —
٢٩٥ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٥ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٥ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٥ —
د^١ لمدى لمدى ٢٩٧ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٨ — د^١ لمدى لمدى ٢٩٨ —
الزاد ودمع أعمال المرسته ٢٩٩ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٠ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٠ —
انصاف المغرب ٣٠٢ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٣ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٣ —
٣٠٤ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٥ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٦ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٦ —
اصح لمدى لمدى ٣٠٧ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٨ — د^١ لمدى لمدى ٣٠٨ —
٣١١ — د^١ لمدى لمدى ٣١٢ — د^١ لمدى لمدى ٣١٣ — د^١ لمدى لمدى ٣١٣ —
٣١٤ — د^١ لمدى لمدى ٣١٥ — د^١ لمدى لمدى ٣١٦ — د^١ لمدى لمدى ٣١٦ —

٣٢٢—٣٩٢

ي — العراق وما يليه شرقاً

طبيعته بلاد العراق وأثرها في تاريخها ٢٢٣ — تأثير سرق جوار، إيران ٢٢٦ —
العلاقات بين العراق وما يليه عرب ٢٢٥ — العرب بين الفرس والعرب ٢٢٥ — وراثات
الشمع في العراق ٢٢٦ — الفتح العربي بدأ عصره حديداً ٢٢٧ — حكمه الأتراك
في العراق ٢٢٨ — الفرس عليه بين تركيا ودرس ٢٢٩ — ظهور الفرس في الخليج
الفارسي ٢٣٠ — الصراع بينهم وبين الأتراك والعرب ٢٣٠ و ٢٣١ — ولاد الترك
ونظام الانقطاع ٢٣٢ — بدو استقرار القبائل في العراق ٢٣٤ — خداداد القرن السابع
عشر ٢٣٦ — استقلال الموصل ٢٣٧ — اتصال الفرس وأسرهم إرانيات ٢٣٨ —
الاجالير والموندويون يدعون الفرس ٢٣٩ — فارس تحاول الاستيلاء على الفرس ٢٤٠
الاجالير والموندويون رؤس الفرس ٢٤١ — الفرس خلال القرن السابع عشر ٢٤٢ —
القصر من استقلال الفرس ٢٤٣ — حسن شاه عشق حكومه وراثته بالعراق ٢٤٤ —
توهم القبائل العربية ٢٤٥ — جهه امنستان ٢٤٦ — الحرب بين الافغان والترك ٢٤٦
أدر حول ٢٤٧ — دور مصر والعراق ٢٤٨ — معاهدة سنة ١٧٣٦ بين الفرس والترك
٢٤٨ — أسره جنين في الموصل ٢٤٩ — ظهور سلطان بخت في أذربايجان في
العراق ٢٤٩ — سفاحات ٢٥٠ — الأتراك يحكمون بلادك ٢٥٢ — استقلال
لخالك، انداق ٢٥٤ — ساجان الكبير ٢٥٦ — الوهابيون يدعون للعراق ٢٥٨ —
دود شاه ٢٦٢ — المطامع الأوروبية في العراق ٢٦٥ — مودود الاجالير البلاد
٢٦٦ — ادراك طريق الهند ٢٦٨ — المستكشفون : كسبي ٢٦٩ — استقلال
الملك ٢٧٠ — الفرس على الاممكندرية في العراق ٢٧١ — دود ميل لاصلاح ٢٧٢
مكتبات المردق ٢٧٤ — مودود ٢٧٧ — جهه ملك العراق ٢٧٧ — مودود العراق
الى سلطان الأتراك ٢٧٨ — جهود الأتراك في تحصيله ووجيده ٢٨٥ — طرق
المواصلات ٢٨٩

٢٩٣—٢٩٤

مراجع عامة

١ مراجع عربية ٢٩٣

ب مراجع اجنبية ٢٩٤

كشاف

٢٩٥—٢٩٦

تعريف بموضوع الكتاب ونظامه

موضوع هذا الكتاب دراسة العلاقات السياسية والحضارية بين الشعوب الإسلامية والدول الأوروبية ، وتنشع جهاد الأمم الإسلامية للهوض والحقاق بالأمم العربية فيما وصلت إليه في مضامير الرقي والقوة والعرفان ، وقد انصرف الاهتمام بوجه خاص إلى تنبع يقظه الروح الشرقية الإسلامية واستعاشها وميلادها الجديد في ظل الحصار الرامة

لهذا بدأ الكتاب بوصف البيئة الجغرافية وأثرها في تاريخ سكان الشرق الأدنى ، وأشار إلى وحدة أهلها وعوامل هذه الوحدة ، ثم أحمل تاريخ الأمم الإسلامية من ختام الحروب الصليبية إلى ظهور الأتراك العثمانيين ، وصور حال هذه الأمم في ظل الأتراك ، ووقف طويلا عند انحود والآباء اللذين شملا العالم الإسلامي في أوائل العصر الحديث ، ثم أشار إلى نهوض أوربا وتقدمها نحو الشرق ، ووصف اللقاء الأول بين العالمين الشرقي والغربي .

فاذا تم اللقاء بين الشرق والغرب فقد كان لابد من دراسة الآثار التي ترتنت على ذلك بالتفصيل ، ولما كان من العسير دراسة ذلك في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي على حدة ، ولما كان أعظم نتائج هذا الاتصال هو نهوض مصر وظهور الأمة المصرية الحديثة ، فقد جعلنا دراسة اللقاء بين العالمين في مصر موضوع القسم الثاني : وصفا هذا اللقاء ونتائج القرية ثم تنمعا نتيجته البعيدة وهي نهضة مصر بزعامة محمد علي ، فاذا فرغنا من ذلك مرربا مسرعين ببقية نواحي العالم الإسلامي

وأردنا بعد ذلك أن ندرس تطور الشعوب الإسلامية بعد هذا الاتصال ، وكماحها للتخضر بالحصارة العربية ، ومحاولتها بناء نفسها من جديد على أسس هذه الحضارة ، ولكسار أيا أن ذلك لن يتأتى إلا إذا وصعب أمام

القارىء. موجراً لتوزيع كل من هذه الالام من حتام الحروب الصليبية إلى أن أصبحت أمام الحصار العربى وحب لوجه . فحفظنا لذلك القسم الثالث ، وقسمناه فصولاً صغاراً .

ورأينا أن رضى . بقية الفصول إلى جزء ثان ، وان يقف القارىء عند هذا الحد فى هذا الجزء ، لأننا وصلنا بالشعوب الشرقية إلى دور اليقظة ، فخرجت من طلمات مصر الوسيط وصفت تلوس مديها إلى مصر حديد . وقفنا عند هذا الحد لحاول القارىء أن يدرس الفترة المصيبة على مهل ، فقد ما له ثباتاً وإيقاً جداً من المراجع العربية والافرنجية حتى تكون الدراسة وافية وقائمة على أساس على دقيق

وسدرس فى الأجزاء التالية ما دون الله بقية تاريخ لامم الاسلامية إلى ما بعد الحرب الكبرى على هذا النظام وسلك المسيرة



وسى لأنقدم بأحد آيات الشكر إلى أستاذى الأجل محمد شفيق عزال أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية على ما تفضل به من حسن الرعاية وفصل انو حبه والارشاد وشرف تقديم إلى جمهور القارئين وأشكر الأستاذ محمود كامل حسن مدرس مادة الخرائط بكلية الآداب بالجامعة المصرية . وهذا فضل رسم خريطة استناد فكانت خير مكمل لموضوعه ولا أنسى فصل الأدب محمد سعيد عامر احدى الموظفين بدار الكتب المصرية الذى تفصل بمراجعة تحب الطبع ، والأخ جبريل ابراهيم احدى الصحفيين الذى بذل جهداً مشكوراً فى عن كشف الكتب

وليتقبل القراء هذه المحاولة الثانية بحسن لرعاية . ثم رجونا من لقيامها إلا أن نصل وإياهم إلى القول الحق فى ما صيما ، والرأى الصواب فى حاصرياء ، والسألهادى عن عدما ، والخدثة أولاً وآخرأى

المؤلف

مقدمات العصر الحديث

في موقع الشرق الاسلامي بعدد لمقامه في التاريخ . وفي ماضيهِ
بيان لمكانه بين سائر الحضارات ، وفي حاضره سأس كثير مما يحدث
على وجه الارض في مقبل الأيام .

فأما الموقع فواضح الخطر لا يحتاج إلى زيادة ابيان أو التفسير ،
فهو يحار بين أوروبا وآسيا ، لا يكاد نعلم من عادية الأولى أو ثرائية ،
وهو في المنطقة المعتدلة ومعظمه يقع فيما نسمي منطقة البحر
الأيص المتوسط ، ذات أصيبب الصوبيل الحاف و الشتاء القصير
القليل المطر ، قمل جوده للحرارة والحفاف ، وعط على جهانه المناخ
الصحراوي ، وأصبحت حريرته مجموعته من الصحارى الواسعة التي
لا يقطع اتصالها إلا ما يكون من الخصب الطارى . على صفاها من
كاليل أو واحة كواحات بلاد العرب ، وعلت عليه تنعاً لذلك
الفقر الاقتصادي نفقة موارد الخير ، وأصبحت مواقع الخصب فيه
مقصد سكانه ومتجه آمالهم من جحر اسارح . تهب عليها من الحين
والحين رواع الرمال المهلكة تدفعها الرياح ، وعواصف لندو المحرقة
يحر كها القمر ، وسواحل هذه البلاد مسطحة رملية لا تعين على الملاحظة
فقلت صلة أهلها بالبحار وأصحابها من صحراويين ، وصعبت عليهم
المحرقة والرحلة ، وظل عددهم يعمد سواحل السين ، عاشت الصعظ على
الحفات الخصة وكثير اسارح عليها وتدف عليها العزاة . لا يكاد
يستقيم الأمر فيها لقوم حتى يعلمهم عليها قوم آخرون ، وذلك
هي دائرة العمران التي يحدثها عنها أسرحدون في مقدمته ، استرحها
من ملاحظاته في تاريخ الدول الاسلاميه وحدها ، لا نعلم غير ذلك
عن سائر الحضارات في غير بلاد الشرق الأدنى .

وأما ماضيهِ ، فما رأيت من سلسلة كثيرة الخلفات من الروائع
البشرية تهب من الصحارى إلى مواقع الخصب ، فلا يكون لدولة من

دوله من طوبى الأهل ما يكسبها من اثناء حصاره لها شخصيتها وميراثها ،
 واما يكون قصارى ما تستطيعه احداها أن تحسن استعمال ما تجد من
 معالم الحصاره أو تصقله بعض الصقل ، ثم تتركه مسرعة ليتولاه
 لعزاة الجدد الذين يعثونها على الأودية ومنايع الثروه ، وهذا ما يقال
 عن الدول الاسلاميه التى كثر ظهورها على مسرح لسياسة
 الشرقيه . لم تخلف احداها لولاً وإنما بذاته من الحصاره ، ولم تتسكّر
 لولاً أصلاً منها ، وإنما استعمات ما وصل اليها بدرجات متفاوتة من
 الخدق والمهارة ، فبعضها استطاع أن يوفق إلى شأو جيد فى صقلها
 وتهذيبها حتى أحدث طبعاً يظهر للرائى أنه جديد ، كالدولة العربية ،
 وبعضها لم يقدم بما وجده من معالم الحصاره من تركه كما وجده أو هبط
 به بعض الشيء . كالدول التركية ، ولعل هذا لا يرجع إلى طبيعة فى
 لشعوبها ، مدبر مبرح إلى الظروف التى وجدت فيها ، ويتوقف
 إلى حد كبير كذلك على عمرا دولة وما يتاح لها من الهدوء والطمأنينة
 التى تنمو فى أعقابها الحصارات .

لهذا كانت أعمد الدول التى ظهرت فى بلاد الشرق الأدنى وأورها
 سبها فى هذه الحصاره العالميه ، هى أمه القديمه ، التى سكنت أودنه فى بحر
 نهر دجلة ، فأتيج لها الوقت لصويل فمت حصارها بموا أمتد أمعقولا . ولما كانت
 هذه الأمم قد أقبلت والشرق حلالاً ، لم يسبقها إلى الاقامه فيه سابق فقد سلبت
 حضاراتها من الأثر الخارجى فكانت مستكرة أصليه لها ميراتنا وشخصيتها ،
 ولما كانت طوبله لمعرق قد تأصلت الأسس التى وصعتها فى طبيعة الشرق
 الأدنى وأصحت طابعاً من طوائفه التى لا تحى ، والتى لا تسلم منها دولة
 تظهر فى بحرى تاريخه ، ولعل انما يحى . قد عرف أنى أريد بذلك
 الحصارين المصريه والآشوريه القديمتين المتين وصعنا الأسس الماديه
 و لسياسيه للحضاره العالميه ، ثم الدوله الاسرائيليه التى وضعت أساس
 دولة إسرائيل

الحصارة العسكرية العالمية من دين وفلسفة وما إلى ذلك ، وهذا هو
تصويب بلاد الشرق الأدنى في بناء الحصارة العالمية . أما ما عدا ذلك
فتهذيب لموروث ، أو زيادة على قائم موجود ، وقد يظن من الناس
أن هذا الدور بسيط لا خطر له في تاريخ الإنسانية . ولكن الحقيقة
أنه على جانب عظيم جداً من الخطر . ويكفى أن علم أنه أسقل بالأسان
من الداوة إلى الدول القائمة ، دوات المقومات والسياسات والجوش
والبحريات والمدن العامرة بالماء الحمره الخيله . والمعاند التي يبدأ
عندها تاريخ الفن العلمى وتاريخ الفكيه الانسانى .

وأما حصره مجموعه من لوحات الشاشه لأتزال أحده بأصاب
الهموص ، شديدة الاعتماد على حصاره أوروبا . شديدة الصقة كذلك
بمصيها وطبيعتها الخاصة ، مما يستلزم لها آخر الأمر إلى لون من
الحصارة يخفف في كثير من الحصارة القائمة اليوم . بل ربما يكون له
أثر بعيد في اتجاه الحوادث في مقل الأيام .

وعلى الذين يريدون دراسة تاريخ الشرق الأدنى في أى دور من
أدواره أن يلاحظوا أربع حقائق هي عمادة الأصول التي يقوم عليها
تاريخه وتفسر على صورتها مظاهر هذا التاريخ .

أولها أن وحدة الشرق الأدنى ليست جغرافية فقط ، وإنما هي
تاريخية في العالب . فهي داخل الحدود الجغرافية التي تضم هذه الأقاليم
المتزامية ، التي تبدأ من حدود المحيط الأطلسى وتنتهى في قلب آسيا ، نجد
حدوداً أخرى من الحصارة ذات افان الحاص وانحصية المتفرقة ،
هناك صلة من التفكير وأسلوب الحياة والنشاط الذهني تربط العراق
بالعرب والعرب بالسورى والسورى بالمصرى . وهناك اتفاق إلى حد ما
في الآمان والأخلاق والأمال . وليس مرد هذه الوحدة إلى لاسلام

والحصارة لاسلاميه وحدهما ، من هي أقدم من ذلك بكثير . وضع
أساسها ملوك مصر القديمة بعرواتهم الواسعة الى جعلت منه - للمرة
الأولى في - تاريخ - وحدة سياسية ، ومن مصر القديمة أحدث تصدر
طول العصر أقدم هذه الحصارة القوية الى انشرت مع الزمن في كل
بلاد الشرق الأدنى وراحت روابط أقاليم رابطة عمرانية وأصبحت تشترك
في أساليب الحياء والنسب والرى وسياسة الدولة وألظمة الحكومة ، وكلها
انعكس من أصاغت الأيام الى الروابط التي تضم أقاليم الشرق الأدنى
رابطه حديدية تربطها قوة واتصالا ، حتى كانت عروة الاسكندر قبل
الميلاد نحو ثلاثة قرون . فأصبحت على بلاده وحدة فكرية ، إذ كان
العرب يقدون فتحاً من فتوح الحصارة لانصرأ من انتصارات السياسة ،
لأن انكسار السياسي للامبراطورية لاسكندرية تهدم عشية موته ،
و هبت مدور الحصارة الى حلفتها جيوش الاسكندر حينها سارت ،
ووحده الدور نرته صالحة في العناية الشرقية ، مما هو إلا فرق من
ارمان حتى بدأت سمو في بلاد الشرق حصارة جديدة ، بعيدة بعض
الشيء من احصاره اليونانية نفسها وفلسفها . فربية الشبه بالروحية
اشريقية وتفكيرها العميق وعبرها المؤرخون بالحصارة اشدية
بالهيايد تميزاً لها عن الهيلينية . وأصبحت هذه الحصارة وأسايبها
ومبراتها ، طابع 'شرق الغرب' وراطة الذي لا يصعب ولا يحصى ،
وأحدث هذه الحصارة تتطور تطوراً عميقاً شاملاً ، وأحدث تمدد رواقها
حتى صحت بلاد الشرق الأدنى من قلب فارس الى الاسكندرية ،
وأحدث نجم في نواحيه المدن الاغريقية العمارة والحكومة ، الشرقية
الحصارة والتعسكر ، وأحدث تنشأ في هذه المدن المدارس الفلسفية
المعروفة المسيرة ، بل يعالى نمر من المؤرخين فيذهب الى أن الحركات
اندسية التي صدرت عن بلاد الشرق الأدنى بعد ذلك ، إنما هي تطور

عروة لاسكندر

الاسكندر

الاسكندر

عسكري طبيعي للحصرة الشبيهة بالحليمة ، ولنا على هذا الرأي طمعا .
 فإذا ظهر الاسلام بعد ذلك فقد أضاف إلى بلاد الشرق الأدنى
 وحده ديبه ، وذات في حراره القويه ، المذاهب الفلسفه والفكرية
 التي كانت قد بدأت تصحل يوم ظهر الاسلام ، ومن هنا كانت
 الحصرة الإسلامية ذات طابع اعريق لا يحى ولا يسكر حظه ،
 واحتضت الفروق لقائمة بين مدينة ومدينة ومدرسة ومدرسة ، وظهرت
 دولة واحدة متجانسة في الحصاره والفكر والسياسة . هي الدولة
 الإسلامية التي أصبح يمرور الزمن مظهر وحدة الشرق وطابعه المميز
 وفي هذه الأسس أن قوام الحصاره والعمران في الشرق
 الأدنى ليسوا هم العراند الفخون الذين يشتهون الدول ، وسيرون
 الجيوش ، ويكثر ظهورهم واحصاؤهم ، وإنما قوامها أهل المدن الذين
 يعمرهم بلادهم ، وأهل الريف الذين يرعون مراعيهم وأهل المراعى
 الذين يسكنون سموحه وحصه ، هؤلاء هم الأساس الثابت الذي
 تحرك الحصاره ويعطى الشرق الأدنى لونه المميز ، وخلافا . لا نسمع
 بهم في الحروب ولا رايهم في القيادة أو الرعايه (١) ؛ وإنما تراهم في العمائر
 الدقية والصناعات الدقيقة وغير الدقيقة ، وفي هذه الحرة الزراعية التي
 يمتاز بها سكان موافه الحصية كسكان ايل أو سكان الجزيرة العراقية ،
 وهذا العصر قابل للتأثر بما يتجدد عليه من ألوان الحضارات التي
 يحملها إليه الفخون . وهو يبدو أول الأمر ضعيفاً محكوماً . ولكنه
 يبدأ في الظهور إذا استمرت الأحوال وهدأت يرايا الحرب ، يبدأ
 يؤثر على الحاكمين أنفسهم ، ويعمرهم ويطلعهم بطابعه الخاص ، وعلى
 هذا الساط يتقارب الحاكم والمحكوم حتى يمتزجان آخر الأمر امتزاجا
 قويا . ترول معه معالم العصر العاري ، ويرثه في صفاته وحضارته هذا
 العصر الثابت الذي نتحدث عنه ، والذي رأيت أنه يحتفظ بحيوية

الاسلام يزدوده
 لشرق الأدنى قوة
 وظهر

٢ - سكان الشرق
 الاسلامي

(١) طول العرول الوسطى على الأقل . يدعى ان عدم هذه لقطعة الى لرعاية سكان
 مفتي من مفايا العصر الحديث *

البلاد ويكنى فيه طائعا الممير . فتراه يوصوح في أدوار الاصمحلل الى
تصيب الدول اعارية السريعة الروال ، وعلى يديه يكون رقي الحضارة
وثناتها ، ولكنه ظل طول النصف الثاني من العصر القديم والعصر
الوسيط هدفا للغزوات والفتوح ، لا يكاد يتقص لصعداء من حاكم زال
حتى ترزأه الايام فتح حديد ينفل على صدره رمانا طويلا وهكذا .
هذا أصبح أهله مديين . واضر فوا الى آشور والمدية واحتفظوا
بكل ما وصل الى أيديهم من المستحدثات التي يحملها العراة . فصار
ناسهم قويا وبن سكونا . و صار استعمارهم سطحا لتقل مطاهر
الحضارة وإساعتها ، واشتدت قوتهم الكامة ، التي سبى خطر ها في
العصر الحديث حينما توتون الهدوء والاطمئنان الكافين

تزوج عذرات

ولشر في ساق هذا الحديث إلى اسطرية التي يسميها المؤرخون
تراوح الحصارات ، إذ يرون أن كل مهضة قوية من نهضات التاريخ ،
سكون وليده المواجهة بين حضارة قائمه أدر كها الفتور ، وكنت في أمس
البلاد ، وبين شعب منور فاتح يحدد نشاطها ويضع فيها الحياة ، حضارة
الاسلام واعدة المواجهة بين الاسلام ومن اتصال به من اقنائل
المتدبة . وحضارة امرون الوسطى وليدة المواجهة بين الحضارة الرومانية
والاقنائل المتبررة ، وحضارة العباسيين وليده المواجهة بين الحضارة
الغارسية واقنائل العربية . وهكذا . وهم يذهبون كذلك إلى أن هذا
التراوح ينتج في الغالب لونا جديدا من الحضارة ، وأن هذا اللون
الجديد رهو مع الايام حتى يبلغ أوجه ثم يأخذ في الانحدار ، لأن القوم
الذين أقاموه ، يدركهم ترف الحضارة والين الانعاس فيها . فيصمم
سلطانهم ويحتفون من التاريخ بحفنين بعدهم ذلك العصر الاصيل الذي
أصاف ليهم بنكر والروح : وهو الحضارة . كما بقي الاسلام والحضارة
الاسلامية بعد العرب والسلاجقة . وكما نفس المسيحية بعد روال العصر
الوسيط ، أما الذين يحتفظون بهد الحضارة ويحولون بسها وبين التمدد

فهم هؤلاء السكان المديون الرراع أو الصانع أو الرعاة أو أهل العلم
الذين أشرنا اليهم

وثالث هذه الأسس التي لا يصح فهم تاريخ الشرق الأدنى
الا ادراكها ، هو أن الإسلام ليس دياً حاصلاً وإنما هو نظام
اجتماعى كامل ، وأنه ليس مجموعاً من الطغوس والاعدادات يتقرب بها
الإنسان لربه ، وإنما هو مجموع من القواعد والأظمة التي يستطيع أساس
أن يعيشوا بمقتضاها ، ومن هنا كان الإسلام حضارة كاملة ونظاماً
جامعاً استطاع أن يمد بلاد الشرق بكل مقومات الدول وأساليب
السياسة والحياة والتشريع والحصار مدى نصفه قرون ، فالإمام المسلم
حاكم مدنى ، والخليفة فى العرف الإسلامى هو الامبراطور . وقد أوتى
المسلمون قدرة صبة على تفسير مبادئ الإسلام وقواعده واستخرجوا
منها كل ما يلزم المجتمع الصالح الكامل من مفومات . حتى أن المؤمنين
لا يجد فى الإسلام حلاً لمسألة الآخرة فقط بل سبيلاً للعيش فى الدنيا .
ومن هنا كان للدولة الإسلامية كيان إسلامى سياسى داخل الكيان
الدنى ، وكان إسلام أهلها عماداً يعتمدون عليه كثيراً فى سائر دولتهم ،
بل كان الكيان السياسى الإسلامى حصاً ووقاية يحفظان قوامها السياسى
بعد ان تهديم الدولة القائمة بالحكم فيها ، لأن قوام هذا الكيان الإسلامى
هو العائقة الإسلامية ولهذا كانت طويته لبقاء شديدة الحساسية ، شعر
كل مسلم بأنه مطالب بالدفاع عنها وللدود عن حوضها . وهذه هى الوطنية
كما يفهمها المسلم : دفاع عن الإسلام وجهاد فى سبيل الله واستشهاد
لائلاء كلمه الحق ، ومن هنا حلت الوطنية الإسلامية محل الوصية
القومية ، وسرى فى أول العصر الحديث أن أوروبا تقبل وتصادف
سكواً محباً وشعواً مطعته الى اليوم ، ولا تجد دولة ميساسية قوية تلقى
اجتادها أو تقاوم تقدمها ، وسكنها يجد الإسلام قتماً فى كل مكان ،

وتحدد المسبب والمساعد حيثما صدرت في العالم الاسلامي من الدار
لنفسه ، إلى سمرقند وأجرا وحاوره . وتحدد أن الدعوة للهبة والبناء
في نقطة يستعان من ثم المؤدب لدى يستجيب له المسلمون . والامام الذي
سبهم إلى الخطر ويمنح عيولهم على ما ينظرهم ، فهي لم تصادف جيشاً
قوامه السابق احدهم ، وقد وجدت الاسلام قائماً كأنه شملة رقيقة يشتمل
فيها المسلمون . . .

أما راجع هذه الأمور فإن لافدار جعلت بلاد الشرق الاسلامي
طريقاً من وسط آسيا وأوروبا . وقد كان وسط آسيا طول امصرين
منه . وبمسند مساعاً من منابع المجلس الشرقي . لا يكاد يعصى قرن
دون أن تخرج منه موجه شرية وتتحه شرقاً أو غرباً . فاد التجهت
إلى ثمة سكان هناك سبيلين إمامين شيان شمال بحر قزوين والبحر
الآزرق . من ثم تخرج أوروبا إلى هيئه فائز برية بحثة بهم ما يكون
في ثمة هك من معدم تحصره وإمامين احبوت . فتحترق أفعاسان
وفارس وخراسان وشمس قصر . ومن هناك على بلاد الشرق القرب
أن يعاوم هذه الموحب وتنت لها ، فاما عدها فان تذب عنها . وإم يرمت
أمامها وحاحها ، وحرر بلادها كما يعرف عن غرود المعول ، وكانت بلاد
شرق هذه لمحات تقوتن : قوتها السياسية أولاً ثم حصارها
الاسلامية ثانياً ، وقد غلب قوتها السياسية كثيراً ، ولكن قوتها الاسلامية
لم تهزم أبداً ، وظلت طول العصر الوسيط ، تنظم الدول والمجموع من
هضاب البحر غزو لتركستان . فنكسر شرهم وتذبب همجيتهم ، وتصهرهم
في بوتقة الاسلام ، وترفعهم إلى مستوى حصاره ، فيصبحون نعمته دولا
قائمة ذات قوة وحضارة ونظام . ومثال هذا عماليك مصر والأتراك
العثمانيون والسلاجقة . تسلمهم الاسلام قدس في الشرق . وقدمهم
في العرب دولا دواب حصاراب . أو ملوكا دوى سلطان وتلك

الاسلامية
الاسلامية

عبر
الاسلامية

الاسلامية
الاسلامية

كانت مهمة الدولة الإسلامية طول العصر الوسيط ، وكان بذلك
أعمد الأثر في بحرى حياتها ، إذ أضاف إليها من الحين والحين
قوى جديدة تحفظ عيها حياتها . ثم أجدها من ناحية أخرى وحال
بينها وبين بلوغ درجة عظيمه من لصوح والكما ، وحول جهودها
و جهد حكامها في أحيان كثيرة إلى وجهه عسكرة لم يجدوا معها مراعاً
للاصراف إلى الحاصرة أو العمران .

الوحدات المتميزة
داخل المجموعة
الإسلامية

وللاحظ إلى ذلك ، أن لكل وحدة من وحدات الشرق الأدنى
علمها الخاص والحرفاء والخسبة والتاريخه التى جعلت لها — إلى حد ما
شخصية مميزة في داخل هذه المجموعة ، فعلى الرغم من العوامل
التي تحية والحرفاء التي تجمع مصر والشام مثلاً ، فإلا بعد بكل أمة منهما
صغاتها المميزة التي تحت عن تكوينها الخسبة وطروفها الطبيعية ، كالتقرب
من البحر الذي أدى إلى نمو روح الحرية في أهل الشام ، وحصب
الأرض الذي جعل مصر ، فيما راعياً ، وكون أهلها المصريين تكويناً
خاصاً ، وصحارى بلاد العرب التي جعلت من أهلها بدواً لا يستريحون
كثيراً إلى الحكومة المركزية ، وكهصاب فارس وسهوها التي جعلت
منها بلاد رعاء . وإنما يسعى العطر إلى تلك الحقائق الجوهرية لأنها
ستكون بعيدة الأثر في تاريخ الجماعة الإسلامية ومستقبلها : ولأنها
ستعمل على مصى الرمن ، على تقسيم الجماعة الإسلامية إلى وحدات صغيرة
تقتدى . قرية الشبه بعضها بعض . ثم تأخذ الفوارق بينها في الانعاع
والظهور ، كلها أتبع لها الرمن اسكافى ، لنمو نمواً طبعياً يحفظ عليها
طبيعتها وقوميتها ، كأن تنجو من السلطان الأجنى الذي يهدم قوميتها
ويطفي روحها . . وكان يقل سلطان الخليفة الدينى والسياسى عليها ،
فيصو في أهلها شعور «الاستقلال» كما يرى في فارس التي حماها بعدها
من الغزوات الظارعة ، وأقامها على قدمها حروها عن طاعة بنى عثمان

بدأت قوميتها وشخصيتها في الظهور من الحرب "سادس عشر الميلادي".
 ونجد أن إهمال هذه الفروق والتباين من شأنها قد أضل
 الكثيرين من الباحثين والمفكرين في تواريج الأمم وتواريخها
 الإسلامية وأسباب سقوطها وتخللها. مردوها في أكثر الأحيان
 إلى ضعفها كضعف أسسها أو سوء سياستها أو انصرافها إلى الملمات،
 كأنما الطبيعي أن تجد بلاد الشرق الإسلامي إلى لواء واحد. فإذا
 تفككت وحدتها كان ذلك دائراً له نفسه التي ترجع إلى الحقائق
 لا إلى الأمم المحكومة، وسرى من دراستها، أن انطباعي هو أن تفككت
 وحدتها لدولة الإسلامية، وأن تصير بلاداً متفرقة، فإنا اتخذت كان
 ذلك طارئاً غير طبيعي كوجود حاكمين بمارجداً أو ظهور خطر عام.
 بل عندما لا يهمل في إيداعه أن الدولة الإسلامية السكالة التي تحكم شعوب
 لإسلام كلها حكماً قوياً عسوساً وشرسماً عليها إلى كل قاعه وطرقه
 لم يكن لها وجود أبداً حتى في أسعد أيام الدولة الإسلامية وفي ظل أعظم
 الحكام المسلمين.

العمدة في
كل وجه

وعلى القاري أن يذكر في حديث ذلك أن كثيراً من الوحدات
 التي دحمت لإسلام، كانت حصاراً خاصة متارة من أن تسجل تحت
 رايه، وأن كثيراً منها كان له ترويج بحسب حوافر المكريات
 العريرة والانتصارات الحربية السنية والفتوح الموفقة في ميادين العلم
 والأدب والتفكير، وأن الإسلام عمل من البدء على عصاه على إطلاها
 النافقة التي وحدتها يوم دحمت فاعما. ولم يكن هذا السياسة رسمها الحكام
 المسلمون. وإنما لأن روح لإسلام كانت من القوة بحيث صرف أسس
 عن ماضيهم صرفاً عاماً، وسعد على هذا أن الإسلام أقبل في زمان كانت
 هذه الحصار قد أشرفت فيه على الفناء والهدم، ولم يبق من آثارها
 وعلومها ودروبها إلا رسم لا معنى ولا تسحق رعاية ولا حفظاً، بل

الإسلام
الحدود التي كانت
تألفه في بلاد الشرق
القرن سبعة عشر

عسى محاسنها سوى ثقله الكابيف شديدة الضرر . وصال الناس إلى الخلاص منها . فيها أقذات حيوش الاسلام اسقنوها مرحين ولبسوا في مقدمها عصر أديد آمن السلام واطمانمة والرحاء ، وساعدهم على ذلك ما ذكره من أن الاسلام ليس دياً فقط ، بل نظاماً اجتماعياً . فكان اسلامهم دحولا في نظام حديد يقطع الصلة اى فصلهم بالماضى ، وقد هويت عنهم هذه الفكرة . لما كان من توفيق الخلفاء الأول في الحكم وغلته لظواهره والاحلاص على أجيال المسلمين الأولى ، فتجسدت طوبهم وأحدوا يستدلون بأنظامهم أطل العرب وبما حرهم مما خر العرب . فصعقت ذكرى الاحداد في هوسهم شيئاً فشيئاً ، بل قضى عليها تماماً فسى المصريون فراعهم والعربس أكاسرهم وادرك حواقيهم ، وانتسوا للعرب وأنظامهم . فكان هذا الانما آصرة من الأواصر التي وثقت الأسباب بين أحرار الدولة الاسلاميه وعمت على انتقرب منها ، إذ حل النعائ في الاسلام ورجاله محل العود طم القومية المحلية . وقد ظل هذا العامل فعالاً . حفظاً على اندولة قوتها ما دامت الحكومة الاسلاميه قويه ثابته نريهة قربة من المثال الأعلى للاسلام . فلما انترب إليها الاضطراب وبالب لغرضى ندلس يصرفون عنها وبدأت ذكرى انهم العديمة المظمورة تعود إليهم ، بل أحدوا بحثون عنها ويؤمنون بها من جديد وبدأت تظهر اعوميات ، وكال في شوء هامعى انقضاء على الوحدة الاسلاميه والدولة الاسلاميه العامة

الغويرات الاسلاميه

وعد درج المؤر حون الاسلاميون على أن يطاروا إلى تمكك اندوهه الاسلاميه وانقسامها إلى دويلات صغيرة ، كظهر من مظاهر الاضمحلال وانهاء ، والواقع — كما رأيت — غير ذلك . إذ أن هذا التمكك . يكون في غالب الأحيان دوراً من الأدوار التي لا مهر للدول والكثيره من المورره . ولا يكون معناه دائماً أن السلطة المركزيه قد

وهت أو أن عصرها قد انقضى . وإنما يكون معناه أن الأظراف قد قويت واشتدت ونمت شخصياتها واحساسها القومية في ظلال الحكومة العليا ، وكلماتي شعورها بالقوة ، تمت إلى جانب رعة في الاستقلال . وكرهية الخسوع للسلطة المركزية ، وهذا دور يؤدي بطبيعة الحال إلى تطور هذه العوميات إلى دول محلية تأخذ بأسباب القوة والهوى شيئاً فشيئاً ، حتى تستوى وحدات سياسية صحيحة التكوين سلمة المقومات . كما حدث في أوروبا من انحلال الدولة الرومانية المقدسة إلى انصاعاب متفرقة ، أحدثت تتجمع شيئاً فشيئاً حتى اتخذ كل فريق منها وصار دولة قوية . ولعل الذي جعل مؤرخي الشرق يشاءون من هذا التفرق ، هو أن هذه لوحدات الصغيرة الناشئة ، لم تسمح لها مرة من المرات أن تتطور تطوراً طبعياً هادئاً ينتهي إلى القوة واشتات . بل كانت تفاحاً وهي تخطو نحو التوحد بالعووات الطارئة التي يرفق بقدماها وتقصي عنها . وليس أدل على مدى هذا الانحلال من حير . من أن فرائه كانت في العال فترات من النشاط الحمى والعسكري المقطع الطير . ولعصر العباسي الذي هو عصر التقدم المشهود في بناء الحصون والمدن وهو عصر المتنبى وأبي العلاء وعصر الفلاسفة الأعداد والمؤرخين الموقفين ، وهو عصر الحصار الإسلامية الراهى وبحجم آثارها النامية إلى اليوم ويحظى المؤرخون كذلك حين يقولون أن لديهم يكسب على حساب السياسة لأن الأراء يتنافسون على العلماء والمهندسين والأطباء ومن إلى هؤلاء ، إذ الحقيقة أن الذين يتنافسون ليسوا هم الأراء وإنما هي الوحدات القائمة الدخلة والعوميات الناشئة الآخذة بأسباب الحياة ، فتدوين الشهامة أول مظهر للشخصية العارسية ، والمتنبى أمين الدس مطلقاً عن الشخصية العربية وأشد هم اعتر رأياً وتقدير آلهما وسعيلاً لاهما (١)

(١) نظرية لاسك محمود شكر عن الخى في سد لمصف الخاص .

والدولة الفاطمية حجر الأساس في بناء اقومية المصريه بمعمراتها
المعروفه وهكدا .

الفتح الاسلاميه

يعرف المظعون على تاريخ الاسلام ، أن الفتح الاسلاميه .
لم تكن سلسله متصله الخلفاء من الحروب ، بل اتحدت هئته وثنات
سريعه . ويعرفون كذلك أن كل وثئه من هذه الوثائت ، كانت عقب
دحول عصر جديد في الاسلام ، فلا شك الدعوه الاسلاميه تنشر
في قطر من الأقطار ، أو بين قبيل من الناس ، حتى يستجيبون لدائه
القوى ، ويعت الايمان في نفوسهم روحاً جديداً ، ويهضون للعرو
والفتح ، اذعين رايه الاسلام في يد والسف في البد الأخرى .
وبدأون سلسله من الغزوات ، يمدون بها لواء الاسلام على أقطار
جديدة .

الوثئه الأولى

كانت الوثئه الأولى بين سنئ ٦٣٠ و ٧٥٠ ميلاديه . إذ لم تنكس
انقائ العربيه تنطوى تحت رايه الاسلام . حتى وثئت وثئه سريعه
فتحت فيها العراق وفارس و الشام ومصر وشمال افريقيه والاندلس .
وكانت الوثئه لثانيه بين سنئ ١٠٠٠ و ١١٠٠ ميلاديه ، وكانت
نتيجه طبيعيه لدحول للاحقة والبرر في الاسلام ، اتسعت فيها
رقعة الدوله الاسلاميه ، فأعادت آسا الصعري إلى الدوله الاسلاميه
هائساً ، وفتحت غرب افريقيه ، ونصيف المؤرخون إلى هذا الدور .
وثئه اسلاميه أخرى نحو الشرق ، قام بها السلطان محمود اعورى في
أواخر القرن اثنى عشر الميلادى . دخل بها الاسلام شمال الهند
بحد السيف .

الوثئه الثانيه

الوثئه الثالثه

أما الوثئه الثالثه . فتقترون بدحول الأتراك العثمانيين في لاسلام .
وفيها فصى الاسلام على الدوله العرطه . وورثها في البلقان وحبوب

الروسيا . وتمت فيها سيرة المسلمين على البحر الأبيض ، فأصبح بحيرة
اسلامية . تقوم فيه أساطين المغرب من العرب . وأساطيل لدولة
العثمانية من الشرق .

عنه هذه الصورة .

ومعنى هذا . أن الاسلام إذا صادف جماعة من البدو الذين
يتأهون للاستقرار . أنار فيهم روحاً حرة دينية ، تدفعهم إلى الفتح
والعزو ، هي صدى طبيعي للحرارة المثة في آيات القرآن . ولرؤاه
التي هي المصير المحير للعقيدة الاسلامية .

أما إذا صادف الاسلام بلدان من دوات الحضارات القديمة ، فلا
يلتأهون أنه أن يصرفوا إلى التفكير في أصول الاسلام . وتفسيرها
وتقريرها واسفقه فيها . ويقصى بهم الأمر إلى هبة واسعة النطاق
في العلوم والفلسفة والفنون ، كما عرف من الحركات العسكرية القوية التي
أعقبت دحول الفرس والاشائيين والمصريين والاندلسيين في الاسلام ،
وكانت نتيجتها لفتح الاسلام المعروفة في ميادين الفكر والعلم .
ويفسر ابن خلدون هذه الظاهرة في مقدمته^(١) ، بما نستطيع أن

حاضرة العمران

نسميه « دائرة العمران » أي أن النشاط الاسلامي . بدأ حين هم
فيل من البدو . يعيرون على بلد متحضر . ويشير ذلك في لعالم
الاسلامي . فورد من النشاط في السياسة والفكر ، ولا يكاد يستقر
الرحل . ويتناولون الزراعة والصناعة . حتى تهدأ فيهم الثورة . ولا يكاد
يمضى على ذلك من طووس . حتى تشيع فيهم الحاضرة بنا وترها ،
فلا يلبثون أن يحصد أمرهم . فيكون هذا حافزاً للطائفة أخرى من أهل
الريف . لغزو الحضر من جديد . أي أن الصحارى هي مهد الحركات
الاسلامية ، وأن سكانها هم عوام الهوى والحركة والحياة في
المجتمع الاسلامي .

مناشيه نظريه
بين حلدون

هـ لم يكن اس حلدون دقيقا في الملاحظة . إذ الحقيقة أن هذه العروات
التي يشتملها الدوا على مواقع الخصب ومهاد العمران ليست عاملا من
عوامل الساء ، وإنما هي عامل الهدم والحرب ، ولا تريد على أن
تقيم ملكا واسعا أو صيقا ، وتصرف الأمور ردحا من الرمن ثم
تسجد تاركة مكانها لغيرها الذي يعيد نفس الدور وهكذا . من غير
أن يكون لاحدى هذه الدول أثر بعيد في رقي الحضارة أو ترك في
إسلاد طامعا خاصا ، أو تضي عليها لوما عتارا ، والغالب على هذه الدول
التي يقيمها امراءه أن تكون كثيرة التشابه ، مترفعة عن الأهلى ،
قليلة الاحتلاط بهم ، فلا تتأثر بهم ولا يؤثرون فيها ، والغالب
كذلك أن يكون برامجها عسكريا فلا تعطن لاصلاح اجتماعي أو لنهوض
بناحية من نواحي الإنتاج .

• • •

تلك الوحدة
الاسلامية

طلت الشعوب الاسلامية مجموعة إلى لواء الخلافة رها . فربما
وصف من الزمان ، ثم بدأت الخلافة المركزة في الضعف وأحدثت
أجزاءها تتفرق عنها واحده بعد واحدة . ولم يكن هذا تفرق نتيجة
ضعف الخلافة العباسية وحده ، وإنما يرجع في بعض أسانه إلى تطور
الوحدات والشعوب الاسلامية تطورا جعل بقاء الوحدة اشاعة
أمرا غير ميسور ؛ وعلى هذا التطور نهوض بعض الأجاس
الاسلامية واتجاهها نحو القوة وميلها إلى بدء حياء قومية جديدة .
ويبدو ذلك جليا في نهضة العناصر الفارسية التي سادت الدولة
الاسلامية سياده عملية خلال النصف لثاني من القرن الثالث الهجري ،
ويبدو بشكل أوضح في نهوض العناصر التركية والمغولية والجر كسية

نهضة العناصر الفارسية

القرن العاشر لمجرى وممر سريعين خلال البلاد الإسلامية لسطر
حالتها قبيل الفتح العثماني .

حينما أحدثت الدولة العرية في الاصلحلال كانت فارس
في طريق مهضة كبرى ، فقد انتقل النشاط السياسي من بلاد الجزيرة
إلى هضاب إيران ، وأحدثت تظهر هناك دول جديدة عرية المظهر
فارسية الروح ، وأحدثت جهود الفرس تصرف نحو بلادهم وتحويل
نحو إيقافها والسمو بها من جديد ، ولكن هذه المهضة لم يكتب لها
النجاح في ذلك الحين إذ أحد الأتراك المفلول يطرقون أبواب البلاد
ويرعونها عابرين إلى بواحي الشرق الأدنى أو مقيمين في نواحيها ،
وأوقعت هذه التيارات التركية والمغولية حركة الهوض ، وكان على الفرس
أن ينتظروا حوالى ثلاثة فروع حتى تنحط عنهم غمرات الترك والمفلول ،
ثم يأخذوا في الهوض من جديد في أوائل القرن السادس عشر .
بد أن جدوة المهضة لم تحمد تماما طوال لفروع التي حكم لترك
والمفلول خلالها بلاد فارس . فقد تحول النشاط السياسي إلى نشاط
ذهنى ، وظهرت المرات الوطية الحيفة نوعا فكريا فيما ملا هذه
القررون كلها ، فأحدثت الآداب الفارسية شتى ونهض ، وأثمر المراح
بين الثقافتين الفارسية والإسلامية ثمرته فأحد يظهر في ربوع فارس
أدباء وشعراء ومؤرخون ماهون من أمثال البيروني صاحب « الآثار
الباقية » والفيلسوف ابن سبأ والفردوسي الشاعر الذي أيقظ الآمال
الفارسية بملحمته الكبرى « الشاهنامة »

مهضة فارس

المهضة الأدبية
والمفكرية

لهذا ليس عريب أن يجد فارس تهض مهضة سياسية قوية بعد أن
زال عنها كابوس من المفلول ، لأن الروح الفارسية كانت تنفوز
للهوض ولا يعوقها إلا سلطان المفلول ، الذي أخذ يصعب ويتفرق

المهضة الفارسية

خلال الصف الثاني من ثمرين لواع عشر

نشر بهذه النهضة أحمد شيوخ أردبيل لمسمى صفى الدين ، إذ أحد
يدعو الفرس إلى المذهب الشيعي فلقبت دعوته القبول وتوافدت
عليه القائل على ولاها ، حتى أصبح أئمة جلاله ركز النهضة الفارسية ،
وأتصلت الأسباب بين صفى دين وأوردون حسن شيخ قبه و الآق
فيولوه اتصالهمى بامتراج المذهب الشيعي ، فقادوا لبعسكرية ، وتوافدت
عليه ، ثم تشدد أزر صفى دين ، فدأ مات حبيب لاسه ، ثم دأتم عيل
أد ما قويا امتطاعه أن يقم دولة عظيمة لهم بعدد وديار
سكر والموص وامتدت من ، كوشالا إلى شستر حور .

و ذات اصوله المشبهه بذر الشجر في عصفور بهوصف ، فلم يرض
سقطها سليمان عن هدم اعداء ابي صرحه به شبيهه الهارسية
امقيلا ثم على عدد و ذوات اثنى عشر عصفور و هدم اسماء عدد
ثم سار و كان ه اول اعداء من ورس و كبر هدم اعداء
الذي به صرح محور من محور اربع لاسلامى حلال العصر حديث ،
و الذي سكون له اثر في كتاب فارس و ك و هدم الاسلامى

و دعت هذه سياسة أوجرم في عهد شاه عباس لا كما (٩٨٥) - الفاء على الألف
١٥٣٨، ١٥٨٧ - ١٦٣٥ م) إرأه نال أوسع في عشر خمس
شيعة، جعفر مشدركا الشيعه و إليه و حج به، و مقتب إليه
فيستأخرس و رتقوه به، إلى هذه تدريس الحفرة دعت إلى الجدد
في من صوته و وضع سائحو الأور و بين فيه مؤلف بقوه قصو إليه
يشدون أزره ألبطاع مقومه لأمره، و فضل هو إلى الحيز إلى
بحبه من الاستداده من - يهه، فاستعد الأحمود لأخيه شيرلي على
إنشاء جيش جديد مسلح بالمشاة و عرسا المدرين و المدفعية القوية

الجيش وتزود بالآلات الحرب ، ومنها كانت تصل المؤن والأمداد والأدوات وكل ما كانت تحتاج إليه الجيوش إذ ذاك ، وفي ربوعها ومن حيرها كان جود الحرب وسائر ما يروى ويعمىون ، فلا غرابة أن وقعت البلاد في أزمات مبهمة حادة عقب الحروب الصليبية

الازمات المالية
القاسية

لهذا لا يدعى أن يحال إلى حكومة المماليك هي التي هبطت بالبلاد إلى الخصيص وفست على كل أمر في إصلاحها لأنها كانت في الخصيص فعلا حينما قس نور شاه آخر الأيوبيين وتولى سطنتها عن الدين أليك أول المماليك حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى . ومن مناصوب أن يقول إن المماليك كانوا طعمة من الأشرار والمرافقة حيث بالبلاد فامتصت دماءها وقضت على كل رحائها ، لأن الكثيرين من هؤلاء المماليك كانوا على درجة عظيمة من القسوة والسبع الدهر وية الخير ، ولا تراعى أن أمثال هطروبيرس وهلاوون ولصرايه ولاشين ودمسى يعدون من أعظم أحكام المسلمين وأقربهم وأوفرهم نصيبا في ما يحدوه وحضارته ، ويصفى إلى هذا أنهم كانوا حمدا من أشد المسلمين إخلاصا للإسلام وأكثرم تضحية في سبيله ودفاعا عن حوزته .

حكومة المماليك

سلاطين المماليك

وكأن ضعف إيمانه وهبوط نفسه دافع بالملك إلى الإساءة دائوما لها باهم من أن يخرج منه أو يثار عدل غاية ويكفى أن يقاتل من أربعة كات رحوا لا يصفوا ولا يكرموا لا تحروا على ما فيه . وكانت تلكه الحكماء وكنها كانت من الخب وولاءهم . وكان رجال الدين في هذه الأيام أصيب المسلمون عقلا وأعدهم عن فكره الانصاف وعسرو حكمهم فصاح ولم يكن عصر — في آخره في عني الأول — عصر إصلاح أو هو ص . ولا عصر نهضة فكرية ، بل كان به عصر طويل من لا صمحلل ولا اضطراب . وهذا انصاف تام انصاف به هيات العصور وحوادث الدول من لا اضطراب و هو صى واركود وهبوط الهمة .

ضعف إيمانه - عصره
جود نصره - عصره

وكان الكثير من سلاطين المماليك أمداداً لمصر منهم من ملوك الشرق
وعرب : يحلّونهم ويغنون أسفارات ، ليهم فلا يقصرون في شيء من
ذلك ، بل كانوا يطهرون راعات نفوق ما كان يقوم به سلاطين بيوت
الملك في ذلك الزمان ، ثم رفع مركز مصر الدولى إلى أوج لم تلعه في أى
عصر بعد ذلك ، حتى أصبحت مصر بمصالحهم محوراً من محاور سياسة
العالمية إذ ذاك ، فإذا أصعبنا إلى ذلك أن سلاطينهم كانوا يحكمون مصر
وأشام فعلاً ، ويسيطون سيطتهم على الحجارة واليمن وطرابلس وأرمينية
وأشوة عرفها مدى سلطته هؤلاء المماليك وفرضهم على الحكم ، وعرفوا
كذلك سديهم إلى معاصرتهم من الملوك في الشرق والعرب على السواء
وأهل أعظم ما أداه الملك لمصر وأشام هو حرهم بالمعول
ومدارهم على هيبتهم أربع مرات متوالت . أثبت للمماليك في كل
من أمهم قداسة على الحرب والفتنة حسنة ، وأكثرتهم قدرة على
الحسن والطهارة ، وهما كان المعول حسنة راحة تتدفق على شاميين
أحيين وخين على هيئة موجات بحرية شديدة المعوم لا يأتى في وجهها أحد ،
ويكفى أن تذكر ما أحدثوه مدد ودهش وحب حين دخلوها حتى
سرك مدى احدهم في أمداء الملك لمصر وأشام والحصرة
الاسلامية عامة بهذا العمل .

المماليك والقول

وبلى للمماليك كذلك يرجع الفضل في إعادة مآله خلافة
الاسلام . إذ أن مصر أحب أن يكون من بلاد الاسلام . هدم من خلافة
نقصه هو لا كونه على خلافة بعد . فاستفاد أحد سلاطين بني اقباس
وفاته حسنة واهله المستنصر ، وتسلم منه اجمع الحقيقة ، ثم أرسله إلى
بغداد مع قوة مكنت له من دحوش ، ثم عاد فقرر مقر مركز الخلافة
إلى القاهرة حراً من وقوع خبيثة تحت سلطان أحد غيره من أمراء
مصر ، وهذا انتقلت خلافة الامامة إلى القاهرة ، وعادت

إعادة الخلافة

فلما لم يجد في الخضر يهدد مواردته بسبب ذلك كعب عن الاحتمار
وحقق المكوس وأطلق التجرد، ولكنه عاد فشد مما أدى إلى توتر
العلاقات واضطراب مجرى التجارة مرة أخرى، وقد حاول تحقيق وصال
أن يعالجا الأمر فلم يفلحا، وأخذ يراود المماليك من التجارة في المنوط
مما أصعب سلطانهم وزادهم عسفا للرعية وامدادا للحكم في البلاد،
وكان من نتائج ذلك أن توحبهم همهم المتعاليين إلى كشف
طريق حديد بحيرة بعيدا عن احتكار المماليك وامدادة، مما انتهى
إلى كشف طريق رأس الرجاء، ويحكون التجارة عن طريق البحر الأبيض
وكان حكمه لأرك أمثاليين في صعود في هذه الأيام، وكانت
فتوحهم في الشرق قد جعلت مع مكهم من لانتفات ناشرق، فاجتروا
مدون حدودهم في أعلى الثمرات وشبهى الشام، وهذا بدأ لاحتكاك
بينهم وبين مماليك، إذ كان أمراء دى مصر وغيرهم يتوجهون
إلى بلاد مصر، فأحدثت العلاقات بين الحسن سوء، ولم يجر
سفر من مماليك إلى دى، فبدأت تزداد البصيص للعثمان، بل
صرح به أعداء، وولى لأمير حم حارس ركنى وعدوه، ثم توطن
في دى أكثر من ذلك وعزم لأمير دى المساعدة حيث يه
العار وأثارت غضب بايزيد وأله.

المرء يربى بحروب
كشفه عن سوجه

يدى الاستكراك بين
الممالك والاتراك

ولم أن لأمور تعقد بين الاسماء، فقاها حتى انتهت بالفتح
عثمانى مصر، حتى هو معروف، سدت له من لوجب أن قول
بها بقة مرج دى، تمكن قصة على سلطان المماليك في هذه
المرحلة كانت إلى مصر، كانت من حكمه تحت سطره آل عثمان
بدأ من صيف سنة ١٥١٦

مصر بفتح
عثمان



كانت البلاد شديدة خرابه، فكاتب أهلها

التيه

مضت تلك الحروب وأشدّها تأدماً من عقابها ، وقد انتهت الحملات الصليبية في النصف الثاني من القرن الحادى عشر . ولكن الأسلام والصراية طلائت احلالاً في أرض الشام بعد ذلك إلى نهاية القرن الخامس عشر ، فاستمر ممالك مصر واثرون الحملات على ما بقى للصليبيين من محارس في الشام حتى استولوا على آخر معاقلهم - عكا - في حدود سنة ١٢٩١ ميلادية . وهذا يارح أرض الشام آخر امراء الصليبيين إلى قبرص واستقروا بها على أمل العود القريب . ترك الصليبيون أرض الشام ولكنهم أقاموا في بحار الشام ، وطلوا يهددون الساحل الشامى ويماحونه وتزلون بأهله الادى بين الحين والحين . ولو قد اقتضرت نكبات الشام بعد الحروب الصليبية على عقايل هذه الحروب لكان في صلاح الحال رجاء ، ولكن حكومته صارت بعد هذه الحروب إلى ممالك مصر تحكموه من القاهرة حكماً سيئاً راد حاله سوء وأصاف إلى علله علة جديدة : هى انتشار المظالم وزيادة الجبايات ودوام المنازعات بين نواب الأقسام

وكانت نتيجة ذلك هبوط بلاد الشام هوطاً تاماً خلال القرون التي تلت الحروب الصليبية ، استمر إلى أواخر القرن الثامن عشر ، فلها فاجأها الفتح العثمانى في أوائل القرن السابع عشر ألوى سهارمفاً من الحياة يضطرب في تجارة الساحل وبمعص المدائن ، ففصى عليه وهوى بالبلاد إلى حال من الركود والفساد لم تعهد عليها خلال تاريخها الطويل جميعه

يبد أن الحروب الصليبية خلعت بين المسلمين والأوربيين لونا آخر من العلاقات غير الحرب والعداوة ، وهو التجارة وتبادل المنافع والحصارة ، فقد فطن الكثير من تجار المشرق إلى حيرات الشرق وما يعود عليهم من الربح من المناخرة فيها ، فواصلوا جهودهم بعد خروج الصليبيين ، ولما كان الممالك قد تابعوا حملاتهم على بلاد الشام فقد

مقروء عكا

هوط بلاد

العلاقات لتجاره
بين الشرق والغرب

وما عدا ذلك كان يترك لأهل البلد أنفسهم يظمنونه على النحو الذى يريدون ، فظل بممالك مصر مثلاً يقومون بحكم البلاد كما كانوا فى عهد العثمانيين ، وطل أمراء الشام ورؤساء قبائله يصرفون الأمر على النحو الذى اعتادوه قسراً على العثمانيين ، أى الحكم العثمانى الجديد لم يزد على أن صر ببطاقتهم عسكرياً حول البلاد ، وفرض عليها جماليات منظمة تؤدى كل عام ، وتركها بعد ذلك حرة تصرف أمورها على النحو الذى اعتادت أن تصرفها من قبل الفتح ، ولهذا لم تكسب الوحدات الإسلامية شيئاً كثيراً هذا الفتح الجديد ، حتى الآن الذى شملها فى السنوات الأولى منه ، لم يلبث أن اضطرب حبله وعاد الأمر موصى كما كان

الدولة العثمانية

والاجبار لا التدقيق والتحديد ، إذ أن كل ناحية استمرت بعد الفتح على نظامها قبله ، والقول بأن الدولة العثمانية كانت حكومة عامة خطأ طاهر لأن رجال الدولة ما كانوا يقتدرون على وضع نظام جامع مانع للدولة كلها وظلت الموصى على حالها وإن سكنت حياً قصيراً ، وكانت الدولة على ذلك عاصمة بالمليشيات والأقليات التى تعيش باطمئنان وفوايدها بل فى رعاية ملوكها لا يكاد اساطين يملك من أمرها شيئاً . حتى أقول بأن قيام الدولة العثمانية كان يقطع للعالم الإسلامى لا يخلو من خطأ ، إذ استمر الركود من استعجال حمودا ، ورادت الهمم هبوطاً والعقول جهلاً ، وتضاءلت فى بواحي الدولة بوارق البهوض الأدنى أو العلى التى كانت تنبئ بالخير فى بعض بواحي مصر و الشام ، فسكن كل شيء وركد فى ظل هذه الوحدة الظاهرة التى عرفت بالدولة العثمانية . وانقطعت اتصالات التجارية والحضارية بين الشرق والغرب بعد أن كانت قائمة ماضية فى سبيل القوة فى أواخر أيام المماليك كما سبق بيانه ، فكان انقطاع الصلات هذا أكبر العوامل فى تفوق أوربا على العالم الإسلامى إذانه وقب مكانه ومضت أوروبا فى سبيلها قدما كما سيجى .

انقطاع الصلات بين الشرق والغرب وأثره

وكانت الأمم التي تكون هذه الوحدة ، قد أدركها شيء من الأعياء واقتور من فرط ما جاهدت تحت راية الاسلام ، ولعلها لشجوحة أدركها بعد أن اطمأنت إلى الجثة التي فتح الاسلام أبوابها للبغين ، فأحدثت تنسحب من ميدان السياسة و لتأريج واحدة فواحدة : ارتد العرب إلى جزيرتهم ، وصاروا أعراباً لا يملكون من أمر الاسلام والمسلمين شيئاً ، واضمحل الشام عشية نارحته الخلافة إلى بغداد ، وانتهى أمر العراق غداة غزوة التار .

ولم يكن في مقدور العثمانيين — لقلتهم — أن ينهضوا بأمر هذا العالم الصغير ، فعملوا ما يعمله الرعاة حينما يروصون الغنم ، ويستعيون بالكلاب على حراستها . واتحدت الشعوب الاسلامية هيئة قطعان من الماشية ، ترعى في كنف السلطان ، وتطمئن في حماية الاسكشارية والمماليك وأصبح حالها أشبه بهذه الضفادع التي حدثنا « لافونتين » أنها عجزت عن أن ترد الأعداء عن أرضها . فأقامت على نفسها بحماً حاكماً . فكان يأكل من الرعية أكثر مما يأكل من الأعداء .

اصحاح الشرح
الاسلامي في حكم
الارباب

هذا يستطيع أن يفهم كيف كانت سيادة العثمانيين شراً على العالم الاسلامي ، فبدأ يضمحل من الباحة المعمورة ، حتى أصبح وقطعان الماشية قريباً من قريب ، يؤدي للراعي ما عساه يريد منه . وإذا كانت هذه هي كل مهمته في الحياة ، فلم تعد له حاجة إلى التفكير أو العلم ، فبدأ يطعم عليه الجهل والجمود ، حتى أصبحا طلمات بعضها فوق بعض ، وما هي إلا سنون ، حتى بدأ اليوم يداعب أجهان الراعي . ومال به عساه إلى الترف والراحة ، فوكل للاسكشارية أمر الرعية ، وأقبل على النوم ، فاستولى عليه سبات عميق .

وكانت أوروبا قد بدأت تفيق من غفوة القرون الوسطى ، وكان
(٢)

ارتددها إلى حصاره الأعريق والرومان ، قد أفضى بها إلى رحب واسعة من الحرية . وبدأت الحجة تكشف أمام أهلها عن أفاق جديدة ، فتفطر بعض علمائهم إلى استدارة الأرض ، وزاد آخرون فاستنجوا أنهم يستطيعون أن ينفذوا إلى الشرق دون أن تكون بهم حاجة إلى المرور بأرض الأتراك الذين كانوا يؤذونهم أذى شديداً ، وذلك بأن يسلكوا طريق الجنوب فيدورون حول أفريقيا ، ومن هنا كانت العزلة التي ضرت على العالم الاسلامي . فلم يعد أحد يترك له باباً . أفلت الثور وطويت الأثرع ، وانقطعت التجارة التي كانت تتيح لأهلها ربحاً وفيراً ، فزادت عليه علة جديدة هي اعقر الذي بدأ يعم ويشمل ، حتى مات الحكم يشكونه قبل الرعية ، فإذ أراد منهم ألم الحاجة فقد اقلبوا على الرعية وبدأوا يرهقوها حتى رالت معالم العبي وأصرب الناس والحكام ، فلم يعودوا يقيمون المساجد والآنية ، وسكنت زنج الشرق ، وساد عليه ظلام رهيب ، لا تكاد تليح فيه غير أشعة صئيلة ، تصطب في صحون الأهرام وغيره من المساجد .

هذا ساد الاكشارية والمهلك ، فأما الأولون فقد استهواهم اليوم الذي استولى على سيدهم ، وبدأ الكسل يطغى عليهم ، حتى أصبحوا كدكور النحل تؤذى ولا تفيد . وأصبح لزاماً على الناس أن يفعلواهم ما تفعله عاملات النحل حين يجمعن على الدكور فيقتلنها ، دفعة واحدة . وأما الآخرون — أي الممالك — فلم يكن ممكناً أن يبدأ أمرهم ، إذ أنهم لم يكونوا كالاكشارية خدماً لسيد واحد ، يرفع منهم من يشاء ويخفض من يشاء ، وإنما كانوا عبيد سيوفهم ترفعهم إلى مراتب الأحرار وعروش الملوك ، فكانوا يحادرون اليوم مخافة أن يؤخذوا على غرة ، وقامت بينهم المنازعات واتحدوا المزارع والأسواق ميادين لها فاقطعت عن الرعية موارد الزرق ، ولم يبق أمامها إلا أن تقمع من العيش بالكفاف

وبدأت الأمراض والطواعين تفككها ، وانهى بها الأمر إلى حل
من السوء ما عليها من مزيد .

الاسم
الأوروبية

في هذا الحين ، كان قد استقام لاوروبا لون من الحضارة جديد ،
نستطيع أن نغيره عن غيره من ألوان الحضارات ، إذا قلنا أنه لم
يكسر حضارة ملوك أو أحرار . وإنما كان حضارة شعوب . تحرر الناس
في ظلها من آثار القرون وأعراق الرمان ، وأصبحوا أحراراً
فيما يأتون من أمر ، وما يعلمون من فكر ، وأصبحت الشعوب تسير
الملوك فاداً إلى الملوك طاعة الرعية ، ردوا إلى حدودهم أو حلقوا .

وكان العلم قد فتح للأوروبيين رحاب الأرض ، فاطلقوا يحومون
للفارات والمحيطات طلباً للرزق ، وهدموا العقل إلى الطبيعة ، فسحروها
لأنفسهم فحلتهم إذا ارمعوا الرحيل ، وحارت في صفوفهم إذا حاربوا .

تجمع
الأوروبي
الشركاء

وعرفت الثروة طريقها إلى حرائن المصارف والبلديات وبحال
التجار ، وطهر في ربوع أوروبا ، من أفراد الشعب . من هم أعزى من
دوى اتيجان ، وأحدث الشعوب نجد من صفوفها جيوشاً تساهم
بالمال والعمل ، وتنشئ الشركات . التي وفقت إلى الفتح توفيقاً لم
تدركه الحيوش ، فما يعمأ المحارب إذا تزعر بعوذ تملكه . مادام
يتقاضى أجره ، وإنما يزرع المساهم في الشركة ، إذا من ماله الأذى .

كذلك حل رجال الفكر والعلماء والشعراء ، محل القسوس
والرهبان في قيادة الناس ، وأصبح الأوروبيون أكثر صلة بالطبيعة
وأمرس رحماً بالحياة ، ولم يتحرجوا في سبيل العيش ، من أن يعلموا
ثورتهم على الدين ، وأن يهملوا حدوده وشعائره إلى كانت همهم في
القرون الوسطى ، بل استدعى مصالحهم في الحياة أن يتحد كل فريق ،
ويعتر بوطه ، فصارت الوطنية عدوهم إلى مقام يشبه مقام الدين

القديم
المعسكرى
والدنى

هذا هاجم الغرب الشرق بثلاثة أسلحة لا قبل للأخير بها ، هي الحرية والعلم والعسكر .

الخصومة الدينية
جوانب حبرها

كل هذا ، ولا زال الراعي وكلايه في نومهم الهادئ ، ولا تزال رعاياه في مرعاه ، وقد أحالها الفقر والمرص والجهل إلى حان من الجود لم تعد تحس معها شيئاً مما حولها وكانت أوروبا لا تزال تحوط للشرق الاسلامي الشيء الكثير من الاحترام لأنهم لم تنس بعد ، بأسه الشديد في الحروب الصليبية وفتوحات الأتراك ، ولكن هرا من السائحين ، بدأ يدخل الشرق ، ويطوف به ، ويتأمل أحواله فيرداد عجباً ، ثم يمضي إلى قومه . يتحدث اليهم عما رأى من انحطاط المجموعة الاسلامية وضعها البالغ . هذا الأوروبيون يشكون في قوة الشرق الاسلامي وبدأت هيته تسقط من أعينهم وفكروا في استعمال طريق البحر الأبيض من جديد ، وكانت سمسم وأساطيلهم قد أحاطت بالمجموعة الاسلامية من الشرق — في المحيط الهندي ، وكان بعض البحارين منهم يفضل أن يحرق العالم الاسلامي إلى اشرق . فلبى من عنت حكام المسلمين شيئاً كثيراً .

وكان الأوروبيون قد شعلوا بالمارعات التي استطارت بين قومياتهم الناشئة . شعل آل هابسبرج بالبروس ، وشعل الانجليز بالفرنسيين ، وشرت بينهم منافسة حادة على المستعمرات في الهند وأمريكا .

كذلك قامت البروتستانتية في أوروبا ، ولم يكن بد من أن يقوم النزاع بينها وبين الكاثوليكية ، فاشتدت الخصومة بينهما ودامت زمناً طويلاً ، وظهرت بأجلى صورها في حرب الثلاثين سنة التي اشتركت فيها أوروبا كلها وانتهت بانتصار البروتستانتية الذي تقرر في صلح وستفاليا سنة ١٦٤٨ ، فشعل الأوروبيون خلال ذلك عن عدائهم المسلح للاسلام

على أن أهم تطور حدث في أوروبا في أوائل العصر الحديث ، هو تطور أساليب الحرب وهونها وآلاتها ، فقد كانت كفة اشرق والعرب متعادلة — إلى حد ما — عندما كان سلاح الفريقين واحداً ، بل كان الشرق هو الأرحح لما لأهله من الخناس والاندفاع في الميدان ، يرى ذلك واصحاً لا يحتاج لبيان في الحروب الصليبية التي كانت الكفة الراجحة فيها للشرق دائماً ، فلما كان العصر الحديث وحروبه اسكثيرة ومعارعنه اشديدة وجد الاوربيون في ذلك بجالاً طيباً للاستفادة من الخبرة والمران والاختراع فشأت أساليب جديدة في اعداد الحوش وترتيبها ، واعداد الجود للميدان ، وفي الحركات الحربية وهدسة الميدان وما إلى ذلك ، وسنرى أن هذا التقدم الحربي سيكون هو السبب الأكبر في هزيمة الشرق وانتصار العرب ، وسنراه واصحاً حياً في كل معركة أو نزاع بين الاثنين ، سنرى الشرق جامداً على أساليبه محاولاً الاستفاده منها على خير وجه ، وسنرى الغرب يفتن ويتدع في الحركات الحربية وآلات القتال من سادق ومدافع وآلات حصار فيسكون انفرق بين الاثنين ظاهراً يئاً له نتيجة الحاسمة . وقد أحسن المسلمون الذين تلقوا هجمات العرب الأولى بهذا الخطر وحاولوا أن يصلحوا شأنهم من الناحية الحربية لصدوا تقدم العرب ولكنهم لم يصلحوا ، لأن هذا انطور — ككل طور غربي في العصر الحديث — إنما أساسه العلم والتجربة الطويلة . فقواد باليونان كايوا يستعملون مربعات الجود لصد هجوم الممالك الشديدة كايوا يطقون أساليب درسوها في المدارس الحربية ومروا عنها في عشرات المواقع التي اشتركوا فيها قبل قدومهم إلى مصر . ومن العرب أن المديك لم يحاولوا أن يقلدوا الفرنسيين في شيء من أساليبهم على رغم أنهم استبانوا فضلها وقوتها ، وإنما مصوا على ما القوه في حروبهم القديمة

فكانت لنتيجة عريضة ساحقة متواليه انتهت بصدائهم من التراجع ، ولعلنا لا نحتاج كثيرا كيف استمر تفوق العرب إلى اليوم مع أن الشرق بدأ يتحرر أساليب العرب منذ زمن بعيد ، ولكن لواقع أن أقوى عناصر الجيش الأوروبي هي روحه المعنوية ، يشعر كل جندي فيه نفسه ونوصه وبنده مع الآخر في الصفوف فيصنع الجيش قوة معنوية عظيمة لا يكاد ينافس إليها حماس الشرقيين الذي يقوم على الادفاع ولهذا ترى إذا شرقي سيطر مهروما مهما يصلح في أساليبه ، وسيجسر المواقع معا يتق من عده في الحرب وآلاتها ، ولا يبدأ ينصر حتى ترتق روح حدوده المعنوية فيصل بذلك إلى مستوى العسكرية الأوروبية .

بدأ هذا التقدم الحربي يأخذ شكلا اظاهرا في حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا إذا كشف الناس أنها قوة المشاة وعرفوا أسل الاستفاده منهم على حيز وجه ، ثم حروب شارلوك إلى شمال أوروبا كلها واتحد هبأه صراع بين البروتستنتية والكاثوليكية والتي أيقظت في نفوس المحاربين الأوروبيين روحاً جديداً ، وزادتهم حيرة بأساليب الحرب وأخرجت قادة مدربين من أمثال حستاف أودنه واسكندر فارير وموريس ساو ومن إليهم . وأصبحت الحرب علناً قواعده وأصوله ولم تعد مجرد حماس وادفاع وولوايه في استعمال السيوف والقرايات . كذلك كانت العقول تتطور في أوروبا وتطوراً شاملاً عميقاً ، وأحد موقف الاسلام من الصراية يبدل تعاً لتبدل التفكير في بلاد العرب وإليك كلمة منعة للاستاد باركر مؤرخ الحروب الصليبية يفصل فيها هذا التطور أيبين تفصيل :

« ولم تجد أوروبا في الحروب الصليبية سبيلا للاتحاد الداخلي حسب ومؤثراً حديدا في شتى مرامي حياتها الداخلية ، ولكنها كسبت عن سبيلها نظرة جديدة واسعة للحياة . وقد كان هذا الانواع في مدى الطرأ أكبر ما كسبته أوروبا من الحروب الصليبية

إذا أضفنا إليه موج روح الكشف وتقدم الجغرافيا
بدأ عصر الكشف الاسبوي الراهز في القرن الثالث عشر ، وهو
يعادل عصر الكشف الأمريكى في القرن السادس عشر — ان
لم يساويه — وانتهى بعد ذلك قرن من الزمان . وكانت آسيا أثناء
هذه الفترة تجمعها امراض وريعية معوليه مصككة العرى تمتد من القرم
وتبرير وبخارى وسمرقند الى كمالوك (تكين) وهسكاو . وكان المعول
الذين احتفظوا بحقيقتهم الشامانية متداعين مع العقائد الأخرى ،
ولم يكونوا هم أنفسهم مسيحيين ولكن بلادهم ظهت مراً من هؤلاء
فرجا المثلثاتلون من المسيحيين تحويلهم الى النصرانية ، وعرر هذا
الرجاء ميل الأوروبيين التجارى الذى دفعهم إلى البحث فى بلاد
المعول عن مراكز التجارة الاسبوية . وقد كانت البعثات التبشيرية
التي أرسلت إلى بلاد المعول ترجو من وراء رحلتها أن تحقق أمل
انصليبيين وتستعيد بيت المقدس إلى الأبد . . وقد كان بين أعضاء
هذه البعثات أفراد مثل رايمند لال يفقدون أن البعث التبشيرية أهد
أثراً من المحنة الحربية ، ومن هنا أصبح تنصر آسيا غاية قائمة بذاتها
يرمى من وراءها أمثال هؤلاء المنتمين ان يملأوا بدياً بعلم الله كما هي
بملوءة مياه المحيطات . وقد وجدت هذه البعثات عوا طياً فى تسامح
المعول وفى وجود مدارس النسطوريين فى آسيا ، واستطاع جون موت
كورسيو — مؤسس الكنيسة اللاتينية فى تكين — فى أوائل القرن الرابع
عشر أن يصحح اسفقا لتكين وكان معه ثلاثة من الرهبان الفرنسيسكان
المساعدين . . وسار الناصر الايهي فى طل البعث التبشيرية كما كان
ملاحو الموانئ الايطالية يرافقون الحملة الصليبية ، ولم يسفر ذلك عن
رحلات « آل بولو » وخدم بل استطاعت شركة ملاحية جنوئية ان
تبحر مياه بحر قزوين ، واستمر اتصال بدقى فى تبرير بيدان
كل هذا الأمل المعقود قد تهدم عن آخره . وتلاشى ذلك الحلم الخادع

الذى كان يرسم لأصحابه فى الخيال صورة آسيا وأوروبا المسيحيين
تحصران بينهما الاسلام . فلا يصح بعد ذلك الا عقيدة متضائلة
محصورة فى فئة قليلة من الناس فى ركن أسيا وفى جانب من شرق
البحر الايض ، ذلك ان خانات فارس دخلوا الاسلام سنة ١٣١٦ ،
وأسلم أهل وسط أسيا فى منتصف القرن الرابع عشر ، وترعت على
عرش الصين أسرة مع الشهرة بين سنتي ١٣٦٨ و ١٣٧٠ وأُفُتحت أبواب
الصين فى وجه التجارة الأجنبية ، فكانت النتيجة انقطاع السيل للمسيحية
واتساعا بعيدا فى رقعة الاسلام الذى ادرك شأوا بعيدا من الاتساع
بطهور الأتراك العثمانيين ، ولكن أملا جديدا تراءى للعرب
الذى لا يأس ، وكان هذا الأمل الحديد سدا فى أكر انقلاب عروقه
التاريخ . . . تسائل الأوروبيون : إذا كان طريق البر قد أُفُتحت ، فلم
لا تسلك أوروبا طريق البحر ، لمساذا لا تحرج إلى الشرق وتهاجم
الاسلام من الخلف وبذلك يستعاد بيت المقدس . . كان هذا أمل
الملاحين الذين حملوا الصليب على صدورهم واعتقدوا أنهم (برحلتهم
إلى بحار الهند) يعملون لتخليص الاراضى المقدسة ، وإذا كان
كولومب قد وجد الجزائر انكاريبية دلا من الهند . . فانه يمكن أن
يقول إن المسيحيين الذين قاموا بهذا العمل (أى بالالتهاف حول
الشرق ومهاجته من بحار الجنوب) قد كسوا قارة للمسيحيين . . وان
العرب استطاع أن يعيد ميران الأمور لما فيه حيره سبيل لم تكن تحظر
له على بال . . . »

انقال الصراع الى
البحار

وهذا حديث فيه بلاع عماريد أن نقول ، إذ أن أوروبا لم تكف
عن التمكبر فى الاسلام ولا أحد شأرها منه حتى هذاها الصكر إلى
حركه الالتفاف الجوى . وقد رأيت محاولاتها العديدة التى قامت بها
فى اقربين الثالث عشر والرابع عشر ، كيف سعت إلى تصير المعول
لحصر الاسلام بين دولتين مسيحيتين ، وكيف اتصفت الاسباب بينهما

وبين الحشنة الصراية للقضاء على مركز المقاومة الإسلامية في مصر ثم كيف ينسب من طريق الشرق وبدأت تتجه إلى العرب للوصول إلى الهند وللجنوب للوصول إلى بلاد الإسلام . . وهذه هي خطوة الانتقال الكبرى التي تعين عصرًا جديدًا من عصور التاريخ ، عصر الحرية العربية المتوقعة التي تحطم قوات الإسلام الحرة في لانتو وتترع منه زعامة البحر الأبيض . . ثم تنوع نحو الجنوب فتعروه غزواً موقفاً من بحار الشرق . .

من هذا اليوم ، بدأ ميران الحياة يتغير ، وبدأت وجهة التاريخ تتبدل . . ستضع الأمم البرية السلاح لتنهض الأمم البحرية وبشر الشراع الذي أثبت أنه أمضى من السيف . . وستسمع بأمم صغيرة في حساب البر عريضة بحساب ما تملك من شراع وما في طماع أهلها من مواهب بحرية . . ستسمع بالبر تعال وهولسدة واجتئرا . وسيدأ العصر الحديث بطابعه البحري السائد

بعض الأمم البحرية

يكون المحكوم من البحر فتكون أمة الإسلام أول الفرائس . يبدأ التقدم الأوروبي من الشرق ويسير نحو العرب تسقط الهند وجزائر الملايو . . ثم جنوب فارس . . ثم امارات جنوب بلاد العرب . . ثم البحر الأحمر . . ثم دول البحر الأبيض . .

الآن أوجز بالقارى ما يدعى أن يعرفه عن الشرق الاسلامي وعن تطور أوروبا من القرون الوسطى إلى العصر الحديث ، وذكرنا ما أصاب العلاقات بين الإسلام وأوروبا من تبدل نتيجة لذلك التطور . فلندأ الآن بتبع العلاقات بينهما ناحية ناحية حتى تنتهي بهما إلى القرن التاسع عشر

١ - حركة الكشف الجغرافي

يرجع تقدم الأوروبيين في البحار ووصولهم بحر الهند إلى

أسباب كثيرة ، أهمها التقدم البحري الذي أدركته أوروبا في ذلك الزمان ، وليس صحيحاً على إطلاقه أن نقول أن بلاد الاسلام أصبحت في ظل الدولة العثمانية موصى لا أمان فيها لناحر ولا طريق فيها لعار أو ما يذهب إليه الكثيرون من أن التعصب الجاهل دفع بالأتراك إلى الوقوف في وجه مرور التجارة العربية ، فأدى ذلك إلى انصراف التجارة الغربية إلى الجنوب ، إذ المعروف أن الأبواب بين تركيا وأوروبا لم تكن مغلقة تماماً بل كانت للاتراك علاقات موصولة مع السندية وفرنسا ، وكان لها نصيب الأخير من احتكار التجارة في بلاد الدولة وبحارها ، بلاولى تجارة البر في بلاد السلطان والشام ، وللتبعية احتكار نقل التجارة الشرقية من موانئ مصر والشام إلى بلاد أوروبا ، وقد كانت هذه العلاقات نفسها سبباً من أسباب حركة الكشف ، إذ كانت المنافسة بين فرنسا وأسيايا في هذا العصر على أشدها ، فإذا احتكر الفرنسيون تجارة الشرق فقد انصرف الأسبان للبحث عن طريق آخر للاستيلاء على هذه التجارة والمنة على منافسهم فرنسا ، وكذلك صدقت البرتغال ذراعاً ما احتكار السندية لتجارة البحر الأبيض فتدست سبيلاً أخرى للاستيلاء على هذه التجارة والوصول إلى مدنها في الهند ، فأنهى بها الأمر إلى كشف طريق رأس الرجاء الصالح

تركيا وأوروبا في أوائل
العصر الحديث

وكانت طبعه الحروب الصليبية نفسها وما تلاها من أحداث تدفع بالشرق إلى التحرك في البر ، وبالغرب إلى التحرك في البحر ، فقد كانت اسفن سفيل الصليبيين الاوروبيين إلى لشرق فزاد مران الملاحين الاوروبيين ، وعرفوا أساليب اعداد الأساطيل والرحلات البحرية الطويلة التي تحمل الناس والحدس مسافات شاسعة ، وكان اعتماد الصليبيين في كثير من الأحيان على الأساطيل في مهاجمة موانئ المسلمين في الشرق بحيث ندر أن نجد حنة صليبية لا يرافها أسطول جُيُوش أو نندقي يساهم في الحرب وفي العينة ، فمن العربيون في أساليب الحرب البحرية في حين سكنت ريح

تدفع الهمم
البحري

الملاحة في الشرق وقت سفينه وأغلقت نفوره .. وفهم العرب ضعفه
أشرق في هذه لاجية قصارىهاجه — إذا أراد — من البحار .. ويحصره
في المياه إذا أراد أن يصيب منه معينا لا يصيبه منه في البر ، وهذه
أوروبا كلها تصبى ذرعا بجدا لا تراك الذين يعززون قلب أوروبا حتى
يصلون فينا فلا يجد الاوربيون سبيلا لردهم إلا دفع الدولة إلى حرب
بحرية تجلى عن هزيمة ساحقة لا مطول التركي في لسان سنة ١٥٧١ في
عهد سليمان القانوني أي في اوج انموق الاسلامي البري

الشمس الارض

أشرف البرتغاليون على ملاد الشرق في مطامع القرن السادس
عشر ، وقد حفرهم إلى الاجتهاد في اسوع في لبحار ، ووقفت اليه
جارتهم أسيايا من بناء امراطورية واسعه في أمريكا فدأت تثرى
وتقوى وتصح حطرا ساحقا تهدد البرتغال ، فاتجهت هذه نحو البحار
وترك وجهه العرب للأسان واتجهت حالها نحو الجنوب بمحاذاة ساحل
افريقيه . وكان يقود البرتغاليين هنري ، ذلك الأمير الذي يكر أبامرا .
الحروب الصليبية من أمثال آل تولوز . يعطيا لقب الأمير الذي
عرف به فكره عن العرب الصيامي الذي كل يسيره ، ويكشف لنا
النصيب الذي رسمه على ظهره عن الروح الدينية الصليبية التي كانت
تسيطر عليه ، ويصر لما لقب الملاح الذي عرفه به التاريخ هذه الروح
الملاحية التي سيطرت على البرتغال على أوروبا كلها في ذلك الزمان .
وانتهى البرتغاليون أخيراً إلى المحيط الهندي على يد فاسكو دي جاما ،

في ملاح

الاسطول البرتغالي

واتصلوا بالهند وكالينكوب في أواخر القرن الخامس عشر ، وأشأوا
يدون لأنفسهم ملكا على يد مستعمرين معروفين ، وقواد دوى حطر
من أمثال الميدا وكراال والوكرك . وكانت تلك البحار مقصورة
على ملاحى المسلمين من عرب وفرس يملكون التجارة فيه بين الهند
والبحر الأحمر وافريقية أو يسلمون ما يمر به من السفن . فكان طبيعياً
أن تنور الخصومة بينهم وبين البرتغاليين المهاجرين ، وكان لبلاحيين

المسلمين شركاء آخرون يقاسمهم هذا الرخ الوفير .. هم مالك مصر
الذين كانوا يستلمون الضاعة عند البحر الأحمر في السويس ثم وينقلوها
إلى الإسكندرية وبذلك يربحون منها أعظم الربح ، وهناك يتسللها منهم
شركاء ثالثون هم ابتداء الذين غلبت عليهم الروح التجارية فصالحوا
المسلمين على احتكار نقل التجارة في شرق البحر الأبيض المتوسط ،
وتسامح الشركاء بهذا المماض الخطر الذي أنشأ بسير أثره انعطاف
في بلاد الهند ، ويتسلم التجارة ويمضى بها إلى الجنوب فيحرمهم من
ربحها ، فتداعوا وتصارعوا وجمعوا أساليبهم وأسرعوا إلى بحر الهند
ليقصوا على ذلك الدجيل ، قدمت السفينة أحزاء اسمها ونقلها المماليك
إلى البحر الأحمر وركبها ملاحو المسلمين . وساروا بها نحو الجنوب ،
بل بلغ انفيط سلطان المماليك منعاً دفعه إلى انكسار لبا ما أوروها
يهدده ويسه ويأمره بالكف عن هذا العي .. والتقى البرتغاليون
بالشركاء في واقعة ديوسية ١٥٠٩ فاجلحت عن فور باهر للبرتغاليين ..
واسحاب تام للمسلمين والمماليك من مياه الشرق وتركها للبرتغاليين
المتصيرين يفعلون فيها ما يشاؤون

موقعة ديوسية

بعد ثلاثين سنة فقط شعر امراطور دلهي المسلم أن يد البرتغاليين
ثقله عليه ؛ وأهم انفردوا به وأحدوا بهددونه تهديداً خطراً .
فاستجده تسليم المانح سلطان تركيا في ذلك الزمان ، وانضم إليهما أمير
مسلم آخر كاد البرتغاليون يقتلهم ملكه . هو أمير جحارات . وسار
الثلاثة لحرب البرتغاليين فهزموا سنة ١٥٣٨ .

هزيمة الحلف
الإسلام سنة
١٥٣٨

وبعد عشر سنوات بدأ التوغل البرتغالي يثقل على صدر فارس .
إذ وقع في يد البرتغال كل الخليج الفارسي وسيطرت على التجارة ،
بحيث كان حاكم هرمز البرتغالي ينصرف حسبما يريد بتجارة انفرس ،
وأحسن الأتراك بذلك فأرسلوا حملة بحرية يقودها ييري بك ولكن
ذلك لم يعن إذ ارتد الأسطول التركي مهزوماً .

حملة ييري بك

هكذا قرر التقدم البحرى مصر الاسلام فى محار الهند ، وأخذ يمد شيئاً فشيئاً حتى استولى على الملايو وعلى سواحل الهند بن على دلهى نفسها كما سترى .

٢ - النمسا وتركيا

فرغت أوروبا كلها من التقدم العثمانى السريع ، وتسامع أهلها بسقوط عواصم أوروبا الشرقية والوسطى الواحدة بعد الأخرى ، سقطت أدنة سنة ١٣٦٦ ، والصرب بعد واقعة كسوف سنة ١٣٨٩ ، وبلغاريا فى حكم بايبريد الأول بين ١٣٨٩ و ١٤٠٢ ثم المنجر بعد موقعة فارما سنة ١٤٤٤ ثم القسطنطينية سنة ١٤٥٣ . ثم الموره بين ١٤٥٨ و ١٤٥٩ ثم بلغراد سنة ١٥٢١ ورودى سنة ١٥٢٢ ، فرغت أوروبا لهذا التقدم الشديد السريع ، وساورها الفلق على مستقبلها ، وبدأ الملوك والأمراء يفكرون فى بدل المعونة والوقوف فى وجه التقدم العثمانى الإسلامى ، وأحست به الشعوب إحساساً ديباً بسبب ما كانت تعبها الكنيسة هذه الأيام من حرب صليبية عيفة على المسلمين فى أسايا ، وزاد خطر العثمانيين ظهوراً ما كان من إشعال أوروبا بالحرب بين اهييسبرج وابقالوا بين شرايكان وفرنسا الأول ، فكان ذلك فرصة طيبة لتعمل الأتراك فيها دون أن يلقاهم أحد أو يردهم أمر .

بل أدى تافس الأسرتين إلى زياده سلطان العثمانيين وبعد صيتهم إذ سقط فرنسا أسيراً فى يد شارلكان فى سنة ١٥٢٥ فى موقعة باويا فلم يتوان هذا الأخير وهو فى حال الأس عن أن يستنجد بسلطان تركيا ليغيثه وينقده من عدوه اللدود . فأرسل السلطان سليمان إلى فرنسا خطاباً يفيض فخراً وثقة بعهده فيه بالمعونة ويذير شارلكان بالعقاب الشديد وبعث عمارة بحرية وصلب إلى طولون ووقف الأمر عند ذلك الحذر لا إشعال سليمان بأمور أخرى ، وإنما أشرنا إلى هذا الحادث

لأنه سيكون مدام للعلاقات القوية بين فرنسا وبلاد الاسلام . وأصلاً
للإمتهارات العديدة التي سيحرزها الفرنسيون والتي ستكون مدشاً
لطائفة من انشورور التي ستصيب الشرق الاسلامي في العصر الحديث ،
إذ أن كل فتوح سليمان والتي بعد ذلك هرب من الرمان بينما بقيت
هذه العظيمة السياسية إلى اليوم داء من أدواء الشرق الاسلامي وسكة من
نكته التي يصعب أن يجد معها محلاً . كذلك كان البادقة يمولون أنفسهم
من قديم بالاستيلاء على القسطنطينية وكانوا ينتظرون الفرصة المواتية
ليعيدوا ما فعلوه سنة ١٢٠٤ م من الاستيلاء على الدولة البيزنطية وإنشاء
دولة لانية فيها فسادهم قيام الدولة العثمانية ، ولم تلت الخسومة أن
دست بينهم وسها ، ولكنها لم تلت أن وجدت أساطيل أسايا والبرتغال
تأخذ عليها صريق العرب فلم تجد معراً من القرب لآل عثمان حتى
يبيحوا لها المهاجرة في بلادهم ، وقد أفلحت في ذلك . وأصبحت بعد
ذلك صديقة للدولة موالية لها .

التي

كذلك كانت النمسا ترقب هذا التقدم بين القاق والفرع . وبما
سقطت بلاد المجر بلع منها الخوف ملعه ، وبدأت تستعد لدفع هذه
العادية الشديدة ، وتحققت محاولتها حين توغل الأتراك في الأرض
النمساوية وعسكروا في سهل بوهورل وأحدوا يحومون حول فيسا ،
ويحاصرونها المرة بعد الأخرى بدون توفيق ، وأدركت أن
ماحل بالقسطنطينية سيحل بها يوماً ما . فبدأت تطلب المعونة من
دول أوروبا في هذا الطرف العصب ، وكانت تولده هي الأخرى
توقع هذا المصير ، وبدأت تتحد الأبهة لتلقى الأتراك إذا فكروا
في الاتجاه شمالاً . وبالحلة فقد انتشرت في أوروبا كلها دعاية
واسعة الطاق ضد الأتراك العثمانيين ، وساعدت الكنيسة على ذلك
فاتخذ عداء الأوروبيين لتركيا مسحة دينية ستزيده قوة وشدة ، لم

التي

ولده

فكينة وانما
في علاقات أوروبا
بالاسلام

يخطى النمساويون فيما قدروا ، فهذا هو محمد الرابع ١٦٤٨ — ١٦٨٧
يدبر مع وزيره أحمد كبرلي فتح فينا ، وهامما يعدان للأمر عدته ،
ويسيران جيشاً إسلامياً عظيماً نحو فينا ليقطعها حمله . ويرل نوبهورل
ويصبح على أبواب فينا ويدأ بها حماً هجومياً عصبياً . هنالك تفرع أوروبا
كلها . ويسرع لويس الرابع عشر ملك فرنسا فيرسل إلى النمسا ستة
آلاف حدى من حيرة مشاته . وتصل إمدادات من نواحي أخرى .
ويرداد سخط أوروبا على المسلمين فيسرع ليستر الفيلسوف ويقترح
على لويس الرابع عشر فتح مصر . ويهم هذا بتهديد الأمر ولكنه
يكتفى بصرب تونس والجزائر بالمدافع سنة ١٦٦٨ . ويلتقى الفريقان
عند سان جوتارد . . ويتأمل الصدر الأعظم الجود الهوسيني
المصطفيين نظام محكم ، وعلى رؤوسهم قبعاتهم ذات الريش ويتعجب
من شعورهم المدلاة وملابسهم ذات الألوان قبالة عجب ويسأل
ما هؤلاء انقياد . . ويشترك الجيش ويدفع الانكشارية في
عمق وشدة وتأخذ الجود الأوربية تحول بانتظام وترتيب وتقدم
مشاتها بقوة الجديدة ومدفعتها المتحركة . . فتنتهى المعركة عن هزيمة
ساحقة للأتراك .

دوى حبر هذه الهزيمة في أوروبا وأصاب من العوس مكان
الدهشة وأنكره الكثيرون وحسه الآخرون حدة ، ولكنه كان
حقيقة مرة بل بدأ لعصر جديد . اد منصح القوات العثمانية بل
الإسلامية من ذلك اليوم رمزاً للهزيمة والفشل ، عرف الأوروبيون
أن النظام والترتيب والرسم المحكم . . أمور تنقص الجود التركية
والجيش الإسلامى . . ومن هنا سيبدأ الهجوم وتكون الهزيمة . .
بل تشأ المسألة الشرقية بأسرها في ظلال الهزيمة ، يوقع الاتراك معاهدة
فاستار ، ويشمل الفرح أوروبا كلها وتنقسم شعوب البلقان وأوروبا

حبر

ليست من لويس
الرابع عشر على
عز مصر

سان جوتارد

معاهدة فااستار

الصعداء أن بدا الكابوس يرول .. ويتهلل الناس ويردادون حماساً ..
لأن الأتراك هموا مرة أخرى عند أبواب فيا وكل انسى همهم قائد
- سويكي ملك بولند - مسيحي آخر هو سويكي ملك بولند ، ارتدت القوات الاسلامية
في تفهقر سريع غير مسظم .. وتقدمت اقوات الاوروية يحدوها
النصر وينقاها الناس بالشر في كل مكان - أحلى الأتراك المجر .. ثم
سقطت بلغراد درة فتوح سليمان فاصجرت الثوره في اللقان ان
حسب أهله ان قصاء الله قد حم في الاسلام وأن الله قد تاذن بزوال
سلطانه ودهاب قوائمه وسحان النافي العزيز .. وتقدم يوجين أمير
سفوا فاستعاد زتمه قرب البحر الأسود ثم انجحه حيوياً .

نوه القمار

وهكذا .. يكشف الله السر : ونهتك الأقدار الحجاب . ويتبين
المدى الواسع الذي يعرق تركيا عن جيوش أوروبا ، هذا الذي
يفصل الشرق الاسلامي عن العصر الحديث ، وستكون الحوادث
المفصلة كلها راهين تؤيد هذا المارق وتظهر انفوق الفرق بشكل طاهر
لا يحتاج إلى بيان .. وسترداد أوروبا كل يوم له فيما .. فتهاجمه بكل
قواها وتشل حركة الشرق وتدهله فلا يدري أي انسل يسلك ،
وسيقوى شعور لشرق بالضعف فيبط اليأس على أفئدة المسلمين
ويدفعهم إلى الهاوية مسرعين .

سينزل السادة المورة ويستعيدوا كريت ويستوى قائدها توماس
موروميني على حصون اللقان الواحدة بعد الأخرى حتى تسقط تباعا
سنة ١٦٨٥ ويشطر أكبر جزء من دلماشيا .

توماس موروميني
في اللقان

وستسرع الروسية نحو الجنوب ، ويصبح حال تركيا شرا ليس
بعده شر .. وسيدأ من هنا لينها الطويل الأسود ومرصها الطويل
الثبات ..

ولكن ربك يتدارك المسلمين بالرحمة . فما هي حرب الوراثة

لنمساوية تادن بالبدأ . وهذا هو امراطور النمسا يسعى ليقفل الباب
في الشرق ليفتحه في الغرب . . فيعقد الصلح بين تركيا والروسيا والنمسا
ولكن أى صلح . . إنه الموت بعينه ! .

تأخذ النمسا كل الحجر وترافيا ونصف سات وتامسار وبلمراد
بل أنها تتعهد للسلطان أن تحفظ قروى مسلم وقع في يدها . . هو جل
بانا أى أبو الهور . . الزهور القائمة على قبر تركيا !

وتأخذ السدفة المورة والروسيا آروى وحق الملاحة في البحر
الأسود . هذا هو صلح كارلوفت ١٦٩٩ م .

صلح كارلوفت
١٦٩٩

٢ - آسيا الوسطى

في مطالع القرن التاسع عشر بدأت روسيا نهض نهضتها العظيمة
يحدوها بطرس الأكبر ، وكانت قد اتجهت إلى توسيع حدودها
والاتصال بالبحار محاربت السويد لتصل إلى البلطيق وحاربت تركيا
كما ذكرنا لتصل إلى البحر الأسود ، وصاحب ذلك امتداد عظيم سريع
إلى الشرق في آسيا ، استولوا على تمشك ١٦٠٤ وكراسنودسك ١٦٢٨
وياكتسك ١٦٤٢ واحسنتك . وفي سنة ١٧١١ أتموا فتح سيبيريا ووصلوا
إلى ساحل المحيط الهادى واستولوا على كانشكا وبدأوا يشئون على ساحل
المحيط الهادى ميسام العظيم فلاديغسنتك

مع سيبيريا

واتجه تيار روسى آخر نحو الجنوب احترق هضاب القرعيز
وصحاريها ، وتلك بلاد اسلامية بنوارد ذكرها في روايات المسلمين
بل كانت في فترات كثيرة مركزاً للحصارة الاسلامية وهكذا طرقت
أوروبا أبواب الاسلام من ناحية أخرى : كانت تركستان حلاء قوام
سهل فتحها ووقعها في أيدي الروس ، فقم لهم ذلك وتأسست ميناء
كراسنودسك على بحر قزوين سنة ١٥١٦ واتحد الروس كذلك

مع تركستان

من بين البحرين ، قزوين والاسود وأطولوا على فارس فألقوا في هوس
أهلها الرعب والفرع .

فارس ومهمها
في المجموعة الإسلامية

لفارس مقام خاص في المجموعة الإسلامية ، فهي أعرق الدول
الإسلامية حضارة وأطولها تاريخاً . وهي أول عنصر إسلامي استطاع
أن يستعيد قوامه ويهض على قسميه ، بل يطغى على الدولة العربية
فيغزوها ويحصارته ثم يسودها سياسياً في خلافة العباسيين ، وهي من عصر
آرى في وسط المجموعات الخامية والسامية (١) ، ولعتها أقرب إلى لغات
أوروبا إذ أنها من نفس الأصل الآرى ، وهي من بين الشعوب
الإسلامية ، ذات حضارة لها طابعها الخاص ، وذات فن معروف
ونصير قوى وأساطير ذائعة الصيت لا تقل حملاً ورواء عن أساطير
اليونان ، هي بعد هذا كله مجموعة شيعية وسط السيين في الأفعان
والهند والكتلة السية العربية . العراق ومصر وتركيا . هذه الأمور
كلها اتجهت بفارس وجهة خاصة ، وانحرفت بها عن مجرى تاريخ الدولة
الإسلامية . . فأحدث تسلك — في ظل الإسلام — مسلكاً خاصاً
تصيح فيه شخصيتها وبهراتها وصورها يينا . . ولا تزال كذلك حتى
يتحول ذلك الانحراف المذهبي الجنسي ويتخذ هيئة شعورية قومية ، يبدأ
شعوية تعز على العرب وتسامي عليهم ، ثم يأخذ شكلاً واضحاً بعض
الوضوح في ظل الدولة العزوبية ، ويصل إلى درجة طيبة من الضوح
في اقرن السادس عشر في حكم الصفويين .

القدم الروماني
فارس الصفويين

كانت فارس في أواخر القرن السادس عشر ومطالع السابع عشر
في فترة زاهرة من تاريخها الطويل المجيد ، كانت تقوم بالأمر فيها
أسرة الصفويين التي أسسها الشاه عباس الأكبر (١٥٨٦ — ١٦٢٨ م)

(١) لم يجد نسيم الناس في حديثه سامي متعاضد صبر لا جدس لانه هسيم لغوي وانه انتمسهم لبروم
بحسب مقيس الجسم والرأس . ولكن ذكره القاسم والعامي لسولة فهم هذه الاصطلاحات صعب

وكان هذا أميراً شرفياً ممتازاً ، استطاع أن يوسع إمبراطوريته حتى شملت فارس كلها ، فأسس على الخليج المسمى مدينه نندر عباس ، واستولى على الموصل ، وحارب البرتغاليين واستولى منهم على هرمز ، وفتح في الشرق باح وقندهار ، فدخلت أفغانستان تحت لوائه ، وحارب الأتراك واستعاد منهم بغداد .

كان هذا الامتداد مثاراً للزراع بين فارس وتركيا ، فاستطارت بينهما الخصومة ، إذ أبى مراد الرابع (١٦٢٣ — ١٦٤٠ م) أن يدع بغداد في يد اميرس . فسارع واستردها سنة ١٦٣٨ وقساق معاملته الفرس حتى قيل إنه قتل ثلاثين ألف فارسي في بغداد ، فكان هذا الزراع الاسلامي من عوامر ضعف المجموعة الاسلامية في هذه امطرة العصبية ، التي كان ينبغي أن توجه جهودهم فيها إلى الوقوف في وجه أوروبا التي بدأت تهاجمهم في كل مكان

وكانت الدولة الصفوية مكونة من حانات (جمع حان) يقومون على الواحي ويحصون للشاه عباس لما له من المباه والقوة ، فلما تأذن الله بوفاته ، استقل الحانات وتمزقت الدولة وأصبحت اقطاعيات كبقية الدول الاسلامية وأخذت تصعب شيئاً فشيئاً ، فاشهر الروس هذه الفرصة وعروا انقوا فاز وبدأوا يمتدون إلى الاراضي الفارسية .

وأسرعت الافغان شأراً من حارتها ، فقدم ملكها مير محمد في أوائل القرن الثامن عشر . وفتح فارس ، ونزل كرمان ، وأحرر انتصاراً عظيماً في جلناد قرب اصفهان ، ودخل العاصمة سنة ١٧٢٢ وكذلك انتهت الاسرة الصفوية ، وهبطت المقادير بفارس هبوطاً أصعبها أمام الهجوم الاجنبي ، وسترى بعد قليل ماسيعة الانجليز في الخليج الفارسي ، ولم يقطع هذا الركود الا معاصر اسمه نادر يظهر ويكون لنفسه امبراطورية واسعة تمتد من الدجلة إلى لاهور ودلهي

ع بين ترك
وفارس

تفرق الدولة الفارسية
بين أيدي الحانات

عند العفر

سنة لاص
مير محمد

مير محمد

ومن بحر الهند إلى القوقاز وسمرقند ، إذ استطاع أن يهرم الروس
وبردهم على اعقابهم . ولكن امبراطوريته انحلت عقب موته مباشرة
ولم تدم الا إحدى عشرة سنة بين ١٧٣٦ و ١٧٤٧

الهند الاسلامية

أما الهند فلا حاجة لنا بالتفصيل في شؤونها وما صارت اليه في
أواخر القرن السابع عشر ، لأن ذلك تطويل يخرج بنا عن الحدود
المرسومة لهذه الرسالة ، ولكننا نستطيع أن نشير في اجمال الى ان الاسلام
دخل الهند على يد المغول ، وأنه لم يستطع بطبيعة الحال أن يفتح الهند
كلها ، بل بقي في الشمال في حوص السندوجرم كبير من حوص السكنج
وهضبة الديكن ، وان مناره ارتفع وقامت له امبراطورية قوية طلت
المجموعة الهندوكية تطربها على الدوام كأنها قلية غارية ، وكذلك لم
يستقر الاسلام هناك وبنت أقدامه الا في القرن الثامن عشر ، حين مد رواقه
وشمل سلطانه وأصبح أصلا من أصول الثقافة والمجتمع في الهند ،
ولهذا ينبغي أن نلاحظ أن المجموعة الاسلامية الهندية لا تحارب
أوروبا وواحدها ، بل تحارب المجموعة الهندوكية كذلك ، وسلاحظ أثر
ذلك حينما تبدأ المادى الأوروبية تنسرب الى الشرق ، إذ سجد روح
القومية تنشأ عند المجموعة الهندوكية فتطوع الى التخلص من العزاة
المسلمين فيكون هذا أشد خطرا على المسلمين من الانجليز العزاة
وعلة من أشد علل الهند واقساها . ونلاحظ كذلك أن مسلمي الهند
دخل فيهم من الفرنس عدد كبير وأسلم طلوا محتفظين بكياسهم السياسى
مدى طويلا حتى أقبل الانجليز .

اورانج زيب

كان آخر الاباطرة العظام اورانج زيب ابن شاه جيهان
(١٦٦٠ م — ١٧٠٧ م) ، وكان رجلا شديد الايمان والتأثر بطبيعة
الاسلام ، فكان عاريا فاحشا أثار في الدولة نشاطا محمودا لم يصعب بعد
موته مباشرة ، بل استمر على كثير من القوة والمعة . أ
وكان يعاصر الامبراطورية الاسلامية امبراطورية هندوكية قوية

اشتد ساعدها بين ١٧٤٨ و ١٧٥٩ واشتدت الحصومة بينها وبين الدولة
الاسلامية

في هذه الفترة : فترة الخلاف والزراع ، بدأ رحف امرسيين
والانجليز ، فكانوا لا يصادفون في طريقهم الا وهما على وهم وانحلالا
يعقبه انحلال ، فكان الفتح هيبا والخطر جارفا .

في قصة سقوط الهند ، ينبغي أن تقطع إلى معني جديد من معاني
التدخل الأوربي في شؤون الشرق . فان الواقع أن قوى الهند المعترية
كأن تستطيع المقاومة بل التغلب لو أنها نصورت الخطر المصير على
حقيقته . أو لو أن الأوروبيين سلكوا مع الهود مسلكا يعبرونه
ويقدرون خطره . كان الرحف الأوربي في الهند رخصا اقتصاديا .
بدأ بمراكز تجارية أصبحت بعد قليل شركات قائمة . ثم احتاجت
الشركات إلى قوات تحمي ممتلكاتها ومخارجها ، واتسعت تجارتها والشركات
وامدت مخارجها حتى أصبحت مدنا بأسرها . وبالقرب من على أرض
الهند في النصف الثاني من القرن السابع عشر . وحصل أول قوادهم
سان مارتن على تصريح باقمة سوق في مدشيري فأجابه ملوك الهند
إلى ما أراد دون تردد أو توقع للخطر . ويبقى هنا أن نفهم معنى
« التجارة » في القرن السابع عشر ، فغالبا الظن أن بعض الناس
يخسرون أن سهم الأسهم التجارية كانت كسهم أيوم مجموعا من
الملاحين والمسافرين وهذا غير الواقع . إذ كان القرن السابع عشر .
قرن الفرصة ولصوص البحار ، وكان لا بد لآلية سفينة تعامر بالتوغل في
المحيطات . أن تكون قلعة حصينة ملائمة بالجود والمدفع والحراس
حتى يستطيع التجار أن يأمنوا على ممتلكاتهم ، وكانت السفينة ادارست
على شاطئ مجهول عكر جودها حول الصاعقة ليردوا عنها أدى
الاهالي . . وكان التجار يعرفون ذلك فكانوا يدفعون نفقات الجند

أوربا
والهند

الهند

الهند البحرية ، و
الهند
الهند

ويعيرونهم ، ومن هنا كانت قوة العثات التجارية وكان بعد أثرها ، ثم ان الموفق الذي أدركته أمسايا في أواخر انقرب الخامس عشر من كشف أمريكا وما أوصى عليها هذا الكشف من العى والثروة فى انقربين السادس عشر والسابع عشر ، أثار فى نفوس الدول غيرة وخوفاً ، ولاسيما الدول الحربية (كإنجلترا وبرتغال) ، فحدثت الدول المتاجر وأشرركات تحت حمايتها وعصبتها بل أرسلت معها الجلود وتدخلت عن طريق اغناصل حماية مصالح التجار حتى أنها للاحظ أن لعثات التجارية تنطور بسرعة إلى حملات حربية ومن هنا نفهم السر فى قوتها وكيف أنها انتهت آخر الأمر إلى أن تكون لها فتوح ذات شأن بعيد .

نوحز الأمر بقول : إن العربيين سبقوا الانجليز ، واتحدوا مدشبرى وشيدر باحوروكا يكال مرا كرا الماحرم وأمدوها بالحد ، وسارع الانجليز فاحتلوا مدراس وبومباي وكلكتا . وتوغل الانان فى الهند واشدت بينهما الخصومة واستطارت الحرب . ولكن فرنسا شعلت بحروب أوروبا فقلت غايب بشؤون الهند ، فانتهى الأمر بعدة الانجليز وطرد الفرنسيين

حلا الجوا للانجليز فاحسبوا يتقدمون فى السعدلة حتى تخوفهم امبراطور دلى ، فقص على نهر منهم وأساء معاملتهم . فذهب الانجليز رجلا اسمه روبرت كليف فصار فى جيش مطم قوى ليحارب سراح دولة امبراطور دلى سنة ١٧٥٦ ..

انقرب الفريقان فى بلامى .. وهى حلقة ثانية بعد سان جوثارد تلحظ التثابة بينهما قائما ، واعرفوا بين قوة اشرق وقوة الغرب واضحة فيها لانتحاح إلى ريادة يان . وهى السبب فى هزيمة الجيش الاسلامى الهندى وسبرى المساة تسكرز بعد فيل سنة ١٧٧٤ فى كتشك كيارجى فى أوروبا . وفى امسايا سنة ١٧٩٨ فى مصر ..

امراء الانجليز

١٧٥٦

كتب

الاس

وتتوالى الهزائم بعد بلامى كما توالى الهزائم بعد س جوتارد
وتسقط الهند كما توشك تسقط تركيا على ان سقوط .

٤ — مصر

بقيت ناحية أحياء من هذا الصراع . وهى ميدان لا يختلف فى طبيعته
ولا فى نتائجه وحملته . عن كل ماد كرمنا ، ولكن تعاصيله تكشف لنا
عن حقائق أخرى جديدة ، بسفى أن يلم بها فى هذا الحديث الذى نقدم
به الشرق الإسلامى للعصر الحديث .

كان سبب المهزومة فى الميدان الأوروبى حمود الدولة الإسلامية
وعدم مسايرتها الأساليب الخيرية الحديثة ، وكانت — أى الهزيمة —
راجحة كذلك إلى اتحاد أوروبا ، صدها . وهجومها عليها فى وقت واحد
من بواحي متعددة

وكان سبب الهزيمة فى الميدان الفارسى ، اصمحلل الدولة الإسلامية
وتفرق كلمتها

وكان سبب المهزومة فى ميدان البحار ضعف الدولة الإسلامية من
الاحياء البحرية وحمل المسلمين شؤون البحار .

وكان سبب المهزومة فى الميدان الهندى جهل المسلمين بأساليب التجارة
والاقتصاد وانقسام الهند إلى دولتين تحارب إحداها الأخرى .

أما فى مصر . فمجد شيناً آخر . إذ أثار أبقاى البلاد الأخرى حكومات
وحوشاً وأوعر هذا الصراع كان بين الحكومات والحصارة العربية ، فإذا
اهدمت الحكومة تهدم معها كل شىء . أما فى مصر فتحن بعرف أن
الطروف الجغرافية تنحو فى هذا الوادى دائماً إلى أن تقوى الرابطة من
سكانها . وأن توجد بينهم على مر الزمن شعوراً من النألف ، والتواد
الذى ينتج تقومية واشعور بها . ولا يقتصر هذا اشعور على أبناء

البلد المولودين فيه ، وإنما يشمل الأجانب كذلك ، يتطورون شيئاً
 شيئاً ويقتربون رويداً رويداً من مستوى اناس حتى يأتي زمان
 يندمجون فيه مع المصريين تماماً ، ونلاحظ ذلك واصحاً طول الفترة
 التي مر بها فيها ، فوجد شعوراً من الحب لمصر أخذ ينمو في قلوب
 المماليك شيئاً حياً أول الأمر . ثم يأخذ في الظهور شيئاً شيئاً
 حتى رآه واصحاً كل الوضوح في الفترة التي رل فيها الفرنسيون مصر
 فوجد شيئاً يشبه أن يكون شعباً مصرياً إلى جانب قوة المماليك الحربية
 هذا الشعب يتمثل لنا في مشايخ الأهرار وأعلامه من ثقتوا للفرنسيين
 وكان لهم دور طويل معهم ، نعم ، لا نجد عاطفة وطنية صريحة ظاهرة
 ولكنها ملحوظة على كل حال ، وسرى هذه القوة ترداد وتنمو باتصال
 المصريين بالفرنسيين ، حتى تظهر بشكل واضح أشد الوضوح في هذا
 الشيخ الشريف الذي لا يرقى إليها الشك في صدق وطنيته وصراحته
 قوميته ، وهو الشريف عمر مكرم الذي سنحدث عنه في حية
 باذن الله .

هذا ظهور
 القومية المصرية

كذلك نلاحظ عند المماليك شعوراً وطنياً يصلهم بأرض مصر .
 ياخذ في الوضوح شيئاً شيئاً كلما توغل الفرنسيون في البلاد ، ويظهر
 في شكل مقاومة عسكرية طويلة لا تحلو من بطولة وحلال ، وتستطيع
 أن تقول إن هؤلاء المماليك كانوا يطوون على كثير من الحب للبلاد
 والاحلاص لأرضها ، وليس أدل على ذلك من هذه الحملة التي يرونها
 الجبرتي عن لسان الآلي . طلق بها قتل وفاته وهي :

هذا ظهور القومية
 ضد المماليك

ويا مصر ، انظري إلى أولادك وهم حولك مشتين متباعدين مشردس
 واستوطك أجلاف الأتراك واليهود وأرادل الأرتود ، وصاروا
 يقصون خراجك ويحاربون أولادك ويقاثلون أبطانتك ، ويقومون
 فرساك . ويهدمون دورك ، ويسكنون قصورك ، ويفسقون بولادك

وحورك . ويطمنون هجتك وبورك . ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله ، وقد تحرك به خلط دموى وفى الحال تقيأ دماً وقال قص الأمر وحلصت مصر لمحمد على وما تم من يارعه وبغالبه وجرى حكمه على المماليك المصرية فما أطن أن تقوم لهم راية بعد اليوم .. ه (١)

وهى كما ترى حين حاصر مصر . ونكاد أن تكون معه جديده لم يسمع منها أسداً فى دولة من دول الاسلام ، وهى الطابع المميز لاسى يجعلنا نطرح مصر فى العصر الحديث نظرة خاصة ونردها عن رميلاتها فى العروة والدين ، هذا الشعور نشأ فى قلوب المماليك من طول ما أقاموا بمصر . ومن كثرة ما أصابوا من حيرها . ومن طول ما كانت عند حسن ضيقهم . فأمدتهم فى كل زمان بما اعتماهم يريدون من مال وجاه ، فاردوا عليها حرصاً ، وعنت فى نفوسهم شعوراً من الثقة يكاد أن يكون غروراً ، فقد أعزتهم مصر وبصرتهم على الأتراك ، وردادت ثقتهم بأنفسهم أى اردادت ثقتهم فى البلاد . ودفعهم هذا الشعور الجديد إلى التعاون مع ائمة الدين هم قادة الشعب ورؤساؤه وممثلو القومية المصرية فاسمروا بأمرهم وأطاعوهم وحصصوا حصصاً لروح الشعب اتى سيرتهم ووجهتهم فى كثير من الأحيان . ويفص علينا الجبروتى أحمدر المجالس اسى كال المماليك يعقدونها ويحصرها العلماء . فيطلب المماليك المال فيرفض العلماء ويأمررون المماليك بالحروب والحرب ويمهدون لهم بدل المال إذا استلزم الأمر

لهذا كله ملاحظ أن مصر لم تهزم أمام صرة الفرنسيين الأولى من طل كيانها حياً صحيحاً بعد زوال المماليك . ونهض الشعب يماون

(١) الجبروتى ح ٣٠ فى وصف سنة ١٢٢١ هـ وكنى ك ر ر حداث فى مصر بعد ان كتب من يريم ومراد وحده من بعد الساسة والمزاج فيه ومن القريشيين ومن الاتيين وعنده من معروف ومباين عليه

الفرنسيين في إدارة الأمور وسياسة الدولة ، ممثلاً في مجالس المشايخ
اتى كان الفرنسيون لا يرمون أمراً إلا رأياً ومشورتها

بل ملاحظ أكثر من ذلك ، أن القومية المصرية كانت قوية
الأثر في الفرنسيين ، فأحدوا يقترعون من المصرية شيئاً شئناً :
وحب اليهم الطهور بالمظهر الشرقي ، تجلسوا على الأرائك والطف ،
وتناولوا القهوة المصرية ، وتسمى بالليون بشارى عسكر وتسمى ديريه
فاتح الصعيد بالسلطان العادل ، بل أسلم بالهمل ثالث قواد الفرنسيين
وتسمى هذا الاسم لغريب الذى بصور لنا التعام والتقارب بين الشعب
وأوروبا . بعد روال المعاليك وهو عبد الله ميو

مصر بقرى
مجاور الفرنسيين

وملاحظ كذلك أن المصريين كانوا يشعرون في قرارة قلوبهم
باحقار الفرنسيين ، ويتحلقون من تعاوان معهم في إدارة البلاد ،
لا يدفع السور من الحصار العربية بل شعور وطى ملاحظه عند
راوية هذه الأيام ، اشيع الخرق الخليل الذى يحجل من ذكر اسمه
بين أعضاء المجلس الذى كونه الفرنسيون من العلماء المصريين

لهذا كله لا يحرم المصريين يعقدون رشدهم يوم تطرق أوروبا
أنواهم . بل هؤلاء هم المعاليك المصرية (كما يسميهم الخرق) يعرفون
في الصحك حين يصلهم بأرول الفرنسيين أرض مصر . ويتبدرون
« لخرج وأعطاهم وعلباتهم ، و بهم يؤمنون إيمان لا يرقى اليه شك في
أن هؤلاء » الجنود الكفار كحب العشق للكسر والاكل ولو كانوا
مائة لأنيناهم عن آخرهم »

بهم ليأحدون أهتهم . بما أنفوا من قلوب الحرب ، وما مبروا
فيه من ضروب المروسة : بهم ليجمعون مراعاة إلى طريق الاسكندرية
يتسعون إلى العبيدة التي بعث الله اليهم ماردة لا تكلفهم عبداً ولا جهداً . ثم انظر

أيهم . مقبلين على أعقابهم بعد أن قابلوا العدو في شبراحيت ، ونازلهم
مهرولس إلى القاهرة ، هم من ألم الهزيمة شيء كثير ، إن مراداً ليدرك
أن هذه القوة المقلت ليست شتاً يسيراً ، وإنه ليسعى جهده في أن يتوقى
القتال . فيبحث في طلب « كارلوس روسي » فصل البدقيه ، ويقول له
في كريد ، يحطم أن يعطهم قليلاً من المال ، ويدعهم يذهبون . لأنه
لا يريد أن يؤذيهم .

نوع المالك

وما هي إلا ليال حتى يكون ماحاف منه مراد . إن العرع ليدت
بلى قلبه . وإن أيأس ليطغى عليه ويشعل أصدانه . فهذه مجامعهم
تجتمع لتفص ، ونهض لتتجمع . يبحشون المسألة . ويقفلون وجوه
الرأى فيها . فلا يذهبون إلى شيء . ويبسأهم في ذلك ، إذا سأى ينفهم .
فطير له قلوبهم شماعا . لصد أدرك الفرنسيون أماسه ، فلم يبق من
حرهم مهر

هالك سارعوا . وهم أئمة الحرب في العالم الاسلامي — إلى
امرته ، تحف بهم أعلامهم ، وتتصاعد الدعوات لصرهم من القاهريين
الذين نال منهم الفرع كل منال

هي ساعات انقضى فيها كل شيء . دق الممالك مدافعهم في
الأرض دقا ، واحترق الفرنسيون عنها يسراً ، وأحلوا قلب معسكرهم
فانصقت فرسان الممالك كالسهم المارقة . حتى انتهت إلى صفاق
البن . ثم التفتوا إلى الوراء ، فإدا نار الفرنسيين تصيب عليهم حامية ،
هالك أدركوا وهم يشهدون أن مصير الشرق الاسلامي في الميزان

موجة أماسه

بحاول الآن أن نعرف مدى هذه المراثم في نفوس الشرقيين ،
وأن هم بالاحساسات الى أثارها انتصار أوروبا في نفوسهم . لعل

ذلك أن يكون ذا أثر في بحرى الحوادث التى سببها على مسرح السياسة الشرفية الإسلامية .



تخوف اشرقيون خوفاً شديداً عقب هذه الهزاتم انى ترددت فى كل مكان من سهول الهند إلى حبال الملقان . وأصابهم من ذلك فرع لا يوصف . لم يقلوا على الحصار العربية ولم يتسوا لها ، وإنما وقفوا منها موقف العاخر الذى لا يعرف أى لسن يسلك . ومن الشواهد على ذلك موقف الأتراك إزاء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ — ١٨٠١) فقد كان فى استطاعة السلطان أن يفعل شيئاً لو أنه حرم أمره . ولست أقصد أنه كان يستطيع أن يهرم نابليون ، وإنما أريد أن أقول إنه كان يستطيع أن يتصرف تصرف دولة محترمة . ولكنه لم يفعل ، فكانت سياسته أقرب إلى العث . احتج فى أول الأمر احتجاجاً شديداً . ثم دبر خطة حربية لم يباح فى تنفيذها ، قرر إرسال جيشين . واحد بالبحر ولثاى بالبر فيصلان إلى مصر فى وقت واحد ، ويفضيان على الفرنسيين دفعة واحدة . ولكن جيش البر تنكأ فى الشام . خف اليه نابليون وقضى عليه ، وجيش البحر تنكأ بالبحر خف اليه نابليون وهزمه فى أو فير . . . وعلى هذا اذئنا لتسبيع أن نقيس سياسات الدول الإسلامية فى القرن التاسع عشر

فرع الشرفية
من هجوم أوروبا
والبحر

اسموا على نهوس الشرقيين جزع شديد ، وأصبح الحكام الشرقيون يراقبون الدول وفواصلها وجالياتها فيما يأتون من أمر . حتى كان الناس يتوسلون بالسائحين الأفرنج ، ليسعوا لهم عند الحكام ، ليردوا عنهم المظلم ، كما سعى كسحيك السائح الانجليزى ، ليرفع عن طائفة من اليهود من أهل الشام اظلم لدى كان يرله هم رجل عربى يدعى النبوة ويسمى نفسه النبى دهور (١)

دور معروف فيه
البحر

هذا الفزع الذى استولى على الشرق الاسلامى سهل للأوروبيين مهمتهم كثيراً ، ومهد لهم بلاد الشرق فأقلوا مطمئنين ، إذ أنه أضعف المقاومة الشرقية ، فجعل الحكام يسلبون بعد مقاومة قصيرة ، أودون معومة أصلاً ، وجعلهم يستمعون لصائح الأوروبيين عن خوف لا عن ثقة ، فسهل جدائعهم وسهل الغش رعاياهم

ولملا واجدون لمؤلاء الحكام عدراً فيما أصابهم من خوف ، إذا دها تروى الموقف وتامله ، فان الحصار العريية التى بدأت مطالعها فى أواخر القرن الثامن عشر ، لم تلت أن انقضت على الشرق فى سرعة مهاجمة فى أوائل القرن التاسع عشر ، ولم يلبث الحكام الشرقيون أن وجدوا أنفسهم محوطين بالحضارة العريية من كل جانب ، وكان الأوروبيون قد بدأوا يرحلون إلى بلاد الشرق الاسلامى فى أوائل القرن التاسع عشر ردايات ررافات ، حتى أصبحت مدائن الشرق وتعموره تعج بالآلاف من الأجانب ، الذين سهل عليهم أن يتسلطوا على مرافق الاقتصاد من مال وتجارة ، ثم حقت حكوماتهم لتحمى مصالحهم ، وأسعدهم الخط نظام الامتيازات الذى فرض على الشرق الاسلامى من أيام سليمان ، فأعادوا منه حيراً كثيراً ، وأصبحوا يحفون إلى الشرق فى رعاية أساطيهم وقاصليهم وفراينهم ، واردادوا جرأة واردادوا طمعاً ، وأشأت مصالحهم تردد ، وأعمالهم تكثر ، وأقاموا من المصانع والمتاجر الشئ الكثير واشتروا من الأرض ، وارتبوا من العقار قدراً كبيراً ، بل تغير الأمر ، وعرف الأوروبيون فى الشرقيين هذه الرهبة وذلك الخذر ، فطفقوا يأتون من الأمر مالا يستطيعونه فى بلادهم ، ويلبسون من الحريات مالا نتيجه حكوماتهم ، وصار من السهل على الكثيرين منهم أن يحددوا الولاية فى الأعمال ويحكموا هم . أو يتهموا الحكومات

معهم الأوروبيين
إلى بلاد الشرق

أوروبا . تنقل
بحرى قسطنطينية

بأنها سببت لهم خسارة لم تكن ، ويضطر الحكام إلى بدل التعويض
كرها أو طواعية . حذرأ من الجحد والقاصص والاساطيل .

أوروبا تنف في
وجه المركبات
الروسية

كان هذا الفرع الذي استولى على أهم الشرق علة بالغة ، حالت دون أن يتفجع بالخضارة العربية على وجهها الصحيح ، ذلك أن الجاليات الأجنبية ، وجدت أنه من الخير لها ، أن يبقى الحال على ما هو عليه ، فصارت تنظر بعين السخط إلى كل حركة يراد بها ، يقاط البلاد ، وصار الزلاء الأجانب بذلك أسوأ الدعاة عن المصلحين ولعلنا نذكر موقعهم عن عراق وعدهم له ، والخاص بهم على دولهم في القضاء عليه : وكان من أثر ذلك أيضاً ، أن ساءت سمعة الشرقيين في بلاد أوروبا ، لأن هؤلاء الزلاء كانوا يرون أن توبيخهم في بلاد المشرق ، إنما يرجع إلى تعوقهم وعجلة الشرقيين ، فإذا كان في الشرق نظام وأمان فبعينه قيام القضاة وحدهم .

أثرت هذه الفكرة أثراً بعيداً في سياسة أوروبا نحو الشرق الإسلامي ، إذ جعلتها تنظر إليه باحتقار وعداوة ، فحينما استطارت الخصومة بين الترك واليونان ، وقعت أوروبا كلها صفاً واحداً ، سياسة وشعوباً وشعراً . إلى جانب اليونان وأعلنت على الترك عداوة لا يعرف هوادة ولا لئلاً .

وتم مسألة أخرى لا يحسن أن نعنها في سياق هذا الحديث ، فان هذه السرعة التي اقلت بها الحصار العريضة ، أيقظت في الشرق الاسلامي نشاطاً سريعاً لم يكن محمود العواقب ، فكان الاندفاع نحو الحصار الغربية ، أضر بالشرق من الاستعراق في اليوم والحدود .

شعر الحكام الشرقيون أنهم بحاجة إلى الإصلاح السريع ، فكانت السرعة سيئهم في كل شيء ، فاذا ساروا عدوا ، وإذا أدبوا قتلوا .

واقصى هذا أن ينظروا إلى الداية وحدها دون الاهتمام بالواسطة ،

الشرق ناشط
شاماً عرباً
حفظاً

فلم يكن يهم محمد علي أن يقضى على الممالك هذا انتفاء الشجع . مادام ذلك سيؤدي به إلى الخلاص منهم ، وليس يصير السلطان أن يرمى بالوحشية ، إذا أباد الانكشارية بالمدافع لأن العاية هي أن يختص بهم على أى وجه ، وليس يصير اسماعيل أن يستدين ، وأن يضع أرض الدلافي يد المرايين الاحانب ، مادام المال الذى سيأتيه من هذا السبل ، سيمكسه من بناء الأوبرا ، واظهار أمام لداته من الحكام ، بمظهر الحاكم الغربي .

كانوا يدسعون في كل شيء ، كأنهم مدفوعون إلى ذلك دعوا . يعدون في لحظة حافظة ماقضته أوروبا في قرون ، ويحفظون عن طهر قلب ماتعلمته بالتجربة ، ولهذا مست أعمالهم السطوح دون الأعماق ، وشملت الفروع دون الأصول .

وطبعي بعد ذلك أن تهدم هذه الأعمال أمام الصرعة الأولى ، لأنها كانت كأنهم فرمان التي ساءها المهديون ، قامت من التراب في يوم وليلة ، وأصبحت ترابا في يوم وليلة .

ذلك أن الشعوب كان يدفعها الملوك ، والملوك يدفعهم الفزع ، فكان السير متعثرا مضطربا . ولم تكن اسبل التي يدفع الجميع إليها واصحة كل الوضوح ، فلم يأتوا أن صالوا .

جاهدت مصر ماجاهدت ، وجمعت ماجمعت أيام محمد علي . جيشت الجيوش وانحذت هيئة الدول الغربية ، ولكن ذلك كله لم يعن عنها قتيل ، حينما وقفت جنود محمد علي أمام الانجليز في الشام . تحر كل شيء . صاع جهاد أربعين سنة في وضع ساعات ، في خطوة أنقأها بالمرستون في مجلس النواب البريطاني .

لم تسكد مبادئ القومية تنتشر في أنحاء الدولة العثمانية حتى قام بين أجناسها عداء شديد ، إذ أن الأجناس الخاضعة للدولة ، حيل إليها

شعوب الشرق بهم
مكة الصومع على
عصرع
بين لأحاس

أما اعتزاز المرء بقوميته يستدعي عداة القوميات الأخرى ، ومن ثم كانت المدايح المعروفة بين الأتراك والأرمن ، وبين الأتراك واليونان ، والتي ستعيد نفسها بعد قرن من الزمان بعد الحرب الكرى ، بين الترك والعرب .

وكان للاتصال المفاجيء بأوروبا أثره السيء في الأخلاق ، حمل
الفرنسيون الحرية ، فهمها المصريون خطأ ، ومن ثم اطلقوا
يعربدون ويأتون من الأمر مسكرا . ويسرفون في هذا إسرافاً يفتزع
له الجحش ، ويشكو منه من الشكوى . ويهزوا إليه مقدمات ثورة
أغسطس سنة ١٧٩٩ .

أثر الاتصال
بأوروبا في
الأخلاق

كان اللقاء الأول بين الشرق والحضارة الغربية . شراً مستطيراً
على شعوب الشرق الاسلامي ، وهزيمة ساحقة لملوكه وأمرائه ، وصرخة
شديدة في صرح الوحدة الاسلامية . رادت العلة بالرجل المريض ،
ولم يعد يحى على أحد أن الأمر خرج من يده . وان تركته أصبحت
رهنًا بينه الباشيين : لو أن له عين . كاب السون صغاراً ، بينهم وبين
الرشد سون طوال ، ترى كيف سترعاهم الأيام .

المسألة الشرقية

١٨٠٠ - ١٨٢٠

« ولدت سنة ثلاثة عشر ومائتين هجرية ، وهي أول سن
بلاعم اسعده ، والحروب خمسة وروبع ان له ، والروب
الهائلة ، وتضاعف القسور ، وترادف الامور ، وتوالى النهب ،
واحتلال الزم ، وانكاس المطوع ، واقتلاب الموضيع ،
وتتابع الاسبوال ، واختلاف الاحوال ، وفساد التدبير ،
وحصول القسور ، وعموم الخسراب ، وتواتر الاسباب ،
وما كان ذلك بملاك القري ، وأهلها مصلحون ؛ »

الجهنمي ٣٣

تدر هذه الحكومات قليلا ، وقلها على وحوها لتفهمها على الوجه الذي اراده منها كاتبها يوم كتبها ، تجد فيها بلاغا يميز القلم عن شرحه شرحا دقيقا واما ، فهذا الشيخ يفرع لمقدم عام ١٢١٣ هجرية . كما كانت البلاد آمنة مطمئة قبله لا يروعا حادث ولا يفكر صفوها معك ، ويتخوف منه ومن أحسائه مع أننا نعلم أن مصر كانت قبل الاحتلال الفرنسي ، مسرحا للقوضى والانقلابات والمذابح وأنواع الظلم والاضطهاد ، وإن المصريين كانوا يفاسون في ظل المالك الوانا من العسف والشر لا تكاد تقاس بها ما قاسوه من الفرنسيين . فما الذي أيقظ في نفس هذا الشيخ كل هذا الخوف وما الذي أقام في نفسه هذا التشاؤم والتطير ؟ . . .

هذا هو سر بلاغة حديث هذا الشيخ الخليل ! . وهذا ما سنفصله الآن لم يفهم الخبر في الغزو الفرنسي على انه فتح سياسي يرى الفرنسيون من ورائه الى اعراض بعضها اقتصادي وبعضها سياسي ، ولكنه همه على أنه — أولا وقبل كل شيء — فتح ديني قام به النصارى . عادت الى دمه (واذهان معاصريه معه) ذكرى الحروب الصليبية البائسة في أذهانهم واستيقظ في موسم كل ما يصمره الشرق الوسيط للغرب الوسيط وطافت بأذهانهم ذكريات الصراع الطويل بين الاسلام والصراينة والكره العميق بين المسلم والنصراني ، وتصوروا أنهم وقعوا اليوم في يد نصراني لا يرحمهم ولا يتق الله فيهم . فتلقوه بفوس ملائى سوء الظن وسوء التقدير . وتحوفوا منه خوفا بالغا . ولم يجدوا في مقدمه الا وقائع بارلة ونوازل هائلة ، وتصاعف ضرور وترادف امور ، كان مسلمو هذه الايام يرون أن ميراث الحياة لا يستقيم الا اذا كانت كفة الاسلام هي الراححة . وكلمة العلماء هي العليا . ويعتقدون أن سلطان الاتراك سيد السلاطين ورأس الملوك مهما بلغت شكواهم منه ورأيهم فيه ، فاذا انهرمت

الحزن سر من
تصور معاصريه
المسلمين

جيوش السلطان واستباح جند النصارى أرضه فقد احتل ميران الحياة
واضطرب أمرها، كان هذا نذيراً بكل ويل وشر، وكان المعروف عند
المسلمين أنهم أقوى عباد الله حدا وأعرهم نفرا وأكثرهم علماً، وأن
الخليفة هو سيد العالمين لا ينازله أحد في ملكه ولا يثبت له عدو في
ميدان كان ذلك هو ميران الديباقي حسابه. وهؤلاء أهل الاسكندرية
يسألهم « نلس » عن الاسطول المرسى فيجيبه رعيهم محمد كريم :
« إن هذه أرض اسلطان » ليعلم هو من نفسه أن أرض السلطان
لا يجرؤ أن يزلها عدو أو يعدو عنها أحد أصلاً : أما اليوم هؤلاء
هم البصري يتخربون على بلاد السلطان ويملكونها ويحكمونها .. وبهذا
يحمل نظام الحياة في حسابه « يتخلل الرمن ويعكس المطبوع ويقبب
الموضوع وتتابع الاهوال »

أصبح المصريون المسلمون حاصعين لحاكم مرسل اليهم « من طرف
الفرنساوية المنق على أساس الحرية والنسوية » لا من طرف الخليفة
المسلم في الاستانة .. وهذا هو الشر الذي لا يورثه عصف ابراهيم أو
صلم مراد أو شرور المماليك والأتراك كلها محتمة بعضها الى بعض .
ويقرر لنا الاساد الجليل شفق عزال ذلك الأمر في رسالته « الجبرال
يعفوف » تفسيراً موجزاً حيث يقول « وكانت الانقلابات التي
يعرفها بها قد يصحح الشيء لكثير من احتلال الامن وضروب العنف
والتعسف وإعادة لطلب عليهم فيما أدوه من الصرائف والمغارم ، إلا
أن هذه الانقلابات كلها كانت على نمط واحد ، لا يأتي واحد منها بجديد
ولا بصطدم متألوف لديهم : فتلا يتعل على الكبير على حصومه ويحكم
البلاد كما حكمها حصومه ، ثم يتعل عليه ابو اذهب ويحكم كما حكم على
وهكذا دوايك أما الحكم المرسى فكان انقلاباً من نوع لم
يعرفه المصريون . إذ لم رذل حكم مراد و ابراهيم حل محلها بوايرت

سنة ١٢٨٠
هـ

ولم يكن مسلما ولا ملوكا ، ومهما قيل في تدين العربيين في تلك الأيام فهم غير مسلمين ، قد تصل بهم الضرورة الحربية — أو ما طنوه ضررة حربية — الى انتهاك الحرمات الاسلامية (١) »

المسألة الشرقية
كما فهم المسلمون
في تلك الزمان

لا سكاد بخطى . إذا قلنا ان هذا الشعور الذي عبر عنه الجرحى كان يساور الشرقيين المسلمين كلهم حين انتهت اليهم أخبار هذه الهزائم التي حدثت لك عنها في الفصل السابق ، فلا عرامة أن تولاهم القزع الشديد فلم يستطيعوا أن يصيروا اذا فكروا أو يفعلوا اذا حاولوا ، وفهموا « المسألة الشرقية » هذا الفهم الديني ولم يتعطوا إلى أساسها ومعانيها وأسرارها وما يبنى عليها . فلم يوفقوا الى مقاومة أوروبا بل لم يعرفوا كيف يقاومونها . فكادت مقاومتهم لها عينا لا يكثر له الأوروبيون أو يجعلوا له . وأصبحوا لهذا — وعلى الرغم مما بذلوه من جهود للدفاع والنحاة — كتلة جامدة لا يحسب لها حساب عند سياسة الغرب وأصحاب الشأن فيه . وأصبح مصيرهم موكولا إلى دول أوروبا .

مسألة الشرق
في دورها الأول :
تراجع الدول الأوروبية

لهذا لم تكن المسألة الشرقية في دورها الأول ، نزاعا بين أوروبا والشرق الاسلامي . وإنما كانت نزاعا بين دول أوروبا على مصير بلاد الاسلام .

وما دام الأمر كذلك فيحس أن ندرس هذه المسألة في مراحل السياسة الأوروبية ، في باريس ولندن وينا وما إليها ، وفهمها عن

(١) « اجبرال ، هوب ، والمارس لا كريس ، ومشروع استقلال مصر ١٨٠٦ » . للاستاد شفيق خريال أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بالقاهرة ، ومضى رسالة ذات مقصده على عظيمه جدا لما تحويه من صدق لتفرض وحساب الاستنتاج وسفاهة حجة ووعده لمراجع . وعلى الرغم من أنها لا تزيد على سبع صفحات إلا أنها حنار القوي رأيا مستقلا حاتيا في حقلة القصة عن مصر .

ساسة العرب ومرامهم وآرائهم من أمثال « مليونوت » و « مارتينغ »
واسكندر الأول ومن اليهم . حتى المسألة المصرية ونهضة محمد علي
ستطيع أن تكون أدق فهماً لها إذا درسناها في لندن أو باريس ،
على الرغم من أن القاهرة أصبحت في هذه الأيام — أي النصف
الأول من القرن التاسع عشر — مركزاً من مراكز السياسة العالمية
يحسب له كل حساب

يبلغ المؤرخون الأوروبيون في تقدير الأدوار التي لعبتها دولهم
في هذه الفترة ، الفرنسيون يصورون أنفسهم بصرفون السياسة
العالمية ويرسمون للديا سلا جديدة من العيش . ويزعمون أنهم كانوا
يجاهدون هذه الأيام ليخلصوا بالديا إلى مراديس الحرية والمبادئ الجديدة
والعصر السعيد . والآنجليز ليسوا على هذا الرأي طبعاً وإنما هم محور
سياسة الديا وأصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في تاريخ العالم حتى
أيام « مليونوت » . وكذلك الروس والتمساويون وغيرهم ، ولست
تجد في حديث أحد من مؤرخيهم كلمة واحدة تدل على أنهم يشعرون
بوجود أي لون من الحياة في الشرق الاسلامي . فمسألة تركيا نزاع بين
الفرنسيين والروس والآنجليز والتمساويين ، لا مائة فيها للأتراك ولا
حمل ، ومسألة مصر نزاع بين الآنجليز والفرنسيين . وهكذا يتحدث كل
مؤرخ باحثة يختلف بحسب جنسيته . فير جمع كافة دولته ويبالغ —
كثيراً أو قليلاً — في تقدير أثرها والدور الذي قامت به وهذا
أمر يجعل دراسة الاتجاهات الدولية في هذه الفترة معقداً شائكاً
وكان سداً في كثير من الاحطاء في فهم اتجاهات هذا العصر على
حقيقتها

المؤرخون الأوروبيون
واختلاف آرائهم

أشرنا في الفصل الماضي إلى صعود نجم الفرنسيين في الشرق وما
وفقوا إليه من امتيازات اقتصادية وسياسية حصدتهم عليها بقبضة

خلف روسيا

الدول، وقد راد في مقام الفرنسيين في شرق البحر الأبيض انصراف
مافستهم — اجتلترا — في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى
شئونها في البحار والمستعمرات، ووقوف نية الدول الأوروبية من
تركيًا موقف العداء، فأفرد الفرنسيون بالتقرب من السلطان وكسوا
ثقته، وأصبحوا أرحح كفة من سواهم

يقترن هذا التوفيق الفرنسي باسم المركيز فيليب Villeneuve
وهو أول حلقة من هذه السلسلة الطويلة من السفراء الأوروبيين في
الامانة أو القاهرة أو الشام الذين سيصبحون أصحاب الكلمة
البادية واليد العليا في تعريف سياسة الدول الشرقية الإسلامية؛
استطاع فيليب بفضل الظروف الدولية التي أشرفها أن يوفق لدى
السلطان توفيقاً مشكوراً، فأصبح ماصح الامين فيما يعرض له من
مشاكل السياسة وأحوالها، وقد بدأ عهده يظهر موضوع في الحوادث
التي أدت إلى صلح بلغراد في أول سبتمبر سنة ١٧٣٩ الذي استردت
به الدولة كثيراً من أملاكها معاد إليها كثير من مقامها وهيبتها بين
الدول الأوروبية، ثم توسط بين تركيا والسويد فعمد بينهما صلحاً
موفقاً في يولييه سنة ١٧٤٠ فأصبح بذلك موضع ثقة السلطان وصاحب
الرأي السائد في سياسة الدولة العثمانية، ولم يجد السلطان — ليؤكد
شكره وتقديره لميليف — إلا أن يحدد الامتيازات التي كانت فرنسا قد
كسبتها قبل ذلك، وهذا أصبح الشرق امبراطورية استعمارية عظيمة
لنا (أي للفرنسيين) يستورد بضائعنا ويصدر لب بضائعنا بطرود
طبية موفقة جداً وأصبحت الاماكن المقدسة في فلسطين حاصلة
لسلطان رجال الدين اللاتين (أي الفرنسيين) على الرغم من المراعى
الأورثوذكسية (أي الروسية) التي كانت ترعاها روسيا، وأصبحت

تجديد امتيازات
فرنسا في تركيا

امتيازات سنة ١٧٤٠ — مرة أخرى — قانون الفرنسيين الذي يعيشون بمقتضاه في بلاد الدولة (١) »

نوتر العلاقات بين
فرنسا وتركيا

ولكن هذا التوفيق الفرنسي لم يدم مداه طويلا ، أد أراد الفرنسيون بعد ذلك تقليل أن يستعلاوا ثقة الدولة فيهم وتقديرها لهم فأحبوا أن يدفعوا بها في تيار السياسة الأوروبية حملة ، وسمى فيليب لادجال تركيا في حرب الوراثة النمساوية ، فمطى الأتراك إلى ذلك ورفضوا دخول حرب لامصاحبة لهم فيها ، فأحفظ ذلك الفرنسيين عليهم ، وبدأت العلاقات بين الدولتين تفتت ، وسترى أن السياسة الفرنسية بدأت تأخذ وجهة جديدة ليس فيها من العصف شيء كثير . ولكن اضطراب أمور فرنسا الداخلية الذي انتهى إلى ثورتها المعروفة في نهاية هذا القرن (الثامن عشر) ثم اشتغالها بالمناخسة الانجليزية على المستعمرات صرفها عن ذلك فلم تأخذ السياسة الجديدة مطهرها الحقيقي إلا في السنين الثلاثة الأخيرة من القرن الثامن عشر ، أي حين سكن غيلان الثورة واستقرت الأمور لحكومة الإدارة

هنا ، يقف المؤرخ الفرنسي وقفة طويلة جدا ، بعدد مشاريع نابليون وحفظه التي كان يرسمها لحل المسألة الشرقية ، وسياسته ومراميه التي كان يرجو بلوغها ، ومعالجته العديدة مع الروس وغيرهم لادراك هذه العناية ، بحيث يقسح القاري أفراسا كانت محور السياسة العالمية في الشرق والغرب في ذلك الحين ، والحقيقة أن أثر فرنسا في المسألة الشرقية في هذه الفترة لم يبع ذلك الملح ، إذ أن مشاكلها في غرب أوروبا وقلتها ، حالت دون أن يتمكن نابليون من توجيه سياسة هذه المسألة إلى الناحية التي أراد ، ولم يخرج المسألة في أي دور من أدوارها عن أن تكون محاولات لا أكثر ، لم تؤثر من اتساع الوقت والعناية

قانون
ومعاريه
الشرقية

ما يسمح لها بأن تكون ذات أثر في مجرى الحوادث في الشرق
الاسلامى

حملة نابليون على مصر

ماهى الدوافع الحقيقية التى دفعت نابليون إلى القيام بحملته
المعروفة على مصر ؟ . . . وهل هذه الحملة تدل دلالة صادقة على سياسة
مبينة رسمتها الحكومة الفرنسية ؟ . . . وماذا كان يريد من ورائها ؟ . . . لى
يجيب على تلك الأسئلة يحسن أن تقول إما لانوافق كثيرين من
المؤلفين الذين يذهبون إلى أن حملة نابليون على مصر كانت مغامرة
حرية قام بها هذا الرجل ليشبع رغبة خيالية كانت تصطرم في رأسه .
أو أن رجال حكومة الادارة دروا له هذا الأمر إعادآ له عن فرنسا .
كل هذه العروص والتعليلات غير مقبولة عقلاً ، فان تنظيم الحملة
واعدادها والوثائق الخاصة بها تثبت أن الامر كان ثمرة سياسة منظمة
مدروسة وانه كان يرجى من ورائها أمور عديدة . أكثرها تحقيق
لمطامع فرنسا القديمة في شرق البحر الابيض المتوسط .

مطامع فرنسا
البعيدة في شرق
البحر الابيض
المتوسط

لفرنسا في شرق البحر الابيض مطامع بعيدة . موصولة من
أيام الصليبيات . وقد كان الفرنسيون أشد أهم أوروبا كفاحاً في
الحروب الصليبية وأشدهم اصراراً على مواصلة ، فلما ثبت لديهم أن
الدولة الاسلامية قوية لا تنق في سهولة ويسر ، كفوا عن المحاولة إلى
حين ، فلما بدأت الدولة الاسلامية تضعف . ولما استبانوا ذلك
الضعف تجددت هذه الرغبات وعادت لها حدثها الأولى فشطوا
يحاولون من جديد ^(١) . ولا عبرة في هذا لما حصل من تغير في

(١) . ان هذا يشير الأستاذ سورن يقول في مقدمته الكلام عن فتح مصر :

* 'Un rêve qui; depuis les croisades, hante les ima-
ginations francaises ' Sorel: Bonaparte et Hoche en
1796, p. 37 : أى : حلم عتوف بأدها الفرنسيين ضد الحروب الصليبية

حكومة فرنسا وسياستها والقائمين بأمرها لأن حكومة الجمهورية لم تفعل أكثر من أن تعدت ما كانت الحكومة الملكية تريدته وتحتجج عنه (١) . وتوسعت في هذا التنفيذ لأنها وجدت في الحروب الخارجية

(١) فتح الاسناد جينج محمد رصت في كتابه قسم « تاريخ مصر السياسي في الاربع المئتين » الجزء الاول في محاولات الشكر الى قامت بها حرب لتعيق خططها التقدم في احتلال مصر ، والذات انجازه :

(٢) محاولة لومس التاسع (١٢١٨ — ١٢٥٢) التي انتهت بمرجه وأسه عند المصودة ومثل الخطة

(٣) ساعد فرسوا الاولون مع سفيان بن قيس سنة ١٥٣٥ هـ الذي أكتسب فرنسا في تلك الايام في أملاك الدولة مركزا ممتازا ، « مصر التسييلات والاعمار التي يملكها الفرنسيون وغيرهم حصل هذا المعاهدة أساسا للامبراطورية لاجنه »

(٤) مشروع الفيلسوف ليمر الذي عرضه على لومس الرابع عشر سنة ١٦٧٢ ، وقد أقره هذا المشروع ولكن الحكومة الفرنسية بدتت تتوالت بين الحين والحين ، وقد عثر نادران والمليون بومانت عندما ذكرا مشروع الخطة ، ثم بحثها في سجلات الحكومة عن مشروعات وحرمان كثيرة خاصة بالاسلام على مصر »

(٥) رحلة الفرون دي توت سنة ١٧٧٧ هـ الذي « كان مكلفا بأن يقوم باستطلاعات جوية و باسبار حاد السواحل والقلاع الواقعة على البحر الاسود المتوسط ومعرفة أحوالها في البحر » ويشير إلى ذلك بعد قليل

(٦) آر. رحالة الفرنسي الذي كانوا لاستكشاف بيهوب على دولتهم عرو مصر ، وفي مقدمهم Volney الذي شرع خطته سنة ١٧٨٧ فكان في حاربها ألبس في مدينة (أي لاسكندر) « سوري أربع دماغ في حالة حاله في نفس بين الحمة فلي ينع عدها حمياته من فكه أن يصيب من بل جميع من العمال البدوين الذين لا يحسبون سوى التدين » ، وما قاله أيضا « إن الاستيلاء على مصر يجب أن يكون محور السياسة الفرنسية »

(٧) محاولة ديموب التي كانت حكومة الادارة تمهد لها لأمر مد ومن طول ، وحسب حسابيه الاستيلاء على مصر في معاهدة كيو قورميو قامت على يد ثر الأيونان ، وقد كتب تاليران مدير نسوب لخارجه في حكومة الادارة في مليون تاريخ ٢٦ أغسطس قول « يجب أن يكون علاقات ودية مع الباب والبرهان ومقدون وجميع ولايات الدولة العثمانية في الشرق » ، مع جمع الشعوب التي عس سواحل البحر الأبيض المتوسط وخاصة مثل مصر التي مد مصر يوما ماذات معمة عظيمة لمرب »

تثينا لأقدامها ورفعا لها في عيون الشعب الذي قامت بين أعجابه وتهليله . وكانت الفترة التي قام بها باليون محملته على مصر ماسة جدا لتحقيق ذلك الحلم القديم ، كانت تركيا في حالة من الضعف يرثى لها ، وكان ضعفها قد تجلى ولم يعد يحثي على أحد ، فأسرعَت الحكومة العرسية بالتنفيذ . ويسر لها الأمر وجود ذلك القائد المغامر الذي كان يتوق في نفسه إلى بناء بحده الحربى العظيم ، فأسرع في التنفيذ . ويظهر أنه كانت لديه تعليمات خاصة — هذا الفتحة قبل القيام بالحملة بزم طويل ، إذ أنه قام بضعة أعمال أثناء فتح إيطاليا تنبئ أنه يمهّد لأمر ذى بال في شرق البحر الأبيض ، فقد حرص في معاهدة كيو فورميو على أن يكون لفرنسا نصيب موفور من الجزائر والشواطئ ، وكتب إلى حكومة الإدارة ينها عن الحالة الحربية في شرق البحر الأبيض وممتلكات الدولة ، ولا شك أن سرعته في تنفيذ مشروع مصر مردودة إلى أنه قد حرر الأمر نفسه ورأى بمصره الثاقب سهولة الأمر وما يبطى وراه من توفيق عظيم

باليون . يدور الحملة
على مصر

ولم لا معهم شيئا من رحلة الرحالة فولى التي قام بها سنة ١٧٨٧ ولمست أربع سنوات في مصر والشام ، ثم عاد إلى بلاده يحدث تلاميذه بما رأى من ضعف بلاد الاسلام واصطراب أمرها وسهولة فتحها ، لقد كان هذا الرجل في الفترة التي قامت فيها الحملة عضواً في المجمع الفرنسى (دخل المجمع سنة ١٧٩٥) وكان قبل ذلك أستاذاً للتاريخ في مدرسة المعلمين بباريس ، وكان عضواً في الجمعية العمومية والجمعية التشريعية : لم لا يكون هذا الرجل وأمثاله كثيرون قد صوروا للحكومة الناشئة الحال في مصر والشام فعدلت حكومة الإدارة بالتنفيذ انتهازاً للفرصة السانحة (١) ؟

Constantin Francois Chasseboeuf, (Comte de Volney)

١٧٥٧ - ١٨٢٠ رحلة ومبرج فرسى ، قام في سنة ١٧٨٧ . رحله إلى مصر وصلى بها في الشام

يد أن الثالث أن حكومة فرنسا كانت تؤكد لنفسها أن هذه الحملة لن تؤثر من جانب السلطان هذا الغضب الذي أثارته كله ، كانت تأمل أن يرصى السلطان عنها لحرها الممالك وقصائنها عليهم ، وكانت تحسب أن المصريين سيحبون إليها مهلين لما ثقل عليهم من ظلم الممالك ، ولكنهم نسوا ما أشرنا إليه من أن كل دولة إسلامية لها كيان « إسلامي » داخل الكيان السياسي ، وإن هذا الكيان شديد الحساسية لا يصيبه الوهن ، فلا يكاد يمسسه السوء حتى يسه ، لم تكن الحملة انقلاباً من نوع ما ألهمه المصريون من كثرة الحروب والاضطراب ، ولكنها مست عاطفتهم الدينية ولم تعد في طهرم إلا عدوان جديد للصراية على الاسلام فكرهوا أمرها كرهاً مالمأ .

لتتبع علاقات فرنسا بتركيا قبل الحملة عسما تكشف من أسبابها أمراً مستورا ، عرفنا أن جهود قليب كادت تنتهي إلى العشل لمحاولة فرنسا الاستعادة من ثقة فرنسا فيها . ولكن العلاقات عادت بعد قليل إلى ما كانت عليه على يد السفير Aubert Dubayet الذي كسب

أربع سنوات ثم عاد إلى بلاده حيث نشر عن رحلته كتابه نحن أسرى اليه . ثم اتجه صورا أخيه المرمومة في أخيه لتشرعه . ثم عين أسد في مقوسه المصين ، وكتب كتابا آخر من علاه « فكريس اروسه والفرقة هو Con siderations sur la guerre des Turcs et de la Russie وقد أرسلته حكومة فرنسا في رحلة سياية - ١٧٩٥ إلى الولايات المتحدة بحث مسألة وريثها . ثم رجع عن حكومة « جيور » أمره وقصص عنه ولمن « ورحل » لم تكن مكلف . سبأ من الحكومة بامام رحلته إلى مصر ولكنه صور الحال للحكومة لإدارته وسبل هذا الامر . وملاحظ من مشورات حنة الفرسة وتصرفاتها أن القدامى بامرها كانت عليهم منكرة واصحه جدا عن البلاد بل أن « سرتوب » ولا يمد أن يكون ذلك من عزلهم ولو وعبره من احواله والتعب

وقد جاء في كتابه المسمى : —

Les ruines, ou meditations sur les revolutions des empires « من مصر سطوح اوصول الى الهند » وسير حزين القويوس وسنطع أن نترك طريق الزحف الصباح » وقد صدر كتابه بعد عمل يوم « حنة » على مصر يسوا فلائق

صداقة السلطان وحسن طه ، واستطاع أن يؤكد امتيازات فرنسا التي كانت كسبتها سنة ١٧٤٠ ، وهذا نصر اقتصادي حاسم لا شك فيه يؤكد ما ذهبا اليه من مطامع فرنسا في شرق البحر الأبيض في ذلك الزمان .

فرنسا - معنى نصيب
الدولة العثمانية

فإذا تم لفرنسا ذلك واطمأنت إلى أنها صاحبة الكلمة العليا في الاستانة ، فقد بدأت تعمل على تقوية الدولة العثمانية من الناحية الحرية ، لتقوى على صد الروس ؛ وكان دومايه رجلا فرنسياً مارعاً استطاع أن يكسب حب السلطان وتقديره . واستطاع أن يقنع بضرورة الإصلاح ، فاستمع اليه وطلب منه أن يمدد بالمهندسين والمدافع ثم كلفه تنظيم الجيش التركي نظاماً جديداً .

د. لاملاح
في ترك :
الجيش

هكذا تكون نقطة البدء في الإصلاح هي الجيش ، في تركيا ثم في مصر وسرى خطأ ذلك بعد قليل ، استطاع دومايه أن يعدد للسلطان ثمانية مدفعي و فرقة من الفرسان و فرقة من المشاة مطمئن على أحدث الأساليب ، وفعلاً سمي هذا الجيش الجديد لصغير : النظام الجديد .

وسكن حكومة الإدارة لم يكن لديها من الصبر ما يكسبها من الانتظار لقطاف الثمر بعد حين طويل (١) ، فما كاد باليون ينتصر في الحملة الإيطالية و يرفع العلم كأمير فورميو حتى خطر له أن هناك سميلاً أخرى لا تقاد

التصديق في
الحملة

ما ترمى اليه فرنسا ، سليل سريع لا يكلفها إلا جيش صغير يضرب ضربة حاسمة في مصر ، فعهم تركيا ويرتد شر إنجلترا ويدهل الروس وتبديد السحب ، ولم يكذب مخاطب رجال الحكومة في الأمر حتى توافقوا في الشاء اليه وهل تأييد ان للمسكرة وصفق لها ، ومن ها بدأ

لاستعداد

الاستعداد للحملة ، استعداد خارجي واستعداد داخلي . أما الاستعداد الخارجي فارسال الرسل إلى اليونان يحرضوهم على الثورة ، يؤكدون لليونان أنهم « سلائق الاسرطيين الشعب اليوناني الوحيد الذي

(١) كانت ر. من ور. محاولاً لاصلاح الدولة في السيطرة عليها . وكان سعادتها يهدون لذلك على مهل .

حافظ على حريته ، وبخطه نابليون لعل باشا والى يانينا بقوله ما يها
الصديق المجل ، وارساله اليه أحد ضا ط أركان حربه للتماهم معه ،
ثم العاية بالاستيلاء على ساحل دلماشيا وجزائر البحر الادرياتيكي .
كل هذه مقدمات للحملة على مصر . كانت فرنسا تدر — ولا شك —
أمرأ خطيرا ولكن الظروف وحدها ومعارضة الدول صيقت حدود
البرامح الفرنسي الى هذه الحملة التي لا تعد أكثر من فشل من الناحية السياسية
فاداءتم هذا كله فقد تمت معه المعدات في داخل فرنسا بهذه الحملة
المصرية . وأعد لها الجود والعلماء والآلات ، ووضع لها برنامج
عظيم لا يدل إلا على أن الدين رسموا للحملة نظامها أرادوا بها أن
تكون فتحاً واستقراراً واستعماراً وما يدل على أن فرنسا كانت تريد
تأسيس مستعمرة فرنسية بمصر ما أرسلته مع الحملة من علماء وصناع
وعدد وآلات ومطامع ومرجيم (١) .

الاستعداد للحملة

كذلك لا راع في أن الفرنسيين استنابوا أهمية مصر للتجارة
الهدية ، قال تاليران في خطابه الى نابليون في ١٣ سبتمبر سنة ١٧٩٧
« ان مصر كطريق تجارى ستهبط تجارة الهند . لأن الممول في التجارة
على الوقت ، وبلاستيلاء على مصر نستطيع أن نقوم بحمس رحلات
مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول رأس الرجاء الصالح ، وكان الصراع
على المستعمرات على أشده بين انجلترا وفرنسا في ذلك الوقت ، وكانت
الاحيرة قد فقدت مستعمراتها في الحروب مع انجلترا ، ففكرت في
الاستيلاء على مصر لتستصبح صرب انجلترا في الهند صربة قاضية ،
اما بالمناجرة معها كآرايت من كتاب تاليران واما بالاتصال بامراتها
الوطيين ودفعهم الى الثورة على الانجليز ومدهم بما عسى أن يحتاجون
اليه من آلات حديثة ونظم .

(١) الاستاذ محمد وهب - تاريخ مصر الحديث ١٦ ص ٢٨

مصر
مصر

وكانت إنجلترا في هذه الأيام ترقب بعين القلق تطور فرنسا
وإزدياد قوتها، وكانت تحشى أن تثب فرنسا أو روسيا على الدولة
العثمانية فيتلعبها لأن هذا يحل بالتوازن الدولي ويحصل لاحدى
الدولتين قوة خطيرة في أوروبا. فكانت تهتم في هذه الأيام اهتماما
خاصا بشئون انقارة أى شئون أوروبا، لما لها — أى لإنجلترا —
من المصالح التجارية العظيمة مع دولها. فكانت تحرص الحرص كله
على أن تبقى الدولة العثمانية على ما هي عليه، لا يهدد سلامتها عدو ولا
يمور بأرضها منافس، لهذا ستكون سياسة إنجلترا أراء الدولة العثمانية
هي المحافظة عليها من كل خطر يهدد كيانها، خارجي كالروسيا أو
داخلي كالثأرين من أمثال محمد علي وسعود إلى هذا الأمر بالتفصيل
بعد قليل

محمد العربي
محمد العربي

كان الفتح العربي لمصر كفتح الاسكندر للشرق سواء بسواء،
كان خطوة بالحصارة إلى الإمام لا نصراً من انصار الميادين، قال
وقائع شراخيت والأهرام وأنى قبر وحروب الصعيد وهذا الصراع
الطويل الذى استمر بين العربيين والمماليك لا يكاد يعد نصراً
للأول ولا يستحق أن يقف عنده طويلاً، فهذه جهود أوروبية
منظمة على أحدث الأساليب يقودها ناعة من توابع الحروب تلقى
شرادم من الفرسان لا نظام لها فليس بعريب أن تنتصر الأولى على
الثانية، بل لعل تفاصيل الصراع أن تقلل من جمال «اللوحة» التى
يتألق في رسمها الفرنسيون عندما يتحدثون عن هذه الفترة من تاريخهم.
فقد دافع المماليك دفاعاً مجيداً وثبتوا ثباتاً جليلاً، وحاربوا عن أرض
مصر شراخراً، وماجزوا الفرنسيين في أقاصى الصعيد طويلاً،
وحص لعونهم مسلمو الحجاز وعبروا إليهم البحر الأحمر وثبتوا معهم
ثباتاً طيباً، بل ثبتوا للبابليون نفسه وحاربوه حرباً شديدة استحقوا بها

نظام المماليك

إعجابه فقل أهم فرسان يخشى بأسهم ! redoutable بل أهم كادوا
يطفرون به في رمال الصالحية في الوجه البحرى ، لولا أن أنقذه رجاله
مجانم الهلاك المحقق ، كل هذا الجأب الحرى يسير لا يستأهل الفجر
ولا الذكر وإعما المجيد حقاً هو هذا الجهد العلى العظيم الذى بذله
الفرنسيون في مصر على رغم ما شغلهم من أحداث السياسة وما أحاط
بهم من مخاطر الأعداء

أخلة العربية من
الناحية العلمية

كان جيش نابليون جيشين في واقع الأمر ، أحدهما جيش
المحاربين والآخر جيش العلماء . فأما الجيش الأول فقد انصرف من
أول الأمر إلى هذا الصراع الطويل الذى لم ينته إلى شيء ، إذ طلت
القوى الحرية التى أنفقوا جهدهم في قهرها على حالها تقريباً لم تحصد
شوكتها إلى حد محسوس ، ظل المايك يتحيفون الفرص في دقة بل
تقدموا في الصعيد واستقر بعضهم في الخيرة والخيرة ولست الأتراك
يحمون حول البلاد حتى جلاء الفرنسيين ، وظل الانجليز مسيطرين
على مصير الحملة ورجالها بهذا الحصر البحرى الذى أحكموا حلقاته من
سواحل الاسكندرية الى سواحل الشام

وأما انشأى جيش العلماء والباحثين ، ما كادت احنة يستقر بها
المقام حتى بدأت العمل في جد وشاغل حتى ناولت مصر كلها بدراساتها
وأبحاثها فوفقت في المبادئ التى تناولتها نوقياً محموداً مشكوراً

أنشأ الفرنسيون معهد القاهرة Institut du Caire وتولى
العمل فيه طائفة من أقدرا العلماء من أمثال مونج ورتوليه وهورييه
وجوهرى سانت هيلير وكوتيه ، وبدأوا يعملون لاجياء مصر من جديد
كما يقول الأستاذ دريو . فاستوقفت أبطارهم آثار مصر القائمة في
بواحيها والى تتحدث عن ماضيها ، وبدأوا يصرفون الى دراسته هذه
الآثار ووضعها ورسمها والانتخاب بها ، وتشاء الفرصة المواتية أن يعثر

أحد صباط الحملة الفرنسية على ذلك الحجر الشهير الذى أراح الستار عن ماضى مصر البعيد ، أقصد حجر رشيد الذى نقل الى لندن حتى قبض الله له العالم الفرنسى شمبوليون الذى أكتب عليه يدرسه بحماس يقرب من الجنون ، حتى انتهى بعد جهاد عظيم لا يخلو من روعة الى أن يحل رموز الكتابة الهيروغليفية سنة ١٨٢٢ ، فبدأ بذلك عصر جديد لمصر ، واهتد مبدان واسع للعلم ، فكان هذا الكشف فى حساننا نحن المصريين أجل نتائج الحملة الفرنسية وأبعدها أثراً إذ أمار للعالم باحثة أطلق عليها الطلام وسادها السكون وأخرج الى النور فقرة ممقودة كان لابد من العثور عليها حتى تستقيم سيرة الحصار متصلة الحلقات ، موصولة المقرات ، وأمار لمصر سبلها معروفة نفسها ومقامها بين أمم التاريخ فلم يحظى دريوسى ذلك حين قال إن هؤلاء العلماء « أجبروا مصر من جديد »

وبدأ كونه من باحثة أخرى يدعى المصانع ويغرس فى ثرى مصر هذه البذور التى كانت أولى معالم العصر الحديث ، وعنى بالزراعة فأخذ يذيع أبحاثه فى الحاصلات وتجارته فى الزراعة كما يعود الى البلد وحاؤه الذى اصرف عنه من يوم أسدل الستار على ماضيه البعيد

ودرس المهندسون وسائل الإصلاح فأعادوا الى الوجود مشروع قناة تصل النيل بالبحر الأحمر وأهلقوا جهداً مشكوراً فى دراسة مشروع قناة السويس . وكان هذا الأمر الأخير من الأعمال التى كلفتها الحملة رسمياً ، ومسحوا الأرض وأثنأوا يعيدون تنظيم القاهرة وتنظيمها بما تراكم عليها طوال العصور الوسطى . . وبدءوا يدخلون إصلاحات صحية ويصطادون الناس الى الأحاد بأساليب غير مألوفة لديهم . فحرموا الدفن فى البيوت والمارل وأرغموا الناس على كس الشوارع ورشها وإصااتها ليلاً .

كتاب ومصر وكانت خلاصة أعمال هؤلاء العلماء ذلك الكتاب الضخم الجليل الذي كتبوه حين عادوا إلى بلادهم ، ودرسوا فيه مصر دراسة وافية كاملة ، وأنبتوا في أجزائه العديدة خلاصة جهودهم التي أنفقوها طوال إقامتهم بمصر لاعادة الحياة إلى وادي النيل ، وأقصد بذلك

كتاب وصف مصر Description d'Egypte

كانت هذه الإصلاحات ايذاناً يبدأ عصر جديد لمصر والمصريين نعم انهم لم يأخذوا بها ولم يعجبوا بها ، وإنما وقفوا منها موقف العدو الكاره وأقعدوا عليها اقدام المرغم المعنطر ، ولكنها كانت — كما سمرى — حجر الأساس الذي سبنى عليه صرح النهضة المصرية



البعثات العلمية
على مصر

فلما ان الانجليز حينما ملى بهم أن الفرنسيين يعدون في الحفاد أمراً جللاً ، وانهم يعدون الأساطيل والجنود والعلماء لحملة ذات بال ، أسرعوا فأرسلوا قائدهم المعروف بلسون ليقيب على حقيقة الأمر وليحيط مساعي الفرنسيين أياً كانت ، وصل بلسون إلى البحر الأبيض وصر بالاسكتندوية قبل وصول حملة نابليون ثم مضى إلى الشام ، ولم يكذب بول مصر طهره حتى أقبل الفرنسيون ورلوا أرض مصر ، ووضعوا أسطولهم في أن قير ثم بدأوا يغزون البلاد ، كان بلسون لا يدري أين يريد الفرنسيون ، وكان يحث عنهم صورة لطيفة جداً من الرراع بين الانجليز والفرنسيين في هذه الأيام ، بحث عنهم في صقلية وفي المورة وفي كريت . وأخيراً عثر عليهم في أول أغسطس سنة ١٧٨٩ وهناك أزل بهم هزيمة ساحقة ، تحطم فيها الأسطول الفرنسي تماماً ومات قائده برويز ودوتى ثوار واستطاع فينيكس المعروف أن ينجو بسفينتين . وتلاشت معها آمال الفرنسيين التي كانوا يعلقونها على هذه الحملة ، وأصبح موقعهم في مصر من اليوم

أشبه بالأسير الذي يجاهد حتى لا يجمع على نفسه عار الأسر وشنار
التسليم المخجل

ركبوا حملة للفرسة
من مصر

أقبل الباب على الفرنسيين في مصر ، وتغست تركيا الصعداء
وتأكدت أن « بضاعتها مردودة إليها » واستراح الانجليز إلى القضاء
على هذه الحملة التي كانوا يخشونها كثيراً ، وانقلب الفرنسيون إلى مصر
وقد وطنوا العزم على اتخاذها وطناً ، وبدأت سياستهم نحو المصريين
تتغير ، ومن هنا بدأوا يوطنون أقدامهم بأكال الفتح من جهة
وبالأصلاح واستقلال البلاد من جهة أخرى ، وهذا هو أصل كل
المشاريع التي بعدها الفرنسيون من جمع على إلى دواوين للحكم أو إصلاح
أو تجديد : سياسة تمهيد إلى الاستقرار . أملاها اليأس من الاتصال
ببلدهم فرنسا بعد تحطم الأسطول ووقوف الانجليز في البحر بالمرصاد
نشط السلاطان بعض النشاط ، وقد ضرب له الانجليز الضربة
الحاسمة ونق عليه أن يجر على الفرنسيين ، وقد كان هذا الاجهاز أمراً
ميسوراً لو أن القائمين بأمره لم يكونوا هم رجال الدولة العثمانية في ذلك
الحين . دبروا حلتين : احدهما بحرية والآخرى برية تلتقيان في مصر
وتقتصيان على الفرنسيين دفعة واحدة .

حملة الشام

ولكن نابليون لم يمهل الأتراك حتى ينفذوا هذه الخطة ، إذ فضل
— كما هي عادته — الهجوم على الدفاع ، تخف إلى الشام بجيشه في خريف
١٧٩٩ ، وكان السلطان قد أمر واليه على الشام أن يهاجم الفرنسيين
في مصر . سار نابليون في البلاد سيراً هيباً ، يشبه إلى حد كبير مسيره
في مصر ، استولى على العريش وغزة ويافا ، وشتت الجيش التركي
الذي أقبل لملاقاته في موقعين إحداهما في دمشق والثانية في
طبرية ، وكان قد أرسل مدافع الحصار بطريق البحر لتواقيه في الشام
فلم يَمُوتْ الانجليز هذه العرصة ، وكانوا قد أقاموا في البحر الأبيض

أمير لايا جديداً هو السير سيدنى سميث . فاستولوا على مدافع الحصار
 مبدئى حيث
 حاول نابليون أن يستولى على عكا ، وهى حصص قوى مبيع يقع
 نابليون أمام عكا
 على طرف لسان من الأرض تمتد فى البحر . فلم يكره استطاعة نابليون
 الوصول إليها عن طريق البر لوقوف الانجليز فى البحر ، ثم ان الجزار
 باشا والى المدينة كان يعينه فى صد الحصار مهندس فرنسى آخر ، من
 الاشراف المهاجرين ، اسمه فليبو استطاع أن يقوى الحصون ويمنعها
 من نابليون . وأخيراً . . عاد نابليون الى مصر ، يائساً كل اليأس من
 الاستيلاء على الشام وآسيا الصغرى . عاد ليجمع جيش الأتراك الثانى
 قد وصل سلامة الله الى مصر ، وأرسل جنوده على شاطئ أبو قير فلم
 يكره أسهل عليه من هزيمتهم والقضاء عليهم . عند أبو قير
 يومه أبو قير

اطمأن الانجليز إذ إلى أن امرنسيين قد حصرُوا فى مصر
 والآخر خطر جديد يحشى منهم . فبدأوا يدبرون أمراً آخر لاخراجهم
 من مصر جملة .

كانت الأحوال قد تعقدت فى أوروبا ، وتآلت الدول على فرنسا
 واستولت على ممتلكاتها وهددت بلادها . وتطلب الأمر قائداً ماهراً
 ليرد عادة المتألمين . وعلم نابليون بذلك فقرر هروبه من مصر وترك
 مقاليدها بيد كبير وبارح الاسكندرية فى ٢٢ أغسطس ١٧٨٩ ليحدث
 انقلاب رومير ويصبح الفصل الأول

الغاة السابعة فى
 أوروبا

رجل نابليون
 د. فرانسوا

كله بدأ
 إليه وصاحب
 على العرب

بدأ كبير يتفاهم مع الانجليز والأتراك ليصل معهم إلى حل معقول
 للسألة وتشدد الانجليز بادىء الرأى ، ولكمهم ، بعد معاوصات عديدة
 دارت على سفينة السير سيدنى سميث . انتهوا الى ارام اتفق العريش
 فى ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ الذى يعصى بأن تنقل الجنود الفرنسية إلى
 فرنسا على سفن انجليزية

ولكن رجال السياسة فى إنجلترا لم ينظروا الى الاعتبارات الكثيرة

التي عرصها سدني سميت ، فلما وصلهم الاتفاق بعد وضعه بقليل
ليبدوا رأيهم فيه وليأذنوا للسير سميت في تنفيذ ، رفضوا قبوله
وأرسلوا إلى سميت يقولون إنهم لا يرضون ، لأن يُسلم الجيود
الفرنسيون كأسرى حرب .

محولات و -
لا يرجع جيود

وكانت الحكومة المصرية قد تأكدت أن الخطة المصرية قد
فشلت تماماً ، وأخذت تدرك الوهن لانسراجاع جيودها من مصر
لإعادتهم من أسرى المطول ، وللاستعادة منهم في حروبها الكثيرة
في أوروبا . فكتبت في مايو سنة ١٧٩٩ إلى نابليون تصف له سوء
الحال وتستقدمه وحيوده إلى أوروبا ، بل شرعت تأخذ الآلة لإعادة
هؤلاء الجيود فكلمت الأميرال بروي Br. ١٧ بأن يخرج من ميسر
رست ومعه ٢٥ سفينة وشرك مع الأسطول الاساني ويحترق البحر
الأسمر المتوسط ويصل إلى الاسكندرية . ولكن هذه الخطة
فشلت لرفض الأسطول الاساني التعاون مع الفرنسيين على الانجليز .

سنة جيود الفرنسيين
من مصر

وكان الجيود أنفسهم قد سئموا المقام بمصر ولحزمهم اشوق إلى
بلادهم . فأخذوا يكسون الخطابات إلى دولهم في فرنسا يستطون لهم
سوء حالهم ويستصرحونهم سرعة العمل لإفادتهم ، ولم يقدر لهذه
الخطابات أن تصل إلى فرنسا لأن الأسطول الانجليزي استولى عليها
فنشرت الحكومة الانجليزية في كتاب حاصر ، وبدأ اشفاق يدب بين
القادة بعد سفر نابليون - ومال بعضهم ميلاً طاهراً لمبارحة مصر
والعودة إلى فرنسا ، وعلى رأس هؤلاء كليبر الذي أسقطه هروب
نابليون فكتب إلى حكومة الادارة يشكوها إليها ويسقط احتلاله
ويرجوها أن تنظر في أمره . ومال بعضهم الآخر إلى الفناء حرصاً
على مصلحة فرنسا اسياسية واتجارية الآلة ، وتطرق هذا الرابع
إلى الجيود ، وشابهه زعات شخصية فلم يعنم الجيش كله أن صبح ناشفاق

والمحاكمات العسكرية والعقوبات ، مما هبط بالروح المعنوية هبوطاً شديداً ، وزاد الأمر حرجاً انسحاب الجيش الفرنسي من الصعيد بعد أن أخلاه ديزيه قبل موقعة أبوقير الحربية . فتقدم المماليك وأخذوا يرفعون رأسهم من جديد ويهددون البلاد تهديداً شديداً ، فبدأ الأهالي يضجون بالشكوى بل شكوا في قوة الفرنسيين الذين ضعف سلطانهم على البلاد صعباً ظاهراً ، وفاضت نفوسهم بالثورة وباتوا يتربصون في انتظار الفرصة المواتية ، وبلغ بهم السخط أن ثاروا بشيوخهم ورموهم بالحياة والتعاون مع الفرنسيين .

انسحاب الجيش
الفرنسي من الصعيد

في هذه الأثناء كان كليبر قد اطمأن إلى أنه معادر مصر بسلام ، فأخذ يعد المعدات للرحيل ، وسمح للأتراك بأن يعبروا حدود مصر وأن يصلوا إلى قرب القاهرة ، وتسامع المصريون بقرب الأتراك فهرجوا فرحاً عاماً . ورحبوا بهم ترحيباً طيباً . لا لأنهم الأتراك .. بل لأنهم المسلمون يخلصونهم من البصاري .

الفرعون سعدون
له حيل

فلما وصل رد الحكومة البريطانية إلى السير سدف سميث ، وبلغه إلى كليبر ، أتى هذا إياه شريفاً أن يسلم تسليم أسير ، وقال أنه لا يجب على هذه الآلهة إلا الانتصار ، وكان الأتراك يومئذ في عين شمس فسار إليهم وانتصر عليهم انتصاراً حاسماً في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ وهر من نجاحهم إلى الشام وصمم الفرنسيون مرة أخرى على النقاء في مصر إلى النهاية . وبدأ كليبر يتعامل مع المماليك وصالح مراد بك وأخذ يطمح حكومة مصر تطبيقاً دقيقاً ، ولكنه فوجئ . وهو في حديقة داره بطعنة سليمان الحلبي الذي قتله في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ .

رفض الحكومة
الإنجليزية

موقعة عين شمس

مصر

(١) كانت ملكة كبر من دوى سلطان في الحكومة هي القدي في وصوله إلى مصر فخرجها . وكان رملاؤه عربون لك ونكروهم . فخصوع . من بين من مصر حربي أو انتصار . - معه .

إلى بلادهم . أما السبب الذي حدا بالانجليز إلى قبول ذلك وكان في استطاعتهم أن يستمروا على حصارهم للفرنسيين فهو ان الحرب بينهم وبين مالبون كانت قد قاربت الانتهاء ، وبدأت طلائع صلح أميان تبدو ، وحافوا أن تبدأ المفاوضات والفرنسيون في مصر فيكونوا محيرين بين أحد أمرين . إما ابقاؤهم في مصر ولاعتراف بحكمهم فيها ، وإما اخراجهم منها وتمويصهم بحجر من الأرض في أوربا أو فيما وراء البحار . فآثر الانجليز أن يخلصوا من هذه الورطة ويحلوا سقل الفرنسيين ، وكانت السياسة الانجليزية قد بدأت تتبدل من العداء الشديد إلى التسامح ، إذ سقطت وزارة متوجاهت ووزارة أدبجتون هذا التسامح ، والتمهيد لصلح أميان ، وأمرع في العمل ثم احرأح الفرنسيين من مصر بالقوة ، إذ سلم بليل القاهرة في ٢٦ بوية سنة ١٨٠١ ، وسلم ميسو في ٣٠ ديسمبر من السنة نفسها

خروج الفرنسيين
من مصر

هكذا انتهت هذه الحملة التي لم تفتح شيئاً في عالم الفتوح والتي يبدأ بها تاريخ المسألة المصرية وفي التاريخ (١٧) وسيعرض الآن لأهم آثارها وأبقاها ، وهو الروح القومي والهبة المصرية ، وقد عرصا قبل ذلك إلى آثارها في الحصار والعمران ، بقي أن نذكر إلى أيها سمت السياسة الأوروبية إلى مصر ، ولست الأدهان إلى ضعفها وسهولة الاستيلاء

أحد بحمد الله واحد منهم ذلك هذا بخلافهم وخطوط كثير منهم بل ما عدم وعاصمهم
كان هذا أثر الحرب في اصحاب الحق في أو ح أسهم

(٢) أما من الوجهة الاقتصادية لقوله ١٨٠١ من ١٩٠٨ وهو اليوم لدى حرجت في حملة العرب من د . طولي فاحده مصر ، ومنه المألف لمصر حراً أحدث صمها القامه
بدر - لا به (د) كان الاسجود غنى احد معي اقتصاداً هذا ، فان لا سلا على مصر بعد ان
استمر بأرضها نالوا ، يمثل شك الشهرة أصبح من الحاصل القامه به اول اول التي ما حفت
تضمن بال الدول الى لا ، فميرسا وحده هي لا تولى التي احترم نصيق ظروها للحج
السمكة التي أحضرت مركز مصر عن نظار مصر في ذلك الوقت

لا سادعهم رعب في تاريخ مصر القامه ج ١ ص ٨١

عليها ، وانما سببت الاخلاص إلى ضرورة الاهتمام الشديد بشئون شرق البحر الأبيض وحراسته ، ومن ذلك اليوم بدأ الانحياز ينقرون من الباب العالي لمناصرة المصريين السائدين هناك ، فلما اقترنوا وطرخوا الأمر عن قرب لمحو أعدوا آخر يترصد ، واستقروا أنه أشد خطرا من الفرنسيين : عدوا كان يحيطهم في أواسط الشرق وأقاصيه ، نجفوا إليه سراعا . وأعدوا العدة لكفاحه والخدم حظه وحماية الدولة العثمانية المسكينة منه . ذلك هو الدب الروسي .

هذه الخطة كانت بعيدة الأثر في مستقبل مصر السياسي والاجتماعي حتى ليصير حصر كل نتائجها حصرا تاما ، ويكاد يحس هذه الآثار باقية إلى اليوم على رغم بعد الشقة وتقدم العهد .

آثار الخطة

بدأت هذه الخطة عصر حديدا لمصر والمصريين . وليس هذا لأن المصريين استيقظوا على ضحيجها وفهموا مبادئها وأقبلوا عليها ، وليس لأن أفكار الحرية والمساواة انتشرت في أذهانهم وأخذوا يؤمنون بها ، بل ليس ذلك لأن الفرنسيين كشفوا الستار عن تاريخ مصر القديم ومخادها الداهية واستيقظت في المصريين آمالهم ، لم يحدث شيء من هذا كله أثناء الحملة ولا بعدها بنشرين أو ثلاثين سنة . إذ لم تكن الأفكار قد نضجت بعد لتلقى هذه الآراء الحديثة ، وكانت سحب الجهل قائمة جدا لا تحترقها أشعة أسور التي كان يجعلها الفرنسيون . بل كان لا يحظر على بال المصري انعادي أنه صاحب حق في إدارة شئون بلاده والصرف فيما يهجه من الأمور ، ولم تكن تربطه بأرض مصر صفة ولا تحمسه إلى حبها عاطفة . كل هذا لم يكن آن أوامه . وكل الذي حدث هو تهيق الظروف لشؤنه وقيامه بعد زمن طويل (١)

بدأ عهد جديد

(١) ولا يأتى حد وجوده من قبله . كما يتصور . بعضه صحيحه كحوالته .
كما جرى ، وانما تكلم الآن عن عامة الناس .

كسر شوكة
المماليك

أما هذه الظروف المواتية فأهمها كسر شوكة المماليك واصعابهم هذه الصربات المتتالية التي لم يعود أمرهم بعدها إلى ما كان عليه في سابق الأيام . كان المماليك قل ذلك سوطا يلهب ظهور أهل البلاد ، وكان هذا الخوف من المماليك وطول الخسوع لهم قد ذهب تسكين من شعور المصريين بأنفسهم ووقف بهم عن أى تقدم معوى أو انتاح مكبرى ، فلما هزم المماليك وأحقوا البلاد أمام الفرنسيين وأحس المصريون أنهم يحولون شرهم . تصدوا للصعداء وشعروا بالحرية وبدأوا يثقون في أنفسهم ، وسلاحط في سياق حديثنا أنهم يهتدون عقبة ذلك نهوضا سرعيا . يكون مطهره الجرأة على المماليك والأتراك ، والمطالبة بأن تكون لهم إرادة . مسموعة مطانة يرل عددها للمماليك وللاتراك . ولا شك أن انثورة المقبلة التي ستكون تبيخها ولالة محمد على — هي مطهر من مظاهر هذه الجرأة واشعور بالنفس الذى كان نتيحة طبيعة حدة لما أصاب قوة المماليك من تدهور وانهمزام على يد الفرنسيين

١ - محمد
مستحسن العسكر
والعزى مصر

وكان للجهود التي بذلها العلماء الفرنسيون أعند لأثر في مستقبل مصر الثقافى والعسكرى . إذ أصبحت مصر شديدة الاتصال بفرنسا والباثر بها في هذين الميدانين ، سيوحه إليها محمد على — منه ومطهره من العلماء الاحصاصيين الذين يريدون . واسترداد هذه انصلة على مر الأيام حتى يزول كل أثر للعداء بين فرنسا ومصر . ويحل محل ذلك وتام وصلح وعلاقة هي أشبه بعلاقة انتيد للأستاذ . سسنتهم مصر فى كل مناسبة بالمين لفرنسا والعمل لمصحتها ، وسيشقى محمد على بذلك كثيرا إذ لا زال بالمرستون يرميه بأنه صديقه الفرنسيين والعوية فى أيديهم ويعارصه فى كل مشريعه لأنه — أى بالمرستون — يعتقد أنه بذلك يقاوم فرنسا بنفسها ، ولو أن فرنسا استمرت على حالها من القوة

المعروف من حرب
ومصر على محمد

أثناء القرن التاسع عشر لأفادت مصر كثيراً من صداقة فرنسا ورعايتها ولكن هذه الأخيرة كانت شديدة الاضطراب حالة بالمصاعب والكبات بل هبطت أسهمها هبوطاً شديداً بعد سقوط نابليون ، ولت فرنسا كانت ترعى هذه العاطفة حق الرعاية وتنطقن إلى ما وراء هذا المركز الممتاز في مصر من كسب عظيم . ولكنها لم تأخر في أي لحظة من اللحظات عن أن تهوى بيدها على رأس مصر مع الأعداء بل قبل الأعداء ، ولو أنها وقفت إلى جانب مصر مرة واحدة فقط : سنة ١٨٤٠ مثلاً أو أثناء مش كل ديون اسماعيل لكان لها من ذلك كل خير ، ولكنها لم تثب على سياسة واحدة أراء هذا البلد الذي كان يحصها بالحب ويواليها بالتقدير والاحترام والاكار

سياسة فرنسا نحو مصر

أصبحت مصر مبدأاً حصصاً للثقافة الفرنسية والعلم الفرنسي ، وأصبح الأدب الفرنسي أحب ألوان الآداب إلى المصريين وأقربها إلى قلوبهم ، وأصبح الفلاسفة الفرنسيون أئمة الفلسفة والفكر عند رعماء النهضة والثقافة في مصر ، وقد ألمع من عمق هذا الأثر أن الانجيز لم يفلحوا في محاربه القضاء عليه على الرغم مما دلووا من جهود منذ احتلالهم لمصر (أي بعد ذلك بنحو ثمانين سنة) فقد حرصوا الملعة الانجليزية في المدارس وحاولوا أن يجعلوا من مصر هذا أخرى ، فلم يتبع ذلك إلا أثر قليل ، إذ عادت الثقافة الفرنسية فاحتلت مكانها وغلت على غيرها ، وهؤلاء أئمة الفكر في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين نعلب أكثرهم الثقافة الفرنسية واللاتينية . ولعل أهم هذه الآثار الثقافية هو القانون الفرنسي ، الذي وُسم القانون المصري على عراة بل نُقل عنه . وبذلك كسبت فرنسا ثرائها التشريعي كساعوض عليها كل ما حسرتة في ميدان الحرب والسياسة والمال في مصر . وإذا علمنا أن المصريين كانوا إلى أمد قريب جداً يرون أن دراسة القانون

الثقافة الفرنسية في مصر

القانون الفرنسي

هي الدراسة الوحيدة الجديرة بالتقدير ، وحسب الانسان أن يكون محامياً أو قاضياً أو مستشاراً أو ما إلى ذلك حتى يكون قد بلغ من العلم منتهاه وغايته ، وإن ذلك كان يدفع بالكثير منهم إلى السفر إلى فرنسا لدراسة القانون فكانوا بذلك رسل الثقافة اللاتينية في مصر ودعائها وأعلامها فأكلوا مافات الفرنسيين ، وهداسادت مصر الثقافة اللاتينية . ولم يتفطن المصريون إلى الثقافة السكسوبة (الألمانية والابجليزية) إلا منذ أمد قريب جداً .

وكسنت فرنسا إلى جانب ذلك كسا اقتصاديا واهراً إذ أصبح للفرنسيين مقام ممتاز عند حكام مصر منذ محمد علي إلى اليوم . فتلوا من الامتيازات والاحتكارات وحقوق الاستغلال ما لا تزال ترى آثاره في مصر إلى اليوم . وقد كان الفرنسيون على عكس ما أراد المصريون ، إذ أظهروا حشعاً شديداً لم يحارهم فيه غيرهم ، وأصبح همهم حذاع المصريين — حكومة وشعماً — ولهم ربا أكثر مما يمكن الفوز به . ولا يزال يذكر موقعهم حيال مصالح مصر في مسألة مال السويس وديون اسماعيل أو معارضتهم الشديدة في مسألة الامتيازات ، بحيث لا يحطىء إذا قلنا إن الفرنسيين أسلوا مصر للابجليزية

وكان لفرنسا مثل هذا المقام الثقافي الممتاز في الشام ، كانت تتدفع بشر العلم لتعثر المعوث التبشيرية الكاثوليكية . وتتدفع بالكاثوليكية لزيادة سلطانها السياسي في الشام ، وكانت الحروب الصليبية قد حدثت في الشام أثراً عميقاً من الكاثوليكية ، فراح نصارى الشام معوث الفرنسيين ومبشرينهم وعلماهم ، ومن ثم ركت الثقافة الفرنسية في الشام واسان على الخصوص ، وانتشرت اللغة الفرنسية ومال الأهليون إلى الفرنسيين ميلاً ظاهراً

على هذين العهدين القويين مصر ولبنان — قامت الثقافة

الفرنسية في الشرق الاسلامي قوية العهد لا تكاد تعلمها ثقافة أخرى .
وسادت اللغة الفرنسية وأقبل الناس على تعلمها حتى أصبحت — دون
غيرها من لغات أوروبا — رمز الثقافة الأوروبية وبرهانها الذي
لا يخطئ . وفي مصر ولبنان كانت مهضة الفكر الشرقى واحياء العلوم
والآداب . فعلمت على العلوم والآداب لكون ثقافى لا تبنى قوى ملحوظ
الى يومنا هذا

وهذا في حصارنا — هو أعز آثار الحملة الفرنسية وأركى ممراتها
وهو فضل ليس بقليل .

ويهما أن نقف لحظة عند الآثار العلمية التي خلفتها هذه الحملة .
فهى في ذاتها أحسن لعرض عما أصاب الفرنسيين من فشل سياسي
أو حربي في هذه الحملة

استقر حبش العلماء — الذي أشرفا اليه في مصر — وبدأ العلماء
من أمثال كتيه Conte ومصح Monge ولاير L'apre بوالون جهودهم
تحت إشراف مابون . ولكن ظروف الحملة في سنها الأولى لم تسمح
لهؤلاء العلماء بالعمل المسح الصحيح فلم يشط المجمع ونجح جهوده
إلا في عهدى كليبر ومبو هي ١١ نوفمبر سنة ١٧٩٩ كون كليبر حملة
كبرى سيطر على المجمع وورعت الأعمال على اللجان الآتية :

- ١ - للتبريع والدين والمعادات ٦ - للتجارة والصناعة
- ٢ - للأدارة ٧ - للزراعة
- ٣ - لنظام الشرطة ٧ - للتاريخ الطبيعى
- ٤ - للتاريخ والحكومة ٩ - للآثار القديمة
- ٥ - للحالة العسكرية ١٠ - للتبيل والقيصان

وبذلك بدأ هذا المعهد الخليل Institut du Caire يوالى أعماله

وبحوثه في شتى نواحي الحياة المصرية ، فألقى أضواء ساطعة على هذه النواحي التي عشيها الجهل ورائت عليها ظلمات القرون ، وكان الفرنسيون قد بدأوا ينظمون القاهرة ويزيلون مقوف طرقها ويوسعون طرقاتها فوصلت الشمس هذه الطرق والدور ووصلها النور الزكي فأحدثت الحياة تنفس في ربوعها ودب فيها ديب الحياة

وبهنا من نتائج أعمال هؤلاء العلماء أمران سيكون لهما أبعد الأثر في مستقبل مصر السياسي والاجتماعي في العصر الحديث

الاول : هو دراسة آثار مصر القديمة وكشف تاريخها ، « وأهم هذه الأبحاث ما قاموا به في دراسة الآثار القديمة في طيبة وأيدوس « وعين شمس » فوصفوا هذه الآثار وصفاً دقيقاً بقدر ما وصل اليه عليهم ونقلوا صورها بأيديهم » (١)

وأعقب ذلك كشف حجر رشيد على يد الضابط بوشار Boehard وحل رموزه بعد ذلك بعشرين سنة ، على يد العالم الشاب شامبلون Champolion ، فاستقامت بذلك سلسلة التاريخ متصلة الحلقات موصولة الفقرات . وأربح الستار عن مجد مصر الخالد القديم ، وعرف الناس لهذا الشعب المصري المجيد مقامه في سيرة الحضارة العالمية ، وأخذوا يطرون اليه بالآكار والاحلال . بل بدأ بذلك عهد جديد لمصر والمصريين .



كانت القاهرة تحتق مد بداية القرن السابع عشر ، كانت تسير نحو الحراب ويئدا ، وكان مقدرا لها أن لاتنجو من المصير السي الذي آلت اليه كل اعواصم الاسلام الكبرى لى تقدمتها كعداد والقيروان ، ينحط أمرها ويهجرها أهلها . ولا تعدو غير قرية صغيرة لا قيمة لها

(١) الاستاذ محمد ريت « تاريخ مصر السياسي »

ولاحساب . وكانت — بحكم تأسيسها والظروف التي أحاطت بها — مدينة سيئة الخط من يوم وضع أسامها جوهر ، كانت بمأى عن النيل يحتضنها الجبل ويردمها شيئا فشيئا بآثرته ورماله ، وتشرف عليها تلك القلعة التي لم يشرفها الله بمحمد مصر منذ قامت الى يومنا هذا ، والتي كانت طوال تاريخها حصن الغاصب وذل الرعية .

كانت أسوارها قوية محكمة الباء منذ جدد بناءها بدر الجالى وجلب أبوابها الضخمة من الرها ، فاصبحت كأنها أيد قوية تضغط عنق هذه المدينة فتموت شيئا فشيئا . كانت الأحياء تموت وينقل اليها الخراب . كل عام يقصى يحل البوم محل الناس فى ناحية ، وكلما أقل حاكم جديد أو مملوك شارد حياها بطلب المال وفرص المعارم ، تؤذيها له من دمها ولحمها . حتى أفلس متاجرها وأملق صناعها ولم يعد منها فى مطالع القرن الثامن عشر ، إلا أشباح من الناس تترى على الأرض كأنها الآهوات ، تسدل العور فى جمع القوت لتدفعه ضريبة أو أناوة أو فدية أو غرامة ، فلا غرامة أن رآها الفرنسيون عند ما أقبلوا قبرا مطبا بصم طوائف من الناس فى أطوار هي أشبه بالأكمان ، وقد اتقل كل ما فيها من حير أو مال الى هذه الطغمة الطالمة من الأجلاف والبيد والأرقاء والجود ، الذين يعد انتسابهم الى الجندي خطأ من الشرف العسكرى .

وكان لا يصلها بالحياة إلا شيثان ، نرعة صغيرة تشقها من شياها الى جنوبها ، وحيال زائف من الأهر : الأولى تصله بالنيل منبع حياة مصر ، والثاني يصلها بالاسلام والثقافة الاسلامية منبع العلم والاسلام فى مصر منذ العصر الفاطمى .

وكان كلا الموردين — مورد الماء ومورد العلم — ضئيلا يؤذى أكثر مما يفيد ، خبالا من خيال ، يفيض الخليج بالأمراض والأوبئة ويفيض الأزهر بمشور من العلم هي أقرب الى الجهل .

اضمحلال مصر
من الناحية المادية

وكان السيل في هذه السنوات قاميا شحيحا ، لا يكاد يحمل الماء ستة حتى ينذر بالقحط سنوات ، فبدأت الصحراء تغزو المزارع وأخذ خير البلاد يقل شيئا فشيئا ، حتى إذا كان أواخر القرن السابع عشر أصبحت مصر كلها طلاء محيلا هزبلا ، لا يكاد أهله يقفون على أقدامهم ، ومن حلقهم الجلادون بالسياط ، ياخذون منهم أولا بأول ما عسى أن يجتمع لهم من أطراف الخير وفئات العم ، وفي وسطها تقوم القاهرة في أسوارها وخرابها كأنها شاهد على قبر عزيز

نظر المصريين

أبصر الناس عوارض جديدة تنذر بالتغير منذ زمن بعيد ، ولكنها كانت ضئيلة حاية لا تكاد تدرك في بادية الأمر . كان المصريون قد أفلسوا افلاسا تاما ، لم يعد في طاقتهم أن يدفعوا للممالك أو الاتراك مليا واحدا ، وكان طريق التجارة الشرقية قد أوصد فانقطع عن الممالك ما كان يصلهم من الخير من هذا السيل ، فلم يجدوا الا الشعب يؤدى لهم ما يريدون طوعا أو كراهية ، حتى إذا بذل الناس كل ما عندهم ولم يعد لديهم ما يسد جوعهم فقد وصل الأمر الى نهاية المحتومة لا بد أن يكف الناس عن الدفع لأنه ليس لديهم ما يدفعونه ، ولا بد أن يفهم الممالك ذلك فيلجأوا الى شيء آخر غير الارهاق ؛ الى الحيلة والمراعاة والاحاح في الطلب ، وعلى مر الأيام أخذوا يلبثون ويضعفون أمام الرعية ، فأخذت — أى الرعية — سيلها الى النهوض والشعور بالنفس أولا . ، ويكون ذلك مقدمة الهبة الحديثة التي سبها بعد قليل ولنتعطن قبل ذلك إلى أمر آخر كان له أبعد الأثر في تاريخ مصر فقد يذكر القارىء ما ذكرناه في الفصل السابق من أن قوام الحياة

والحضارة في بلاد الشرق الأدنى إنما هم عامة الناس المقيمون في بلدانهم أو المنتشرون في مزارعه ومراعيه ، وإن هؤلاء يحتفظون بما يصل إليهم من ألوان الحصادات ويصقلونها ويهذبونها ويوافقون بينها وبين طبيعة بلادهم ، وإن هؤلاء الناس مُرَّزَّون بين الحين والحين بهذه الغزوات الهدامة التي يقوم بها البدو والآتراك ومن إليهم ، وأنهم يظهرون بمظهرهم الحقيقي إذا اضمحل أمر هؤلاء الغزاة وسكنت ريجهم . هناك يأخذ أهل البلاد في الظهور وبدأون نشاطهم العمراني الموروث . . هذه الظاهرة تنطبق في تلك الفترة التي تتولى درسها الآن . أقبل الفرنسيون فكان بينهم وبين المماليك صراع عنيف ، انتهى بإسزام المماليك وخروجهم من مسرح السياسة المصرية ، فلا نعود نراهم إلا صغافا لاحول لهم ولا معين ، متفرقين في الصحارى أو في فيافي السودان .

ويشعر أهل مصر بذلك ويحبب الصمط عنهم فيأخذون في الهوص والظهور ، ويفريهم هدوء الحال — نوعا ما — بالعمل والنشاط . فإراهم يتقدمون على المسرح في خوف أول الأمر ، يوفقون حيناً ، ويهزمون أحيانا ، يسودون المماليك يوما ويسودهم المماليك أياماً حتى يؤذن الله فيميقوا ، فإذا المماليك قد انكسرت شوكتهم وتفرقوا وقضى الله فيهم فضاه الذي لن تقوم لهم بعده قُتْمَةٌ . هناك يفترون إلى الميدان في شيء من الثبات وحسن الاستعداد ويشاركون الفرنسيين في إدارة شؤون البلاد ويحسسون الصيام نصيبهم من هذه الشركة ، فتبدأ أراذلتهم في الظهور ويدثون عن شيء يشبه الشعور القومي ، يفجر بالثورة من حين إلى حين ، ويجاهدون الفرنسيين عن حقوقهم جهادا شديدا ويسببون لهم من الماعب شيئا كثيرا ولكنهم يوفقون إلى التأثير في الفرنسيين فيحذبونهم جذبا شديدا ، حتى أننا لن نجد الفرنسيين يدعون لهم حياء ويتعبدون عليهم أحياء وسكهم يعترفون

سهر المصري
عن مسرح
السياسة

وجودهم وقوتهم في كثير من الأحيان

بشعور المصريين
بأصمهم

هالك بدأت الحافة تدب في أحشائها هذا الوادي ، وكان لابد
لأبصارهم أن يحال بينهم وبين الاتصال بالآثار أو الاعتماد عليهم
لأن الاتصال بالآثار والخصوع لهم بضعف الشخصية المصرية ويجعل
المصري تابعاً مطيعاً ، وهذا الاعتماد يميل به إلى الاستئمان عن حقوقه
والركون إلى الآثار في كل ما بهم من الأمور ، ولعلك رأيت المصريين
لا يستحيون أن يقولوا للنس إن هذه الأرض — أي أرض مصر —
هي أرض السلطان لا أرضهم ، فكانت الحملة الفرنسية قطعاً لهذه الصلة
وقتل لهذا الاعتماد ، إذ حل بين الآثار والمصريين ثلاث سنوات
أو ما حولها ، ولا راع في أن المصريين حووا إلى الآثار حينئذ متصلاً
طول هذا الزمان ، إذ كانوا يشعرون شعور الطفل القاصر الذي يخاف
الحياة وحده ولا يسرع إلا إذا كان إلى جانه الوصي أو المربي ،
ولو كان كلاهما يؤدبه يشتد عليه ثم كابت ثورة القاهرة الثانية قصاه
تماماً على ثقة المصريين بالآثار لا بهم دفعوا بالمصريين إلى الثورة
وأشعلوا نيرانها ثم تركوهم وحدهم يصلون طيسها ويحملون أوزارها ،
وهذا هو السند السادات يعبر عن شعور المصريين نحو الآثار بعد
فشل هذه الثورة ، في الكتاب الذي كتبه لعتيان كتحدا الدولة يقول
له فيه : « ألزمت النعي والفقير والكبير والصغير إطعام عسكرهم الذي
أوقع بالمؤمنين الدل وبلغ في السب غاية لمايات فكان جهادكم في
أماكن الموقفات والملاهي ، أحقتم أهل البلد بعد أمها ، وأشعلتم نار
انقته ثم هزتم هار الفيران من السور » (١)

أشعروا المصريين
بالآثار

(١) الجفرق ج ٣ ص ١٠٨ حواشي شوال وفي القصة ١٣١٤

والاستاذ شفيق غزال : الجفرق ج ١ ص ١٦

هذه خات آمال المصريين في الأتراك ، ورأوا بعينهم مصارع
المهالك ، فعلى من يكون المعول وقد أحاطت بالبلاد الخطوب ومصر
» عرفها كفار الأفرنج ولن يتركوها أبداً كما قال مراد بك

كان لا مفر من أن يعول المصريون على أنفسهم ، مكرهين لا طائعين .
وقد أحسن المصريون أن التفتة ملقاة على عواتقهم وأنهم مطالبون بأن
يعملوا دون خوف ، فليس لهم من الأعداء وقاية من تركي أرحامه من
ملوك وكان لابد أن يعير العناء — وهم ألسنة الشعب — أسلوبهم في
العمل السياسي ؛ كان لابد أن يشعروا بالمسئولية فيأخذون نصيب من
العمل أكثر مما قنعوا به فيما مضى ، وهذا تطور في التفكير بعيد الأثر
في مستقبل مصر السياسي في ذلك العهد وما يليه . لن يكتفى الشعب بعد
ذلك بالهياج والاحتجاج ثم الركون إلى الوعود أو الخوف من التهديد
بل ستتصل جموده ويعمل غير هيات سطحه على الحاكم ويطلب عزله
متأكداً من أن للرعية حلع الحاكم إذا أساء السيرة ، ولن يقع
كذلك بالاضحيج » والكرنكة » في الشوارع والحارات بل ستراه
يسير إلى القلعة ليرفع طلامته هذا لم تحب حلع الوالى التركي وأقام
مقامه والياً آخر يرضاه ويثق في عدله . ولن يكتفى العلماء بالوساطة
بين الحاكمين والمحكومين . بل سسينت عمون المحكومين ويحاطبون
الحاكمين بلهجة شديدة الجرأة بعيدة المعنى ، وهذا هو البعث الجديد
لمصر ، وهو سر هذه القوة التي بلغت في السنوات الأولى من القرن
التاسع عشر وهو عماد محمد على وسبب انتصاراته .

بدأ هذا الشعور يظهر ويتجلى حين تم حلاء الفرنسيين عن مصر
وتقررت رجعة الأتراك إليها فوجد المصريون أنفسهم مسوقين مرة
أخرى إلى السلطان التركي يعيد عليهم سلطانه ويذيقهم عذابه .

شهادة الاستقلال
عند المصريين

هروءوا من ذلك روعاً شديداً وبدأوا يتحدثون بالاستقلال وللبرة الأولى فكر جماعة من أبناء هذا الوادى فى الاستقلال ووضعوا مشروعا لذلك ، ويطمءوا وقدأ محترماً ، حث إلى احتلرا وإلى فرنسا ليحقق استقلال البلاد .

فلما أدرك المصريون أن أمانهم فى الاستقلال قد خات ، وثت لهم أنهم مسوقون على رغبتهم إلى طاعة السلطان فترقت هموسهم حشرات ، وتجلت لهم ويلات الحكم التركى طاهرة بيه رادها الشعور بالنفس والوطن اتقادا وقوة ، فبدأت شكواهم تعلو وأحسن التعبير عنها راوية هذه الايام الشيخ الجليل الجبرى .

من هنا بدأ المصريون يعملون للحلاص ، ويتفتنون بأعينهم إلى معذ يخرجهم من هذا الخط العائر الذى أراده لهم القدر ، كانت بلادهم قسمة ظالمة بين أوباش الاتراك وصعاليك المماليك . وكانت مصر طعمة باردة لأدى هؤلاء ومطالم أوائك ، ولم يجدوا أمامهم إلا هذه الطائفة الطيبة من العلماء التى كانت تولى قيادة الأمور وساسة الشعب — فى واقع الأمر — من أوائل القرن الثامن عشر . فأولوها ثقتهم ومدوا لها العون ، فبدأت تشط وتسمى وتأخذ سبيلها إلى الحياة وكان لسائها الناطق ورمرها الصادق ذلك العالم الجليل السيد عمر مكرم .

ناسيون والتمار

قال نابليون فى مذكراته : ولكى نسوس هؤلاء الناس — أى المصريين — لاند من وسطاء يسعون بيننا وبينهم ، كان لاند أن يقيم عليهم رؤساء وإلا أقاموا رؤساءهم بأنفسهم ، وقد فصلت العلماء وفقهاء الشريعة لأهم (أولا) كانوا كذلك — أى رؤساء — طبيعتهم (وثانياً) كانوا معمرى القرآن ، ومعروف أن أكر العقبات أنها تنشأ عن أفكار

دبية : (والتأ) لأن للعباء حفا لسا ولاهم — دون راع —
أكثر أهل البلاد فصيلة ، لا يعرفون كيف يكون حصاناً ولا قتل
لهم نأى عن حرق . وقد أهدت منهم كثيراً واتخذت منهم سيلا
للتعامم مع الشعب ، وألقت منهم ديوان لقضاء « (١) .

لم يحظى الفائذ العظيم فيما ذهب إليه ، فقد كانت هذه هي صفات
العباء وفائستهم للفرنبيين في مصر ، بل كان نابليون مصيباً كل الصواب
في اختيار هذه الفئة لتوسط بينه وبين الشعب لأنها كانت تنزعها
وتتولى شئونه كما قبلنا . وكانت لسانه الباطق الذي يدير عن شكواه
الشعب واحتجاجه وسخطه . ويملي أوامره على المهالك فيطيحون . وهذا
الوصف يطبق على الباررس من رجال مصر في هذه الأيام كالمهدي
والصاوي والسادات والأمير واليهومي . ومن يقترب منهم من كوار
المصريين واسحر كالسيد أحمد المحروقي الذي أوجز مراد بك وصفه
حيثما قال له « مثلك من يخدم الملوك » .

ولكنه لم يحسب حساب السيد عمر مكرم في هذا الحديث ،
ولو قد ذكره لرأى فيه لو ما آخر من العلماء لا يتصف باللين ولا
الاستسلام وإنما شئ تستطع أن تسميه وطنية ، والشعور
بالكرامة الإسلامية ولعله أعمل ذكر هذا الرجل لأنه — أي عمر
مكرم (٢) — كان طوال العصر الفرنسي شريفاً أو معكفاً ، وكان هدفاً
للكثير من المطامح التي لم يعلنها عليه الفرنسيون وحدهم بل زملاؤه

Napoléon, Campagne d'Egypte Vol II, pp. 151 sc. (١)

Correspondance de Napoléon Vol, XXX pp. 83-84.

مدحه عن النص الوردي رسالة الأستاذ عبد الحفيظ عرابي ، هامش ص ٩

(٢) « والله أن السيد عمر كان على حد من عدا لجمه وجمه الشجاعة ، معه العمل

على النوع الباسي »

الأستاذ عرابي : الجرائل يقترب ، ص ١٥

العلماء الذى سرهم ابتعاده عن الميدان فعاونوا على انصائه لهوزوا
تمكانه ويعموا بمنزله .

السيد عمر مكرم شريف يتصل بسره بالامام على كرم الله وجهه ،
ولدى أسبوط وفيها نشأ وتعلم ، ولاعلم كيف ارتقى إلى نقابة الاشراف
ولكننا نفهم من بلوغه هذا المصب أنه كان واسع المواهب عظيم
الافتداز . ويؤكد لنا ذلك أن امرنسيين حين أقبلوا وجدوا عمر
شخصية كبيرة يحسب لها حسابها .

في عمر مكرم تمثل الوطنية الاسلامية التي فصلنا أمرها في الفصل
السابق ، أى أن عاطفته الاسلامية حفرته إلى ماهضة العرسيين
والسعى لإخراجهم من مصر . تمثلت الحملة العرسية في حاطره
اعتداء من الصراية على الاسلام ، فكانت قيادته للناس استعارا لهم
للجهاد الدينى وإثارة لمواطنهم الاسلامية ، وهذا ما ينبغى أن تتعطل
اليه في قيادة هذا الشيخ للحركة المصرية في ذلك الزمن . فكان
إذا أراد إلهاب عواطف الناس لأمر من الأمور لجأ إلى الشعور
الدينى فأثاره ووصعد إلى القلعة فأرل مهايرفا كبير أسمته العامة البيرق
البوى ، فشره بين يديه من انقلعة الى بولاق ، وأمامه ألوف العامة
وهذا هو استعارا الناس للجهاد الدينى ودعاؤهم إلى رد الكفار . فلم
يكر العلم الذى حمله علم مصر واما علم الاسلام وهو البيرق البوى الذى
ينبغى أن يهم المسلون للدفاع عنه مصريين كانوا أو غير مصريين .

دعه عمر مكرم ذلك تحليل شعور عمر مكرم - فيما نرى - ولاصحة لما يبالغ البعض
من وصفه به من وطنية صادقة وشعور قومى صحيح ، إنما سينطور
شعور عمر مع الأيام نحو هذه العاية ولكنه لا يصل اليها في صورة
صافية خالصة . ولكنى يصح عمر كذلك « كان لابد من أن يحال بين
الناس وبين دعوات الجامعة الاسلامية » كما يقول الأستاذ غرمال لأن

الوطنية الاسلامية كما ذكرنا — شئ آخر غير الوطنية القومية ؛ أهما ،
يتعارضان تمام التعارض وقيام إحداهما بتقويض وجود الأخرى . . الوطنية
الاسلامية تباعد ما بين الانسان ووطنه وتزهده فيه وتوجه مشاعره
وجه وعواطفه نحو شئ واحد جدير بالحب والحماية والتضحية . هو
الاسلام والدولة الاسلامية . لو تعارضت مصلحة السلطان مع صالح
مصر فلتضح مصلحة مصر ولتحقق غاية السلطان . وإذا سأل بس
أهل الاسكندرية عن بدم أحابوا « تلك أرض السلطان » لأرصبهم ،
اسهم يعيشون عليها فقط . بذلك المعنى الذى أراده العربى عند ما سئل
عن ماله فقال « إله الله فى يدي » .

الاسلام والناس للجهاد

استمر عمر الناس للجهاد والدفاع ونزعهم المصريين الذين ظاهروا
المماليك على انكريس ساعة دحوهم مصر فاتحين ، وهذا يؤكد
ما ذهنا اليه ، إذ نرى المصريين مساوات المماليك ووقفوا إلى جانبهم ،
لأنهم مسلمون مثلهم يحاربون كفارا .

عمره عمر مكرم

فإذا اسهر المماليك ووجد عمر أنه مساق على رعه إلى الخضوع
للقريسيين أتت عليه كرامه الاسلاميه أن يقل هذا الهوان . فآثر
المهجرة وأرمع الرحيل ، وأحب القريسيون أن يحسوا اليه الإقامة
فاحتاروه عضوا في الديوان الأول ، فأبى وشد رحاله إلى الشام وهناك
بقى حتى أدركه القريسيون في حملتهم على الشام . فقابلوه بابلوس في
بافا . وكره فيه عاصفته المشوبة ورأسه المرفوع . وأمر بأرجاعه إلى
مصر فأعيد معزرا مكرما ، واعتزل في بيته واعتكف عن القريسيين لم
يمد لهم يدا ولم يلهم أمرا .

عمر بعد إلى مصر

في هذا المعزل . لابد أن عمر قد أطل التفكير في أمر البلاد ،
وتأمل هؤلاء القريسيين ودفع النظر في أمورهم ، ولا شك أن
هذا التفكير أثار في نفسه بعض الخواطر الجديدة . لاشك أنه

تسأل عن هذا «الجمهور الفرنسي» الذي ترفع باسمه الأعلام وتحجى بأمره الأحكام، الذي يطيعه القادة ويقف في سبيله الأفراد. لا شك أنه أحسن الفرق بين حكومة المسلمين يقوم عليها السلطان وبين حكومة الفرنسيين يقوم عليها هذا الجمهور الذي هو الرعية نفسها. ولا شك أنه أعجب هؤلاء الفرنسيين (أو رضى عن نظامهم على الأقل). فقد رأى من امتيارهم على الترك والمماليك والمصريين أمراً كثيراً، فهم أقوىاء في الحرب لا يكاد يثبت لهم جد السلطان أو جيش المماليك، وهم يحاربون نظام لطيف دقيق مقدر بحسب، ويحضمون للقائد وينفذون أوامره ويصرون مثلاً حمية للمعركة الموقفة القوية، وهذا قائدهم بلاطف الجند ويحادثهم ويعطف عليهم ويأسو جراحهم، ويجالس العلماء ويشارهم القهوة ويشركهم في إدارة الأمور، ويستمع إلى ما يقولون في كثير من الرفق، وهذا هو ينظم أمور الحكم ويرافقها ويحص كل موظف مناحية من الإدارة لا يعدو عليه فيها أحد، ويحاطب الناس في كثير من الرفق واللطف، فأب هذا من القائد التركي الأصم المتحجر الذي لا يفهم ولا يشعر ولا تفر الرحمة بانه أندا.

مصر حديد في
تفكير من

لا يد أن عمر أطال التفكير في هذا وأسمائه واستنتج منه أمور احطرت، فقد استعان له أنه لا صرر على بلد من البلاد أن ويصرف أموره رجاله، ولا حاجة إلى رعاية السلطان كثيرة ذات «الجمهور الفرنسي» أقوى من السلطان التركي يحكمه «جمهوره» سياسة الأمور وأكفل بالدهع عن دمار الوطن وحكومته. فان وهو يعنى يشئون نفسه فرداً فرداً وهؤلاء هم وأقدر منه على جود «الفرنسيين» يشاركون قائدهم في الخير والشر، لا يكاد يختص نفسه بخير من دونه ولا يسعى ليسرق أعطيائهم أو يغتبنهم

نصيبهم من عيمة أو متاع ، وهؤلاء هم راصون عن قائدهم معجون به لا يكادون يحددون عليه أمرا أو يبالغونه بأدى ، وهو من بينهم متميز بشخصيته وحلقه واقتداره ، وهذا ارتقى وأصبح قائدا لا بالرشى التي يقدمها إلى السلطان أو أصحاب الحياه .

هر وأمكار النور

لا بد أن عمر فكر في هؤلاء « المرشاة » المنى على الحرية والتسوية ، وتأمل معنى هذه الحرية وتساءل عما يراد بهذه التسوية . فأما الحرية فقد أحس عمر أنها أمر غريب عنه وعن أمثاله ، فاهم مكلون بأعلال الحكومة مصفون بأصعاد الممايلك محصورون في القاهرة الضيقة التي تصفها حرائب وتصفها مساجد وأضرحة للأولياء . ولا شك في أنه تساءل في ذات نفسه عن « المحور المصرى » وتحسر لحاله وبكى لمصاه . فهذا هو المصرى لا يكاد يطعم بالقليل من القوت ومع ذلك فهو محسود على ما يصل إلى يديه ، لا يكاد يمسك اللقمة حتى يتلوه الله من بحرمة إياها قوة واقتدارا .

ثم ، ما هي هذه الآثار التي يقل عليها الرئسيون ويتفحصونها ويتأملون رسومها ويطربون لها طربا شديدا . اهم يزعمون أنها آثار مصر القديمة وأنها تتحدث عن ماضيها المجيد حديثا مبهما غير مفهوم . ماشأن هؤلاء الرئسيين تلك الآطام المخذلة والمعالم العافية . ماذا يستهويهم فيها ويصرفهم الى العناية بها وإطالة النظر في تفحصها وترسيمها وتقليدها . لا بد أنها تحسدتهم شئ عظيم عن المصريين فهم يحاطون المصريين في مشوراتهم بكثير من التحلة والاحترام ، ويذكروهم بأنهم أصحاب مجد دارس وماص له جلاله بين مواصى الأمم . . . وهؤلاء قوم لا تحسدتهم الخيالات ولا تغريهم الأكاديب ، فلا بد أنهم يرون في هذه الرموز والطلاسم دلائل صادقة عن مجدها الد وأعماله الأقدمين . وهكذا بدأ شعور

غامص من الاعتزاز بالنفس يسرى إلى نفسه

ثم ، ماذا عسى الفرنسيون يريدونه من قولهم « وقولوا لهم أيضا إن جميع الناس متساوون عند الله ، وإن الذي يميز بعضهم عن بعض هو العقل والعضائل والعلوم ، وأى شيء في الممالك يميزهم عن غيرهم ويستوجب أن يملكوا مصر وحدهم . فحينما تكون أرض محصية فهي للمالك ، ومثل ذلك أحس الجوارى وأكرم الخيل وأهل المساكن . فان كانت الأرض المصرية التراما للمالك فليطهروا لنا الحجة التي كتبها الله لهم » (١) . نعم بأي حق يفرد هؤلاء الممالك بأرض مصر وحدهم . أين الوثيقة التي تثبت هذه الملكية . . . بل أين الوثيقة التي يملك بها السلطان أرض مصر ، لماذا يحتص نفسه بالحكم والخير ومن دونه رعية تعيش في الاطمئنان وكل الفقار .. ألا يكون هذا السلطان عاصيا طالما .. ألا يكون مستبدا سيئ التدبير جديراً بأن يثب الناس به ويعملوا عليه العصيان .. انه سيئ الحكومة دون شك ولا يقابل الدولة منقلب ميراثها في رعايته .. يدعو عليها من يشاء من الأعداء فلا يكون له من الحول ما يفيد إذا أراد الدفاع عن رعاياه المساكين المستضعفين ، ألم يفتت العلماء والقاضى بجواز قتالهم ومحاربتهم لأهم عصاة » (٢) فلم لا يقاتلون وتخلع طاعتهم ويحتزروا الناس من يبرهم ، لم لا يخلص هذا « الجمهور المصري » من أدام وعسهم حتى يستقيم على قدميه فربا كهذا « الجمهور الفرنسي » ؟

لا بد أن أمثال هذه الخواطر قد جرت بذهن شيخنا الشريف
عمر و دكتور التركي

(١) من منشور تاليفون للمصريين .

(٢) الحديث عن حدث عمر مكرم فخرشده في ثنى طلعته عمر ، حوادث سنة ١٨٥٥

وامه أدهام بالترك .

الآتى ، ولا نزاع فى أنه فهم منها أشياء جديدة لأنه كان رجلاً ذكياً واسع المدارك صادق الإيمان رفيق الاحساس ، ولا شك أنه تفر من الأتراك وأحسن أنهم ليسوا حيراً خالصة ، وأن هناك سلا أخرى للشعوب تحب وتساعد بها غير الخضوع للسلطان أو الطاعة للمماليك . وبدأ يشك فى قيمة « الدولة العثمانية » التى عبث بها « الجمهور الروساوى » ووضع شرقها فى التراب ، وبدأ يهرأ بهؤلاء المماليك الأفاقين المدعين الدين لا يكادون يقعون للفرنسيين وهم مع ذلك أقسى حلق الله على المصرى الأعزل المسكين لا يكادون يعقوبه من صميم أو دل ماداموا قادرين على إنزاله به ، لا يكادون يرفعون فى ذلك ضميراً ولا ديناً ولا عرفاً .

أغلب الظن أن أمثال هذه الخواطر شملت بال هذا الرجل وهو معتكف عن الفرنسيين مزو عن ميدان السياسة ، وأغلب الظن كذلك أنه شعر بالعمور من هؤلاء العلماء الأزهريين الذين لم يحفظوا لأنفسهم كرامة ولا عزة ، وهؤلاء هم يخلصون « لصارى عسكر » اخلاصهم للسلطان ، ويمهدون البلاد للكافر العاصب دون خوف أو استحياء بل يرفعون فى ذلك اسرافاً بكاد يمس شرفهم فى كثير من الأحيان ، وإلا فما هى هذه الاشاعة السوداء التى أصبحت الآلس ترددها فى همس وتناقضها فى ألم ، أى معنى لما يذهب اليه المرحفون الذين يؤكدون أن زبيب الكرية الحسنة النسيه قد حامت حولها الطون ووقفتم بها الريب ، فامعنى هذا البلاد البارل إلا أن يكون الشيخ الكريم قد تهاون ببعض الشئ فيما لا يتهاون فيه مسلم ولعله لم يرض عن هذا ولكنه حاف الفرنسيين فآثر العافية وطوى نفسه على آلامها . . أى معنى لهذا إلا أن يكون هؤلاء العلماء طعمة

عمور من اساج
المصريين

ناغية لا تقل شراً عن الممالك ولا تكاد تقدر على دفع راية الاسلام
واعلا. كلبته (١)

لا بد أن التفكير قد انتهى به الى اليأس من صلاح هذه الحيات
الثلاثة التي كانت عماد السياسة المصرية في ذلك الوقت في نظر المصريين
على الأقل . لا بد أنه رجحاً للبلاد خلاصاً من أيديهم وبجاء من شرهم
ها بدأ الرجل يفكر في شيء من الجدية في حل المسألة ، وكان
بطبيعة مركزه وبما رك في نفسه من الشهامة والوطنية مضطراً الى
أن يطيل التفكير في هذا الأمر حتى يجد مخرجاً من هذا المخرج الذي
انساق اليه البلاد في هذه المعضلة لصارحة التي استمرت من
حروب الحملة الفرنسية الى ولاية محمد علي . وكان ارواه عن ميدان
السياسة ترفعاه عن أن يتعامل مع الفرنسيين ، وكان — بلا ريب
— ينتظر الفرصة المواتية حتى يعود الى العمل ليعيد هذه المعركة التي
حطرت سائله والتي رجحاً أن يكون للبلاد محلاً من الأذى عن سبيلها .

على أن عاطفته الاسلامية كانت أعلا على رأيه من عقله ، وكان
بعض الأتراك . إذا كانت المسألة معاصرة بينهم وبين الفرنسيين ،
وهذا طبيعي جداً من شيخ أرمني لاقى هذه الأيام وحدها في كل
زمان . فلا يصح أن يستنح من حماسه لعودة الأتراك أيام كبير
واشترأكه في ثورة القاهرة الثانية أنه كان محباً للأتراك محلاً لهم ،
واما الحقيقة ما أسلفنا ، وهي أنه كان ساخطاً عليهم بما هم يود
محلاً لو خرجت البلاد عن أيديهم . ولكنه كان عضلهم على الفرنسيين
على أي حال وهذا وحده يستطيع أن يعلل مظهرته للأتراك في
في ثورة أغسطس سنة ١٧٩٩ .

هذه ثورة
في ثورة القاهرة
الثانية

(١) انظر وصف ما حصل من انقلابات في هذه الفترة ، ومذكرات من المصريين وأعدائهم

الفرنسيين في ذلك في الجزء ٢ : ص ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

لا شك أن الرجل بدأ يميل يوماً فيوماً إلى الجمهور المصري ، ولا نزاع في أنه أحسن بالآدم هؤلاء المساكين الذين يعود عليهم كل ضرر ويحتملون بكل بلا . ولا صيب لهم في حير أو غم . كان الرجل أسيوطياً أى مصرياً . وكان شريعاً فاضلاً صادق العاطفة لا يسعى لمفعة ولا يرجو موالاً وإنما كان يفكر تفكير كل مصرى في هذه الأيام ، وهذا هو الجبرق يعلن آراء المصريين في هذه الفترة ويعبر عن ميولهم في صراحة لا تحتمل الجدل أو التأويل وهي لا تخرج عما ذهبا إليه في تحليل تفكير عمر . فإيمعاً من القول بأن هذه نفسها كانت آراء عمر مكرم ، وأنها كانت أحلامه وأماهية التي ستكون برنامجاً السياسى في مقبل الأيام .

طور شعور عمر
في عاطفة رصة

وكانت الظروف نفسها تسمح بهذا التفكير بل تعزى الأمل في شيء من هذا القليل ، كانت كل القوى المسيطرة على السياسة المصرية في هذه الفترة قد انتهت إلى الصعف ، بحيث لا يرجى من إحداها أن تعلب الأحريات وينتهى اليها الصر في آخر الأمر .

كانت القاهرة في هذه السوات (١٨٠٠ — ١٨٠٥) كالرجل المضطرب ، يشتد فيها النزاع والصراع بين القوى المختلفة التي كانت تحاول كل منها — عشا — أن تصل إلى الرعامة آخر الأمر .

تمازج القوى مصر

كان الباشا التركي يدعى السيادة على كل شيء . ولكن دولته كانت تحمله . لم تكن تمدد بالحد اللازمين للسيطرة على الحال ، وإذا أرسلت جداً لم تمدد بما يلزم من المال لدفع أعطياتهم ، فإذا تأخرت الأعطيات تاروا به وعزلوه أو قتلوه . حدث هذا مراراً في هذه الفترة مما انتهى بالباشا التركي إلى أن يصح عاجراً تمام العجز عن تنفيذ ما يريد بل عن التأثير في مجرى الحوادث ، ذلك أنه هط سمعته ومقامه وجعله في حال هي أسوأ مما كان عليه المماليك .

الوالي التركي

وكان الجند الأتراك الذين احتارنهم الدولة لمصر هذه الأيام شيئاً آخر غير الجود ، ستمهم لصوصاً ، ستمهم قطاع طرق ، ستمهم شحادين . قل إهم محايين (دلاء) ولا تقل إهم كانوا جنوداً ، فلم يكونوا يشبهون الجود في شئ . بصورهم لنا الجرقى تصويراً دقيقاً وافيّاً . ويسكر لنا طرفاً من أفعالهم ويمدد لنا مساوئهم ويصف لنا حال لقاهرة وأهلها معهم فلا يملك أنعمسا من الاشتمرار من هذه الحال السيئة التي لا مزيد عليها .

كان حود الوالى فريقين الاستكشافية وهم القوة الرسمية ، ثم الأمداد التي كانت ترسل كالألبانيين والدلاء ، وكان على رأس الألبانيين قواد كثيرون أشهرهم طاهر باشا ومحمد على . وكان هذا الأخير يرقب الأمور في هدوء وحذر . ويسطر الفرصة المواتية ليعمل شيئاً ، كان الخد عامة في ثورة دائمة واضطراب لا يفتفى ، لأسرواتهم لاتدفع ، وكانوا لا يجدون سيلاً يحصلون منه على ما يريدون إلا ارهاق المصريين وانتزاع أموالهم . وكان أحدهم يجلس على باب المنجر ويعرض على صاحبه صربة ثعبلة جداً ، هي مقاسمته الرنخ كما لو كان شريكاً له في رأس المال ، وكان الناحر من حبه مضطراً ليقول ذلك ولا أصح محله عرضة لأى حدى تركى يمر به ويستحل ما لديه .

فإذا ارداد الطلب على الوالى كان بين أمرين إما فرض صربة جديدة ، فيثور المصريون . أو رفض الدفع فيثور الجود ، وبين هاتين الثورتين صاع مقام الوالى البركى وصعب أمره . فإذا أصفا إلى ذلك أن الولاة الذين احتارنهم الدولة كانوا من روع سىء جداً ، لا حصر لهم ولا أخلاق ولا حزم ، استطاعوا أن يكون فكرة كاملة عن الأتراك كعامل من العوامل المؤثرة في السياسة المصرية .

أما المماليك فكانوا — بعد حرهم لضويلة مع الفرنسيين — قد

جود الدولة

جند الألبان

الزوايا والحد

المماليك

يلموا مبعلاً من الصدف لا ترجى لهم معه قائمة ، وأصبحوا فئة من المشاغبين ، المتآمرين المشردين الذين لا يجدون لهم مكاناً في البلاد ، فتارة هم في البحيرة ، وأخرى في الصعيد ، لا يملك الوالى التركى يملكهم ويحاول الايقاع بهم فى سلسلة طويلة من المؤامرات بجوا من كثير منها ولكنها أصعبتهم على كل حال . مؤامرات تركية ، لو استقام هذا التعبير تقوم على دعوتهم إلى وليمة فى منزل أو سفينة ، ثم تصوب اليهم البنادق ويقتلون مقتلة تثير الاشمئزاز .

واراء هذا ربحوا بالتعاون مع أى حليف . وصاروا يميلون ميلاً شديداً إلى الانجليز والفرنسيين . لم تكن لهم سياسة مقررة ثابتة إنما كانوا يلتمسون العون من أى سبيل ، ملوا أول الأمر إلى الانجليز ، ورحب بهم هؤلاء ، وناصرهم علانية ونزلوا حمايتهم من كثير مما أريد بهم كتحل الجندال هنشسون وطله أن يطلق سراح من بنى حياً من المماليك ، وأن تسلم جثث الدين قتلوا عند ما بلغه خبر المؤامرة التى دبرها القبطان حسين باشا للقضاء عليهم فى أوائل أكتوبر سنة ١٨٠١ . وكانت الصداقة معقودة فى أغلب هذه الأيام بين الانجليز والمماليك . كان الأولون يرون فيهم خصوما طبيعيين للفرنسيين ، فمحالهم عدااء للسياسة الفرنسية ، ولا يحسب أن الانجليز كانوا يفكرون فى هذه الأيام فى احتلال مصر أو الاستيلاء عليها ، ليس هناك دليل واحد يثبت هذا ، وقد عرض الأستاذ شفيق غرنال فى كتابه « نشأة المسألة المصرية » منشآت الرسائل الخاصة والمدكرات التى كان يكتبها سفراء انجلترا وقاصلاً وليس فى واحدة منها فكرة من هذا القبيل ، إنما كانت انجلترا تريد أن تبعد فرنسا عن مصر ، لأن هذا جانب من سياستها التى أشرنا إليها وهى المحافظة على الدولة العثمانية الضعيفة فى شرق البحر الايض المتوسط .

ميل المماليك للانجليز

هل كانت انجلترا تريد احتلال مصر فى هذه الأيام

ولكن الممالك كانوا قد وصلوا في هذه الأيام إلى درجة من
 الاحتياط المعنوي استحالة معها الاعتماد عليهم أو التعويل على
 عهودهم ، كانت الدنيا قد اسودت في وجوههم واصطلحت عليهم
 الأحداث وكسرت الخلة العرسية شرفهم فلم يعد لهم من الحول ولا
 المركز ما كان فيما مضى ، وإنما أصبح ريشة في مهب الرياح ، لا يكاد
 يتوحد اليهم أحد ويمرض عليهم صداقته حتى يستحيوا له ، لأن شعورهم
 بالضعف كان بالغا ، فسهل على السياسة العرسية أن تجدهم لصمها في
 كثير من الأحيان كما حدث في الأيام الأولى لوصول الميوة لسنه
 مرسلًا إلى مصر من قبل الحكومة العرسية في أغسطس سنة ١٨٠٣ .
 إذ جرت بينه وبين إبراهيم بك مقابلة أسف فيها اليك أسفاً بالماً
 لجهل الممالك إذ قاوموا الخلة العرسية ، لأن معاملاتهم مع الانجليز
 والأتراك قد فتحت أعينهم ، وهم الآن مستعدون لا يحاز كل
 ما يريد من المليون هـ أن له أن يأمر وعليهم الطاعة فيفتحوا الشام
 ويرلوا له عن مصر ، أو ينفوا في القاهرة ويصحبوا من رعايا
 السلطان المحاصرين أو يتركوا هـذا كله ويقعون بالنفي في
 الصعيد « (١) واستقلوه اسقلا حافلا عند وصوله إلى القاهرة حتى
 « أحسن مندوب انجلترا أن في الأمر مؤامرة مدبرة لتسليم مصر
 لفرنسا ، كانت القرائن كلها تدل على ذلك ، وبهذا تنبى المشاهدات
 الخاصة والعامة ، وإن استقبل دلسس هذا الاستقبال الحافل ، وبحيثه
 إلى مصر على عجل تاركاً عائلته وراءه ثم اطهاره حذمة في لباس فرسي
 ليندر بيده الصعيد « فلم يكذب المتدوب الانجليزى — ميت —
 « أن أسرع إلى الردى حتى فتحدث إليه في الأمر ، وحاول أن يتجنب

معاملة مصرية
 لفرنسيين

(١) نشأة المسألة المصرية ، للاستاذ غزال ص ١٢٤ .

إلى أموا أحلاف فرنسا سمعة ، ولكن هذا التحب لم يكن كافياً .
كان لابد أن يقدم ليرديسى شيئاً أقيم من الصبح . (١)

مصر المليك

وهذا الشيء الذي كان الممالك بحاجة إليه هو المال . كانت كثرة
المصائب وتواتر الحروب واجتماع الأعداء قد انتهت بهم إلى الحاجة
الشديدة والعوز البالغ ، وأصبح المال اغراماً مؤثراً في نفوسهم . . ولم
يلبث سميت أن فهم هذا ، فأشأ يورع المال ويثر الرشى فعاد الممالك
إليه ، فأخطط هذا مندوب فرنسا ، وأراد أن يقلد حصصه ولكن أين
له المال وحكومة الجمهورية معلقة لا تستطيع أن تمدد بالمال اللارم
لهذا الامر ، فلم يجد أمامه إلا الخمر يقدمها للممالك ليكسب ودهم . .
كانت الخمر تدخل البلاد باسمه معفاة من الضرائب وكانت رخيصة الثمن
لأنكاه الحكومة شيئاً كثيراً فاسرف الناس في استعمالها ولم يستح
أن يجعل في داره حاماً كما قال سميت ، وهكذا يتردد عليه الممالك
فيحاول أن يكسب ودهم ويعيدهم إلى حسن النظر به وفرنسا ، ولكنه
لم يفلح وانتهى به الامر أخيراً إلى اليأس من الممالك والاحتقار
ليرديسى فوصفه بقوله : مشاعب جشع وطموك ظالم . (٢)

عبد الله الدرسى

وكان ليرديسى غير مرتاح لهذه الماورات ، كان الخو قد حلا
له سحر الآلى إلى لندن وكان يريد أن يقوم نفسه بكل تقاهم أو
تحالف نابياً عن الممالك ، ويظهر أن لندن كان يحاول الاتصال
بممالك آخرين . فلم يلبث أن سحق عليهم وبأداهم العداء فأعلن
صرامة رأيه في الفرنسيين قائلاً : لقد حردتمونا وطردتمونا . وهذا
(أى موقف الخداع والعداء) وهو شكراً لكم . . . (٣)

(١) نفس المصدر ص ٢١٥

(٢) من خطاب من ليرديسى إلى . . . شانه مدته ١٨٩٠ ص ٢١٦

(٣) نفس المصدر والمقدمة

هكذا فشل دلسر ووحد نفسه في موقف حرج وسأل في حيرة
« إلى أي الواحي يستطيع مندوب دولة أن يحاز في وسط تلك المذاهب
المتطرفة » ، « إن اليأس بلغ به حداً لم يطق معه الإقامة في مصر
فألح على الحكومة بعد شهرين أن تنقله منها .

تتألم الحالة
في القاهرة

وليت الممالك صدقوا في ودهم للانجليز . كان انتصار مندوب
انجلترا حادثة فقط ، إذ اعترف البرديسي بأنه كان يكرهه ، وتخرج مركز
مست هو الآخر بل مركز الأجانب جميعاً ، وأيقنوا أن لا أمل
لهم في نهوض سياسي وسط ذلك الخضم المضطرب ، وانسحبوا شيئاً
فشيئاً ، ولم يبق في الميدان غير البرديسي ، بل اعترف مندوب فرنسا بأنهم
لا يطلبون النهوض السياسي وإنما الأمان ، وتسرب الخوف إلى قلب
مست نفسه وتحدث في بعض رسائله بأنه لا بد من هتد بالمقاومة
المسلحة في حالة اقتحام مدبره بالقوة ، واعترف بأن الواجب وحده هو
الذي يضطره إلى قول مثل هذه المعاملة الميئة .

♦ ♦ ♦

في هذه الظروف العصية كان لابد من رجل يخرج بالبلاد من
هذه الفوضى الضاربة ، وذلك قانون من قوانين التواريخ التي تصدق
في كثير من الأحيان : كل فوضى سياسية وحروب أهلية تنهى أحرار الأمر
إلى ظهور رجل قوى يسيطر على الحال ويعيد الهدوء ويعمل الدكتاتورية .
هكذا ظهر قبصر من فوضى الحرب الأهلية بين الأحزاب في روما ،
و « بليون من فوضى الثورة في فرنسا ، وصلاحي الدين من فوضى الإسلام قبيل
الحروب الصليبية ، ومحمد علي من هذا الرجل الفوار الثائر الذي وصفناه .
في سنة ١٨٠٣ أندى الكولونيل ويلسن دهشته من عدم وجود
محاطر قوى موهوب طموح ليقود فرقة من الجنود ويقاوم الممالك (١)

الظروف تستدعي
ظهور رجل قوى

(١) Wilson : History of the British Expedition, p 243

عن شأ، أسألة مصره ، ص ٢١٠

الاجاب يتوهمون
ظهور رجل قوى

وكتب أمريكي كان في القاهرة سنة ١٨٠٤ يقول « إن مصر من غير رئيس ، ولا بد لها من رئيس جديد ، وأول متقدم سيقابل بالترحيب » (١) والواقع كما يقول الأستاذ غزال « أنه لم يكن هناك محرر الاحتلال أجنبي أو ظهور مخاطر على المسرح واستيلائه على السلطة . كان المماليك بأعدادهم القليلة عاجزين تماماً عن استرداد ما كان لهم من مقام وعن طرد الأتراك ، ولم يكن في استطاعتهم أن يحلوا جسوداً جديداً من الشرق ، لأن الباب العالي قد حرم إدخال الصيادين إلى مصر . (٢)

لم يخطئ هؤلاء الأجانب فيما ذهبوا إليه ، وكان لابد أن يظهر « الطل » وكأوا على حق في تساؤلهم لأنهم لم يكونوا يدركون هذا التطور الهادي الذي تناول المصريين وأخذ يعدم شيئاً فشيئاً لليوم الموعود ، وكانوا يحلمون بطبيعة الحال ما انتهى إليه الشيخ الجليل عمر مكرم وهو في معتزله يتأمل الأحوال ويرقب الحوادث ، ولم يكن عندهم نبأ بأثر ثورة القاهرة الثانية في مصره . . . وما عليهم بأن هذا الرجل قد ينس من الأتراك رأساً تاماً ، وتحمل له شرم وسوء حالهم من هذا التصرف السيئ الذي ظهروا به أيام هذه الثورة ، وكيف أقاموا القاهريين وأشعلوا نيرانهم ثم تركوهم يصلون نار الفرنسيين حامية ، وكيف غدروا بهم واستعابوا قوتهم حتى إذا استتب لهم الأمر لم يكن لهم عمل إلا تهب السيوف والاعتسداء على الأمنيين وفرض الاتاوات واصلاء الناس سوط العذاب . . أين لهم العلم بهذا التطور العظيم الذي شمل هذا الرجل الهادي المظلم الذي كانت الأيام تعدّه وتصفقه ليكون على يده خلاص البلاد حين يعم الطوفان ، وتندر المقادير باللاء العظيم . .

(١) من خطاب رجل أمريكي إلى السيد الكندي . (فصل المختار في المظالم) ٣١ ديسمبر سنة ١٨٠٤ من المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) نشأة الأمة المصرية ، ص ١١٢

عمر شعر حرووه
العمل

لا شك أن عمر كان يحس إحساس المصريين في ذلك الحين ، وكان تواتر الشقاء قد انتهى بهم إلى حال من السخط ليس بعدها زيادة لمسيره . أصبحوا في فقر بالغ ومع ذلك ازداد عليهم الطلب وتوالت المصائب كل يوم ولا رحمة ولا هوادة . لم يجد الشعب بطبيعة الحال أمامه إلا علماء الدين تعود أن يلجأ إليهم كلما اشتد به الضيق ونا صدره بالآلام . وكان عمر رأس هؤلاء العلماء وأشرفهم وأكثرهم إحساساً بالآلام المصريين ، وكان بشعر تمام الشعور بواجبه وما ينمى عليه عمله ، وكان يحس إحساساً صادقاً أن الغلبان شديد وأن الانهيارات قريبا . فجمع زمام المصريين في يده ولست يتحين الظروف ليصرب الضررة القاصية . ولكن . . . أكان في استطاعته الانتظار . ان الظروف تتطور بأسرع مما كان يتوقع . وهؤلاء المماليك لا يتقون الله في هذا الشعب الأعزل المسكين ، وهؤلاء هم الأتراك لا تأخذهم رحمة ولا يراعون في رعاياهم حرمة الدين وشرع الاسلام . . فما العمل . . لا بد من السعي والتعجيل بالعمل .

عمر والسادة

لم يكن عمر سياسيا وإماما كان شيحا فقيها متدينا لا قبل له بالسياسة ومناوراتها وتقلباتها القريبة والبعيدة . وهو رجل شريف طاهر لا يريد الاتِّحاص الناس عن أى سبيل . إنه يقبض على زمام الشعب ويسيطر عليه تماما ولكن ما عساه أن يفعل . . إنه يرجو الخلاص من ولاية السلطان لا من السلطان نفسه . إنه يسعى للاقتاد ولكنه لا يريد أن يكون ملكا أو أميرا . فليس هذا من خلق العلماء ولا حماة الشرع ولا رجال الدين . إن عليهم أن يولوا على الناس أصلحهم ، وأن يشدوا أزر الصالحين ، ويحولوا بينهم وبين الظلم إذا مالت بهم هموسهم إلى الطغيان كان عمر يائسا من الولاء والنشאות واليكوات ، وكان يدور بعينه باحثا عن رجل يعهد إليه بالحكم ، رجل صالح

قادر رحيم . متدين . وكان لا بد أن يكون تركيا . . فهذا مطلق
السياسة في هذه الأيام . لا مفر من أن يكون الحاكم تركيا حتى
لا يفضب السلطان خليفة المسلمين .

كان هذا الرجل يرقب الأمور في هدوء ، وأعلت الطن أنه لم يكن
يصكر في الولاية أو السلطان هذه الأيام . كان على رأس جوده
الآلمان يتأمل الأحوال في حذر . ولاشك في أنه استدان اضطراب
الأحوال وود لو كان على يديه الخلاص من هذه العوصى ، قدأ
يتحرك في حذر شديد .

كان جد الأتراك هربق . هربق الامكشارية وهربق الآلمان
أو لأربامود . وكان محمد على رأس الطائفة الثانية . وكان الجميع
ساحطين من سوء الحال واعدام الرواتب . وكأوا لا يقتأون
يصون عضهم على المصريين المساكين . فيشكوا هؤلاء لعلسأهم ،
فيوسط هؤلاء لدى الوالى ومحمد على .

هـ تقابل محمد على وعمر مكرم . فأحسن محمد على . بالعظة
اهادية التى هى العصر المعير للعاقرة — بأن فرصته قدأقبلت وأنه
لا بد أن يبدأ العمل . .

بدأ فأمر جنوده أن لا يعتدوا على الشعب وأن لا يؤدوا الناس ،
وأن يتظاهروا بالعضب على الباش وجوده . وأن يقولوا للناس
صراحة « انا معكم ، وأتم الرعاية ونحن العسكر . ولم نرض هذه
الصرية ، ورواتبنا على الميرى لاعبيكم » ، فأى أعراء هذا للمصريين .
وأى عصف يقابلونه بالشكر والعرفان . هكذا بدأت الأطار تنجه
نحو هذا الرجل ، وتعلق عليه الآمال الكبار وتظر اليه كخلص
وحليف . .

هكذا خرج الآلمان ورئيسهم من هذا المعترك الحامى الذى

بدأ محمد على

مر كان محمد على
١٥

سينشبت بين الجند الأتراك وولاتهم . وكلما اشتد الضغط على الحوود
وراد تأخر مرتباتهم حاصروا الوالى . فلا يجد ماصاً من الحرب اذا
اسعفه الخط كما فعل حشرو في أول مارس سنة ١٨٠٣

فادا هرب الوالى . فالى من يلجأ الجند الا لهذا الرجل الذى
يحرص أشد الحرص على أن يظهر تطهر العادل الحكيم الذى يفكر
من كل هذه الأعمال والتصرفات
يذهب الكثيرون الى أن كان يستطيع أن يصحح واليا في هذه
المناسبة ولكنه آثر الزهد في الولاية .

ولكنه كان أدنى من أن يقحم الأمور هذا الافتحام .
كان يترى في أموره وبحكم تديره ، ويحذر الحذر كله من أن
يعصب الساطع ورجال السطان . فأصر دائماً على أن يتحى عن
الميدان . اما ليهرب من عصب السطان أو يهر من المسئولة
بجعل همه أن يوصى تولية من يكون في مصر من الشاوات فيعمل
على ولايتهم ثم يدر لهم . وكان أعلم اساس أن القاهرة في هذه
الفترة كان ثمر ، وأن مصب الولاية كان أمام اعوفة . عليه يصب
عصب الساس الذين اشتد بهم الظلم . . ونحوه تطابق قبل الحوود
الذين لا تصلهم الاعطيات .

كان هناك قائد آخر للألوان . هو طاهر باشا أحق منه بهذا
المصعب لأنه باشا . ولأنه لا يعرف الخطر الجاثم خلف قول مصعب
كعبا . كان أسلوباً ماهراً ألخاً اليه محمد على ليخلص من طاهر قائد
الإنسان ، حتى تنتهى اليه قيادة هؤلاء الحوود ، فيصيحوا بعد ذلك آله
في يده يحقق ما مطامعه . وكان هؤلاء الأتراك هم العهد الثانى الذى
ارتكزت عليه قوة محمد على ، والعهد الأول هم المصريون طعما . فقد
عمل وعاون على ولاية طاهر ورصى عنه . ثم نشأ يحقره البتر من حنف

كان على ظاهر أن يجيب مطالب الجود الثارين ، وكان عليه كذلك أن يحول بينهم وبين المصريين العزل المساكين ، وأين له أن يجمع بين القيصين وبرصى الطرفين ، وهو رجل شريز طول حياه وحكمه رمزاً للعوصى التى كانت شائعة هذه الأيام . وبدا شديدة تضغط عبق القاهرة التى أشرفت على الموت ، « لو طال عمره أكثر من ذلك لأهلك الحرث والنسل » كما يقول الجرنى .

ولكن عمره لم يطل .. فى ٢٥ مايو سنة ١٨٠٣ (٤ صفر سنة ١٢١٨) دخل عليه موسى أت واسماعيل أعا وحدثاه فى رقع الطم وصرف المتأخر من المال فأبى ، فقطعا رأسه ورمياه من الشباك وخلا الميدان مرة أخرى .

أمر ..

وطر محمد على فاداً باشا ثالث مار تنصر فى طريقه إلى المدينة المورة .. فلم لا يقام وإيا .. لم لا يوصع فى الآتون حتى يُخرج من أمره .. وهكذا أقيم أحمد باشا وإيا ..

لا شك أن محمد على كان يعمل جادا فى هذه الأيام .. كان يعرف عرفان الواثق أنه لابد لهذه العوصى من آخر . لا ماص من القضاء على كل عاصرها حتى تبدأ الحال وتعود الأمور إلى مجاريها ، هؤلاء هم ولأه اسلطان وجوده متروكون لبعضهم . كذا أكل الجود باشا قدم إبيهم باشا آخر .. فلا يلتون أن يأكلوه .. لا بد أن ينتهى الشاواب يوما من الأيام فحلوا الحو أمام غيرهم .

محمد على والسادات

بقى إميليك تنصرا فويا مهاب الخاب ، فكان لا مفر من اتقاء شرهم والسكيد لهم . كانت أول الخففت التى تبدأ بها سلسلة الحوادث التى أسست بقصه على اسطه « هى ثورة اللاسايين انى أشربا إليها والتي أسست بمنقل طاهر « باشا ، فم يكند المماسك يتسامعون سالك حتى فغزوا إلى الميدان ، ووجد محمد على أنهم سيصبحون أصحاب السلطة

وأولى الأمر . فأسرع وبسط لهم يده ، وحالهم ليتق شرهم من ناجية وليدبر لهم من ناحية أخرى ، « كانت خطوة جريئة ، لأن المماليك كانوا عصاة في نظر الباب العالي وكان الباشا الشرعى (وهو حشرو وكان في ذلك الحين في دمياط مد هروبه من القاهرة) مارال في البلاد ، فكان (محمد على) ماهرا كل المهارة في الرشد في كل مطهر غير شرعى والمساهمة بصيب كبير في النظام الجديد » (١)

وأراد المماليك أن يتنهزوا هذه الفرصة ليصبحوا أصحاب الأمر وانتهى في البلاد ، ولم يكن يرصهم بطبيعة الحال أن يظلوا على هذه الحال من التفرق خارج القاهرة فدبروا هجوما عليها . يطردون به الوالى التركى أو يقتلونه فيخلو لهم الجو . ومن ثم دخل المماليك من الخيرة وعلى رأسهم الريدسى واراھيم بك فأسرع أحد باشا الحرب ، فلم تدم ولايته أكثر من يوم و ليلة . وهت الاسكشارية لمقاومة المماليك ، فوجد محمد على الفرصة سانحة لتجريد الولاة الأتراك من قوتهم . وهم الاسكشارية فعاون المماليك على التخلص منهم ، فطردوا من القاهرة وبادى المبادئ في ربيع البلد . بالامان حسب ما رسم اراھيم بك حاكم الولاية وأعد بنا محمد على .

أعد بنا محمد على

ولكن محمد على وجد أنه سار في الأمر إلى أبعاد مما ينبغي . لم تكن الخشية من السلطان هي التى حصرته إلى الانزواء بعض الشيء . وإنما كان يعلم حق العلم أى مكان يكمن تحت قدمى حاكم البلاد . لقد أعلل ليه صديقه عمر مكرم أن الثورة تعلى في القوس وأن المصريين قد زاد بهم غيت العائش . واهم سيحطون إلى الامام يوما ما ويفتكون بكل من يحدوه أمامهم واليا كان أو مملوكا . ورأى محمد على أن يتراجع بعض الشيء ، حتى إذا انمحرا التركات بها من ثورته . ثم خطا مع الداخلين .

الامام من غير
مكرم ومحمد على

بدأ حكم السكوات بما يندأ به حكمهم عادة . بالظلم والصرائب .
وارهاق الناس . فبدأت بذلك سلسلة الحوادث السريعة المعاقبة التي
انتهت بالثورة المصرية وولاية محمد علي .

هجرة الأتلي

في هذه الأثناء تسامع البرديسي ومحمد علي بعودة الأتلي من رحلته
إلى إنجلترا . « وقد كانت حداثته وعوده إلى إنجلترا ،
وكان مد زمن بعيد مخلصاً لهم دون تحفظ . يتبع آراءهم ولا ينصت
إلا لنصائحهم (١) » وكانت هذه الرحلة قد انحلت عن معاهدة سرية بينه
وبينهم تقتضي بأن يكون لانجلترا الحق في احتلال مواقي "البحرين الأبيص"
والأخر في حالة ما إذا أصبح المالك أصحاب السلطة في البلاد ، وكانت الوزارة
الانجليزية تدافع بقوة عن قضية ناصحها "الأبني" أمام آيات اعلالي (٢) .
يؤيد الأستاذ الراقعي هذا الرأي وأن كانت الحقائق لا تدل على صدقه
فقد كان الأتلي مواعر الصدر على الانحياز لأنهم « قد عرفوا بلاده
ويعلم لو أعيناهم » وكان قد أحس أنهم لا يهتدون به الخير الكثير فعاد
وفي نفسه سخط عليهم . ذلك هو رأي السيد الكسندر بول مدون
انجلترا في مآلظه . انهى قال عن الأتلي انه « شرير محزون ، ربما أصبح
عدواً لانجلترا » ولكن إنجلترا رأب أن تستعيد منه فسعت ليكون
بينه وبينها مخالفة أو ما يشبه لمخالفة لأنها كانت تعرف - على حد ما -
مدى سلطان هذا الرجل ومقدار ما كان يستطيع من الأعمال .

عوده إلى مصر من
رحلته إلى إنجلترا

عاد الأتلي من ريارته العربية إلى لندن . وألقت به السفينة
الانجليزية على شاطئ مصر بعد أن استراح في انحصار فترة قصيرة من
الرمس ، وكان قد رحل إليها مع الخير السيوت ، لاندعوه من الحكومة

(١) Meng n : L'Egypte sous Mohamed Aly' P' 25

من نشأة الأسرة المصرية ، ص ٢١٩

(٢) Nauroz : Histoire de Mohamed Aly' P' 242

عن نفس الصدر الثاني ، ص ٢١٩

البريطانية او ترحيب منها . وكان ستوارت ، قد تخوف من زيارته
فأنزله في مالهة فترة من الزمن حتى يعرف رأى حكومته في هذه
الزيارة ، ثم سمح له بعد ذلك بالذهاب إلى إنجلترا فوصل لندن في
أكتوبر سنة ١٨٠٣ (١) . فأنارت زيارته قلقاً كثيراً في تركيا وإنجلترا ،
فأما الأتراك فقد أوجسوا شراً . وخافوا أن يكون لهذه الزيارة
معنى سياسى ، فسارع الانجليز وأكدوا لهم أنهم لن يقلعوا من الأذى
شيئاً فيه صرر على الدولة العثمانية ، وأكد الأتلى بمسه ذلك ، لأنه كان
يخش أن الدولة لن ترعى عن زيارته ، ولن تكف ساعة للإبقاء به
والخلاص منه ، وكان يبنى به في واقع الأمر مكب ود
الانجليز وحسن ظهم ، بل استصاع في لحظة ما ، أن يشعل نال نهر من
الساسة الانجليز فوضعوا المسألة المصرية موضع الدرس والتفكير ،
ولكنهم عادوا ففقدوا المصاعب التى تعترض تعيين أى مشروع
للتدخل في المسألة المصرية ، وفقدوا نصب امرئيين وسخط
الأتراك والمشاكل العديدة التى تنشأ عن ذلك . فكفروا عن العناية
بالألى ولم يستمعوا له ، ولم يفكروا في معاونته جدياً . ولعل
الحكومة الانجليزية لم تكن تحقق سلبه ولا على زيارته أملاً كبيراً ،
لأنها لم تكن بحاجة إلى رأى منه أو وعد من مماليكه ، إذ كانت
تعرف تمام المعرفة أنه ان كان هناك خبر في التعاون معه ، فهى قادرة على
الحصول على معاونته وهو في مصر نفسها ولا حاجة لوجوده بلدى ، أما هو
فكان يؤمل في الحكومة البريطانية أملأ عريصاً ، وكان يعنى النفس بجيش
قوى ومال طائل يفتق منه . حتى يستطع القضاء على الأتراك والسيادة
على أعدائه من مماليك البرديسى . فترددت الحكومة البريطانية تردداً
طويلاً في إجابته إلى مطالبه ، وحيث آماله بعد آخر الأمر بحر أديال

حول الأتراك
من هذه الزارة

الانجليز ، لأنهم

لأنهم ولا

الحية ، وقد أخطأ كثير من المؤرخين في معنى هذه الريادة وتأويلها
وعلقوا عليها نتائج كثيرة ليس من الانصاف أن نسب لها ، اده من
الواجب علاج هذه المسألة بشئ من التفصيل لأنها كانت أساساً لأغرب
الآراء والمذاهب . فذهب منحا — وأخذ عنه كل مؤرخي محمد على
الدين أنوا بعد ذلك — إلى أن الألفى « حدثه وعود الانجليز فذهب
إلى احتلنا . وكان — مد حين محلاً لهم إلى غير حد ، متبعاً آراءهم
عاملاً بصانحهم » . والواقع أن الك استقلال بالترحاب في مادي
الامر ، ثم أهمل امهلاً تاماً . ولكن الامر تغير حينما وردت الأجبار
مدخول المعاليك القاهرة ، فأصبح الألفى مرة أخرى موضع الرعاية
وفتحت له الحسابات ... الخ . وأقام الرجن ما أراد الله له المقام في
بلاد الانجليز ، ثم عاد منها صغر الدين لا بعريه وعد أو أمل . . عاد
ليأبى على شاطئ مصر في سكون كما ذكرنا ، فلا تكاد قدمه تمس ترى
مصر حتى يسرع بالاحفاء « لأن الأوامر بقتله كانت قد انتشرت
في كل مكان » كما يقول الخبر في .

قال دسوقي : عاده
ذمى

أوجس البرديسى — بن محمد على — حيفة من هذا القادم الجديد
لأنه كان رجلاً متمسكاً بشديد الدكاء « وهو آخر من أدركنا
من الأمراء المصريين شهامة وصراحة وطرّاً في عواقب الأمور ،
وكان وحيداً في نفسه فريداً في أساء حقه ، وموته اصمحت دولتهم
وتهرمت جمعيتهم واسكربت شوكتهم ، وراد تفرقهم ، ومار الوافى
نقص وادار ودلة وهوان وصغار ، ولم تقم لهم بعده راية واقصوا
وطردوا إلى أقصى البلاد في النهاية » كما يقول الخبر في . وكان الألفى
محماً إلى الناس لشهامته وهروسيه وبعديته في الشجاعة ولما له من
المهنة الشخصية ، وكان الخبر في يحبه ويقدره تقديراً عظيماً ، وقد احتضنه

راءه من
لا

برثاء طويل حزين تشعر فيه محبة لهذا المملوك القوى المهاب ، ولعل ذلك راجع إلى أن الاثنين كانا يكرهان البرديسي أشد الكراهية ويشتركان في الميل إلى علم الملك كما يقول الأستاذ غرنال .

لهذا سارع البرديسي في إبعاد الرجال لقتل منافسه ، ولعل محمد علي هو الذي دفعه إلى أن يهاجى "الألى" هذه العداوة الشديدة دون تريث أو اضرار ، فلم يجد الرجل بداً من أن يهجم على وجهه وبطل محتماً فترة طويلة من الزمن .

البرديسي حاكم
بأمره

بهذا حسب البرديسي أن الجو قد حله وأن أمور مصر انتهت بحمد الله إلى يديه الكرسيين ، وكان إلى جانبه هذا الرجل انقوى الواسع لدهن يدرله نهايته صاراً متشداً ، وكان هو — أى البرديسي — لا يكاد يعطى إلى قوة محمد علي ولا يلقى إلى تديره بالاً . فهل على محمد علي الإيقاع به والخلاص منه .

ها ندأ سلسلة الحوادث المتعاقبة التي تنهى في أقل من عامين بولاية محمد علي واستقرار أمور البلاد ، وحلاصها من هذه العوصى التي طلت تسودها طوال الأعوام الماضية ، إذ لم يكن من المعقول أن يصمو الجو إلا إذا رالت عوامل الفساد والاضطراب وهي المماليك والآثرانك ، وحلت محلها عناصر جديدة تحس القيام بالأمور ، وتعمل جادة مختصة ، لا تساووم ولا تعث ، ولا تنبع البلاد بدراهم معدودات ، هذه العوامل الجديدة هي العنصر المصري الذي تنمى تطوره نحو القوة في شيء من التفصيل . ثم محمد علي الذي سيوجه نشاط هذا العنصر ويحسن الاستعانة به على أحسن وجه يكون . هذه الحوادث التي تنتهى إلى الثورة المصرية ، التي كانت الكسب الوحيد الذي يعزى المسلمين عن الخسائر المتواترة التي تعاقبت على بلاد اشرق الاسلامى في هذا القرن العصيب .

الدور الذي سبه
محمد علي

ونحب أن نعلق هنا على ما تجمع عليه انكثرة العابة من أن محمد علي
كاد روح الحركة وعمادها طوال هذه الأيام ، وأن كل خطوة أو حركة
لا بد أن يكون له فيها أصع وأثر . تلك مبالغة لا معنى لها ولا تضيف
إلى عظمة الرجل شيئاً كثيراً . لأن عظمته الحقيقية إنما تتجلى في سياسته
وإدارته بعد أن أصبح والياً لمصر . أما صراعه للوصول إلى السلطة
ومناورات التي قام بها لبلوغ هذه العابة ، فأمر متوارد كثير الحدوث في
التواريخ الشرقية . وقصارى ما يقال في ذلك أن الرجل أحسن إتهار
الحرص وأحكم سياستها . وحرص أشد الحرص على أن لا تفت منه
الثمرة آخر الأمر . ولكنه لم يكن كل شيء . كانت إلى جانبه قوى
أخرى تشد أزره وتعاونونه وإذا كان له أثر محسوس في توجيه الحوادث
في هذه الأيام فلم يكن ذلك لأنه كان محمد علي فقط ولا لأنه كان قائد
الأتاليين . بل لأنه كان حليف المصريين .

ويس بعرب أنه أصبح والياً لأن خسرو وطهر واحمد وعلي
الجزائري ثم خسرو مرة أخرى ثم حور شيد أصبحوا ولاية دون
مشقة . لم يبق في البلاد بشا تركي : ماراً في الطريق أو والياً على
الاسكندرية أو سنجيا إلا أصبح وائياً . فلم لا يصح محمد علي وهو التركي
الوحيد الذي بقي في البلاد ، إذا كان كل هؤلاء قد أصبحوا ولاية فالدولة
على مصر دون أن يحتاجوا النوع هذا المنصب إلى عقره خاصة أو تدبير
واسع كان يكفي أن يكون المرء تركياً وقائداً للمر من الأتراك حتى يصح
واياً على مصر في تلك الأيام . ودا كانت لمحمد علي سياسة خاصة تدكر ،
وهي حذره الشديد وتزيهه بطوين حتى تتم تصفية جميع القوى المؤثرة
في انقيصه المصرية حتى إذا انتهت تقدم في كثير من انفة والاطمئنان .
فإذا كانت ولاية محمد علي أمراً عادياً لا يهترق في كثير من
ولاية غيره من الباشاوات الأتراك . فما ميرته عليهم ، ولماذا استنصاع
الأتاليات في حيث مروا ، والصر في حيث أسهرمو ؟

لم يكن هو وحده قائد الجند الأتراك ، فقد كان طاهر باشا — وهو أشهر ولاية هذه الفترة — قائداً لهؤلاء الخوذة . بل كانت قيادته لهم سبباً في فشله وقلته والقضاء رأسه لجنوده ١ .

ولم يكن ذلك لأمر فرسا اصطفت من بين القائمين بالأمر في القاهرة ، لأنها وجدت فيه رجل الساعة أولان الميودلسس ارتأى فيه الرجل القادر على قيادة الأمور والخروج بالبلاد عما هي فيه . ليس في هذا الرعم ظل من الحق ، ولا ريب في أن مؤرخ أسرة دلسس كان محطناً حين قال عن مهمة الميودلسس حينما وصل القاهرة في سنة ١٨٠٣ :

" Il fut le premier instrument de l'élévation de Mehemet Aly. Il avait pour mission de chercher en Egypte un homme de caractère, capable de rétablir l'ordre en s'élevant (au dessus des Mamélukes contra reo à la politique française). Il avait distingué et signalé a son gouvernement Mehemet Ali qui était colonel " . (١)

هذا زعم باطل تنفيه المراسلات الرسمية الباقية من هذه الفترة ، يد في هذا الطرف بالنسبة كان تاليران وزير الخارجية الفرنسية يشدد في التنبيه على المواطن دلسس بأن يتعد عن كل نزاع ويتجنب أي تدخل في شئون البلاد .

" que le citoyen Lesseps apporte dans sa conduite et ses démarches auprès du chef délégué par la porte toute la sagesse et la circonspection dont il est capable. Il s'applique à se concilier son estime et sa confiance en évitant toutefois de s'immiscer dans les querelles des deux parties " . (٢)

(١) آخرنا أن ثبت هذا النص كما هو بدون ترجمة لاسميه عن :

Bridier : Une Famille française, p. 129.

عن ثمة المصنف المصري ، ص ٢١٢ (٢) من المصنف

هل لمرسا أثر
في ولاية محمد علي

كذب هذه الدعوة

مرسا بأمر
سعيها بمحو الالة
الاراك

لم يكن دلسس إحد مكلفاً بالبحث عن رجل يعهد إليه لشئون البلاد . وإنما كان مكلفاً رسمياً بالتودد إلى الوالى التركى واحترامه ومعاملته المعاملة اللائقة بمقامه السياسى . والبعد عن الممازعات وعدم التدخل فى الأمور . . .

تحالف ماريو دلسس
مع المماليك

وكانت تصرفات دلسس كلها لا يدل على أنه كان يسعى - ولو بصفة شخصية - إلى ادراك هذه الغاية . فقد حالف المماليك غداة وصل القاهرة واحتلوا به احتلالاً جليلاً . وقد لث على هذا فترة عجز بعدها تماماً عن التدخل بأى سبيل . وتساءل فى حيرة : « إلى أى الواسى يستطيع مثل دولة أجنبية أن ينضم فى وسط هذه المذاهب المتباينة » . بل كان يشكو طول الوقت من قصر بابه وقلة موارده . كان يطر بحسد إلى المستر مستند مندوب إنجلترا الذى تمده حكومته بما عسى أن يحتاجه من المال . وبعد أن يش تماماً من المال ، انشأ يوزع الخمر كفاً على على الألبان والمماليك لكي يعترفوا بوجوده على أقل تقدير .

رايت المواطن الماهر وفق فى هذا . لقد فشل وتخرج موقعه وخرج الأمر من يده تماماً . وسارت الأمور فى مجراها وهو يرقبها دون أن يكون له أى أثر . بل لديها ما يؤيد أنه كان لا يرتاح لمحمد على ولا يرى فيه شيئاً يستحق الذكر ، واليك رأيه فيه من خطاب أرسله لحكومته : « ان محمد على رئيس الألبان يطلب حماية فرنسا وتوسطها لدى الباب العالي (١) وأؤكد لكم مقبداً أن مشروعه ليس أكثر من خيال . وأنه يرجو أن يصبح السيد الأعلى . ولكن على الرغم من أن هذا الرجل أقل وحشية من بطرائه ، فإنه منضم لنا فيما يظهر ، ولا

رأى دلسس
في محمد على

(١) وهذه عبارة له معها ودلالاتها على تصرفات محمد على من ارتدائه الولاية والوسائل التي كان يتخذها للوع ذلك ، وهو - من غير وجهه - لا يكاد يختلف عما كان يصلة المماليك من تدبذب بين الفرنسيين والآنجليز وحذو دائم من الأتراك .

أعتقد أن لديه القدرة على ترسيم مشروع لهذا السيل واكتشاف الوسائل لتحقيقه (١) « وهل كان دلسبس في حال تسمح له بالتدبير ورسم الخطط ، لعلنا نطلبه هذا الزعم اذا كان الرجل مسكيا لا يكاد يقف على قدميه ، وقد كاد يعجز تماما عن الدفاع عن نفسه ، وقد اعترف هو بذلك فقال « إن ما بذلته من التضحيات لاصلاح ما بيني وبين رؤساء الالبان قد أنقذني الى الآن » الى الان فقط . أما بعد ذلك فلا قدرة له على المقاومة أو الثبات . أما التضحيات التي أشار اليها ، فهي — كما يقول الأستاذ عربال — الخمر التي كان ينفقها دون حساب . بل كان الرجل غير ان يأكل قلة الحسد لما وفق اليه مستندوب الجبلت را بمصل ما لديه من مال « ليس لدى مع الأسف ما أعطيه و الجبلت را تبعثر الذهب والهدايا ... » (٢)

بل كلما استعصب الطرف واقترت الثورة كلما فكر الرجل — أي مدوب فرنسا الذي أرسل الى مصر لاختيار رجل الساعة في الرحيل — حتى اذا تخرج الأمر وأنفرت بوادر الأحوال بثورة المصريين على المماليك — وهي أول موقف حاسم ظهر فيه محمد علي — جمع الرجل متاعه ورحل الى الاسكندرية نارا كمرشحه بنقد نفسه ان استطاع . تخرج فرنسا اذن من الميدان ، لم يكن لها في ولايه محمد علي يد بل لم تكن ترضى بهذا التعيين .

إذن لماذا انتصر محمد علي .. ولماذا ثبت ؟ .

لأنه كان مرشح المصريين و صديقهم .
واليك التفصيل :

(١) من سجلات الدلسبس الى نالير ، ص ٢٢ مراد منه ١٨٠٤

عن نقابة المسألة المصرية ، ص ٣٢٢

(٢) If republican poverty prevented him from scattering gold, republican virtue did not scruple at the use of liquor.

ليس بأس

سبب من
الاسكندرية

رأى الأنا
الارض

يبالغ الأستاذ الجليل الراضى فى تقدير حالة المصريين المعنوية ،
ويذهب الى اهم لم يكونوا أقل من الفرنسيين الذين قاموا بالثورة
المعروفة ، وسى أن ثورة فرنسا كانت لها مقدمات بعيدة مهدت
الطريق للفرنسيين حتى وصلوا إلى حالة معنوية قوية جداً ، كان
الكتاب والعلاصة قد ملأوا الارض بأراء الحرية والمساواة وحقوق
الإنسان ، وأما صوابي محمد وسائونو إليه الأدهان ، وسى أنه كانت هناك
طوائف كثيرة من المنعدين تعلماً مدبياً فى القانون والآداب والفلسفة
وما إلى ذلك . وأولئك هم الذين قادوا الثورة وأشعلوا بيراتها وأفاصوا
عليها هذا النألق الخالد الذى يحبطها فى صحائف التاريخ . ثم كان فى الأمة
جيش وطنى ، مهما تكن حالته المعنوية فهو جيش على أى حال . .
ولقيام الجندية فى الشعوب أثر اجتماعى معروف . . وللجنود القدماى
فى الثورة الفرنسية أثرهم الذى لا يمحى . . أما فى مصر فلم يكن هناك
إلا عمر مكرم وطائفة قليلة تفهم الأمور حتى الفهم وتجرو على الثورة
والمهاضنة ، وهو — أى عمر — بعد ذلك كله ، عالم لا تميل نفسه إلى
السياسة ولا يرحو السلطان ولا المنصب . بل انه كان اسلامى التمسك
لا يكاد يرى الأمان إلا فى طلال السلطان ولا يتصور الانفصال
عه . . بل هو ما راد فى ثورته على أن خلع والياً تركياً وأقام مقامه
والياً تركياً آخر ، وهذا لا يتناقى مع ما دهناء إليه فى تحليل فكره
السياسى ، لأن ما ذكرناه كان يدور فى ذهنه أما عواطفه فقد طلت
اسلامية إلى النهاية ، وكانت عواطفه — كما ذكرنا — أغلب
من رأيه .

هل الثورة المصرية
تقتضى الثورة
العربية

لحذر إذن المبالغة فى هذا التقدير ، ولعرف أن المصريين لم يكونوا
يطلبون الحرية والاستقلال كما نفهمهما الآن . وإنما رفع المطالبات وتحميض
الضرائب وأعاد الممالك والآلات وهدوء الأحوال . بل عمر نفسه

لم يكن يرجو أكثر من ذلك . ولم يكن يعرف الاستقلال والحرية كما نهما نحن اليوم ، أو لطوف تحله أن يرفع المصريين إلى مراتب الحكم وأصحاب الأمر واسمى في البلاد

مكتب السيد محمد
السي

ولندكر إلى جانب ذلك أن السيد عمر لم يكن يسعى للرئاسة أو الحكومة وإن استحقهما ، ولم يبرء وحده بذلك لعمه نفسه بل كان مثله فيه كمش كل الوجهاء ودوى ايسار و سطوة من أهل البلاد مهما بلغت مقامهم وتراعى ضمورهم . ولم يكن أحد منهم يفسر في أن يتولى نفسه حكومة البلاد . بل كان أقصى آمانيهم أن يتفروا إلى أولى الأمر وأن يحطوا اسمهم بالمعطف والمرتبة والرسالة على أي لون من الألوان . وتلك طبيعة طبيعة للوضع السياسي الذي وجد الشعب المصري نفسه عليه في ظل الحكومات التي تواترت عليه من قديم الزمان ، إذ اصعب فيه ثمة نفسه وجهله يخشى المسؤولية ولا يقدر على إعطاء الحكم ، فيكتفى بأن يكله إلى غيره من الأحرار ويتولى هو المعاونة والمساعدة ، وهذا ما سيمر به عمر مكرم . ولم يكن ليقتضيه إلا أن يمسك الصولجان كما بهولون . ولكنه رث الأمر طواعية لمحمد على وسلبه كل مقومات الحكم . كأنه كان يشعر في نفسه أنه غير كفء له ولا قادر عليه . واستمر يدونه سنوات طويلة ، وهو يعلم العلم كله أن لا نقاء لمحمد على إلا تحلى هو عن نصرته . ولكن نفسه لم تتطلع إلى الحكم أو مركز الولاية .

حالة المصريين
المعروفة

فاختار المصريين لمحمد على للولاية لا يسمى تصوجاً سياسياً ، ولا يعتبر دليلاً على إحسان الشعب نفسه أو فهمه أن من حقه أن يحير حاكمه ويراقب أعماله . فكل تلك أمور سيدركها شعب المصري بعد حين — بعد أن يرتقى تفكيره السياسي ويرداد إحساسه نفسه — أما في هذه الأيام فلم يكن المصريون ليظنون إلا حاكماً صالحاً قديراً على

نشر العدل وفضع دابر للصوفى و"العائدين" لأمن ، فادوا وجدوه م يكن
 هم بعد ذلك مطمح ولا سادة . ولا تصح الاعتراض على ذلك أن
 المصريين كرهوا حكم "سيور" الزعيم من أنه كان أصلياً من حكم المليك ،
 لأنهم إنما كرهوا "سيور" بعونه منهم له يديه لا لسياسيه ، ولا يعترض
 عليه كذلك بأنهم كرهوا محمداً عبداً بعد حين . فقد كانت تلك الكراهية
 لأسباب أخرى سيرة تفصيلها بعد قليل .

يبد لنا يدهى أن ملاحظ أمر آخر على جانب من احصورة
 . الأهمه . وهو أن الشعب المصرى كان قد وصل فى تلك الأيام إلى
 حده من اليقظ ايمهى والاحساس بالفساد حذرة ، تأمل والاعتبار ،
 ولو قد ررق الشعب رجلاً قادراً يستطيع لاستعادة من تلك "قطعة"
 لأفادتها فائده عظمى ، ولخطت البلاد فى سبيل التقدم لسياسى خطوات
 سريعة واسعة نحو الشعور الكبير والوطنى ، ذلك أن الشعور والجماعات
 لخطات من "الاشراق" تتفتح فيها عيونهم وهوسها . فلهذا نرى
 المذمة وحسبها ونحس "الاشراق" يكبها من خطر ، ويتصرف
 من سببها انصرف الوجب . وتلك هى اللخطات الخاصة فى
 توارىح الأمم ، اللخصب "نسى" هاهنا بعد ما ، وربما تنسى اشعوب
 إلى تلك الحالة فى لخطات الخراج والحق والاحساس لعدم الخضر
 على الارواح والأدراك ويكون حساسها الخطر المقبل منهم عوطفهم
 انتم . تلك هى الحالة أى أدركها اليهود قبل سلاميس . والمسلمون
 قبل بدر والمسيحيون قبل بواتيه والفرنسيون قبل فى ، لخصات تنسى
 اشعوب فيها نفسها ، فبأنى عمالم تكن مستطيعه فى لخطات أخرى
 ، صعايق بعده وفى قياده أمم التقدم . ولو قد كان شعب مصر فى هذه
 الأيام قادمه محكمون يحكمون توجيهه لحب البلاد من ذلك أعظم الخير ،
 ولأدركت فى ذلك الحين درجة من التقدم السياسى لى تتركها إلا بعد

أن أحسن تعدد والخبانة من حدوده ومواطنه من الألمان إذ تهددوه
بالثورة ويمردوا عليه كثيراً . وقد أحسن أن السيد عمر مرتاح إليه
وأنه يرشحه للولاية عرف أن هؤلاء المصريين هم خير من يعول عليهم
لأدراك عاقبته ، وأحسن بمطربة الهاذية مدى ما يستطيعون من عمل
في هذه الأيام .

بدأت المعركة الحاسمة في أواخر فبراير سنة ١٨٧٤ ، إذ بدأ السيد
عمر ومن معه من أهل مصر يربطون انعقة الأولى التي تعترض مجدا
علياً وهي الماليك الذين كانوا يدعون الحق في حكومة مصر ويسعون
لذلك عن أى سبيل . لا يستحيون أن يتوسلوا لذلك بالانحياز
أو الفرنسيين . وكانت زعامتهم قد انتهت في ذلك الحين إلى لردبسى
الذى أصبح شبه حاكم على مصر بعد أن تخلص من الألفى وشرده في
بواحي البلاد . وأراد لردبسى أن يعضى على مش ما كان عليه سابقوه من
فرض الضرائب والانتقال على الناس . فلم يكف يفعل ذلك
حتى هب الناس في وجهه ، وأعلنوا عليه الثورة والهباح ، وأدركهم
من ذلك أس شامل وكمد مقيم ، فلبسوا السواد ولبحت النساء ، كأنما
أصبح الناس حيل ذلك الأمر كأنهم حبال قدر طلم لا حيلة لهم فيه ،
وتحمسوا وساروا إلى دار لردبسى يهتفون به « إيش تاحد من
تقليسى ياردبسى » وأحسن ضد الألمان حرج الموقف وحافوا على
أوراقهم فوثقوا يعقدون الحاصر مع المصريين ، فوجد لردبسى
نفسه بين نارين : نار الجمهور الساحط ونار مدافع الألمان ، فعجز
بالهرب من القاهرة . وتبعه عامه أمراء الماليك في فرع لا يوصف
وتفرق جمعه وجمعهم في الصحراء أو الأرياف . وكانت سقطلة حكم
الأمراء هذه المدة آخر عهدهم بحكم البلاد ، فاسهم لم يدخلوا القاهرة بعد
ذلك حكماً ، بل مازالوا يحاولون ويعجزون حتى قضى عليهم محمد على

بدر المعركة :
هزيمة الماليك

انقضاء الأخير بعد ذلك تسع سنوات^(١) وبذلك قرر أهل مصر مصير الممالك وأخرجوهم من الميادين فدللت العمقة الأولى التي كانت تعترض محمد علي .

المعروف بمرور
جهنم في حد
كم

هنا يبدأ الدور الثاني من المعركة : وكان العدو هذه المرة هم الأتراك أنفسهم ، فقد استبان الشعب أنه لاصلاح لأمور مصر معهم ، إذ أرادوا من أول الأمر أن يرغموا لوالى البركى على أن يحسن السيرة فيهم وصبروا لذلك صبر طويلا . فلما يشؤوا انعقد غريمهم على الخلاص منه واستندان غيره به ، فلم يجدوا الجديد حيرا من القديم . ومن ثم عولوا على أن يختاروا هم بأنفسهم بعد أن أياهم السلطان بسوء الاختيار . كان الوالى في هذه الأيام هو حورشيد باشا وكانت الأخطار قد أحدثت به من كل جانب . إذ أحاطت بالممالك بالقاهرة وحصروها حصرا شديدا وأقلب عليه جند الآلاف ، فلجأ إلى القاهرة لين يطلب انبهم أن يماؤوه على أعدائه فأبوا ورفضوا أن يدلوا له المال الذى طلب . فأسقط في يده وجعل يستصرح الدولة : أن تبعث إليه جندا حديدا يبحر به من الحرج الذى صار إليه . وارتدات الأحوال حرجا مدحج إذ يمر منه رؤساء الجند من أمثال محمد علي وصادق أغا وصار ينحرفهم أكثر ، كان يتخوف أمراء الممالك ، وأصبح أماله معلقة بالحداب التى تبت بطلنها من الدولة ، وباليه ما انتظر . . فقد كان وصول هذه الحداب صعبا على إباله . إذ لم يكونوا غير شرادم من الأجلاف وخصوص جمعهم له الدولة من بواحي انشام وآسيا الصغرى وحصت هم مصر فكانوا كالفدى استقر في عيها . إذ انصرفوا للسلب وانهم فرادت ثورة الناس واشتد هياحهم وأصبح العداء بينهم وبين ممثلى السلطان عداء واصحا صريحا . وأحسن قواد

الألب أن حورشيد لا ريد من مؤلا، لجنود لا كمر شوكة من تحته
 نفسه بالمعارضة منهم، فالتحدث غايتهم مع أية المصريين وبدأ الاثنان
 بعملان متعارين، وشعر حورشيد بذلك فحسب أن يهرق شمن
 الخليقين وسعى لنقل محمد علي من مصر، واستطاع أن يستصدر من
 الدولة فرمانا بتعيين محمد علي وإيا علي حده، وإلكه خدم محمد عليا بذلك
 خدمة كبرى من حيث لا يشعر، إذ أصبح محمد علي من باشوات الدولة
 جديرًا بولاية أمور البلاد، ولم يكن لمصريون يصكروا في إرعام
 الدولة على قائمه، بل لو لم سطوع حورشيد بالنسبة لرفعه إلى مرتبة
 لولاية الباشوات، إذ ما دام محمد علي حديرًا بحكم حده، فهو أولى
 أن يبقى في مصر ليكون حاكمًا عليها» (١)

بين محمد علي وال
 علي حده

وكان محمد علي لا يرى صيرته في ذلك، فهو وإن على حده وليس
 هناك ما يمنع من نقله إلى مصر، ومن ثم صرح صاحبه عمر مكرم
 بذلك واتفق الاثنان عليه وأخذه السيد عمر لأصحابه وأساتعته فلقى
 من موسمهم موقع الرضا، ولم يلبث العدة أن بادوا به حاكمًا،
 واحتفل الجميع بتعيينه احتفالاً شعبياً حميلاً لا يمحى من مظاهر شى
 يدل على سمو الشعب وشعوره بقدر عه وفروحه بالانتصار الجري
 على السلطان ابركي في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥

المصريون يولون
 محمد علي حكرته
 مصر: ١٣ مايو
 ١٨٠٥

أشأت هذه الحركة في مصر موقفاً شاذاً، فقد أصبح في البلاد
 عاملان مركبان، أحدهما مع من قبل السلطان والآخر مع من برعية
 سواد أهل مصر، وبذلك هي المرة الأولى التي يستطيع أحد انشعوب
 الاسلاميه أن يشور على الخلافة ثورة معقولة منتظمة، فقد حرت العادة
 قلا بقس الحاكم أو طرده ولاعداد عليه، فيعد هذا حروجا صريحا
 على السلطان، أما آل مصر فقد اكتبوا بإقامة حاكمهم الذي

ار تصوه وتركوا عمل السلطان يعين ما يريد محصا في القلعة . ثم
مشوا إلى اسطوان يصبون اليه شبت الحاكم يدى ارتصوا ولم يفعلوا
ذلك حيانة ولا خوفا وإيما حكمه وقدره .^(١) وبعثوا ينتظرون رأى
السلطان وهم على أحر من الخمر وعلى تمام الآهة لتست اختيارهم
بقوة سواعدهم .

يبدأ أن حورشيد لم يبرق من انصر ما يجبه على انتظار رأى
السلطان . فلم يلبث أن ملكه العصب وعج هول ما رأى : رعية
تختار حاكمها وتعزل حاكم اسطوان ! وانكار اليه نهر من جنده
وأخذ يستعد للمضاء على هذه الحركة ورأسها السد عمر ، وهما يبدأ
القسم الثانى من المعركة الحامية انى أنتت فيها آل مصر أهم
مسمكون برأيهم أشد الاسماء ، وأهم مستعدون للباقة دونه ،
والدبل فى سبيله . وانه لمن المعجب أن تصور شعب مصر وقد
حمل شتى أنواع الأسلحة من العصى والهاوى العبيطه (الباييت)
والساق والسيوف والخناجر ، وهم وقوف جماعات فى شبه
صفوف الجنود ، وقد أقاموا من بينهم نساء وعرفاء يأمررون بأمرهم
ويطيعونهم ويقومون على إهاد ما يلقونه . لهم من الخطط ، وهم بين
ناحر وصانع ومخترق بحرفه أو صاحب مهة ونفوسهم مضطربة
بالأمل الجديد الذى طلع عليهم ، يعثرون أنفسهم يقيمون ساء استقلالهم
أنفسهم ويشترى حريتهم بدماهم^(٢) . وقد وقف جند محمد على
إلى حب المصريين فى هذه المعركة . ولكن أى وقوف : وقوف
الأحصى المتهاون الذى لا يتردد فى التحول والاحادل لأنه الاسباب ،

سأل المصريين

(١) والغالب أن ذلك كان من ترميم محمد على نفسه

(٢) سيرة السيد عمر بكرم للاستاذ أم حدة من ١٤٥

وقد حدث أن تخفوا قائداً في هذه اللحظة العصبية وأخذوا يهاجمون أحلافهم المصريين حتى كاد بسقط في يد محمد علي ، لولا أن سارع عمر مكرم فشد عزمه وأمر المصريين بقتال الأتراك كأيام أعداء ، ولهذا لا يخطئ من يقول إن الـ مصر هم الدين ولوا محمد علي وحموا طهره وشدوا أزره ، ولو تخلوا عنه لحظة لانهيار بنيانه ، ولو وقفوا منه موقف مواطليه الأتراك لضاعت أيدى سدى ولغضى عنه في ذلك الحين ، إذ أن السيد عمر : « أقام معهم فرق حلت محل الجود الدين تخلوا عن أداء واجبه ، فأصبحت القلعة منذ اليوم السابع عشر من شهر يوبه ، وكل من حولها من انحصروا من أهل مصر وعامة سكان القاهرة ، ولا يدعى لنا أن يدعى أسماء بعض زعماء هذا الشعب السيل ، ولو كان هؤلاء من أفقر الطبقات وأضعفها ، ولترحم عليهم حائلين إياهم رمزا للجهل من أبطال تلك الثورة فقد خلعت لنا الأحبار أسماء حجاج الحضري وإسماعيل جوده وأن شعبة شيخ الجرارين (١) »

مكرم معوم الثورة

وطالت مدة الحصار واستأسد المصريون وأبلوا بلاء طيباً ، وحاول الأتراك أن يأخذوهم بالخيعة والخدعة فلم يوفقوا ، وبدت على بعض أرواد المصريين مظاهر الطولة والقدرة على الصل والصراع ، واقدّر السيد عمر مكرم على قيادته الناس قاده موفقة طيبة فكان حركة دائمة طوال هذه الأيام ، يتنقل بين أبواب القاهرة ويسرع من جماعة لجماعة يصدر الأوامر ويرسم الخطط ويدير الأمور تدير الرعيم الذي مارس الرعامة والقيادة ، واستمر الأمر على ذلك حتى استأنس السلطان من النصر على المصريين ، فلم يلبث أن أرسل إليهم فرماناً يقر اختيارهم ويثبت الباشا الذي طلبوا ، فكان وصوله فرحاً من حرج . وأحسن

المصريون يومئذ كيف يؤتى الشاب أكله . استقله انقاريون كلهم عن
نكرة أبيهم ، وساروا به هـ حتى بلغ منزل محمد علي باشا في الأريكة ،
وكان حجاج الخصرى يسير في طليعة الجمير وفي يده سيف مسلول
وابن شيمه إلى جواره تعلوهم علامات الاسباح والاعتداد بالنفس ،
وعرق المرسوم الذى يحمله الرسول على الساس هـ (١) فلا مدعة في
القول أن هذا اليوم العشر من ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ . ولثامن
عشر من يولييه سنة ١٨٠٥ يعتبر فاتحة هبة الشعب المصرى الحديث هـ
والنشارة الأولى لقطعة اشعوب الاسلامية في العصر الحديث .

وليس إلى الشك سدى في أن عمر كان يتصرف إزاءك عن شعور
وثيق بحق الأمم في تقويم الخاككم يد مال عن الهدى ، وأنه لم يكن
يفعل ما فعل حرياً وراء حاه أو مصب أو مال ، فسرى أنه كان طوال
حياته عروفاً عن المال راعداً في الحاه مصرفاً عن المناصب ، ولكنه
كان شديد التعلق بالمادى . يهملها حق فهمها ويرعاها حق رعايتها ،
ومصدق ذلك هذا الحديث الذى جرى منه وبين أحد أتباع حورشيد
باشا . إذ قال مدوب باشا : هـ كيف تتورون على من ولاه السلطان
عليكم . وقد قال الله تعالى : وأطعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى
الأمر منكم هـ : فأحاه السيد عمر حوايا يهمل منه أن الرجل كان يهمل
مهمة الخاككم حق انهم وعرف حقوق الرعة في الرفاة على الحكام .
إذ قال له : هـ ألا فاعلم أن أولى الأمر هم العلماء وحلة الشريعة والسلطان
العاقل : وهذا الخاككم الذى أرسلكم ما هو إلا رجل طالم خارج
على قانون البلاد وشريعته ، فقد كان لأهل مصر دائماً الحق في أن
يعزلوا الوالى إذا أساء ولم يرص الناس عنه ، على أنى لا أكتفى بذكر
ما جرت عليه عادة البلاد منذ الأرملة القديمة ، بل أذكر لك أن

ع. مكرم
أول الأحرار

السنن أو الخليفة منه إذا سار في نفس مسيرة الجور والظلم كان لهم عز له و جلعه وتذكيرة لعل على فضيلة ذلك لرجل و يمد به بمسئله وفهمه لحقه وواجه واستعداده لعل منه في سبل العدل وصالح الناس ، وهي وحدها دليل على أن السيد عمر لم يكن رجلا عاديا بل كان رعييا صدق منهم عربير الارادة . لا ينحس ولا يخاف ولا يتردد ، وإياه قد نفس الكثير من آراء الفرنسيين وأفاد منها . فليس في موروث الحكمة الاسلاميه السياسية ما يؤيد السيد عمر في موقفه ، ولم يحدث أدنى في أية دولة إسلامية أن حوطلت الحكام بهذه الفهجه الصادقه الواضحه الجديده بالاعجاب والبطر ، ولم يوجد من المسلمين من يصارح الخليفة بحق الرعيه في عزله إذا استبد أو أساء لم يعمل ذلك أحد في ظل أعنى الحكام وفي وجود أعظم اعداء ، فعمر يعبر هناك شعور حديد ورأى حديد ونفس متوثنة للحرية ، لا تكاد تخفى للوث أو تطلب لعافيه على مثال من يعرف من سروات المسلمين قبل ذلك ، فهذا المصري العربي بعد بلا نزاع أول الأحرار المسلمين ، وأولى بشرية لعث الحديد في أرض المؤمنين . ولبت عمر الكبي بذلك فما هو يعلن لمدوب الحاكم - أي مدوب السلطان - استعدادة للثورة قائلا بما يعاسكم لا أسكم عصاه قد حرحتم عن الحق وثرتم على القايون « فهو لا يخشى المجاهره بثورة ونصر عليه ، صرار المؤمن بما يعين الواثق من حقه في فعل ما فعل ، العالم بجرائر ما يأتي ، فليس هذا من المملوث المنحون العادر الذي يكره السلطان ولا يحسر على المجاهره ، والذي يتور ولا يحسر على المعاملة إلا في الضلام ، بل أين هذا من ورراء السلطان وعمه السراة والوجهاء في كافة بلاد المسلمين

سدا ما يلاحظ أمراً آخر . هو أن عمر لم يقل بحق الأمم في حكومه نفسها ولم يجز لفظ الحرية أو الاستقلال على لسانه بل كان يبحث عن الحاكم

اصالح فقط سواء أ كان تركياً أو شرقياً . وهذا أصدق دليل على أن فكره لم يكن يترعرع إلى الآفاق التي نعرفها نحن اليوم . وأنه كان لا يريد لشعب مصر الاستقلال عن الأتراك أو القيام بشئون البلادهم بل لعل ذلك لم يخطر له على بال .

موقف محمد علي

وكان محمد علي يرفب الأمور تجري بين يديه فلا تهوته العبرة نصمها ولا السر تطلوه ، فها هو ، يبعينه كيف فتدروا هؤلاء المصريون على الكفاح والصلح ، وكيف يعنون مكر الأتراك وحديده الممالك وقوة الأشين معا ، وكان يعلم أن مصر نصرهم وأيد يدهم . وكان قد قبل أن . قضى مسجوداً عليه إذا قدر له الوصول إلى الولاية ، فلما تم له الأمر وأحسن أنه أصبح حاكماً بدأ بمكر في تحديد العلاقات بينه وبينهم . وكان رجلاً ذكياً أرياً يلمس حقائق الأمور بقطته وركائته ، يعرف أنه من يفتق ويدهم إذا بدأ العمل على النظام الذي رسم ، لأن إهمالهم مرامه كان يسدعي النصر لطلوب وهو معجل لا يستطيع أن يثبته ، لا بد أن يتحج عليه المصريون ويرقصوا المصى ويأبه إلى حيث يطالب من وجوه الاصلاح والتجديد ، وكان يعرف أنهم لن يسطروا إلى الاصلاح معه . ومن يقدره قدره ، فاحب أن يجتهد عن هذه الرفاهة التي استطوها عليه لأنها نصرهم ولا تفهمهم ، وكان يرى بعينه ما لقيه مصطفى الثالث من معارضة الشعب في إصلاحاته ، فاحب أن يحصل من تلك الرفاهة حتى يستطيع أن يمضي في سبيله حراً طليقاً . وكان يعلم كذلك أن السيد عمر أقرب منه إلى قلوب الناس وأقدر على قبائهم فصار يحشاه في نفسه وإن حمد له يده وأقر بفضله ، على هذا الأمر عهد محمد علي أسة حار استوى في حكم مصر وبدأ العمل بنشاطه المعروف (١) .

(١) ويجب أن نذكر على كل حال أن فكره في تلك الأثناء كان قد عهد القرم على تحية المصريين والنصارى من نظامهم وحرارة الأمر على هذا يد . فحدثنا لدى دارينه وبينهم

أما السد عمر فكان يهيم في واد آخر ، لم يكن يهكر إذ ذاك في المعارضة ولا العدا. ولا شيء من ذلك ، فقد كان قد أدرك عايته تنويع الرجل الصالح أمور الناس . ولم يبق له ما يشعله إلا أن يعتكف كساق عهده حين يصر باله وترضى نفسه ، فلا يتحرك إلا لشعاعة أو وساطة أو رد مطلية ، وكان في تمكيره انسياسي يعلم أن « أولى الأمر هم لعله وحلة الشريعة والسلطان العادل » فكان يعتبر نفسه من العلماء وحلة الشرع الذين يشرفون على السلطان العادل ويردونه إلى حدوده إذا حاول الخيد عنها أو يعرلوه إذا اقتضى الأمر لأن لأهل مصر « أن يعرلوا الوالي إذا أساء ولم يرص عنه الناس » وكان مطمئناً تمام الاطمئنان إلى محمد علي فترك له الأمور وعكسكف راصياً مطمئناً .

وانظر محمد علي العريضة الموالية ليعلم صاحبه أن واجهه في العمل قد انتهى ، وإن أعاد القيادة قد سقطت عنه مدة الساعة ، ولكنه ظل محافظاً على ولايته له حذراً من عذر يكون من جانب السلطان أو المماليك ، وقد أفاد محمد علي من وده لعمر فوائد حيلة إذا استطاع أن يستعين به في رد الأتبي عن دمهوور ، واستطاع كذلك أن يتخلص من محولة الدولة نقله إلى سلايك بعد قليل ، وكان محمد علي بديل فصارى حهده في هذه الأيام ليظهر بمظهر المصري الحاصل الذي لا ينتمى إلى الأتراك في شيء فكان « يسير في طرق القاهرة بحجي الناس وهو مر بدلاماً قريباً من لباسهم ، وقد حلق عنه لباس الجنود والأعراب . واتخذ له عمامة كالرس تزيل بعد الشقة اتى من الناس ويده » (١) وبذل المصريون

ويلكس صحت مفرح محمد علي ومعاره دفر محمد علي بأنه سجدول من لمعه من واهي شوبه للحكو لاداره

Felix Mengin Histoire d'Egypte .

(١) سيره السد عمر مكرم ثلاثه أسر حدد من ١٦٠

من حاسبهم أعظم الجهد في الاستمساك به ، وأظهر السيد عمر مكرم
همة عالية في ذلك السبل ، فاستطاع أن يحصى دمهريون من الآلئ ويهصد
على الأثر الك عاتهم ، وأسسى الأمر باستقرار الأمر لمحمد علي وإلغاء
أمر النقل إلى سلاتيك .

وشهد محمد علي بعينه آخر طيف من أطباء الممالك يمضي أمامه
على حافة الصحراء محروما كئيباً بعد أن أغمره المصريون عن
الاستيلاء على دمهريون وجبوا أمله في التمازج مع الأتراك والانجليز ،
رأى محمد الثاني يمضي في الصحراء من البحيرة إلى الصعيد . ويتوارى
عنه حاف بلال الصحراء فارداد ثق وأما ، وأيقن أنه آمن مد ذلك
مأعاش وما بقي هؤلاء المصريون إلى حارسه ولاد أن ذلك لأمر
العظيم - محمد الثاني - كان عارفاً في التمكن وقد ألقى رأسه على صدره
ومضى به الركب إلى الصعيد أيضاً محروما ، لاد أنه عرف حصاه
وحصاً شعبته في معاداة أهل مصر والاشداد عليهم ومحاولة تحوهم
والعذر بهم ، لاد أنه أحسن حرمه وندم على ما فرط في أمر هذا
اشعب بعد أن رأى ما وصل إليه محمد علي من أيدهم وصرهم ، واهد
روى له الخبر أن الرحمن كان شديد الحزن بالغ الأسى وأنه كان
لا يهتأ ينكي مصر وآها ومصريها والكمدياً كل عسه ، ل اهد أكد
الخبر أن الرجل مات كمداً على ما صبح من أمور مصر ، وأسفاً
على ما أصابها بيده أو بيد غيره من الممالك ، فكانت خاتمة أروع
خاتم بقصة الممالك .

استوثق محمد علي بذلك من أمر نفسه ، وعدا بتظير الفرصة
المواتية حتى يخلص من رقابة السيد عمر ويمضي في بر دجه الإصلاحية
مسرعا ، وقد سنتحت الفرصة حين أرسل الانجليز حملة إلى مصر سنة
١٨٠٧ معظم جدها من المرتقة لاحتلت مصر من لترعم السلطان

المصريون دمهريون

الانجليز سنة ١٨٠٧

على الخروج على بلبل والتجلى عنه ، وكانت أسماء هذه الخلة قد روعت المصريين فجمعوا لرهها ، وكانوا السيد عمر فارس لهم يستحثهم إلى السير إلى رشيد ، فجمع الناس في بيت القصاصي واجتمعت الآلاف وأحدوا استعدادهم للخروج لرشيد في حمس وقوه عظيمتين « وأحدوا يديرون الخطة للدفاع عن عاصمتهم ، وعزموا على أن يتعدوا في ذلك خطة المصريين (١) » . وتوافد أهل رشيد والوجه البحري إلى قرية الخمد حيث قابلوا الانجليز . وهم موهمهم حريصة مسكرة . وعاد محمد علي من الصعيد بعيد ذلك فذهب إليه السيد عمر وأعلمه بما جرى فرضي الرحمن واضطرب ولكنه رأى في ذلك ما يهدد سلطانه . لهذا كانت الناس عمر مكرم ولم يكافؤوه ، واستوثقوا من أمر أنفسهم وأصبحوا يعتمدون عليها وشعروا أنهم في غير حاجة إلى الحاكم أو الوالي نخشى محمد علي معه ذلك ولم يجد سببا على نفسه ، وكان يراجه يقضي أن يشرف نفسه على كل شيء ، وأن يملك كل صوت معارض حتى يستطيع المضي في سبيله . فاقبهم السيد عمر وأصحابه أنهم لم يعودوا مكلفين بالدفاع عن البلاد بعد أن صار فيها جيش قادر وإن عليهم أن يرموا حدهم فدفعوا ما مضى إليهم لعدة الجدد وكفاهم بذلك فضلا . لم يفعل محمد علي ذلك إلا ما جرى به مألوف العادة في كل الدول الإسلامية ، إذ أن الحاكم الشرقي يحس في نفسه أن رعيته بعض من يخشى من العدو . وإن عليه أن يأخذ نفسه باليقية منها كما يتوقى أي عدو محظر في الخارج ، حتى لا يدركه من يحركها كما استلمها محمد حيشه من أهل البلد الذي يحكمه خشية أن يستحوطوا عليه فيعزلوه . فكانوا يفضلون الخمد المؤخرين ليكونوا ملك يمينهم يصرون بهم الأهلين وغير الأهلين سواء لسواء . وكان هذا حال محمد علي مع

عمر محمد علي
من ذلك

عند عهده محمد
علي من هذا الخبر

المصريين ، رأى عبديه قوتهم واقتدارهم . وكان يعلم ويبدون - أنه
في الحكم بساعتهم وتأيدهم . فارداد خوفه وأحب أن يحثهم عن الميدان
فكان له ما أريد . وكان يعرف أن السيد عمر هو صديق هؤلاء الناس
ومدحهم فأحب أن يبعده عنهم حتى لا يعودون يحتجبون به . وقد أسف
عمر أسفانا بعد ذلك فاجأه به محمد علي من الرد فأخذ ينادي به ويخافه .
وهنا بدأ يصلح حتى على السلطة فمحمد علي يرى عمر يقض على رمام
الناس ويتحسب أنه يريد أن يحل محله . وعمر يرى نفسه حقيقا رفاة
الحاكم ورده الى حدوده اذا بقي أو ضعى . ولكن الفرق بين الرجلين
كان عظيما : فمحمد عالم مسلم لا قبل له بالسياسة ولا بتقلدها ولا
بأحوالها . ولا به جو غير امدل وهدوء الحال . ومحمد علي ترقى في
أحضان السياسة ، وعرف ألوانها وطال مراسه لأفانها وتأمله في
أحوالها . فكان السكعاج بين حيدر وعمر حيدر ، بين مدرت وغير
مدرت . وكان طبعيا أن ينصر محمد علي وهو المدرت الحثيث انقاد
ويتهنى عمر المسالم الذي لا يرجو الحكومة أو السلطان

على عمر
في ذلك

ولا يتسع المقام لتفصيل ما وقع من الرجلين ، وإنما يخفى ما يقول
أن محمد علي تشهر فرصة احتداج عمر على مصر أعماله ونه ، الى دمياط
وأه استعان على ذلك بفر من عدا مصر وسرواها نادر و الى بحون
رميلهم لخطروا عداكاه وأمواله . فطرا الرجل في اسنى حيا . وكان عمر
على يحفظ له مده ويعرف له فضله فلم له نأدى ولم تمسس أمواله بمصر
كما فعل مع الشيخ الشرفاوى مثلا ، وحاول محمد علي أن يترصاه
بالمال وان نكسه بحس المودة وأنى الرجل أن يترجرح عما طلب من
الأشراف والرفاة . والثالث أن لرجل لم يعضب لسلطة رعت مه
أوحق عصص على رعه ، وإنما كان يخشى أن يستبد محمد علي بالناس وأن
يسى السيره فيهم . ولهذا لم يكده يعلم أن محمد علي قد تمكن من فتح

الحجاز حتى أرسل إليه يهته . فصرح محمد على تنهضة عمر مكرم ورحا
عظيما ، وأرسل إليه خطا ببعض رقة وعدونه بذاه يقوله : إلى مطهر
الشمازل سبها حميد الشئون وسميها ، ملانة بنت المجد الأكرم . والدا
السيد عمر مكرم دام شأنه (١) مما يدل على ما كان محمد على يكرهه في نفسه
من الحب لذلك الرجل والقدير له والعرفان لحيله

عمره عمر من شمر

وعاد عمر إلى نقاهرة ليحد محمداً غلباً قوياً مهماً ينشر على أساس
طلائ العدل ويقودهم إلى معارح العدو ومرافق السلطان ، فرصيت نفسه
وأقام سداً كماً مطمئناً ، ينتظر بعاء ربه . ولكن الأيام لم تهاده حتى
أيامه الأخيرة ، إذ صبح الناس بصرية فرصا محمد على على المساكن فتهاقوا
على السيد عمر برجون وساعه . فلم يلبث محمد على أن أمر سبي السيد
إلى طنطا ، فمضى إليها في الخامس من اوين من سنة ١٨٢٢ ومات بعد
ذلك بقليل . بعد أن وضع الأساس في ساء مصر الحديثة ، وبعد أن
خلص بلادها من الغوض والاضطرابات ، وبعد أن نهض عن شعب مصر
أدران القرون ، وأهصمهم على أقدامهم وأنشدهم ليلعوا الدور الخطير
الذي سيلعبونه في السياسة العالمية بعباده محمد على العظيم .

أكان محمد على على الحق في أن رأى من أعداء جمهور المصريين عن ميدان
السياسة والاستثنائه وحده . أكان ذلك ضرورياً له لكي يستطيع
المضي في خطه الاصلاحية ؟ يبدو أنه بالغ في التحوط حين سلك
هذا السبل ، إن سبله كانت تكون أيسر وأهون لو لم يجرح المصريين
من الميدان حملة . فانه بات يشكو بعد خروجهم قلة الرجال ومدرة
الكهيات معه ، ولو لم يادر الى الاستعانة بهم في جيوشه لما استطاع
أن يصر على الدولة الانتصارات التي ادر كها . نعم كان المصريون
بعيدون عن أن يهتموا غاياته ومراميه . وكانت عامتهم مستعدة للسخط

هل كان محمد على
مصدراً في سنة ٤
مصر من

عليه إذا اجبرها على بعض ما تكره من وجوده والتحصن ، ولكن لا راع
في أن أمرا مهم كان قد رآ على بحار به ومتابعته بعد صبر قليل ، وإن
بعض أهلها كانوا إذ ذاك في حاله معوية تمسكهم من بحاراته وفهم مراميه
إذا نههم معهم سلبها ، لو فمن محمد على ذلك لما شكوا الفقر في الرجال
والكفارات بعد قليل ، فقد كانت نفوس المصريين قد تفتحت في ذلك
الحين وأهواوا للعمل العظيم ، فكان حلهم كحل الصبي الذي ينفعه
التشجيع ولاطراء ، وأطباء الأعجاب ويقضه لتحديد والاعضاء وإطهار
الاحتقار والارذراء ، ولو قد شجع محمد على المصريين واحتمل مهم
ما يحتمله الأب من الوصف في تربية أبنائه ، لما شكوا الفقر في الرجال
بعد قليل ، ولما أخرجهم من طاعته ووجه وأوقفهم منه موقف العدو
بعد حين ، فقد تحمل المصريون في رفته وحسا وجهدا بليغا ، وقد
بدلوا في سبيله بدلا كريما ، فكانوا حفيظين لديه بالبرمة والتعليم ،
وليس هناك أمه نهدت وانفتحت من غير معلم وليست هناك أمه
تسمو وتعلو مع انصراف حكامها عنها وتحديدهم إياها .

لو فعل محمد على ذلك لضم لإصلاحه قوة وثباتا من روح
الشعب وقوته ، ولوجدت بدوره تربية طيبة يعيب فيها ثمت ثباتا
ركيا ، ولما كان إصلاحه من الأساس دون الطوح . أما وقد
أبعد أهل البلاد فقد جمل عمله سطحماراتلا يقوم بتمامه ويموت
بمونه ، ولو قد كان المصريون شركاء له في بعض ما أسهم عمله عن آخره
بعد وفاته ، ولو قد تمحص جهده كله عن حلق طائفة من المصريين
تهتم الأمور فهمه وتحمس سبيلها كما كان يحسبها ، ولو قد رعى معه
مدرسة من المصريين يقومون على مواحي العمل من بعده فكان ذلك
أحدى على أسلاف من قوته وصددين ، بل لو وجد نفسه حصا آخر
يحتفى به حين صرت نابيير الاسكندرية . . لو وجد نفس الحصن الذي

حماه من قطاب ناشأ ولما آل أمره إلى الخاتمة المحزنة التي صار إليها آخر الأمر ، لو فعل ذلك لربح وربحنا ، ولربح اشرق الاسلامى وربحنا خطوات واسعة في ميدان الرقى والهوض

يسعى على انقاريه أن يلاحظ بعض أمور قبل المضي في دراسة محمد على والحكم على أعماله ، إذ نغير هذه الملاحظة لا يتأتى فهم الرجل وأعماله على وجهها الصحيح بل قد يتعرض الباحث للخطأ الشديد في فهم هذا الرجل إذا هو أهمل الالتفات إلى هذه النواحي فلعرف أولاً أن محمداً علياً كان تركياً شروياً أولاً ثم مصلحاً حديثاً ثانياً . كان تركياً عثمانياً في تفكيره وتربيته وطبيعته وعاداته ، يلاحظ في عصره انه الأساليب التركية المعروفة من الخندق في تدبير المؤامرات إلى الميل إلى اتساع السلطان إلى الرعة في الاستئثار بالسلطة والاستداد بالرعية ، إلى الاتواء والتمقذ . إلى غير ذلك من الأمور التي يلاحظها بشكل واضح جداً عند غير من الأتراك ، كان كذلك في أسائه وفيل كل شيء . وغير ذلك أمور حدثت عليه بعد ذلك أدركها بعكسه الشافق ونظره البعيد يحاول أن يستقرها طبعه فأولج نارة ولم يفلح قارات .

محمد محمد علي

ولندكر أن محمد علياً قام ، أعماله في بلد متحضر لأهله ماض قديم في الحضارة والرقى والانظام ، وأن الحلة التي وحده عليها يوم بدأ أعماله كانت طارئاً لا بد أن يروى ثم تعود البلاد سيرتها الأولى فالأمة المصرية ليست أمة بدوية ولا هرجية ولا طارئة في عالم الدولات . وإنما كانت شعاباً كما متحصراً عنهم واحدة حيال الحكومة ويجهد الكل لمن يريد النظام ، وليست الدول المتظمة ولا لرحاء اشاعل ولا اعتنوح الواسعة بالأمر الجديد على بني مصر . فلم يكن على محمد علي

شعبه مصر لا بالتصحر

أن يعلم بل يوحه ، وكان عليه أن يبدأ فتنم الرعدة ما بدأ . بل لعل لم تكن تطلب اليه أكثر من أن يشعرها بأن هناك حكومة قوية ساهرة تؤمها على أوراقها ، حتى تنشأ هي من تلقاء نفسها تعمل ونشط وتبلغ من الرقي والانتظام مدعا عظيما

ومن الخطأ أن ظن كذلك أن محمدا عيا كان صديقه دولة من الدول أو ستارا تحتى . وراه إحدى القوى الأوروبية ، فلم يكن الرجل آلة في يد فرنسا ولا صديقه من صانعيها ، لأنه كان أدكي من ذلك بكثير . ودراسة أعماله دراسة دقيقة تدل على أن الرجل لم يكن أوف مراعاة للحوادث الإنجليزية من مراعاة لحسن طر الفرنسيين . بل الطاهر الذي لا يراع فيه أن الرجل كان أحرص على كسب ود الإنجليزي منه على إرضاء الفرنسيين . وقد كان الرجل يحس أن بالمرستون لا يرضى عنه ويسى . اطره ويكيد له . فظل شقيقا بذلك مدى طويلا . وبذل لكثير من الجهد لينسعيد حسن طر الإنجليزي . وإذا كنا قد أيدنا بالبرهان ابلبع أن الفرنسيين لم يكن لهم أى أثر في ولايته ، فمن اليسير جدا نستلح بعد ذلك أن الدعوى القائلة بأنه كان صديقه فرنسا لا تقل كدما عن الدعوى الأولى . بل كان الرجل نفسه يشعر بأن انزعاجه من ريسين صداقه لهم وتقديره إياهم بصره ولا يميده . فهو يثير عليه غضب إنجلترا ولا يحبه من حرائر هذا العصب ، ويخيف السلطان منه ولا يحبه ما يأمن به عضه السلطان . ومصادق ذلك أنه أنى أن يفتح الجرائر لحساب فرنسا خوفا من غضب إنجلترا والسلطان ، ولو كان صديقه فرنسا لثي طلبها مسرعا دون أن يحسب لغيرها حسانا . بل لعمل على إرضائها لا على إرضاء غيرها كما حدث . وعسانا لا تنامع غيرنا فيما يسهون به من لوم محمد على على أهملته

شئون الحرب وحدها دون التفات صادق إلى أية حاجة أخرى من

نواحي العمل والشاط . وعاشا أن يذكر . قبل أن نوجه إليه اللوم . أن
 محمدا عليا لم يكن فريدا في هذا الباب ، وأن روح العصر كانت تفرسه
 حرصا وتعلية إيماء . كان الرجل يعيش في عصر نابليون ، في عصر
 الحروب والثورات والانتصارات والهزائم ، في عصر انصرفت فيه
 قوى الدنيا كلها نحو الحروب والجيوش والأساطيل . ومادا فعلت
 فرنسا في هذه السنوات الأولى من امرها التاسع عشر غير إعداد
 الجيوش وتنظيمها وتسييرها نحو الميادين . ومادا كانت تعمل انجلترا
 غير تنظيم الأسطول وإعداد الخنود وإرسالهم يحاربون في نواحي
 القارة الأوروبية . بل مادام كان في عصر الروس وامبراطور النمسا
 يعملان . . ومادا كانت الدنيا كلها إلا محاربا . نظاما عسكريا
 فمحمدا علي إذن يمثل عصره ولا لوم عليه في ذلك . بل لم يكن له من
 هذا الاهتمام مصروف وهو سليل أمه حربية لم تعرف الحياة إلا في
 ظلال السيوف وريش القشاعم . ولم يكن تفكره العالمي قد تعلق بعد
 بالمثل العليا الاجتماعية ولا بالنواحي الثقافية التي تعتبرها اليوم أساس
 حياة الشعوب . بل لم يكن الحاكم ليدحر لأمنه من القوة أحسن من
 جيش قوى يرهب به جيرانه

وساتل محمد علي وعاليه

ولملاحظ كذلك أن خلافا حسيما كان يوجد بين وسائله وعالياته
 في كثير من الأحيان ، فقد كانت وسائله الحديثة كهيئة بأن تجدى عليه
 أعظم الجدوى لو طلب منها عايات حديثة ، ولمكسها لم تكن لتعين على
 إدراك العايات القديمة التي طسها . فتطمع البلاد واستصلاح أرضها
 وتعليم أهلها وتقوية مرفقها شئ . . ومحاولة الفتح والاتساع وإشياء
 الامبراطوريات شئ . آخر . . والشيطان لا يتواءمان بل يتعارضان ،
 وكيف كان الرجل يعي أن تنظم الزراعة ويسود الرخاء وهو لا يكاد

يبقى على الأرض مواطناً هويماً صالحاً إلا قف به في ميدان القتال ، وكيف كان بدحر المال للإصلاح والمشاريع ومن ورائه جيش عرمرم يحتاج إلى ميزانية تعادل مبراة مصر عشرات المرات ، ثم كيف كان محمد علي يرجو أن يرقى نفوس الناس ويرفع بحالتهم المعنوية وهو يحدد شأهم حصداً ويلقى بهم في سادات الحروب ، فيصرهم من الحرب ، ويررع في قلوبهم كرامة للظلم والمسكرية ، كان لا بد أن يوحد محمد علي شيئاً من التناسق بين عاياه ووسائله ، وبين عاياه وأحوال بلاده ، وكان لا بد أن يجرى على شيء من النظام في أعمده ، فلا يكلف الناس إلا وسعهم ، لا يهبطهم بأمر ثقيل تمت بعده فواهم ولا يستطيع أن يحدد مهم شدة بعد ذلك

ولندكر كذلك أن الرجل كان مرعاً في كثير من الأحيان على إتيان كثير من الأمور التي عيها عليه وأحده من أحلها بالملازمة ، لنذكر أنه كان مرعاً حين قذف صخره في صحراء العرب للحرب الوهابيين ، فقد كان وابياً من ولادة السلطان ليس عليه إلا اطاعة ، وما دام سلطان قد أراده على ذلك فليأبه طاعتاً مسلماً وقد كان الرجل مرعاً كذلك حين در للمساك المدخنة المشهورة في انقلعه ، فقد تعدر عليه الاعتماد عليهم أو الماظمئان إلى حل معقول في شأنهم فلم يكن له بد من الخلاص منهم على أي سبيل ، وما داموا لا يشتون له في ميدان ولا يكافئونه وحب وجهه ، فلم يكن له بد من الخلاص منهم على هذا السبيل لا على غيره .

تعد على بعض
وغيره

لكن أمور لا بد من ملاحظتها حتى يصح حكماً على أعمال محمد علي ويصح تقديرها له ، فلا يكون معه على سخافة ولا عليه على ظلم واجحاف ولندكر كذلك أن الرجل كان يعمل بمفرده ، لا يؤازره أحد من أهل البلاد ولا من غيرهم ، فأما لأولون فقد كان استند بالامر من

دوهم وأرغمهم على المضى معه دون أن يوضح لهم غايته فكم هو من أول الأمر ولم يواروه إلا على خبر واضطراب وأما الآخرون فقد كانوا أعداء له ينادونه ويسامونه ولا يكاد أحدهم يخلص له في قول أو في فعل . وأراد هذه الخفصة يهون كل حطاً لمحمد علي ، فلم يكن ليساع له أن يبعد هذا البرجامع الواسع كله ثم يأن الخطأ بعد ذلك ، بل كيف يظلمه بعد ذلك أن يكون أعماله وافه كائنه لا يهبط فيها من شيء .

مكره أسير من
الحكومة

درا محمد علي إقامة حكومته وأسس لا يرون في الحكومات إلا أمر هيآت عاشره من الطائين والعقائد ، وذلك لكثرة ما تواتر عليهم من عهود انطم ومسابد الحكيم . وما كان الناس يحسبون انطم حكومة . بعد أن نعت عاشرهم مظالم حكومت ترك والمهالك ضمه فروع . وكان الناس يكرهون الحكومة يأسا من الحكم الصالح لآمن حمر . فكيف نأ . ومن هناك طسعا أن يطر ساس معين الرتبة إلى حكومة محمد علي ونظامه . فهم يتوقعون أشرف في كل ما يندر لهم من أعماله حتى لو بدا لهم حاسب الخير . فإذا اسمح لهم مدار من ودعاهم إلى دحوها حسوا أن تلك مؤامرة مراد من ورائها أشرف باناسهم لحاموا وأجملوا ، وإذا أقام مستشفى تحووا دحوها بحافة أن يكون ورائها شرا . وإذا كرى رعه احتسوها حشيه المعارم إلى رما قدرها على ماها وحذرا من رجال الحكومة والسلطان ، وهذا حاقت مظالم أسلاف محمد علي به وشقى هو نمراتها وحده . ولم تكن علي المصريين لوم في ذلك ولا شريف . فمن أين لهم أن يحسوا الظل هذا الشا الجديد وقد آذاهم كل ثات فيه . ومن أين لهم أن يفتطوا إلى الخير لعدد الذي يقر بهم إليه بينما لا يجدون في حاصرهم إلا غصصا وشقاء . ولا لوم عليه هو الآخر إذا كرههم وأساء الظن بهم وتجنب

أشراكهم معه في أعماله فقد كانت ظروفه تتطلب السرعة ، وكان
محتجاً إلى من ثابته في غير تردد ولا حذر ، فإذا لم يكن منهم الخوف
وسوء الظن فلا عرانة يسكر ذلك عليهم ولا يراهم يصيحون شيء إلا
لحل الأثقال وسوق الخبز (١)

ورثنا من أجدادنا موقف المصريين من محمد علي عيب وأسكرت عليهم
كراهتهم لأساليههم ونفورهم من مظاهر الإصلاح والتجديد إلى
استحسانها ، وهذا من يسعى خيرهم وأبوا عليه ذلك ويهروا ، ويحقق
هم استقلالهم فلا سالوه ويحطوا به — يحط به — ولكن الحقيقة أن
آل مصر لم يكن يسعهم إلا أن ينفقوا عن محمد علي هذا الموقف
لضعة أسباب :

أولها أنهم لم يخصصوا من المظالم والمساكن إلا مند هيبة قصيرة
حدا ، فكانت قواهم واهنة ، وعد ما لهم منحه وكانت الحوادث
اعتلا حقه حتى توترت عليهم في السنوات الأخيرة قد رادت ذلك لصعب
فكان لابد لهم من فترة من الراحة يستحمون فيها ويستعيدون ما تفرق
من قواهم ، فلما دعاهم محمد علي إلى موافاته وموالاته والخروج معه
إلى مدد الحرب ، والهوض ، وبادهاشئون الساعة تحادلوا معه ، ولم
يكن لهم من ذلك بد ولا محيص . ولو قد أحذم بالإصلاح على
هيبة دون أن يعمل عليهم بحرب ولا أسطول ولا صرائث ثقيلة لتعطوا
هم إلى الخبز الذي يمد لهم بعد أن يعوضوا ما فقدوا في العصور
الحاصية .

وثانها أننا ننصور نظام الحكم في البلاد الإسلامية تصوراً أشعاً
لم يكن يحسه أهل هذه الأقطار . فاد كانت المظالم كثيرة فقد كانت

(١) Dodwell : The Founder of Modern Egypt .
(Cambridge 1931) P194

الحيل للأفلات منها كثيرة أيضاً . فإذا طلب الحاكم مثلاً من الناس
 صرية عقارية توارى ستر فيهم إعمار لما شقى الناس ، ذلك عشر
 الشفاء الذي تصوره . فقد كان في الأماكن قديم الرشى إلى الخدمة
 والمحصلين فلا يحول الصرية إلا على حرة صغر من العقار وكانت
 الحروب إلى ذلك أمراً يقع عنه على الحكم لا على الرعية ، ولم يكن لقطاع
 الحاكم رعيته بالخروج معه إلى الميادين والاستشهاد في سبيله . وإنما كان
 يشتري الخدم من ماله ويبيعهم بحربون باسمه من غير أن يكون على
 الناس إلا عزم المال الذي يطلب . أم محمد على فقد ضُبط إلى الناس
 أنهم أن يخرجوا معه إلى الميادين وأن يخرجوا معه إعمار البحار .
 ومن ثم كان لئلا الذي ليس بمده لئلا . ولم يكن هذا الأمر عربياً على
 أهل مصر وحدها بل بمرمه أهل الشام أيضاً - وهم أهل حرب وكفاح -
 وكانت الأنظمة القديمة تترك الناس أحراراً فيما مأبون من أمر دون
 أن يكون عليهم خرج من حاكم أو ممدود من حكومة ماداموا يؤدبون
 للحاكم المال الذي يطلب ، وما داموا يتركونه وشأنه فلا يسألونه ولا
 يستدركون عليه شيء . ومن هنا كان الناس يشعرون شيء من
 الحرية في ظل الأنظمة القديمة فلما أراد محمد على أن يرض
 عليهم الأنظمة الحديثة ساء لهم ذلك ولم وافقه إلا وحجراً على حربتهم
 وتدحلاً في شئوهم فأسخطهم ذلك وصرهم من هذه الأنظمة ، ادلم
 بعد الناس يستطيعون إحداء شيء أو تصرف حسبما يريدون ، ومن
 هنا كان طبعياً أن يجد شيخاً مستتراً كالخزفي يصر من أنظمة محمد
 على ولا يرى وجه الحق فيها . بل شكوا منها ويسخط عليها ، لأنه
 شعر بأن محمداً علياً يريد أن يجد من هذه الحرية التي كان الناس
 يستمتعون بها في حكم أغنى الممالك وأشأم الأتراك

١٥٢
 باب الناس
 منكم القديرة

مور المصريين من
الأنظمة الحديثة

وثالثها أن أنظمة محمد على كانت أمراً حديداً - وكل جديد عريب ،
وقد أراد محمد على أن يأخذ الناس بتغيير أساليب حياتهم وشئون
معاشهم فشق عليهم التغيير ، خصوصاً وهم لا يفهمون المراد منه .
ولا يصلون بأصغرهم إلى الأفاق البعيدة التي كان محمد على يسوقهم
نحوها ، فإذا ذكرنا إلى ذلك ما سقت الإشارة إليه من خوف الناس من
الحكومات عرفنا أن مورهم من أنظمة محمد على واجتثاثهم أساليبهم
كان موفها طبعياً يتفق مع أحوالهم وكان لابد من فترة طويلة حتى
يتسبوا بأنفسهم الخير الذي رضى من وراء هذه الأساليب

طبعة مطبوع
محمد على

و. انبع هذه الآمور أن محمداً علماً لم يذعن هذه الأنظمة الأوروبية
كاملة بحساسها ومساوئها ، وإنما جردها من هذه المحاسن في الغالب
فالنظام الوحيد الذي أدخله لم يكن يشبه نظام التجديد في فرنسا مثلاً
فالجندى الفرنسى كان يذهب إلى الجيش فتعرض له الأعطية الوفيرة
ويكسى الناس اصغار ، وكان يخدم في معسكره اطعام الكثير والطبيب
المعالج ، وكانت تطبق له نص الحرمة يصيب نصيباً من المنفعة فيما يفتح
من البلاد . أما الفلاح الذى كان محمد على يجره من داره إلى الميدان
فلم يكن يتمتع بشئ من ذلك . كان يعطى أحسن الأجر . ويكسى أفضل
انكساء ، ولا يجد الطبيب المعالج ولا شيئاً من المصيرية ولا حائماً من
المنفعة ، ثم لم تكن هذه الجديدة محدده ، بل كان يدخل الجيش دحولا
أندياً (١) ، فهو شهيداً أو كاشيد ، ومن هاهنا الناس من الحديثة واقترت
في أدهان المصريين بالوبس والشر وأصبح الناس يكون الداخل في
« الجهادية » نكاهم على الداهب إلى الآخرة . لأنه لا فرق بين الخابن
في حساسهم ، وهم على حق في ذلك . وعلى هذا القياس كانت بحرية محمد
على ومدارسه ومصانعه ، حتى نعوته العلمية ولهذا لم ير الناس من

هذه الاصلاحات إلا وجوه الشر وحقت عليهم وجوه الخير فأتعدوا
عنها وأنكروها كل الانكار .

محمد بن المصيرين

وكان طبعاً آل بيسى محمد بن علي اطلق برعاياه المصريين لذلك . ولو
ودكر قليلاً في حقيقة أمرهم لما أشجاء وأسخطه بقورهم منه وعدم
مخارنهم إياه . ولكنه كان معجلاً لا يملك من الوقت ما يفكر فيه ، كان
يريد أن يأمر بقطاع دون سؤال أو تردد ، ولم يكن لديه من المراع
ما يملكه من تربية هذا الشعب واعادته في مهادة ورقق ، فلم يجد ما
من لاستمراء عنهم والاعتماد على طائفة من الأتراك من جهة وطائفة
من الأجاسم من جهة أخرى . ولو لم يصححه درفتي Duffett فصل فرسا
بالاستعانة بالمصريين وببصره تلكا به المكشونة واستعدادهم الهطاري
لما فكر في الاستعانة بهم أبداً . ولطال على حدره منهم لا يكاد يبالغهم
أو يحفل لهم .

دور محمد بن

ولم يكن موقع الرجل من الأوربيين بأحسن حالا من موقعه
من المصريين ، بل كان الأولون أسوأه صأ من الآخرين ، وقد شق محمد
على هم أصعب شقته بالمصريين ، لأن هؤلاء كانوا ساحطين واسكن على
صمت ، مطوين على أنفسهم لا يكادون ينوحون إلى الوالى بمقد
أو يحاھروه بمعصية . أما الأورويون فكانوا لا يترددون في إعلان
سخطهم عليه وسوء ظنهم به . بل من قماصن الانجيز في مصر ولشام
من كان يستمرى . التهجيم عليه ويجدل في إحراجه بما يشير ويسخط ،
وكان محمد بن علي يعلم ذلك ويسدل وسعه ليرغمهم على حسن الظن
به . إذ كان يعتقد في قرارة نفسه أن جاساً كبيراً من آماله قد يتحقق
بمجرد ثقة أوروبا به واعتمادها عليه .

لا بد من محمد بن

كان الانجليز أصرى أعداء محمد بن علي وأشد هم خطراً عليه وأكثرهم
إسداء إليه . وقد حاول مؤرخوهم أن يعللوا ذلك بالقول بأنهم كانوا

وامت ذلك حين مواسلاتها . هذا إلى أن أفكار المسألة الانجليزية بدأت تنحى إلى الاستيلاء على مصر بعد استيلاء فرنسا على الجزائر . وتوغل الروس في آسيا واستولوا على البحر الاسود ، وتمكسهم من تسير السفن التجارية فيه وفي أنهار الروسيين ، إذ أدت إنجلترا أن مركزها في البحر الأبيض أصبح على خطر بوجود فرنسا ، وأن شمال الهند لم تعد أمنا لتقدم الروس . ونادى بعضهم بضرورة إيجاد مركز لإنجلترا في البحر الأبيض ولم يكن هذا المركز غير مصر (١)

مرض محمد علي بغير
المصالح الانجليزية

وكانت لإنجلترا كذلك مصالح تجارية نافعة في بلاد مدونه العثمانيه ، وكان سر انتشار هذه المصالح خلق بلاد ابدولة من المصانع أو معاهد الانتاج ، فكانت لإنجلترا احتكارات قوية وعشرات نافعة لا يكاد يسفها فيها أحد ، ولم ينص محمد علي أنشأ في بلاد المصانع والمعامل واسمى بذلك عن الوارد الانجليزي ، فاستحطهم ذلك وبوجه القصاص إلى الحكومة الانجليزية بالشكوى ، وحاولوا أن يشوهوا أعماله ويتهوه كل قبضه وادرو الدنيا بالنبله من حرائر أعماله وأطمعته ، وصادفت هذا الشكوى هوى من نفوس الساسة الانجليز فاعلموا في تصويرها لمواطنيهم ، وزار في سخطهم حدة أن محمد علي أراد صراحت على الصادرات والوارد في البلاد التابعة له . فعد أن كان مُصَدِّر القطن يدفع ضريبة تصدير قدرها ٣ في المائة أصبح يدفع ١٢ في المائة ، وبعد أن كان التاجر الانجليزي يدفع ٢ في المائة على ما يدخل من بضاعه في الشام أصبح يدفع اثني عشر في المائة ، فلم يثبت الانجليز أن أحسوا بأن الناشا يجرح صدورهم فرفعوا صوتهم بالشكوى والسخط ، وسفروا هذه الآهواء بدعاوى السلام الدولي والهدوء من أساليب الوالي فيها كان لممرستون . يتحدى محمد علي باسم سلامة الدولة العثمانيه كان يسعى بقناصله لدى الدولة ليقبض الثمن وما كان الثمن

(1) Hoskins . British Routes to India . (New york , 1928) P.142

لا تحديدا لامتيازات الاسكيب في مصر نفسها سنة ١٨٣٨ (١) لا يحل عليه . هبون محمد
على عمالة عرب

ومسألة ثانية كانت بسط اجازة على محمد علي وتغفر همها إلى
انقضاء عليه . وهي اتهامه بأنه كان آبه من الات السياسة الفرنسية ،
وصيغة من صائنها ، وقد سقت الإشارة إلى خطأ المؤرخين
الفرنسيين فيما يدعونه من أنهم أصحاب الفصل على محمد علي وأهم
رفعوه إلى هذه الدرجة التي صار إليها . وأهم كانوا عماده في كل
ما أراد من اصلاح وما به من عمل ، ومن ثم يحوف الانحصر
من محمد علي وتصوروا الفرنسيين يشترطون في أردانه هصارحوه
بالعداء واشتدوا في ذلك ، طامعهم أنهم يحيطون بذلك معنى من
مساعى الفرنسيين ويعومون عليهم غرضا من أغراضهم

تلك كانت الأسباب الحقيقية التي أعرت اجازة محمد علي
وأوقفها منه موقف العداء ، ولا محل للسمو بالانحصر عن الأمانة
وانفاق واعتبارهم أنصار الحق والعدالة حيثما كانوا ، وسنرى كيف
حافظ محمد علي من حراء هذه العداوة مصائب وويلات شتى

هذا وكان اتساع محمد علي وامتداد أياديه في السودان وبلاد
العرب والشام يحيمهم ويحد من مطامعهم ، فاما استنلاؤه على السودان
والبحار فقد جعل البحر الآخر بحيره مصرية ، وهذا ما لم يكونوا
ليرضوه . ولهذا عجلوا باحتلال بريم على الشاطئ الا فريقي ثم عدلوا
عنها إلى عدن على شاطئ بلاد العرب ، وأما إكالة فتح بلاد العرب
فهدد سيادتهم على خليج فارس وراد يحومهم منه أن الرحمن بدأ يساهم في
تجارة الهند وسير سفلا في هذا الخليج فاسخطهم ذلك وآداهم ،
وكان وجوده في الشام يعوق مساعيهم في الاستلاء على الجزيرة

العراقة والملاحة في اعرات في طريقهم إلى الهند ، إذ كان الشام في وضعه في هس الوقت الذي بدأت بعثة الكائن كسي Chesney تقوم باحتار اها في مياه الفرات وطرق الشام ، فكان وجود محمد علي سنا في بعض ما لقوامن العقبات

موقف الفرنسيين
من عهد علي

أما الفرنسيون فقد احتلوا مع أنفسهم ولم يتفوا من الوالى موقعا واحدا أو مهبوما . فقد جاهروا بالاعتجاب به وماصرته ما أمكسهم الجهر ، ولكن عظمهم عليه كان « افلاطوب » . أى اقتصر على ية الخير وحسن الرجا ، خدلوه في كل مناسبة احتاح فيها إلى المدونة الحديثة ، بل حاربوا برجالهم وسيوفهم في تارات شتى ، وقد كان الرجل يحس الظن بهم إلى حد كبير . وكان إلى آخر لخطابه على أمل الخير فيهم والعون منهم ، ولهذا لم يلبث العجب أن ملكه حين وجد فرنسا تاجره العداوة وتمقد الخناصر مع اجلراعية . وحسا حاول فصل فرنسا كوشليه M. Cochelet أن يبرر موقف دولته ازاءه بقوله « إن المسألة ليست مصرية بل شرقية وأوروبية أيضا إن فرنسا ادتك ولكنها لم تستطع أن تتحلل من روابط السياسة التي تربطها باوروبا وماجلترا خاصة » . لم تجر هذه التعللات على هذا الشبح المثار المحزون وأدرك آخر الأمر حقيقة هؤلاء الفرنسيين فقال « لست أطلب أن تتحلل فرنسا عن احلافها لخطارى . وإنما وددت لو أنصرت فلم تقف منى موقف العدا » (١) . ولبت صمير فرنسا احس هذه الشكاة الصادقة التي توحها إليها هذا الرجل الصادق من كل نفسه . ليتها أحست بذلك فلم تحر في الكيد له إلى هذا الشوط البعيد

وعسى من يقول أن مساهمة الفرنسيين في أعمال محمد علي وإسراعهم للعمل معه ومعاونته في مشاريعه يهض حجة تدحض هذا الرأي ، وتؤكد أن فرنسا كانت لا تعادر جهدا في سبيل محمد علي إلا بدلته راضية قريرة العين . وتلك حجة أبط ما يقطعها أن هؤلاء الفرنسيين الذين جعلوا العون محمد علي لم يكونوا من طرار الرجال الافداد الذين تهديهم دولة لصاحبتها ، وإنما كانوا من العناية التي تتخلص منهم بلا دم على هذا السيد ، فلم يكن هؤلاء الفرنسيين الذين اعانوا محمد عليا ، لا كفاء (حلا الكولونيل سيف) الذين يمكن الاطمئنان اليهم والركون إلى حبرتهم ، بل كانوا دوى كفايات محدودة جدا كما تدل على ذلك أعمالهم التي كانوا بها ، وأمامك القضاير الخيرية الى أهمها لسان تؤيد ما نقول ، هذا إلى أن هؤلاء الرجال لم يكونوا مبعوثين من قبل الحكومة الفرنسية ، وإنما دخلوا خدمة الشا من رغبة في الكسب والمغامرة لا غير

أما موقف الدولة العثمانية منه ، وموقفه هو من هذه الدولة فوصفه المصن الذي من هذا الكتاب ، وإنما بهما أن يذكر أثر هذه العلاقات بينه وبين الدولة في حكمته ونظامه . لكني نعرف هذا الأثر يدمي أن سأل . من كتاب محمد علي يستعد من نادى الأمر ليلعب هذا الدور مع الدولة . أو أنه اساق إليه رغما عنه ، الجواب نعم ولا .

فأما نعم فلا . حال الدولة في ذلك الحين لم يكن مما يبعث على الاطمئنان والاستقرار ، وكان ولانها كلهم يعرفون ثقل أحوالها واضطراب سياساتها وميلها إلى العدر بالحكام أو إرهابهم بالمطالبت المشروعة وغير المشروعة . وكان محمد علي نفسه أولى الناس بأن يفهم ذلك ويأخذ الأبهة له ويتوقاه . فقد مارس سياسته الدولة وباوش

اعوان محمد علي
من الفرنسيين

محمد علي ور

رحالها قرار فاته الولاية ، فعرف آخر الأمر أن هؤلاء الرجال لن يعفوه من لئكة والد لا بد أن يعتصم منهم بحش قوي وعدة صالحة وإدارة حكيمة تستطيع أن تقسه ولا تحويه ، وهذا كانت هذه العلاقات سما من أساس نشاطه الإداري ، وأما لا فلأنا نستعد أن يفكر محمد علي من بادي الأمر في أن تصاريه الأيتم ينصطره إلى حرب الدولة ووطنها واحتياج أرضها والاشراف على انصاء سبلها ، وأعبى انظر أن الجيش كان يمد في بادي الأمر « للتخريف » والاشعار بالقوة إلى تكثرت أسكانه ونحط الساعى . ولهذا يادر إلى إحداه طلب السطون حين يندى الحرب الوهابين وبذل في هذه الحرب جهده لكي يظهر هذه القوة ..



لم يكن عصر محمد علي بطاله بأكثر من عصر . وهذا قارب الأمور لى استحدثها في البلاد بما كان فيها من مجته لتحت لنا عقريته واقتداره ، بل لمن عصره يتألى لو قربه من أى من بعده من أسائه و سلالة .

وأعمل الرجل باخفة بذلك تدل عليها الأرقام والمنازل . . وهذا رجل يلعب متوسط إيراداته السنوية حوالى النصف مليون من الجنيهات على أحسن لتقادير . هذا قلداً أن ميرايته استطعت على هذا الموال مدى ثلاثين سنة لكان مجموع ما حصل به من إيراد خمسة عشر مليوناً من الجنيهات . فصور أن الرجل أشأ من المصنع والمعاهد فقط ما قدرت قيمته بأثنى عشر مليوناً من الجنيهات . ومن الملايين الثلاثة الباقيه أشأ والفظر الحيرية و محمودية وميتة الاسكندرية والابراهيمية وفتة القاهرة . . أسطولين في كل منهما عشر سفن كبيرة . واستطاع أن يعمون

جيشاً عدته مائة ألف نضع عشرات من السين ، واهلق على حملة
الوهابيين وحروب انيوان وحروب الشام وفتح السودان . وأرسل
الاموال الى القسطنطينية واشترى صباثر رجاليها في أوليات أيامه وأحرياتها ،
تصور هذه المبراية الصغيرة ، وادكر ماشاً في حدودها من الأعمال
الباقية تعرف أي مدر كان هذا الرجل ، وأي حكمه عالم بشئون المال
حتى قام بذلك كله ولم يقرص ما فيها واحداً . . بل استطاع في معظم
أيامه أن يحفظ الله بين الدحل والمصرف . فكان لديه دائماً مبلغ
احتياطي كبير نسبياً

حققه كان الكثير من أعماله سطحيًا وصار أكثرها إلى روال ،
واسكن الرجل ليس هو المسئول الوحيد عن ذلك . فقد غرس اندرة
وكان على حصته والقادريين من رجال أمنه أن يتمتعوها بالعناية
والشمير . وقول القادريين من أمه ، لأن العالسة من أمته لم تكن
على درجة من حسن التقدير لتعرف ميمود عليها من الخير بقاء هذه
المصانع والمعاهد . فكان على خلفائه ورجاله أن يعفوا ما ملكوها من
حمد للحفاظ على هذه المعاهد والمؤسسات باقية حتى يعرف الشعب
حدودها ويقدرها قدرها فيبض لحايتها واحفظه غايبها ، هذا ولم يكن أحد
من معاصريه في مصر أو أوروبا يسطر ما عيين التي نظرها
الآن ، بل كان معظم المشيئات التي اشئت يومئذ في أوروبا معها
سطحيًا ، وما كان امرسيون حكم من محمد علي في تشييد امر اطوريتهم
التي ملئوا بذكرها الاتفاق .

يبدأ أن محمد علي لم يكن مجددًا عاليا في الحديد . ولم يطلب العلم من كان محمد علي عددا
العمل والحياة في مصر وأما على عقب ، كما قد يقع في أحلام الكثيرين .
وإما الحقيقة أن نظم الحدا طلت على عهد شريعة كما وجدها ، ولم
يستعمل الأساليب الأوروبية إلا لتبديها وإصلاحها فقط ، أو

اضبطها حتى تنى عليه عادة درها من المال ، فظام الاحكار الذى
يعد أساس نظامه المالى والحكومى نظام شرق سقته اليه الكثير من
من حكام اشرق ، بل كان يعاصره فى الهد وفارس وغيرهما حكام
يتناولون التجارة ويحتكرون بعض أصنافها كما فعل ولكن الرجل
يمتاز عن هؤلاء كلهم بأنه عرف كيف يستفيد بهذا المال الذى وصل
إلى يديه عن هذه الأساليب . بل أفاد منه إلى حد أدنى معاصره من
الأوروبيين وخير ألبهم . فقد كان كثير من الأوروبيين يتطلعون
فلاسه بين آونة وأخرى . ولكنه لم يكن يأت حتى يجب طوئهم
ويتخلص من أثقل الضرائب التى تهبط عليه ، وفى سنة ١٨٢٧ مثلاً
أنهضه تكاليف حرب المورة وهبط الال سنتين مساليتين فتبادل
القصاص انتهى بالمراع من أمره . أخيراً ١ . فاداه بصاعف همة
فى إنشاء المصانع والاحواض فى الاسكندرية ، وبعد أربع سنوات أخرى .
كان أحداً فى مشاريع تفوق حرب المورة همت وسكالف ١ . (١)
وفى سنة ١٨٣٧ اطمأن المستر باركر إلى أن الرجل معن ففلاسه ولا
شك بعد ما أتق فى حرب السلطان ، وإذاه به بفاجأ بأن يحدد عيب قد أمر
بدفع متأخرات حموده ٢ ، فلم شك باركر فى أن الرجل قد عثر على
كبر عظيم ، عثر عليه نصصاح علاء الدين (٣) ١

أجن ، كان للرجل كبر عظيم لا يهرع على كثرة ما يؤخذ منه ،
ولم يكن هذا الكثر إلا بسيرة وحصافته فى شئون المال .

وليس أدل على شرقه محمد على وأساليبه من أنه لم يضع لآليته ميزانية
أو شيئاً يشبه المبرايه إلا بعد زمن طويل ، بل كان يضع ما يريد اليه
من المال فى حرائه ويعقق منه بغير حساب مكتوب على أسلوب الحكام

عادة محمد على الشرق

الشرقيين من قديم الزمان ، ولكنه احتد دائما في أن يكون مصروفه أقل من إيراده وطل على ذلك حتى وصع له ورير ماله بوعوص بك حساما مطما كالمبيع في أوروبا ، معاونة الفرنسي جومار .

وذلك آخر على ذلك ، هو أن الرعي لم يكن لها حساب في مشاريعه ، ولم يكن لها حظ من حيراته وأرباحه ، فقد استصلح من الارصين مائة ألف فدان وأدخل محاصيل جديدة وفيرة الرعي والخير كالبقطن والنبوت ولكن الفلاح لم يربح منها مليا واحداً من عادر بحها كله على الوالى وحده ، وطل افلاح أجيرا مكسبا مسحرا كما كان على عهد المماليك والأتراك . وكانت الرحن مصانع سطيفة سر الرمح العظيم . ولكن رعيه كلها كانوا أحرار لا يبالون من المال إلا ما ينفعون به ، وكانت للرحل جيوش حارب فيها الآلاف من رعاياه واستشهد فيها آلاف كذلك ولكن أحداً من هذه الرعية لم يرتفع عن مكان الجدى المسكين الذى يؤمر بقطاع وحسه ذلك وهكذا كان الرجل شرقيا بل تركيا صميا

ودليل ثالث على ذلك ، وهو أن أساس سياسته وحططه كان شرقيا . فكان الرجل ماهرا في تدبير المكائد ، قدير أعلى حكمها بالخداع والوقية والتفريق وما إلى هذا . كما رأينا في موقفه من رعيم المصر بين عمر مكرم ، وكما ظهر بشكل جلى في مصانته للمماليك واحتماله عنهم حتى يخلص منهم ، وكان يؤمن إلى ذلك هائدة المال في السياسة وأثره السعيد في نفوس رجالها . فكثر من الرشوة لرجال الدولة والقبائل ، وقد جرى من ذلك ثمرا طيبا ، إذ اشترى صباط طائفة من قاصل الدول فأصبحوا أسرى فصله وعبيدا إحسانه وظلوا على ذلك زمانا طويلا (١)

وكانت فكرة الرجل عن التعليم شرقية لا غربية . ليس المراد منها

تعليم الشعب وتثقيفه وتحسين حاله ، بل المراد إخراجهم بدخولهم في خدمة
وبقى بحاجة . ومن هنا كان أول الأساندة الذين جلبهم من أوروبا
إيطالي اسمه كوستي ، أحد يعلم تلاميذ الرسم والحساب ، وكان أكثر
مدارسه صاعيا ، وعلى هذا العرار كانت نمونه . ولكن فكرته لم
تلك أن تطور بعض الشيء . فبدأ يفكر في إنشاء مدارس للتثقيف
ورفع مستوى الأمة بعد ذلك بقليل .

يبدأ أن الرجل كان عمليا يعرف ما يريد ، لسهولة الهاديه ، ويعرف
كيف يدركه بالعظة والركابه ، فلم يستعنى عليه وجه العمل أبدا ، ولم
تشتك في وجهه المسالك قط ، ولم يحسن نفسه مراكبا لفصل من
القناصل ، أو عرا يركبه اشطار بالخيالة والراعة ، وأعاناه على ذلك أنه
كان حذرا لا يكاد يثق في أحد غير نفسه ، فصدر في كل أموره عن رأيه
وكان على الحق في ذلك فلم يكن يمين حوله رجل — شرفي أو غربي —
يساويه في فطنته وذكائه .

ومن فصائل الرجل أنه كان صادق التقدير للتراث التركي الذي
انتهى إليه ، فكان يعرف صروره وسووه ووحامة عقابه ، فكان على
استعداد دائما للنحلي عنه أو عن بعضه ، فلم يتقيد بشروط الدين
وحودده وساهم في تجارة البحر واحتكر العرق ، وأنشأ محاكم تجارية
تقضى بالمعرف التجاري ولا تنفذ بأحكام الشرع التي كان المسلمون
يتقاضون في حدودها ، وأباح تشريح الأجساد وغير ذلك مما كان
معاصروه يتخرجون من فعله .

ولم يدرك إلى ذلك أن الرجل كان قد أدخل في لشيحوخة حين
استهل أعماله وإصلاحاته ، فكان عليه أن يسرع حتى يرى نتيجة أعماله
قبل أن يمضي حيه ، فكانت السرعة رائدة في كل شيء . فالعمل الذي

إسراع محمد علي في
كل شيء

يتطلب عشر سنوات لاتمامه لابد أن يكون تاماً في عام ، والحطة التي تستلزم عاماً لانقادهما نهد في شهر واحد ورماني يوم فقط . . وفي عام هذه السرعة أخطأ الرجل جواب شتى من التوفيق ، فلم يكن لديه الوقت للنجويد والانتقاء والتجريب ، وكان هذا عاملاً من عوامل ضعف أعماله وقلة ثباتها . نشأت كلها في يوم وليلة وصاعت في يوم وليلة غير مخلفة بعدها أثراً .

توجه محمد علي بهيمته إلى نواحي الإدارة جميعاً . وتولت أعماله نواحي المهمة كلها ، فاشتر التجارة وأشأ البحرية وكون الجيش وطم المسالية وأقر الأمن ورعى الصحة العامة واهتم بالزراعة وادهم بالتعليم ولما كان الجيش والبحرية كانا موضع اهتمامه وسر شدة كله . لأنه كان في أشد الحاجة إليه لحماية نفسه في عصر كثرت فيه الحروب والوقائع والجيوش ، ويشهد التاريخ بالمعززة لمحمد علي في ذلك . عقرية استطاعت أن ترسل إلى الميدان ألامام حيرة المسكر بحاربون مخلصين نشجاعة ومهارة ، يشهد له بأنه أقبل على اللاد وليس فيها حدى واحد جدير بهذا الاسم . فاستطاع في فترة قصيرة جداً أن يحول مصر إلى قوة ه حريه من الدرجة الأولى يخنى بأسمها ويحسب حسابها . ملأ بها نواحي الدولة الاسلاميه حرماً وحصراً . من السودان إلى بلاد العرب إلى الشام إلى الأناضول واليونان وكريد ، فأى توفيق ذلك وأى نجاح ، لقد أثبت هذا الرجل للرأى الأوروى أن الشرق لا زال قادراً على إعداد الجيوش وتسيير الجحافل وكسب المواقع والانتصارات ولو لم تكن السن قد علت به حين تأرمت الأزمات واصطلحت عليه الدول . لكان له شأن آخر مع المتحالفين عليه سنة ١٨٣٩ ، ولكنه كان يرى رجله في القبر ، ولم يحب أن يعادر الدنيا إلا وعرضه آمن .

جهود محمد علي
في الصناعة والزراعة

أما أعمال محمد علي الأخرى فيكاد شرها يعادل خيرها ، ولا نرى فيها شيئاً يستلزم عقوبة لقيامه ، فلا مصابيح تسوقف النظر ولا مزارعه تستحق الإعجاب ولا منشآت في البحر والبر بما يستحق الذكر . وإن كانت كلها مجتمعة تصور نظرية الرجل عن النظام المالي للدولة ، وهي نظرية « الاستقلال الاقتصادي للدولة » وتمكينها من سد حاجاتها بنفسها ، اهتدى إليها هذا الرجل الذي بقطرته السليمة ، ولم تهتد إليها أوربا نفسها ، لا بعد الحرب الكرى ، وها هي الدول كلها تحاول اليوم أن تصل إلى ما حققه محمد قبل قرن من الزمان .

١. « نظرية الاستقلال
الاقتصادي للدولة »

ومن الملاحظ أن إيرادات مصر في أيامه كانت في صعود يقاسم مع صعود مشاريعه واتساع دائرة أعماله ، ولم ترزع هذه المشروعات نظامه المالي ، فطلت النسبة بين الإيراد والمصرف محسوسة ، ولم يكن الرجل من الحكام الذين يدخرون المال ويسلبون الوسخ في ملأ الخرائن بالذهب ، وإنما كان ينفق على مشاريعه وأعماله سحابة ، ويعرف الوجوه التي يجمع من أجلها المال . وبذلك حاجة أخرى تميزه عن غيره من الحكام اشرفيين ، فقد فطن هذا الرجل إلى أن قوة الحاكم ليست بما لديه من ذهب وإنما بما في يده من مصانع وما على سواحلها من موانئ ودور صاغة وما في أرضه من محصول وما في مياهه من سفائن ، ولم يكن في أوربا ملك يعاصره يفهم مهمة الحاكم على خير من هذا الوجه . فلو قد قسمت الأيام لمصر خلفاً لمحمد على يرث مواهبه ومشاريعه لصرت البلاد لأهل العرب مثلاً في الإصلاح السياسي لا يقل عن مثل اليابان ، ولكن أمراً واحداً يفتق عمره في تأثيل ملك سياسي ، لا يملك بداهة أكثر من أن يضع برنامجاً للتقدم الانشائي » . (١)



أعرض محمد على
الإسماعيلية

ماذا أراد محمد على من ذلك كله ؟ . ماهى الأغراض التى كان
يرمى إليها من وراء هذه الحكومة التى أنشأها والقوة التى هيأها ؟ . .
لقد نلت أنه لم يكن يرجو فقط حير مصر وأهلها من وراء ذلك المسمى ،
وئس كذلك أنه لم يكن من الأحكام المثاليين الذين يصلحون للإصلاح
في دأته ولا يمكن القول كذلك بأنه كان يرجو إيهام الإسماعيلية وإقالة
عثرته من أول الأمر ، فماذا كان غرضه من ذلك ؟

لقد بدأ يستعد لعرض بعد من يوم استقر على ولاية مصر : بدأ
بمد الجيش وبمسكر فى الأسطول ويطعم نفسه ليدرك هذه العاية التى
صودها فى نفسه . فأى إغايات هى ياترى ؟

سوف نعرض من
رجال الدولة

لا راع فى أن محمدا عليا كان يهين ضعف الدولة العلية ويحس
أنها مقلبة على نهبتها ، ولا راع فى أنه كان يعرف أن سوء نظامها
واحتلال أمورها قد هبطها إلى الدرك الذى لا هوصل لها بعده ،
ولا شك فى أنه - يوم استقرت له الأمور فى مصر - أحس بأنه لن
يرال فى خوف من رجالها - أى رجال الدولة - ما طلت الأمور متصلة
بينه وبينها ، ولا راع كذلك فى أنه كان يعرف أن السلامة مكتوبة له
فى الخلاص منها والسجاء نفسه من الهوة التى كانت تسير نحوها ،
بهذا تنطق الينيات الأولى وتؤيده تصرفاته فى أوليات أيامه وعلاقاته
مع رجال الدولة والباريين فيها ، وإلا فما كانت حاجته لأعداد
الجيش العظيم فى مصر من زمن مبكر جداً إذا كان قد وطن نفسه على
أن يكون والياً عادياً من ولاية الدولة لا يظهر نحوها غير الولاء
والطاعة ؟

١ اندرو الارل
لاستعمال مصر

ستطيع إذن أن تقول أن آمال الرجل فى هذه السنوات الأولى

كانت لا تتعدى الرعه في الاستقلال عن الدولة وإقامة دولة قوية فيها
له ولأولاده من بعده

ولكن مصر أعطته أكثر مما طلب اليها . لم يكد يبدأ العمل فيها
نظامه وتديره حتى وجد حيرانها واروادها تنال عليه في وفرة
طاهرة ، فاذا حيشه أصعاف ما طلب وسلاحه يوقى على الحاجة من
الاستقلال ويريد . . وإذا آماله تنمو مع قواته وازدهار حاله . .
وإذا به يجد نفسه على حال من القوة تعوق سبطانه وحليفته . ثم لم
يلت إلا قبلا حتى أحس أن الناس يرون فيه هذا الرأي ، ويدركون
أنه أصبح أكثر قوة في الدولة الإسلامية ، بل لم يلبث أن وجد
السلطان نفسه يعترف بهذا ويؤكدده ، ويستعين به على الخارجين عليه
الذين عجزت يده عن ردهم إلى الطاعة . . فيستجده على الوهابيين ،
وإذا به - أي محمد علي - يحقق الأمل الذي رجاه في نفسه والذي رجاه
الناس فيه . فيهرم الوهابيين ويبعد بلاد العرب إلى طاعة السلطان

ب - دور الثاني
سرع آماله
أي ضم مصر

فإذا دخل الحجاز في رماه فقد استتبع ذلك نتائج سياسية على
جانب عظيم من الخطورة ، أصبح محمد علي أمير مكة والمدينة وصاحب
الأمر في الحجاز ، وهو بعد أقوى قوة في الدولة الإسلامية ، ودولة
الخلافة عاجزة كل العجز عن أن تقيم نفسها ومن هنا أحد الناس
يتساءلون . من أحق بالخلافة . . أهذا العاجز المنكث في القسطنطينية
أم ذلك القوى الساهض الذي يملك القاهرة ومكة والمدينة ؟ بل لم
يملك إبراهيم أن كتب إلى أبيه يلح إلى هذا الأمر ويشير إليه -
من خلف حجاب - قائلا إن السلطان لن يذكر بعد ذلك على المنابر
كحادم الحرم الشريف (١) ، ولم يلبث الناس كلهم أن جعلوا يتناقضون

(١) الدكتور صبرى : الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي ص ٢٨١
وعبد القادر : تعالوا نرى هذه المسألة في باب الرابع من هذا الكتاب

العسكرة ويرددونها ، حتى لتوقعوا أن يعلن شريف الحجاز أن صاحب
الكلمة وحاميها هو خليفة المسلمين (١)

وكانت السياسة الأوروبية في ذلك الحين تعين على ظهور هذه
العسكرة وتسميها في نفسه ، فقد كان ذلك أوام الصراع بين الانجليز
والفرنسيين من جهة ، ورمضان الكفاح بين الروس والانجليز
من جهة أخرى . ومن ثم وجد الفرنسيون أن مصالحهم تستدعي تقويته
وإسماضه ، بل فكر بعض الانجليز في الأخذ بيده ليوقف تقدم
الروس . . وأحد دعاة من الجاسين يتحدثون بذلك إلى أنفسهم وربما
تحدثوا إليه فيه ، « وأحدث الصحف والمراسلات الفرنسية الرسمية
تعدى في نفسه الاعتقاد بأن إعلانه الاستقلال نفسه سيقطع التأييد
والعطف في كل مكان . وراده الثقات نحو هذه الوجهة ما كان يرى
من طواهر العداوة إلى كان السلطان وورثوه يطاعونه بها » حتى
كتب كامل من القاهرة إلى بنسبي في الشام يقول « ان التهديد
ومظاهر العداء التي يبديها السلطان نحو محمد علي الحرية بأن تربيده
تعلقا بالاستقلال ، وبمحاولة تحقيق الغرض الذي لا أراه إلا ممكراً
فيه دوماً وهو إنشاء خلافة عربية . انه شديد لطموح بطمعه نحو
القوة والآفة ، وأنه يسرد من بين عامة المسلمين رعيه قوية تحالط
دمه في أن يخلد اسمه في صحائف التاريخ . ولقد طالما حاله الطالع
اسعيد (٢) »

وأي طالع أسعد لمحمد علي من هذه الاحطاء السياسية الكبرى
التي اجترحها السلطان حياله ، نخذه وعمره وآذاه ، ولو قد وثق له

موقف السعدان منه
يدفعه إلى التوثوب

(١) من خطاب من ماركر اي بن كاسح في ٢٣ من ابريل ١٨٤٢ (مكتبات وزارة الخارجية

البريطانية رقم ٧٨ — ٢١٢) عن دودوين وكامل فضل إنجلترا العام في العام الفرنسي وصلها

العام في الشام

السلطان بما وعد يوم طلب عونه في حرب اليونان ، لما وجد محمد علي فرصة يحقق بها أمله في الاستقلال التام عن السلطان . بل أى طالع أسعد من هذه الانتصارات المجيدة التي منحه الله إياها على جود السلطان . لقد أصبح بعد نصيبين سيد الدولة ملا براع ، ودخلت في طاعته دمشق ولماذا لا يصبح حلقة المسلمين ، لقد كان السيف أصدق الحاكمين في مصائر الدول والخلافت فيما مضى ، فمدا يجمع محمداً علياً من التفكير في تحقيق هذه العناية الإسلامية . وليس عليه من حرج أو جناح إذا فكر في ذلك.

د. محمد علي سيد
للمسلمين السيادة

بل لم يلبث عواطف المسلمين كلهم أن أيدته فيما صد إليه ، لقد استعان السلطان بالروس وألقى نفسه في أحضانهم فإذا بعد ذلك ، والإمام طاعه هذا الخليفة الضعيف الذي يستعدي حد الصاري على جد الاسلام . هكذا كان الناس يفكرون في القسطنطينية نفسها . وقرأت الى محمد علي نفسه أحرار تؤكد له أن الناس هناك يرون فيه الحصن الأخير للدولة من الاخطار المحيطة والنوارل المنكاثرة (١)

١ - ابدور الثالث
فكر في
اصلاح الدولة العثمانية

يعلم على الطل أن محمداً علياً طرب لذلك ورجا أن يحققه ، ولكنه كان يعرف أن تحقيقه لن يتم بالسهولة التي كان الناس في القسطنطينية يتصورونها ، كان يعرف أن الانجليز لن يحبوا بيده وبين ما يريد ، فأخذ يفكر في سبيل لاقتناع هؤلاء أولاً ، ومن ثم كتب مذكرة وسلمها الى قنصل انجلترا ليستبها الى دولته صرب فيها على الوتر الحساس عند ماسة الانجليز ، فأنتت بذلك حصاة رأيه وحسن

محمد علي فكتب
الانجليز

حينئذ . ذهب في هذه المذكرة الى أن غاية الأولى إنما كانت القضاء على
سلطان الروس في تركيا . وإعداد قوة كافية لأرغامهم على احترام استقلال
تركيا وفارس أيضا . وأنه لم يرم من وراء احتلاله الشام إلى غير هذه
الغاية وأنه كان يرجو بعد موقعة فوية أن يحدث في حكومة الدولة في
القسطنطينية من التغييرات ما يحفظ مساعي الروس لو أغاتته احتلوا
وفرنسا . وذكر أنه لم يلبث أن بعد جيشا عدته مائة وخمسون ألفا
من الأجناد للمعاونة الانجليزية لأدراك غايتهم السامية وهي الخلاص
لتركيا وفارس من يبر الروس . ثم رجا في آخر المذكرة أن تكون
العدالة الانجليزية إلى جانبهم حين يعلن استقلاله لأنه سيعرض ذلك إذا
استمر السلطان على عدائه (١) . وهذا أدلت الرجل دكا . ورعى
عهد التاريخ في دكا . وبعد طرده ، نعم أن هذا الخطاب
لم يحقق الرجاء الذي علق عليه ، ولكنه دل على أن الرجل كان يحس
التفكير في موقفه . وأنه كان يرن الأمور وربما عادلا دقيقا ، ومن
دلائل دكا أنه لم يتوجه رجاء كهذا للمؤرخين لأنه كان يعرف أنهم
كالطبل ضخامة صوت وقلة جدوى .

كانت نفس محمد علي إذن متعلقة بأشياء دولة إسلامية جديدة ،
وكانت عدته كله وآماله كلها تتجه نحو هذه الغاية ولو لم يقف الانجليز
في وجهه ، ويقصوا على آماله لتحقيق غرضه هذا ، ولفتح في تاريخ البلاد
الإسلامية فصل جديد ، ولأنجحت الشعوب الإسلامية نحو القوة ، ولصار
لها مستقبل لا يقل عما صارت إليه اليابان كما قال دودويل .

د - الدور الرابع
باسم محمد علي من تحت
الدولة العثمانية

أشار دولة إسلامية
تربته جاد بده

فإذا ينس محمد على من ذلك الأمل الأوسع فقد احتصر آماله بعض
أشياء. وضع بما كان في زمامه ، وكان سلطانه يشمل في ذلك الحين مصر
والسودان والحجاز والشام ، فأحب أن يستغل بهذه الواحي ، وأن
يدشئ من الشعوب التي تحدث العربية دولة إسلامية عريضة ، فعاد
يعرض على الإنجليز هذا الرأي ويحس منهم حياله ، فخير الإنجليز
بين أن يؤيدوه في هجوم على القبطية أو يعرضوه إذا حرج على
السلطان وأعلن استقلاله في البلاد التي يحكمها باسم الدولة ، ويبدو أن
أمله كان قوياً في أن يوافق الإنجليز على الرأي الثاني ، ولكن رجاءه
لم يلبث أن تحطم إذ أن الإنجليز ذلك بحجة أنهم لا يستطيعون ماصرة
ثورة على صاحب عرش من أحلافهم ، ولم يكن ذلك إلا حجة ندرعوا
بها ليجهوا أعراضهم التي سبق سابها ، (١) وراد عليها سبب حديد أمان
عنه بالمرستون في خطاه إلى السير ولم يكمل وهو الحذر من تسليم
طريق الإنجليز إلى الهدى عن سبيل المرات إلى محمد على بعد أن أصبح
في يده طريقها عن سبيل السويس (٢)

ذلك كان العرص البعيد الذي كان محمد على قد رمى إلى تحقيقه
لجأت الأيام بيته وبين ما طلب كما سيحيى بيانه . ولكنه حرى أن
يستوقف انتباهنا لأنه كان محاولة جديده لإقائه الدولة الإسلامية من
عثرتها التي صارت إليها .

الفتيات في سبيل
انتشار دولة إسلامية

يد أن الدلائل كلها كانت باطقة بأن هذا الأمل كان مآله الخسوف
حتى لو لم تمنع إنجلترا في تعييده ، وذلك لعدة أسباب ، أولها أن هذه
البلاد التي رجا محمد على أن يجمعها في لواء واحد لم تكن يسهارطة غير

(١) جودويل ص ١٣٢

(٢) جودويل ص ١٣٤

الدين واللعنة ، وفيما حلا ذلك كانت تختلف فيما بينها أشد الاختلاف بحيث كان من العسير جداً حكمها ربما ما طويلاً . وثانيها أنه كان لابد من محمد علي آخر يحلعه ليقوم على شئون هذه الدولة وينمدها بمكر صائب ورأى حصيف وقدرة عظيمة ، ولم يكن في الميدان امرؤ آخر من هذا الطراز ، لا من سلالة محمد علي ولا من غيرها ، وثالثها أن قيام هذه الدولة كان لا يحل الأرملة لقائمة . إذ ماذا يكون مصير القسطنطينية وحلافها ، وقد فصل عنها جسدها وبقيت قائمة تنوشها الرياح الموح ولا تكاد تثبت للروس ، وراعيها أن الروس لم يكونوا ليحلوا بين محمد علي وذلك الأمل ، بل كانوا حليقيين أن يسمو له بالمسكيدة وسوء التدبير . وغير ذلك أمور كثيرة

هكذا حالت أورودادون بعث لدولة الاسلامية من جديد ، وأصرت على أن تنفيها في حيث هي : ضعيفة عاجزة يبحر السوس عظامها ولا يجرؤ أحد على أن يتقدم اليها بملاح . ولقد حاولت مصر — أي محمد علي — أن تصلحها وتعت الحياه في كيانها الواهن فلم تستطع بل انتهى الأمر — كما سترى — بالقضاء عليها نفسها . فلامر للاثنتين — تركيا ومصر — من أن تصرا لهذا المصير وتعملا الحنة للخلاص والفرار من بيرة ، فدخلتهما في مكاهما لطوف طوفة على الشعوب الاسلاميه الأخرى ليرى أثر هذا الاتصال بأورودادها .

كانت صرية المرسيين في مصر فسله هائلة أزعجت الدولة وأقصت عليها هجوها الطويل ، فأفاقت على عمل وأحست تلتمس السبل للخلاص من هذه البازلة التي فجأتها على غير موعد ، ولو قد أحست في نفسها القدرة على دفع ذلك الشر بسلاحها لما كان ثمت مجر للبحيره . ولكنها كانت قد عرفت أنها لا تملك من الجند والعدة ما تمكنها من مدافعة الأعداء ومعاودة الخصوم . ومن ثم صهرت صمها على محاولة التقرب من الدول

أثر خلافه مع
مصر في دولة
الدولة

دوات القوة والسيادة لاحتى لها وتعيش في كنفها ، ولم يكن يوجد في هذه الأيام من القوى التي يعتمد عليها غير الانجليز والروس وأحست الدول كلها بذلك فتسارعت إلى القسطنطينية حتى لا تفوتها حصتها عند التقسيم ، ومن ثم حفلت القسطنطينية بعدد حافل من السمرات والقاصص والمدوين فوق العادة والفاطمين بالأعمال وغير هؤلاء . من رجال السلك السياسي . وأحد هؤلاء كلهم يبحثون الموقف فلم يحطوا في « تشخيص » المرض ولكنهم أحطوا في العلاج ، وكان الشفاء الذي يطلبونه لهذا المرض هو ابتلاعه والخلاص منه على أهون سبيل .

احساس الدول
بمربط في الدولة
العثمانية

يبد أن حثالات الأعداء كملت السلامة للفرصة ، فوفقت كل من عن كتب حذر الآخرين ، وأخذت كل من تحال على الآخرين وتخاذعوا وتعرضوا ، أحد الروس يتفرون من الانجليز ويتوددون إليهم حتى يوافقوا الآخرين على تقسيم تركيا ، وهم الانجليز أن ود الروس لم يكن في حقيقته إلا حاسية ، كأنهم عرفوا بالضرورة ما تنطوي عليه الرسائل السرية التي كان يتبادلها دينا لاسكي معوث الروسية في القسطنطينية ونشاد توريسكي وزير خارجيتها في أكثر هذه الأيام فرفضوا إحالة الروس إلى هذه المطالب وأبوا الاشتراك وإياهم في تقسيم الدولة العثمانية

حلاف الدول
على تقسيم العثمانية

يبد أن كلا منهما - روسيا وانجلترا - كانت في حيرة من أمر فرنسا وعلى حذر منها ، وكان نجم نابليون الصاعدين في نفسيهما قلقا مؤسسا إذ حسنا أنه لا يعنى شيئا بعد ابتلاع الدولة العثمانية والقور بأرضها حملة ، ولم يكن العهد بعيداً يحملته على مصر منذ سنوات ، بيد أن الأمر لم يكن في حقيقته كذلك ، فما كان نابليون يتولى شيئا نحو تركيا ، وما كانت فكرة تقسيمها لديه إلا وسيلة يحجب بها أعداءه أو يجتذبهم بها إلى صفه حسب الحاجة (١) ، ولهذا لم يجد له أي أثر إيجابي على كثرة

(١) عن بناء الممانعة المصرية للاستعداد عن الـ ١٨٤٠

ما يجد من مشاريعه وخططه في هذا الصدد ، وحتى بعد تلزت - بعد أن أصبح في إمكانه أن يفعل ما يريد دون أن يكون عليه حرج من ذلك - لم يكن يرجو من وراء مشروع التقسيم الذي عرّضه وريره تاليران على النمسا ، إلا إحاقلة روسيا وإرهاها (١)

تاليفات والمآلة
الشرقية

بل كان يليون يرجو محضاً أن يهض الأتراك على أقدامهم فيعلقوا الداب في وجه الروس من جهة ويحيطوا مساعى الانجليز وبأحدوا عليهم طريق الهند من جهة أخرى ، ولكن تركيا كدت أعجز من أن تأتى من الأمر شيئاً ، لا لصالحها ولا للأتريبات ، بعد كان الشاوات في الولايات لا يربطهم بالدولة غير ولاء طاهرى ، وكان الاكشارية لا يصفكون بثوره بالدولة ويعقدون الحاصر مع اللصوص سرّاً وعلاجه . وكانت عصبات السراق تصل بعاراتها إلى أنوار القسطنطينية ، وكانت مصر فسمه صائفة بين الممالك والألوان ، وخرجت مكة والحديبة من يدهم إلى الوهابيين ، ولم يكن بين أنصارها أو حصومها خلاف على أن هابها أوشكت أن تكون (٢) فكيف تستطيع والحالة هذه أن تحرك ساكناً

تاليفات ومحاولات ، معاذ
السلطان

ولكن ، بدون لم يطاق على هذه الحال صبراً ، ولم يلبث تعجب أن مله من أمر هذا السلطان الذى يرى الأعداء يجتاحون بلاده ولا يتحرك لرد أحد منهم ، فهاهنا ، هانت : ياسليل آل عثمان الأعظم . ألم بعد ذلك حكم ولا حيلة . انهض ياسليم ! (٣) ولكن سلبنا لم يهض إلا عن أنصاره عن البهوض ، بل حوفا من الروس ، وهم يشرفون عليه من شمال ولا يعقوبه من شر إذا هو مد يد الخليف لعدوهم باليون ، ويطلب على الطل أن هذا الأخير قد أدركه اليأس من الأتراك ورسل سفيره مستينى يستطلع الأمر ويدرس شؤون

1 Vandal Napoleon et Alexandre I, P 4

2 Driault Question d'Orient, P. 82

(٣) هاهنا المآلة المصرية : ص ٢٠٠

الدولة . فلم يكدها الرحمن الماهر برل بلاد الدولة حتى وجد أمراً
عجاً . وحد النفوس عطشى الى الخلاص والآمال حيرى تحت عن
مخرج من حرج الروس وصق لبأس . فلم يكادوا يرون رسول
باللون بينهم حتى هلكوا لمقدمه واحتفلوا به أحسن احتفال
سمواه في ذلك أهل طرابلس والاسكندرية والقاهرة وعكا وأرمير
وجرائليون ، أو أية حاجة أخرى رارها ، ولم تكن دهشة الرجل
لهذا وحده بل لما لمس من ضعف القوى الإسلامية حتى لقد أكد
في تقريره الذي شر في مجلة الموبتير سنة ١٨٣٠ أن ستة آلاف
جندي فقط قد يرون على احتلال مصر (١)

تقرير سياسي
يشرح غاياته لا يجلز

أثار هذا التقرير مخاوف الانحسار ، ولكنه لم يبلع من الاتراك
مثاراً . فطلوا بطور حوفهم حذراً من الروس ، فلما ترامت إليهم
أنباء أوسترنتر ، وأمسوا شر الروس ، هبوا دفعة واحدة يعلنون لسيد
أوربا ما أمسكهم الخوف عن اعلانه . ودا بوضوح أنهم يرون في
مأندون يدا أرستها لعامة لعصاب عالم مسموم (٢)

وبهض سليم . وكان يعسكر مدحبي في الإصلاح ، ولم يكن له عن
ذلك محيص وهو يرى الموت يذب في أوصال لدهلة ويسرع بها نحو
النساء . فلم يكده يفعل ذلك حتى قامت في وجهه الحوائل وأدبرته الدر
نشر مستطير . ودكرته بأنه لا مفر له من أن يربل حطام البيت القديم
لستطيع إقامة الحديد على أساس جديد

ولكن سبيله لم يكن ميسرة ولا مأمونة ، أيريد سلطان أن يفتي
جيشاً جديداً على لطام الحديث ؟ فما حيلته إذن في هؤلاء الانكشاريين
الذين أصبحت الحرب في يدهم احتكاراً لا يكاد يبارعهم فيه أحد ،

من إصلاح
في ك

Montear Affiel, 30 Jan, 1803

(١)

Driault, Op. Cit P. 82

(٢) عن خطاب من لسترا إلى مصرانجرا أو منجريف ١٥ فبراير ١٨٣٦

أمر يدان يستبدل بهم جديدا جديدا على « نظام حديد » ؟ إذن فليأخذ
الحذر تقية من ثورة تكون منهم . فهم لا يسلون أنفسهم بهذه السهولة
وما كان هؤلاء « الثائرة » أن يفهموا من دعوة الإصلاح إلا أنها وأمره
لا يراد منها عبر القضاء عليهم والخلاص من أمرهم

من ثم بدأ صراع طويلا بين الحديد والقديد في تركيا : سلطان
يرى الخطر بعينه ويواجهه من المسلم المظلم ، وشعب راكد
مجهل . دان على نفسه الكسل وفاض روحه بالناس وأعاق أدمه
بحافه أن يسمع شيئا ولا يسمع رايعه أبدا . هذا خلاف ما رأته في
مصر . فلهذا شعب كره الإصلاح لأنه لم يفهمه على وجهه ، ولم يحاول
أن يفهم في وجهه أو يعوق سبيله . وإنما سمح به لأن طبيعته — أى
طبيعته الشعب — تسمح بالتقدم وتألف التغيير . فتركيا شعب طال
به الأمد في حبل العرور وأحلام السيادة ووجد في قول الإصلاح
مسة له وعارا . فأصر على العناد ، وفي مصر شعب أعزل يستطيع
فرص الإصلاح عليه وتحمله إلى مئة . أما في تركيا فجيش على شيء
من القوة لاسيس إلى إرغام أهله وإلأله . وهذا هو الفرق بين البلدين
وهو السبب في تفوق المصريين على الأتراك في أوائل القرن التاسع
عشر ، وتفوق المصريين على غيرهم من أمم الشرق في ميدان التقدم
والتحضر .

حاول السلطان سليم الثالث أن يصلح . فبدأ « صلاح الساحة »
الحربية فاصطدم بالانكشارية وكان من حظ السلطان أنه لم يكن
وحيدا كما كان محمد على في مصر ، بل وجد من رجال دولته أنصاراً
أقوياء على رأسهم البير فدار مصطفى (١) ولكن الانكشاريين انصروا
وأرغموا السلطان على سحب « الخط الشريف » الذي أعلنه تأليف

(١) محمد القردى معيلا للإصلاح في تركيا في الباب الثالث من هذا الكتاب

الجيش الجديد ، ولم يكن عليا العوس بذلك إذ لم يرل السلطان على نيته ولم يزل الاسكشارية على الحذر ، وانهى الامر ثوره أخرى من جانب الجند عرلواها السلطان وقتلوا مسعة من وررائه ليسترينحوأ من شرهم .

انتصار الرجعة

وتعافت الثورات وكثرت الاضطرابات وحلف اللاطين بعضهم بعضا على يد الجند ، وانهى الامر بانتصار الرجعة والحمود ، وحمود فكرة التقدم والعودة إلى النوم (١) .

ولكن ذلك لم يكن إلا طاهراً يسترخه أموراً أشد خطراً . لقد سى السلطان وجنده أن أفكار الحرية تنتشر مع الهواء ، وان دعاوة العصر الحديث لانتخاج للرسميات لقرر أو تلعى ، فليخطر الجبان قليلا على مضض اليأس وحرف الكيد واللد ، وليؤما ماشاءا بأن الهابة كرت أن تكون . وليضطرا في أس إلى هذا المصير الأسود ، وليكسهما عيان أن لا يسيا أن صروف الأيام سوف تحذف منهما كل مقدور ومطور

و لاهال بالعرب
في الشعوب لاسلامه

وعلى هذا العرار قس نفة البلاد الاسلاميه ، سرى إلى موسها الاحساس بالخوف من العرب والحصارة القرية ، ورادها حوقا وحقاً ان أوروبا طالعتها بمظاهر قوتها قبل أن تطالعتها بمظاهر حصارها ، أو قل أنها فهمت وجهها الأول وعاب عنها وجهها الثاني ، ولما كانت شعوب الشرق قد نهضت أيديها من السياسة من قديم الزمان وتركت مياديبها للحكام والأمراء فقد وجدت أن الخطر الأوروبي لا يعيبها وإنما يعنى حكامها وأمراءها ، لأنه — بعد — شأن من شؤون الحرب

(١) ذلك إجماع الحركة . ويعد القارى عنها مصيلا في الجبر المحصر بالاصلاح في دى ن الفصل الثالث من هذا الكتاب

والسياسة وتصاريح الدول والحكومات وليس لها نصيب في ذلك كله ، ولهذا أحس بالخطر سلطان تركيا ووراثته ولم يحس به شعبها ، واهتم للأمر محمد علي ولم يحسن له عامة شعب مصر ، وروح للخطر شاه فارس ولم نال به أمة الفرس لأنها حلت الأمر ، لا يعيها ولا يتهدها بشر ، ومن يدري فرما رأيت في غلات القوى العربية لحكوماتها سبيلا للحلاص من هذه الحكومات ، وكان من المعقول جداً أن يقع من كثرتها موقع الرضى لو لم تكون أو . وبها مسيحية ولو لم يعد هجومها على الشرق بعباً على الاسلام .

وكانت أمم الاسلام كلها قد ومن أمرها وحل فيها الضعف من الدول لاسلامه في مطالع العصر الحديث ، حتى فارس التي لم تكن لها بالدولة العثمانية صلة ، والتي كانت حرة أن تظل على حالها من القوة لقلة ما رل بها من الاحداث وما عرف عن أهلها من اتصال النشاط واصطراذ الجهود والنهضات . ولكن الغالب أنها كلها - أى أمم الاسلام - كانت تمر في دور من الانحلال السياسى والاجتماعى ، يؤذن منه عصر جديد .

أحسست فارس بخطر العرب احساساً ظاهراً ، إذ تهددها الروس من سنة الامر ، أى من أيام بطرس الأكبر . إذ كان سبيلهم إليها بين البحرين - فزوين والاسود . وبين البحرين أى تركستان ، وقد سمل للروس هذه المهمة أن يرفق حاكم أهلهم جورجيا أسلم للروس بلاده في أوائل القرن التاسع عشر ، وبهذا افتتح الباب على مصراعيه ، ووجد الفرس أنفسهم وجهاً لوجه أمام الروس فملكهم خوف شديد (١)

وكان على عرش فارس في هذه الأيام أمير على جانب من بعد الطر

الده مع على

(١) محمد في الباب الثالث من الكتاب صلياً واما تاريخ فارس في العصر الحديث

وحسن الفهم وهو اشاه فتح على . عرف بالقطرة - والتجربة أيضا -
أن قواه لن تفت لظروفان لروس وسرع يستعين بالسياسة الأوروبية
يستفيد من أحواله وصروفها . ولا راع في أنه كان على اتصال بأوروبا
لأنه لم يأت أن عرف عسدا . الروس للفرنسيين فعجل إرسال
عسده إلى المليون يستعديه ويحتضنه . وكان «ليون يميل كل الميل
إلى استعمال لقصه لشرقية لارهاب أعدائه الروس والانجليز ، فلم
يكدر أن يفرس ينفقه في مكشنتين في ٤ مايو سنة ١٨٠٧ حتى وقع
معهم معاهدة من هذه المعاهدات التي كان لا يعي ما يقوله فيها ، وما
يورعها بفرسه للناس وسوى . فضمن لهم حقهم في جورجيا
واستأذهم في أن عمر حدوده سلاطيم في سبيلها إلى الهند . وما
كان يرحو من وراء ذلك كله إلى أكثر من أن يتفهم الانجليز بأنه
لارال يد . للهند ولنفس لسبيل إليها ، بل لعله لم يدب « جاردان »
ويبعثه إلى فارس ليدرس حفظه فتح الهند منها . إلا أنكي يشمر الانجليز
أنه لارال يسعى لحقهم ، ومصادق ذلك أنه لم يكدر ينتصر على الروس
ويكسب ودهم بعد فريدلند في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٧ حتى نقص يده من
فارس وغير فارس ، ولا عليه بعد ذلك : أطلبها الروس أو أنفوا عليها
فما كان له في عونها أرب ولا عابه

كان اللقاء الأول بين الشرق والحضارة العربية شراً مستطيراً
على شعوب الشرق الاسلامي ، لأنه كشف للعرب عن حقيقة هذه
الشعوب فلم تعد يحشاها ولا يحسب لها حساباً . وأحد يرسم الخطط
لاستلاعها وتقسيمها ، وعادت إلى أذهان العرب ذكري الحروب
الصليبية فسار بعضهم - كالروس - في الأمر وكأنه يثار ليوم حطين .
وأدركت شعوب الشرق ضعف أمرها وهوان شأنها ، وعرفت

اللقاء الأول بين
الشرق والغرب

أن لا يحيص لها عن دفع الخطر العرفي بالأساليب العربية ، فحاولت أن تستعين بأوروبا لا أدراك هذه العاية فوجدت أوروبا تتدعها ولا تتبعها ذلك إلا بأعلى ثم وهو الحرية ، بل أحست أن أوروبا كلها يد واحدة ورجل واحد وإن اختلفت الرعات والألوان والأحوال ، وعرفت أن أوروبا مستعدة لأن تفهم المسألة على أنها حرب صليبية ، فتقف كلها صفا واحدا كما وقعت قبل ذلك معروون

أراه ذلك لم يبق للشرق من أمن في غير نفسه . فعاد ليها ينظر فيها ويبحث أمرها ، وقرها إلى مارأى من حصارات الغرب وأحواله فاستطاع أن يفهم حقيقة علته ، وأحد يلتمس السبل للخلاص منها . ولكنه لم يكن يفعل ذلك حتى وجد السبل تؤخذ عليه فلا يسمح له بأن يصلح من أمره على هيئة ، وحيل بين الوهابيين وما طلبوا من اصلاح المسلمين في أمور الدين . وحيل بين محمد علي وبين تخصيص مصر وأهاسها ، وحيل بين سلطان تركيا وبين اصلاح بلاده ، وحيل بين شاه فارس وبين حماية نفسه من الروس ، فما لعمل إذن ؟ فاما التسليم بالموت والهزيمة فأمر لم يحس حبه . وأما انتظار العدل والانصاف فاستطاع للبوت والعناء . فلم يبق إلا التعجيل بالعمل ، وإذا كانت الخواثل تحول دون هذا التمهيد فلا سبل إلا الثورة ، وما دامت « الدولة الاسلامية » بحالتها الراهنة عتقة من عتات الهوس فليبدأ بالثورة عليها حملة ، ثورة عليها كطام ديبى وكصدم اجتماعى وكظام سياسى ، ثورة شاملة يشترك فيها المسلمون أجمعون سدوهم وحصرهم ، ففعل الدولة الاسلاميه ، أن تخرج من مرحل الثورة وقد صرتا يراها فتستطيع أن تسيير إلى الامام تحظى ثابته بعد أن تمت عنها المبر أو شاب الماضي وعقائيل القرون .

تفكك الوحدة الإسلامية

قرأت الشعوب على ملاحع عواهاها علام الحية ، وقد حاول هؤلاء الحكام أن يسكتوا أحوار الحرية أو يسقروا أمارات اليأس فطلوا على حالهم من الترفع على الرعية والتعالى عنها ، كأن ما زلهم لم يهر منهم حانا ولم يثر روعا ، فكانوا في ذلك محطين ، ولو أنهم فكروا بمد تلك اللحظة في الاستعانة بالشعوب ودعوها للتعاون معهم لكان لهم مهاجى ومأم ، ولكسهم لم يقطوا إلى ما فطن اليه أناطرة اليابان قبل ذلك الزمان ، فقد فطن هؤلاء إلى أن رعايهم أحيى عليهم وأرعى لعهدهم من أية قوة شرقية أو عربية ، ومن ثم بدأ ذلك التعاون الحليل الذى ارتفع باليابان من الحصبض الى الاوح فى سوات ، ولكن حكام الشرق كانوا يحكمون بوحى الماصى لا بوحى الحاصر ، فكان ذلك سدا فى هذه المأسى المتتالية التى سننمر تاريخ الشرق الاسلامى فى ذلك العصر الحديث . والنس سحمل الوبال على الحاكمين والمحكومين معا .

وكانت اشعوب قد أدركت مد حين صعب حكوماتها وعبرت فى مناسات عدة عن سخطها على هؤلاء الحكام وعدم اقتناعها بصلاحياتهم للحكم ، وسرى فى كثير من الأقوام الخاصة لآل عثمان شعور بأن القائمين بالامر قد وهن أمرهم واصبح حالهم واجتاحتهم موجة الترف الى اتاب الدول الاسلامية قلمهم . وأحسن هؤلاء الأقوام بأن التاريخ يناديهم ليتنموا دوره العمران التى تكررت على مسرح السياسة الاسلامية مئى وثلاث ، وبدأت أقوام البدو تتحرك لنش عازتها على الحصر اتريابهم وتعت الحياة فى جسد الدولة الاسلامية من جديد .

هكذا نستطيع أن نعلل الحركات الاصلاحية التى نشأت فى بعض النواحي الصحراوية فى الدولة الاسلامية ، وليس من الصواب العول

سبها بأن الأول هو الاتصال بأوروبا وانتشار آراء الحرية بين المسلمين كما يزعم نفر من المؤرخين (١)

لا نزاع في أن معظم الحركات التي ستحدث في العالم الاسلامي ستكون ناشئة عن الاتصال بأوروبا . ولا جدال كذلك في أن الاتصال بالغرب والحضارة العربية قد فتح عيون المسلمين ودفعهم إلى التفكير في الإصلاح ، ولكن القول بأن الحصار الأوروبي أصححت السبب الوحيد في كل ما سبق في مواسم الدولة الإسلامية من الحركات والاحداث منعه لا يؤمن معها الخطأ ، فقد فكر المسلمون في الإصلاح قبل الاتصال بأوروبا زمن طويل ، وتنبأوا بما أن القائمين بالحكم فيهم أصبحوا غير قادرين على القيام بامعالي الحكم على الوجه المطلوب وإن استدال غيرهم هم أصح من أزم الأمور للاحتفاظ بكيان الدولة الإسلامية .

المقاس القوي

ذلك ان المسلمين درخوا على أن يربوا دولاتهم بميزان الدين ، وبهدروا صلاحية حكاهم للحكم أو يحرمهم دونه بمقدار محافظتهم على قواعد الدين واشراطه ، وهذا مقياس بين واضح . لا يحتاج المسلمون إلى آراء العرب ليعرفوه ، في دام الحاكم مسمسكا بهداه الدين لحكومته بحير وعافية ، وإذا تعاضى عن الدين وأهمل جانبه لحكومته بأغية لابد من الخلاص منها .

يبدأ به لابد من القول بأن الحصار العربية ساعدت على ظهور هذا الضعف من ناحيه ، وأررت هذا الضغط من ناحية أخرى ، فقد كان ضعف الحكومة الإسلامية لا يضير المسلمين ماداموا في أمن من العدو المهاجم الذي يهدد حياتهم وأراقهم بالخطر ، وقد كانوا في غنى عن ثورة عليها مادامت لها عيبتها وقوتها ، أما وقد رأوا عيوبهم

جيوشها تهزم وألويتها تنهات ، أما وقد وحدوا الروس يعشون بها
والفرنسيين لا يرعون لها حرمة ولا مكانة فقد بدا لهم ضعفها واضحا
ولم يعد للسليين دمن أن يتداركوا أنفسهم قبل أن تصحهم البارلات
تحيلها . ومن هنا برز السخط وتجلي بعد أن كان حافيا مستورا .

وأيقظ الاتصال بأوروبا عوامل الحقد بين الأجناس فأوحد
بذلك سببا حديدا من أسباب الثورة على الدولة الإسلامية ، فرفعت
الأجناس المتنافرة روسها وبدأت تطالب باستقلالها وخروجها عن
سلطان آل عثمان ومن هنا نشأت الحركات الاستقلالية في العرب
واليونان وعامة شعوب البلقان

وتنبتت دول أوروبا ضعف الدولة الإسلامية فأحدث تفكر في
تقسيمها والخلاص منها ، فلما وجدت أن ذلك سيطول أمره أخذت كل
ممة تفكر في الاستيلاء على ما تقدر عليه من أراضيها ، ومن هنا
عسكر الفرنسيون في الاستيلاء على الجزائر والروس في الاستيلاء
على فارس .

من هذا كله ، مجتمع لدينا سلسلة من الأحداث والثورات ثورات
الداخلية والخارجية ترمي إلى الخلاص من الدولة العثمانية والقضاء
عليها ، فثار الوهابيون على نظامها الديني ، وثار محمد علي على نظامها السياسي ،
وثار البلقانيون على حكمها ، وثار السلطان نفسه نظامها الحرفي .
وثارت أوروبا بوجودها جملة

إزاء ذلك كله كان على العثمانيين أن يعرفوا أن علاج ذلك كله هو
أن شورواهم الآخرون بأنفسهم . فيعضوا عن أنفسهم وضر الماضي
بعلائه وغيوبه ويررون للدينا أمة جديدة في كل شيء . تسير العصر
الحديث و تقدر عليه كما فعلت اليابان

الرفاعي يورثه

نوره على النظام

الدين للدولة الشامية

فكرة الإصلاح الديني عند المسلمين قديمة جدا ، فكروا فيها منذ منتصف القرن السابع الهجري ، وبأدى فيها منهم دعاة على جانب عظيم من الاخلاص والامد والافتدأروكان ظهورها موافقا لظهور الضعف في الدولة الإسلامية . وحواف المسلمين من اسبابها ، كأنما رأوا في إصلاح الدين صلاح سياسة وهذا يلاحظ موافقا عكسيا بين حال الدولة ونشاط الدعوة إلى الإصلاح فكذلك تصدع كيان الوحدة الإسلامية وساء عليها ألوه كليا اشتد المسلمون طلالا بل إصلاح وتمدقانه ، ولهذا متلاحظ أن حركات الإصلاح مستكثر وتشتد ويعظم اقبال الناس عليها خلال القرنين اثناس عشر والثاسع عشر : أى خلال العرة التي ظهر الخطر على الدولة الإسلامية فيها واصحها جلليا .

بر بيمه

وقد بدأ هذه الدعوة عالم من علماء حراان هو اس نيمية (تقى الدين أبو انعام أحمد بن عدا الحليم بن عدا السلام بن عدا الله بن محمد) قام بينه المسلمين إلى ما وقعوا فيه من الفساد بسبب الانحراف عن جماده الايمان الصحيح فهاجم الحكام وانهممهم علاية بالمروق ومحالفة الدين وهاجم علماء عصره وانتقد طرقهم في التعليم والافتاء والتشريع ، وهاجم العادات الشائعة في زمانه إذ وجد فيها محالفة للشرعية الخبيثة ، ولم يقتصر على ذلك بل وهاجم قلبه ولسانه كل الفرق الإسلامية كالأخوارح والمرجئة والرافضة والقدرية والمعرلة والجمهية والكرامية والاشعرية وغيرها « و » طعن كذلك على الرجال الذين يعتبرون حجة في الاسلام ، فقال على مر جامع الصالحية أن عمر بن الخطاب

وفع في كثير من الاحطاط . وهل أيضا أن على من أتى طالب أخطا
ثلاثاته مرة . ولم يرد في مهجة كثير من الاعلام الذين سبقوه
وانعقد اجماع الناس على تفردهم بالعلم والحق في الدين والفلسفة وهما جهم
انهم الى شدة كما هاجم محي الدين بن عربي وعمر بن الفارض والصوفية
بوجه عام « (١) ومن هذا نأثر ان نيمية وتلاميذه على نظام الدولة
الاسلامية اندمى ، ودعا الناس في كثير من الحراء والقوة إلى اصلاح
شأنها وتقويم أمرها ، ووصف للناس سبيل هذا الاصلاح والتقويم
بأن يصحهم بالرجوع إلى القرآن والحديث والاكتفاء بصحبا ، كما
قد مارس لوثر حين دعا المسيحيين إلى إصلاح شأن دينهم بالرجوع
إلى الكتاب المقدس وحده (٢)

رحب الناس بالناس نيمية واسمعوا إليه وأعجبوا به ونعصب له
مهم قروى . ولكن دعوته لم تلق من التوفيق ما هي حذيرة . لأن
الناس كانوا في زمانه مشغولين عن الاصلاح الذي يحرب استمر
وعبرهم من الشعوب التي تهددت المسلمين بالهجوم في ذلك الحين .
وكانت دعوته كذلك حليقة بأن يعرض عنها الحضر الذين عاش وتغل
يهم في مصر وانشام . ولو قد كانت دعوته في قوم من الدول لعلت
فيهم فعلا منذ ذلك الحين . ولهذا طلت دعوه الرجن على ركودها
رمانا طويلا حتى تأذن الله لها بان تصل إلى آذان بدو العرب في
حريرتهم بعد ذلك بنحو أربعة قرون ونصف . حملها إليهم محمد بن

(١) محمد بن عبد الله في دائرة المعارف الاسلامة . ما . بن نيمية — ترجمه احمد بن

(طبع القاهرة)

(٢) حياته الأستاذ ساعد رحمه . ترجمه العرب في القرن العشرين (طبع القاهرة ١٩٢٦)

عبد الوهاب الذي عاش في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي (الصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري)

محمد بن عبد الوهاب

حول محمد بن عبد الوهاب مبادئ ابن تيمية إلى برنامج سياسي ، فقد عرف بذاته أن لا نجاح لأرائه مادام الناس حاصمين لهذه الدولة العثمانية التي أصبحت تعتبر الإصلاح أيا كان لونه خطراً على كيائها وأضحت مع الجامدين لها على كل مصلح وناصح ، وكانت حياة أستاذه الأول ابن تيمية قد أدت له أن لا أمل له في عيون رجال الدين في الحواضر الإسلامية كالقسطنطينية ودمشق والقاهرة . لأن هؤلاء الرجال قد تحولوا مع مرور الأيام إلى موطئيين رسميين جامدين . لا يميلون إلى التعبير أو التطور أو الثورة ، وأصبحت لهم أرزاق موصولة ومراكز موقوفة لا يجارحون بها في سبيل نظريات لا يؤمنون بها كثيراً ، وعرف كذلك أنه لا بد له من سند سياسي يعزز مبادئه الدينية . لأن النظريات لا تنصر بقوتها وصدقها بل بما يؤيدها من قوى السياسة ، فاعاد نفسه عن هذه الحواضر وأوساط المدينة وعاد بأرائه ودعوته إلى البيئة المناسبة لها وهي البيئة الصحراوية التي تميل إلى الزهد والتشفيط ، وكانت طوائف البدو تنطوي على الكراهية والاحتقار لهذه الجماعات الإسلامية الحضرية المترفة ، وكانت ترميها بأنها كانت السبب فيما أصاب الإسلام من مكات فاحش ابن عبد الوهاب استغلال هذا الشعور ، واستطاع أن يكسب ود أمير الدرعية محمد بن سعود جسد آل سعود الحاليين ، واستعان بقوته وسلاحه لكي ينشر مبادئه بين قائل العرب بحد السيف حتى استطاع قبل موته سنة ١٧٩١ ميلادية أن يجمع جزيرة العرب كلها إلى لواء آل سعود ، وأن يعرض آرائه ويعاونه على أهل الجزيرة جمعاء . (١)

فأعطت الصلة بين ملاد الدولة العثمانية وأصبحت حارحة عن طاعة
حليمة المسلمين .

ابن عبد الوهاب
والاسلام الرسمي

لم تلو أفكار الوهابيين قبولاً عند عامة المسلمين لأن القائمين
بأمر « الاسلام الرسمي » في الحواضر الاسلامية تصدوا لهدم الدعوة
وحرصوا على أن يشوهوا مآذنها لكي يثيروا السلطان عليها ، وفجحوا
في ذلك . إذ وقع في طن السلطان ورعاه أن حركة الوهابيين حركة
انصافية ينبغي القضاء عليها عن أي سبيل ، وذلك لأن الوهابيين
أعلنوا سحقهم على كل الطوائف الاسلامية الحصرية التي استسلمت
للترق والرحاء ، ولأنهم لم يقفوا عندها الحد بل أخذوا يصارحون
الدولة بالعداء والتحدى . وأخذوا يعملون صراحة للاستقلال والافصال
إذ استطاع سمود الثاني الذي حلف أباه سنة ١٨٠٣ ، أن يفتح المدينة
سنة ١٨٠٣ ومن ثم أرسل إلى السلطان ينهاه عن إرسال الحمل السنوي إلى
الحجاز مصحوباً بالمرور والطول ، وجرى في مخاوف الدولة أن
الرجل بعد حملات لا تملك أن تعبر على العراق والشام (١) .

الوهابيون بشرهم
والجهاد الديني

واشتد إيمان الوهابيين بأنفسهم حين ترامت اليهم الأمانه من زائم
الدولة أمام القوى الأوروبية واضطاروا إلى الخضوع لهذه القوى ،
فسب الوهابيون ذلك كله إلى نهاون العثمانيين في شئون الدين وأحسوا
أن واجبهم الديني يتطلب منهم أن يحموا للدفاع عن حوزة الاسلام
في هذه اللحظة التي أرادت فيها الصراية أن تقضى عليه ، وهكذا فهم
الوهابيون وغيرهم من الجماعات الاسلامية هذا الصراع الجديد بين
الشرق والغرب على أنه عدوان من الصراية على الاسلام ، وعادت
إلى أذهانهم ذكرى الحروب الصليبية الراقدة في عقولهم الباطنة ،
فوقع في طونهم أن حماية الاسلام إنما تكون بالاعتصام بحبل الدين

(١) انظر «اصيل غار الوهابيين على العراق في الجزء الخامس» في كتاب «هذا الكتاب

والرجوع إلى أصوله . والاتحاد على كل جديد على اعتبار أنه مدعة تصير
الإسلام وتضعفه في صراعه مع الصراية .

لم تكن بلاد العرب من البلاد لعبية التي يحرص ادولة لعثمانية
على الاستيلاء عليها ، ولم تكن في موقعها ما يغري بالحقبة عليها أو يساوي
جهد الاحتفاظ بها ، ولكن بقاها في يد الحقيقة كان أمراً لا بد منه حتى
تتم « تشكيلات » خلافة المسلمين حامى البلاد
المقدسة وصاحب الخطة على مآرعا . ومن هناك كانت حشية انسلططين
من أن يطمئ الناس بهم المصعب و لو لم يمد هم عن اسر داذ هذه القناع

أهمه بلاد العرب
لدولة العثمانية

ولم تكن ثورة الوهابيين أحضر ما رل بادولة من ثورات
والأخطار في ذلك الحين ، فان واحبها حمما كانت نفيس بالحركات
الهدامة والمدمية الانصافية . وكانت المهر ثم التي أصابت الدولة في
ذلك الحين على يد الروس والفرنسيين قد أبطت الرعية في كل مكان
ودفعتها إلى التمكيد في الثورة ، ولا بد من اهتمام الدولة بالبدء باحد
ثورة الحجاز الا يحرص السلطان على أن تتم له تشكيلات الخلافة حتى
لا يهون أمره على رعاية المسلمين ، وربما نال بعض المؤرخين فذهب
إلى أن الدولة لم ترد من الاسعانه بمحمد على الا القضاء على هوته
التي كان ماصيا في انشائها في ذلك الحين . لأن حبش محمد على لم يكن قد بلغ
إذ ذاك المذبح الذي يحيف الدولة منه ويدعها إلى اسمى للقضاء عليه
وإنما الحقيقة ان السلطان أحس بضرورة الاسراع بالقضاء على هذه
الحركة الثورية الناشئة . ولم يجد في يده الجند الكافين للقضاء عليها
في هذه اللحظة التي كاثرة الأعداء فيها ، ثم وجد أحداً أتاعه — محمد
عبد قادراً على القيام بهذا العمل فكلعه به . ولم يجد محمد على بداً
من الطاعة والاذعان .

لاد عبدة لدولة
المصعب على حركة
الوهابية

في أيام أجدادهم . أو أيام طهر عد الوهاب . صحارى وبلاد عربية من الصحارى ، أو يوم كانت السد موطن اقوة ومع انبهات في العالم . ولكهم بسوا لتطور العظيم الذي شمل الدنيا ، وعانت عنهم قوة الحصار الجديدة التي استحدثها الأوروبيون ، ولم يكن المدسذهم ، ولم يكن ينظر منهم أن يهكروا إلا على هذا النحو ، ولو أنهم اطعموا على مظاهر الحصار الجديدة وعرفوا مكانها من القوة لاحتمهم ذلك وألقى لروع في نفوسهم . ولا بعد أنه كان يمت في عصبهم من أول الأمر ، ولو أنهم عرفوا سبيل الاستمادة منها لما استطاعوا أن يعيدوا ، لأن الأساليب الأوروبية لانهض باعنائها غير الدول المسطمة ذات ادان الوهبر ، وام يكو بواعلى مال أو ثراء . لهذا سهل على محمد على أن يتصر عليهم لأنه كان يحاربهم بقوة الحصار الجديدة ، ولو لم يقص عليهم هو لفضت عليهم الحصار الأوروبية عن سبيل أخرى . كما ستقصى على الحركتين المشابهن لها بعد حين وهما الموسوية والمهدية .

كانت هذه الوهاية عنة بالروح والابمال ، وكانت مهضة محمد على عنة بالرأى والمدة . ولم يكن الاسلام ليهض إلا إذا احصمتا في يد واحد . وسيمضى على الأمم الاسلاميه كلها حين طويل حتى يعرف ان النهوض الصحيح لا يكون إلا باجتماع هاتين الساحتين . لأن الأوروبي الحديث روح قوى ورأى شديد — وهذا تعبير صفة العلم الاسلامى وتعلق حركانه كما سنرى .

استمتع فتح بلاد العرب نتائج سياسية هامة ، أولها أنه أعاد لخلافة آل عثمان هيبتها وجمع إلى لواتها العالم الاسلامى من حديد ، فقد كان انقطاع الحج قد روع المسلمين وقطع سببا من أسباب التواصل والتفاهم بينهم . ولو قد استمر الحجار خارجا على السلاطين لراد عامل جديدهم عوامل التفكك . الانحلال في حصد الدولة الاسلامية . فهذا الفتح أعاد إلى

النتائج السياسية
لفتح بلاد العرب

الحلاقة هيبتها الشككية على الآفل . وكان انتصار المصريين على الوهايين أول سحر في زعامة مصر على العالم الاسلامي في ذلك العصر الحديث فقد اهابت على محمد علي آيات الولاء والاعتجاب من ابناء الدولة الاسلامية ، فأرسل اليه الصوفيون صولجانا بحلي بالجواهر ، وتردد ذكره في ابناء العالم الاسلامي ، ومن هنا نشأ تفكير محمد علي في إنشاء دولة عربية جديدة ، وقد كسب المصريون لانفسهم انصارا في بلاد العرب باسمها . لأن ابراهيم كان قد سار في فتح بلادهم سير المخلص لا الله تبارك وتعالى لا يأخذ رقب ماء ولا لينة ولا قطعة خشب إلا دفع ثمنها مصاعدا ، وحال بين الجند ورسول الله والسنة فاعتبرهم الأدلون بمخلصين ، ومن هنا لم يكن عربيا أن تسمع أن شريف الخرج اعجاز لحاج محمد علي أثناء صراعه مع الدولة العثمانية ، وكان مسعداً للحظوة ، سمع على مبار الخرج بل ان هرا من الانراك أنفسهم كانوا ينظرون إلى المصريين بطارهم إلى المحاصرين المنقذين . وسيلجأون إلى عوهم كلما أحاطت بهم المصاعب والآرامات .

كذلك فتح العرب والمصري أعين الأوروبيين إلى بلاد العرب ، وأيقظ الخوف في قلوب الانجليز من هذه القوة الجديدة التي أصبحت تشرف على طريق الهند العظيم ، طريق البحر الأحمر وطريق الخليج الفارسي ، وراذخاؤهم أن الرحلة فتح مجرد دخول هذه البوابة في طاعته اسميا ، بل بدأ يفكر في المساهمة في تجاره الهند فعين هودرس وشركاه « وكلا له في عمالي ، وأحد يصدر إلى الهند البضائع الأوروبية ، ولم يقتصر على ذلك بل فكر في أن يربط أسطولاً تجاريا في الخليج الفارسي ، لتقضي على قرصنة الوهايين من جهة ولتسهم في تجارة الهند من جهة أخرى . واجهه بصره بحوال البحر الأحمر الذي أصبح بحيرة مصرية بعد فتح السودان فأخذ يتحدث من حرية البحر الأحمر وروية

الهند الأوروبية
إلى بلاد العرب

لا يجد بحوثا
من محمد علي

التي كانت تخرج فيه دون رقيب ، وأصدر أمرًا يحرم على السفن الآتية من عمالي أن تصعد في البحر الأحمر شمالاً حده ، مما آثار بحاوي الانجليز وجعلهم يظرون إلى محمد علي كخطر جديد على طريق الهند يلحق انقضاء عنه عن أي سبيل (١) وكان اعتماد الانجليز في البحر الأحمر على موانئ السودان واليمن ، فلما أصبح السودان في يد محمد علي راد اعتمادهم على اليمن ، ولما دحر ايمن في طاعة محمد علي (٢) أحس الانجليز أن بحر الأحمر خرج من يدهم إلى مصر فسعوا لاستخلاص اتجاره منه حراً وعلامة ، فأنوا على سبيلته المسماة « افرين » التي كان أرساها لطوف افرينية عن طريق الرأس - أن تصل إلى البحر الأحمر عن ذلك السبيل ، وأرسل القنصل سواب إلى حكومته يقول : « أما في يخص مصر ، فقد اسمح لشركتي في تار التجارة حتى لقد جعلت معه تحت رحمتي تماماً ، إن مواردته تعتمد اليوم على التجارة كل الاعتماد ، بحيث أصبح من المستحيل عليه أن يخصص بشكايف حكومته مدوها ، ولقد يستطيع أمير البحر الانجليز في البحر الايض - في رأي - أن يضطره إلى اطاعة إدارتي ، بل عدايتي ، غير أن يسمح إلى قوته جديدة رباذه عماليه ، وذلك لأن باقي مراسيه في أي قبر وبطاق مدافعه على ساحل وكذلك الأمر في البحر الأحمر ، إذ تستطيع سبيلتان بين حده والمونس أن تأجرا عليه سبيل البحر ولا يلبث أن يعود إلى الصاعقة (٣) » وسارعوا بكسب حقوق تجارية

(١) انظر : دودويل : ص ٥٥ - ٥٧

(٢) كان اسم مصر خاسا لم طاعة السلطان حتى جاء قنوره بدهيه ، ولم تكن الخديعة سلطان عنه ، ولما أمر محمد علي فتح بلاد الغرب ، لا أمام من عن صنع يوح شمالي حده ، على أن يمدد الامم كل عام قدر ما في ذلك السلطان ، فاعبر هذا التي جريه بدعي طاعة الامم لشدة واعبرت البلاد بذلك دجلة في طاعة السلطان من ذلك الحين : نظر دودويل ص ٦

في البحر ، فطلت شركة الهند تعويضاً من امام صعاء ، فلم يحسن لهم
الامام . فعزروا طلبهم ضرب بحال المدافع وهاجموا حصون البلد مما اضطروا
اليستين الى التسليم بمطالب الشركة ، وعقدت معاهدة أصبح للمقيم
الانجليزى بعضى نصوصها الحق في أن يحيط نفسه بحرس كما هي الحال
في عداد والبصرة . وأن يسير في الطرقات على ظهر حصان ، وأن يقطع
الأوربيون فصعة أرض بدون فيها موتاهم . وأدحر تجار سوررات
في حرية الانحياز . وحفظت المكوس التي تدفعها البحار الانجليز
فأصبحت مساوية لما يدفعه الفرنسيون (١٥ يناير سنة ١٨٢١) وبذلك
اطمان الانجليز إلى أنهم أحسنوا الطريق على محمد علي وحضروه بين
أسطولهم في البحر الأحمر وأسطولهم في المحيط الهندي .

سبعه١٠ إنجلترا على
سواحل بلاد العرب

ولم يحف على الانجليز كذلك وجه المائدة من أعمال محمد علي .
فقد كان قراصة الوهابيين يرلون بمناحر شركة الهند أدى كثيراً ،
ولم يكونوا يتخرجون عن دمع من يقع في يدهم من بحارها . واستولوا
على بعض سفن الشركة وسبواها ، فسارعت وأرسلت اليهم حملة تأديبة
استطاعت أن تعصى على كثير من سبهم ، واستولت على مركز أعمالهم
في رأس الحمة ، ومدونة أمام مسقط ، وأصبحت كل الامارات
العربية الواقعة على سواحل بلاد العرب الجنوبية وشرقية شبه خاصة
لعهود الانجليز (١١) . وهذا لم يكد أحيا انصر ب محمد علي نصرتهم حتى
سرعو للتدخل معه والاستعانة بسلطته لدى شمل بلاد العرب كلها
من البحر الأحمر الى الخليج فارسى ، وكر محمد عليا لم يحفل لذلك
كثيراً لأنه لم يكن يخطر إلى هذا المدى لواسع من وراء فتحه لبلاد
العرب . كذلك كانت هذه البلاد سرا معقداً أمام اطار الآور ، بين ذ لم
يجسر أحد منهم حتى ساعة أن ير لها أو يتوغل في محفلها ، فلما مهدتها
حيوش مصر سرع الآور وبون قدخلوها في حماية الحراب المصرية ،

واستطاع سادليه الانجليز أن يخنق البلاد للمرة الاولى ، وكان قد أرسله
مست قيص انجلترا في مصر ليهي لإبراهيم باشا بانتصاره في اندرعية (١) .
قصي محمد علي على قوه الوهابيين الاولى ، وأعاد البلاد إلى طاعة
السلطان ، ونشر في نواحيها الوية الأمن والطمانينة من جديد ، فكان
أول من ألقى انصواء الحديد على أهلها ، ثم سلمها للدولة أكثر انظاما
فاستطاعت هذه أن تحكمها بيد أقوى وسلطان أظهر مما كان لها قبل
فتح محمد علي

بهذا ، أصبحت مصر قوه جديدة يحسب لها حساب في عالم
السياسة الدولية ، أصبحت عماد الدولة الإسلامية ودرعها الذي يفيها
من كل عدو حارجي أو داخلي ، فطلعت إليها الدول الإسلامية كرامة
ومقدرة ، وأحدثت الدول الأوروبية زحفها بدین الحسد والطمع ،
لأنها اثنت — رعامة محمد علي — أنها قديرة على أن تمض بنفسها
وتسترد صاع من عفتها ، وأن تنصص ما راكم عليها من غمار القرون
وماءات الأجانب في لحظة عين

ظهور مصر في عالم
السياسة الدولية

— ٢ —

كان فتح السودان مشروعا اقتصاديا من مشاريع محمد علي الكثيرة ،
وقد قدمه على غيره من المشروعات لأنه رجا أن يجدد أسهل من غيره
مثمرة وأقرب جنى ، وكان الرجل يتسامع بما تضمنه أرض السودان
من مناجم الذهب ومعادن الفضة ، وكان إلى ذلك صيفا جوده الألبان
الذين فرغوا من حرب الوهابيين وعادوا إليه تشبعون عليه ويسمون
له متاعب شتى ، فخطر له أن يعدد بهم في محاصر السودان وفلوات
الاستواء ، ولم يكن بحاجة إلى تشجيعهم على الاسراع في الذهاب بعد

فتح السودان
وأبوابه

(١) وانظر أثر ذلك في السياسة الانجليزية لشرقية في كتاب الزاح من هذا الكتاب

أن علموا هم الآخرون أن السودان يعرض دها ومضة ، وإهم عامون من حيراته وأمواله الشيء الكثير . ولم يكن يحشى افتقاره إلى الجند بعد الخلاص منهم لأنه رجا أن يستبدل بهم جندا من عبيد السودان الذين كانوا يعجونه في الحرب والطاعة والاحلاص ، وربما أسرع به إلى تنفيذ هذا المشروع عرفانه حمل أهل البلاد بوسائل الحرب الحديثة وعجزهم أمام النار ، فلم يكن في المشروع شيء يحشاه فمحل بالتفكير . وكان الرجل يرجو كذلك أن يزداد علما عما وراء مصر من الواحي لعله يجد فيها مجالا سديدا للرزق والتكسب ، ولم يكن يفسر عنه أن يقار أن هذه السلالات أعني من مصر وأكثر ررعا وماشية وأوفر ماء . وأنه إذا تم فتحها حتى من أرضها السكر الحذر الكثير .

لقد رجع عن
حلب الجند من
السودان

غير أننا نلاحظ في هذا الفتح ضعف نواح جديدة بالطر . أولها تفكيره في جلب الجند من السودان وأمامه الكثيرون من المصريين يستطيع أن يخدم في جيشه دون أن يكلفه ذلك عناء الحرب والفتح ، فإنا لا نطأ أن محمد علي كان يحصل السودان على المصري في ميدان الحرب ، أو يراه أقدر منه عليها وأهص بأعبائها منه ، لأنه لم يديه احلاص المصريين وثباتهم وافتدائهم على مواصلة الحرب واحتمال مصائبها ، ولا نطأ كذلك أنه حصل أن يترك المصريين في رراعة لأرض حتى لا يحرمها اليد العاملة ، لأنه لن يتأخر عن تجنيد المصريين حين يلمت ذرؤيته طرده إلى ذلك ، وربما كان الثعلب الوحيد لذلك أن محمد علي اتنع حطة حكام المسلمين جميعهم في الاعتماد على الأجانب في الحوش والحذر من استعمال أهل البلاد ، خشية ثورتهم وأهلاهم عليه ، وذلك أمر طبعي جدا من رجل كان يحس إلى الساعة أنه غريب عن البلاد وأنه « كسها بالسيف » كما قال ، فلم يكن له بد من قوة عربية تحس الاحلاص والولاء نحوه فقط ، وكان إلى ذلك يشعر أن

هووس المصريين قد بدأت تعبیر علیه . ولا ترضى عن الارهاق المالى
الذى أحدير بدهم علیه . اذ كانت اعيام حرب بلاد العرب قد ثقلت عليهم
وبدأت صرائبه ومعارمه رداد . ولا بد أن هووسهم حدثتهم بالخروج
على طاعته وولائه ، ولا بد أنه خشي ذلك على الافرنقى فبحث
عن حرس أجنبي جديد .

ومن هذه الواحى أنه استصدر فتوى تشريع له فتح السودان وما
كان بحاجة إلى ذلك . لأن الواحى التى كان قد أرمع فتحها لم تذكر
داحية فى طاعة الساطان . ولم يكن على محمد على حرج فى أن يفعل
ما يريد ، ولا يعلم ذلك إلا أنس الرجل لم يكن مطمئنا إلى هؤلاء
الادابيين الذين سيرهم فى طلب هذا المخرج . لعله خشي استئذانهم
يفتحون من الأرض على اعتبار أنها إنما فتحت بيومهم وحدها ولا
شأن للسلطان بها ولا طاعة له عليهم فيها . وكانت هذه اسلاد اسلامية
يعمر الدين الحبيب بواحيها ولا يبيح التشريع الاسلامى حرب أهلها
أو سبيهم ، واسترقاقهم بغير سبب . فاحباط لذلك تلك الفتوى
الشرعية التى أحلت له امتح وجعلته مشروعا والعال كذلك أنه خشي
أن يلقى من أهل هذه البلاد حربا شديدة فرجا أن تؤثر فيهم هذه الفتوى
الشرعية فيسلبون له طائعين مختارين .

استصداره فتوى
تشريع له مع
السلطان

ومن هذه الواحى كذلك أنه أصبح الخلة نورا من العلماء تشبها
مه بالفرنسيين فى حملهم على مصر ، وقد يكون عرصه من ذلك يخاف
تمام الاختلاف عن غرض نابليون من العلماء الذين استصحبهم معه إلى
مصر . فقد أراد نابليون أن يدرس البلاد دراسة علمية حديثة حتى
يمكن من حكمها واستغلالها على أحسن سبيل . فى حين رجا محمد على
أن يترك هؤلاء العلماء دعاية اسلامية له حتى يوفروا عليه كثيرا من
الجهد فى الحرب والفضال . ولكن ذلك لا يحلو من دليل على أن الرجل

بحر وانه محض السبب

قصر الكثير من أساليبهم لسيئ وتمكن من استغلال الاستعادة منها.
كان فتح السودان فتحاً يسيراً سهلاً لم يتكلف أحد محمد علي فيه عام
كبيراً ولا مشقة رائدة، وكانت صفاته كذلك بسيرة لم يثقل بها
علي نفسه، ولو لم يكن قائد الحملة اسماعيل قد أساء السيرة مع أهل
البلاد، وأندى لهم من الجفاء والاحتقار ما أندى لما كانت كارثة شدي
وما كان للحملة حمائر تذكر. ذلك أن حمد علي كانوا مدودين
باسادق والمدافع فاستطاع جيشه أن يحصد أهل البلاد حصداً في غير
عام ولا مشقة، وقد استمر الأثر لسر الفتح وضعف أهل البلاد
فأرلوا هم أذى شديداً، وقسوا عليهم قسوة لا هوادة فيها، حتى أن
الدفتر دار مصر محمد علي لم يرخص أقل من عشرين ألف ربح من أهل
البلاد فدية لإسماعيل من محمد علي: إذ قتلهم شر قتله.

ثم يؤت هذا الفتح محمد علي ثمنه من طلب، فلا الذهب وحده
ولا الجند استطاع الحصول عليهم، فسب لذات أسفاً شديداً، ولم
يطمن إلى ما كان يلعبه إياه فواده من بدرة لذهب، ولم يرل على شكه
حتى مضى هو نفسه محتلاً مناعب الشيوخه سنة ١٨٣٨ يستوثق من
ذلك الأمر، فما كان ليصدق أن هذه الامال التي عقدتها تنهى إلى هذا
لعمل، وقد حاول أن يوض خسارته في انعدام انذهب باستغلال
مزارع السودان، فذهب يقرأ من مزارعي مصر وأرسلهم إلى السودان
ليعلموا أهذه أساليب الزراعة، وفتح يقرأ من الدين درسوا أساليب
الزراعة الحديثة قطعاً من الارض مساحة كل منها مائة فدان معقاه من
المال، وأباح لكل منهم أن يأخذ بهراً من أهل البلاد يعملون في أرضه
دون مقابل، وكان لا يفتأ يحاطب أهل اسلادو يستحثهم على الاقبال على
الزراعة والتعلم، حتى يرتفعوا من درك السوائم إلى مستوى الشر وحتى

— يومه ومع المودار.

محاوله تعليم السودانيين
أساليب الزراعة

يدركوا اثره ويعلموا كيف يسمعون بحيرات يحول جهلهم دون
تصورها ^(١) ولكن ذلك لم يتح إلا أثراً ضئيلاً .

يد أن هذا الفتح فتح باب السودان بعد أن كان موصداً ، وجعل
بينه وبين العالم سداً ، فمن ذلك الحين بدأت طوابع الحصار الحديثة
تتوغل فيه ، وبدأ الأوروبيون يعمكرون في استكشاف بواحيه ونواحي
السل معاً ، وكان وصول أول هذه الطوابع على يد محمد علي إذ أرسل
الكاشي سليم أهدى في ثلاث رحلات مختلفة بين سنتي ١٨٣٨
و ١٨٤١ ليستكشف أعلى أسبل ومسامه ، فاستطاع هذا أن يجمع بعض
المعلومات عن بعض أجزاء أسبل كسر لسواط ، وبعض التفاصيل
عن مناخ البلاد وأهلها .

فتح باب السودان
للعالم

دراسة السودان العليا
وعده استكشاف
مناخ النيل

ولو قد وفق محمد علي إلى عمال قادرين على القيام بأعمال الحكم
لاستطاع أن يجني شيئاً من الثمر من هذا الفتح ، ولما كان لأهل البلاد
خير من وراثته ، ولكن معظم العمال كانوا يستبدون بأهل البلاد
ويشددون في تجديدهم واسترقاقهم دون رحمة ولا هوادة ، كانوا يجمعون
عشرات الألوف بأقصى الأساليب وأبعدها عن الإنسانية ، ويرسلونها
إلى مصر كما ترسل السوانم ، لا يحرصون على صحتهم ولا على طعامهم ،
فكانوا يتساقطون في الطريق صرعى المرحى وقلة الغذاء والضرر
الشديد ومتاعب المشى الطويل وما إلى ذلك ، فأصاب السودان وأهله
من جراء ذلك أذى شديد ، ولو قد وفق محمد علي إلى عمال قادرين
مصدقين لأفاد من ذلك . ولأفاد أهل البلاد منه كثيراً . ولكن
هذا الفتح الجديد خير السودان وأهله .

حاجة محمد علي إلى
عمال القادريين

ولعل أهم نتائج هذا الفتح هو تنظيم البلاد وتحديداتها ، وتقسيمها

تنظيم السودان
بمصر وتحديداته

إلى مديريات بعد أن كانت قضاء غير محدود ولا معروف ، فقد أوجد لها هذا المنهج كيانا سياسيا ونظاما إداريا ، وأقام فيها حكومة منتظمة بعض الانظام ونقلها من العوضى إلى وقت فيها بعداصمحلال سلاطين القويج والقور . وأنشأ لها عاصمة جديدة هي الخرطوم التي وجدها جند محمد علي قرية صغيرة حاملة فسكنوها وأنشأوا بها اديان واستحدثوا فيها المنشآت فلم تلبث أن أصبحت مدينة عامرة في سيد حورشيده باشا ، وكثرت فيها مزارع ائين والعنب ، ولم تلبث أن اتخذت مركزا لحكم البلاد .

الخرطوم

امتداد سلطان مصر
على آثار الس

واستشع هذا المنهج نتائج سياسية كثيرة ، أهمها بسط سلطان مصر إلى أعلى النيل ، مد أن كانت عند حلما ، فاصبحت هذه البلاد من ذلك الحين جزء من مصر بحكمها على حكمها وبسط سلطانهم عليها ، وأصبح واجب السياسة المصرية تمكين الصلة بين اللدس ، وهذا أمر طبيعي يحتمه الوضع الجغرافي لمصر والسودان وانما هي مصالحةهما واشترآكهما في سر واحد هو النيل . كذلك أيقظ الفتح المصري المطامع الأوروبية نحو السودان فتحوف الانجليز من انسياط سلطان مصر على شواطئ البحر الأحمر كلها شرقا وغربا . فبدأوا يعملون من ذلك الزمان على محاربة سلطان محمد علي الذي أصبح قابضا على زمام هذا الطريق الخطير إلى الهند .

مطامع لاوروبية
في السودان

ثورات البهاية

وثورة ثالثة بل ثورات ثالثات ، اضطربت يراها في اللقان في سنوات متقاربات كما كانت كلها على موعد ، حتى أصبح اللقان شعلة داكبة المالب لا تكاد السلطان محمد منها حائبا حتى تأخذ النار في جانب ؛ في أواخر سنة ١٧٩٧ وثب بالدولة عثمان باشا القسي المسلم المعروف بنسوان اعلو وطل يطاول الدولة حتى ١٨٢٧ ، وما هي إلا سنوات حتى تجاوزت أداء الثورة في محارم الجبل الأسود ، وبأدى أمير الجبلين

بأن الحبس الأسود لم يكن فقط ولاية سلامه ، وما هو إلا قليل حتى تنادى بالثورة أهل اليونان ، فأصبح اللقان كنه خارجا عن طاعة السلطان لا يكاد يملك حياله أمرا .

يقف أهل السلطان في الشرق والعرب ، لكنهم إلى الشرق أقرب ، سواء من ناحية الحبس أو العبيدة أو الأخلاق والعادات أو الحاضرة ، يخضوعهم للآثام لم يكن أمرا شادا كما قد يقع في أحقاد العصف ، بل لعلنا لا نحصى . إذا قلنا لهم كانوا أسعد رعايا الدولة وأحسنهم حالا ، وكان لهم من مهنهم خاصة يهتمون في حكومة الدولة ويشتركون فيما تبرله بالناس من مظالم ومساوات . بل كان هؤلاء اليونان على الخصوص أظلم من الآثام للرعية . وما يولى أحدهم في ناحية إلا عصف للناس وآدام أشد الأيذاء . ومن هنا ليس صحيح ما رآه العصف من أن فتوح العثمانيين في السلطان كانت أمرا عرطيمى ، وأن سلطانهم هناك كان حريانا أن يرول . لأن أهل هذه النواحي كانوا أطول تاريخهم أعداء أوروبا ولا أصدقاؤها . وكانت أوروبا تشمر رأسهم عرباء عنها ، ولم يتصدق الحيان إلا في فترات صديرة جدا كعصف سنوات الحرب الصليبية . ولم تكن الصداقة بينهما إلا حداغا من الجاسين ، يتطوى فيه كل منه الكو الآخر على اشك والحدرو والريبة ، بحث لا يحصى . إذا قلنا أن الصليبيين العربيين كانوا يشعرون أن امراطور يبرطه عدو لهم لا صديق ، وه صديق ذلك أن هؤلاء الصليبيين لم يظفوا كتمان هذا الشعور . فلم يلبثوا أن أعلنوه صراحة وأعلنوا « حربا صليبية » على الدولة البيزنطية . فجهدهم وأقاموا فيها دولة عربية سنة ١٢٠٤ . لا فرق في حسابهم بينها وبين الشام أو مصر الاسلاميتين . ولا حاجة بنا إلى الإشارة إلى العداء الذى ظل يتأجج في صدر كل من الكنيستين العربية والشرقية ، والصراع انعيف لى استمر بين باباواتهما وقد ظل هذا العداء بين الحبس

شعوب الشرق

الدولة

حرب صليبية عن
شرق أوروبا

العداء بين الكنيستين
الشرقية والغربية

زمان طويلا خلال العصر الحديث . فلم يعن الدول الأوروبية شأن
الامم . لا بدوافع سياسية صرفة . من الامراطورية التوسعية نفسها
لم تكثر للبلقان إلا في زمان متأخر جدا . وكان لها اضطرابا
لا اختيارا ، أي حينما أقفل سمرك في وجهها باب التوسع في العرب
فالتفتت الى الشرق مكرهة

ثورة البلقان إذن لم تكن بمصالحها للعرب ولا رغبة من أهله
في الحرية أو صدى لانتشار مبادئ الثورة الفرنسية . ولم تكن
ثورة أوروبا من أجلها صادقة عن تعاطف بين هذه الدول وأهل
البلقان ، بل كانت في العبد صدى مباشرا للصراع بين روسيا وتركيا
وتوجهه طبيعية لوالى هزائم الثابتة على يد الأولى . بل ليس من
الخط في شيء أن نقول إنها لم تكن تغمر عن ميول عامة اليونانيين ،
ومعنى ذلك أن طلائع الثورة لم تلق قبولاً عند عامة أهل الامم
وصدر بطريق القسط طبيعي فراراً عن قضيها الأول . لا يمكن
استلث . وتعلل عنه أصداره ، وبعد عامة اليونانيين عن ماضيه . فلم
تلبث حركته أن ماتت في مهدها (١)

ومصادق ذلك أن آراء العرب وأفكاره ظلت زمان طويلا
لا تنقي من أهل اليونان إلا الرأية والامكار ، حينما قام سربل
لوكارس في أوائل القرن السابع عشر يعني عمادوه العرب ويخص
قومه على النقص بأهل عرب أوروبا ، وبملي على مواضعه من كرسى
الطرفة في القسطنطينية مبادئ الكيفية التي كان يعجب بها كل
الاعجاب ، وسحر الداهين من أبناء الكنيسة لتلقى بهم في كائنات
العرب ومعاهده يتشربوا هذه المبادئ والأفكار . لم يكن يفعل هذا

حتى ثارته مواطنوه وأسكروا أمره ، واستعدوا عليه حبيقة المسلمين ،
وطردوه من كيستهم سنة ١٦٩١ (١)

الشاعر كوريس

ولا يتأق هذا مع القول بأن بلاد اليونان ضمت في ذلك الحين طائفة
قليلة من السراة ودوى الثقافة العالية . نحن انصلوا لحضارة العرسة
وأعجبوا بها وسعوا في نشرها في بلادهم ، كالشاعر كوريس ادى جاهد
طويلا لخلق اللغة اليونانية الحديثة . وطل طول حياته يدعو أهله
للأخذ بأساب حضارة « أوروبا المستنيرة » كما كان يسميها (٢)

مصدق الثورة اليونانية

وحقيقة ثورة اليونانية أنها كانت نتيجة للعلاقات السياسية بين
الروميا وتركيا ، وحيلة من الحيل التي لجأ الروس إليها للقضاء على
تركيا ، فالروس والمثاق إخوة في الله الجغرافية والمذهب الديني
والاخلاق ، وكان الروس يدلون فصارهم إذ ذلك للقضاء على تركيا
والوصول إلى البحر الأبيض ، فلما عز عليهم ذلك عن طريق انقساطية ،
حاولوا أن يلموه عن طريق إثارة شعوب الثقان إلى جانبها والمعن
على تحريرها من غير الدولة العثمانية ، فماد حلوها في زمامهم أو أصبحوا
ذوى الكلمة الباقدة في مرافقها ومواحيها ، وكانت دول أوروبا
تعرف هذه الحقيقة ولهذا تدخلت في المسألة اليونانية وعملت على
إسائها ، ولولم ير الانجليز والفرنسيون والمساويون شعاع الرءس
مسترا خلف دخان الثورة اليونانية لما تدخلوا وأعادوا اليونان على
التحرر .

من الخطأ إذن أن نطو لثورة اليونان على أنها كانت ثورة شعب
ثقلت عليه وطأة الحاكم الأجنبي وسعى للحرية فقام بجاهد في سبيلها ،

(١) Toynbee : The Western Question in Greece and Turkey P. 8

(2) Ibid P. 9.

نعم كان فيها شيء من ذلك ، ولكنه لم يكن كل شيء ، من لم يكن أكبر شيء . حتى رعماء الثورة أنفسهم لم يكونوا يصعدون في أعقابهم عن وحي من الشعب اليوناني بقدر ما كانوا يعبرون عن ميول القيصر السياسية ، « فكاود سترياس » مثلا - من أوائل رعماء هذه الثورة - لم يتوان عن خذلان مواطنيه اليونانيين حين أحس أن القيصر راعب في ذلك ، وقد كان في استطاعته أن يفعل كثيرا إذا كان وريثا لخارجية القيصر في ذلك الحين ، « كان نفر من « الشعب اليوناني » نفسه يبيع السفن لمحمد علي ويمد جنشه في المورة « لامدادات لسكي بمضى في حرب مواطنيه .

اصبح الروسيا
في الثورة

ثورات الثغاف إذن مطهر من مطاهر الصراع الطويل بين روسيا وتركيا ، ولم يكن اليونانيون أنفسهم إلا آلات يحركها الروس ، ومن دلائل هذا أن رجال الثورة لم يلتفتوا أن أصحابا قراصنة يسهون اسمهم الانجليزى وانهم رسمية في البحر الأبيض وهم على علم بأن الانجليز والعربسيين يعطون على قصينهم الوطنية . ولكنهم لم يكونوا ليحفلوا بذلك ، إذ كان العم والنهب أحب إليهم وأقرب إلى أهواءهم من دعوى الحرية والاستقلال . ولا يقتصر ذلك على ثورة اليونان وحدها ، بل يطلق على ثورة الصرب كذلك ، تدليل أن ميلوش ارونوفتش الرعيم الصربي لم يتردد في قتل زميله الرعيم قره جورج حين وجد أن هذا الأخير يباغضه السلطان الذي وصل إليه ، بعد أن مال من الدولة حق الاستقلال الداخلي للصرب سنة ١٨١٧ (١)

مدافع بين الفريقين

أما الذي أفاق الخواطر وأصح نيران الثورة وأقام الشعب اليوناني كله عن فكرة أيه هي المدافع التي أنزلها كل من الفريقين بالآخر جهلا

وريدته في لطرف والسكينة ، وهي مداح تقع مسئوليتها على اليونانيين وحدهم ، إذ لم تكن ينتظر أن يتولى المسلوب بالسكوت - أممقتل عشرين ألف مسلم في ايوان ، من المعتول أن يحبسوا عبيها بمثلها . ولو قد قبل لدعاه الانسانية من جماعات الهدييين - الذين كانوا يشقون بالانسانية في ذلك الحين في محاسن لندن - أن عشرة الخطر فقط دبحوا في الهدد لدفعت الهدد ثمناً لذلك لا فاعاً من أسائها ، ولكان دعاة الانسانية أنفسهم عرقى في الدماء إلى دقوسهم ، باسم الانسانية أيضاً ، ولكن هؤلاء المتحمسين الخياليين من أمثال يرون وكثيران كانوا صليبيين في الباطن . وأن تسرو ما شعر حيا ، لا نصار لآراء انقفاة الأوروبية حيناً آخر .

غير أن الأمر أن الدولة عجزت عن لفصاء على هذه اشورة في
عجز الدولة عن الفصاء
على هذه الثورة
أدوارها الأولى ، لأنها لا تستطيع أن تفهم كيف لا تستطيع الجيوش
العثمانية أن تفصى على حمات من اثوار وليس بينهم وبين بلادهم
إلا بحر صغير ، ولا غيره بالعموم أن اليونان كانوا قد أخذوا البحر
على الارائك ومنكروا دمه اشواضي ، فقد استطاع ابراهيم باشا أن
يصل بلاد ويغير البحر الأبيض وهو أوسع وأحسن الخطر ،
هذا إلى أن بلاد ايوان كان يصم في ذلك الحين بحميات تركية كثيرة
كافية جداً للفصاء على اشورة لو شامت ذلك وعمدت له باحلاص

لا يمكن هذا إلا أن رجال الدولة من الصدر الأعظم إلى الانكشاري
عساد رجال الدولة
الليسط كانوا قد فسدوا تماماً ، ولم تق في فلوهم درة من الوطنية أو
اخية أو احلاص أو الشرف . ولولم تكن لديرب صادقة سكي بالهريئة
يئة . فما كان ثوار ايوان نخاحه إلى « نظام جديد » حتى تحمدهم
وإنما كان يكفي جداً أن يبرر لهم جود محاصون دوو حمية وإحلاص ،
ولم تكن الدول قد تدخلت بعد ، ولم تكن الروسية قد أسهرت عن

وجها وكانت النمسا تولى سبيل في معاونة السلطان على الروس ، وكان في الامكان تدارك الامر وانه نال بالتسوية لمسألة لو أن السلطان فرقة واحدة من الجند المخلصين الاوفياء فلم يكن دودويل مبالغا حين همس في اذن السلطان محمود الثاني بأن أيامه لم تعد أيام سليمان القانوني (١).

كان المصدر الاعظم في حسرو الذي لقيناه في مصر منذ حين ، وكان لا يحمل أوق السبب أو السحر ، فلم يصرف في معمعان القتال عن أن يباحر بمحمد سعيد ويكيد له وحاشه . فكان يتأخر عن معاومته وتركه في ساحة خراج أو شئ من عند السلطان ، كأن الآمر صماء والحل رجاء ، وكان ما به ومن محمد علي أسطمة شامسا بين السلطان وبين الروس ، أما احمد واثبوا هم الاسكندريون ، وليس هناك دليل على انحطاط شأنهم أكثر من شأنهم ، وما أدم طوائف من الثوار على طول الخط ، ووسطا واثبوا هم حور شيد ناش إلى اوتتجار بعد اسيراهم عند مرمول ، ووسط هؤلاء الخدأ مات ابوان استعلاهما برعاهم ، وروكرو ديس بل مرمول . وديتري بسلتي أحي اسكندر ايسلتي في يناير سنة ١٨٢٢ .

في هذه اللحظة العصبية تقدمت النمسا في صلح بالصبيحة وقتب نصره إلى واليه في مصر وقوته ، وبصحت له أن يعتمد عليه في القضاء على هذه العتة فإن أن تنهزم ثمها ويدخل الدول فيها ، ولم يكن دافع للنمسا إلى ذلك مجرد الاخلاص للدولة ولا محض اعداء لا أفكار الثورية وإنما كانت تتأحد نفسها بشتمه من لوميا . وذلك أن تغلب باب ثورة اليهودية فس أن تجد الروسا عرصة المواتة لدخول وكسب حقوق من الدولة العثمانية .

موقف محمد علي
من الامر

أغلب النظر أن محمد علي لم يرحب بهذا الطلب . فسياق الحوادث يدل على أنه كان مكرها عليه ، وود لو يرفض بده منه في أقرب الأوقات ، ذلك أنه عرف أن تلك الحرب ستترق قواه وتقد عليه طاقته ، وتشغله عن شئون مصر ومراقبتها . وكان مهتما بها أشد الاهتمام في ذلك الحين . ولم يمس الرجل بعد الحسائر التي أصابته من حرب العرب على قلة الحدودى وانعدام الخزاء . لهذا كان محمد علي لا يبا يشكو تكايف هذه الحرب ومساوات رجال الدولة وكدهم له حلالها ، وزاد رهدا فيها حين أنى احتجرا لا ترصى عنه من أحلها فدا يلتمس الفرصة للانسحاب منها .

أثر تدخل مصر

تغير الموقف تماما في بلاد اليونان بعد تدخل المصريين في أمورها ، فانقلبت انتصارات الثوار هزائم . وتراجعت سفهم ، وطلب قرصاتهم عرض البحر هرا ، واستطاع الجيش المصرى الحديد أن يحتاج البلاد ويستولى على معانها ويشل حركة الثوار تماما . واستولى المصريون على امع معانهم «مسولجى» بعد حصار حنة عشر شهرا في ابريل سنة ١٨٢٦ . واحبط مركز الثوار أدا وبدا أن الثورة مقضى عليها ولاشك بدون تدخل الدول

تدخل روسيا والنمسا

ولكن ، أترصى الروسا عن ذلك ؟ أيرصياها أن يساكنها في اليونان شعب قى حديد ، وقف فى وجهها رجل كاراهيم بأخذ عليها السبل . لقد أثار هذه الحرب لصعف مركز السلطان لا لتقوية ، فكيف ترصى عن ذلك ؟ ولمح مترواح الروس ، تتحرك للعمل فعجل بشد على يد محمد علي ويستحثه على الاسراع فى القضاء على ثورة ايوان ، فعث مددوه بروكش أويس الى محمد علي فى الاسكندرية لاقاعته بالاسراع فى العمل ، وأحد هذا الرجل بشرح لمحمد على حقيقة بوانا الانجليز ويؤكد له أنهم إن يطلون الا أصعاف مصر والقضاء عليها ، وتؤكد

له الخير العليم الذي يعود عليه من التعجيل بالقضاء على ثورة اليونان والقضاء على مطامع الروس ، ولكن محمدا عليا لم يقتنع . لأنه كان متحمسا للسلطان ولا راغبا في القضاء على ثورة اليونان ، وإعما لأنه كان يريد أن يعود من الأمر صفقة طيبة ، وهي كسب ود الانجليز وأخذ إقرار مدني منهم باستقلاله ، كان ينتظر أن يتقدم الانجليز اليه طالين اليه الاسحاب لكي يساوم في الأمر ويطلب الثمن ، ولم كان سترافورد دي رد كلم بعيدا لطر حين لمع من محمد علي هذه البية وحاطب سولت مندوب اسجلترا في القاهرة يسأله عما اذا كان الشا لا يرى أن الافضل له أن يسحب من الحرب ويعود نصيب من الجزية التي ستعرض على البوناتييين ، ورعا ضمن له الانجليز ولاية الشام أيضا ، لقد أنكر سولت ذلك وعده أمرا خياليا ، لأنه كان يعتقد أن محمدا عليا يعارب مع السلطان بيده وقله (١) . ولكنه لم يتمالك نفسه من الدهشة حين وجد أن العرض لقي من الرجل قبولا طيبا ، ومن ثم بدأت مفاوضات طويلة أبدى محمد علي فيها مكررا بعيدا وحصاه طيبة ، فكان يقول متحايلا : سيظل كل شيء على ما هو عليه الآن حتى الربيع . فاذا أدت حكومتك خلال تلك الفترة ما يدل على رعتها في فعل ما مرضى اسكت على استعداد لأن أقبل ما تعرض علي . ولا لخصت السبل لاسحب جدي من اليونان . ثم يقول مهددا : فاذا لم يكن ذلك سأجمع هراي كلها وأستعين بمالي من النفود عبد السلطان وأجمع في يدي قيادة البحرية العثمانية . . . ثم أجعل نفسي على قيادة الحرب وأحتم ذلك الأمر (٢) ولم يلبث سولت أن عرف غرض محمد علي ، فأقبل يسأله عما يطلب من الانجليز فأحاه الرجل في شيء من المكر أنه لا يرجو أكثر من أن تعاونه انجلترا في زيادة

المسرحين الاعلى
ومحمد علي

(1) Dodwell P. 38

(2) Ibid P. 48

استطوله وإطلاق بده ليمتد كيمها شاء في بلاد العرب ، وعرف سولت
أن الرجل يطوى في بده أمرا هو الرغبة في صيان موافقة إنجلترا
على إعلان استقلاله إذا اضطرت الظروف إلى الوثوب بالسلطان

جمعه موقف مصر

هذا ينجلي الأمر على حقيقته ، فلم يشترك محمد علي في حرب اليونان
حاشا في السلطان ولا كراهه لليونان ، فقد كان لا يأبى على اليونان في
مصر أن يسامروا ليدعموا لاحتوائهم في اثورة ١ - وإنما أراد أن
يجعلها صفقة يحبر الدول بها على الاعتراف به وقوته ، وقد كاد يدرك
هذه الدعة لولا أن روسيا قوتها عليه عمدة أو غير معتمدة . فقد كان
من الممكن أن يظل مراب الآود على ما هو عليه فترة طويلة في
البلقان فحش ابراهيم فاحص على زمام الأحوال ولا يلبث لا فليلا
حتى تحقق بقاها اثورة باستمرار اضطط على عقها ، وكان من الممكن
أن تجري المفاوضات بين محمد علي والدول أثناء ذلك ، ولكن روسيا
لم تطلق الصبر . لقد رل عنها كايوس الاسكندرو بخافه ، وهضت عب
منسرح واستوى على عرشها يقولوا الأول ، فلم يدوراء هذا التسوية
حيرا رجي ، فمعها بالعمل ، وفاحا السلط ، يد رها في عرص عليه
فه شروطا مهيبة أولها الاستحباب من بلاد اليونان ، فأفاق الانجليز من
عموهم ، وحشى كاح أن يحل الروس المسألة على هواهم ، فعجل بارسال
الدوق وليختون ليؤكد له تعزيز إنجلترا لآراء القيصر ، ويؤكد له
أنها لا ترى ما بها من أن يسمح اليونان استقلالاً داخليا وتظل في
طاعة السلطان .

سعى روسيا وإنجلترا
لاستقلال اليونان

هذا انقصر أمر محمد علي في تحقيق عيته الكبرى ، ولم يبق أمامه إلا
المضى في معاونة السلطان ، فسمح أخيرا لاستطوله لدى كان قد ارتبه
في الاسكندرية - ليضطرجلية الأمر - بالمضى إلى بلاد اليونان ، فمضى
ليلقى مصره في نواير في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٠ . فراد ذلك في هور

وإلى

محمد علي من اليونان ومسانتها ، فهدد صفقه انصت عليه ، وبعد أن كان يرجو أن يهزم منها تأييد انجلترا . إذا به يجد نفسه ضحية الانجليز ، ولو قد اقتصر الأمر على ذلك لتعري الرجل بالهزيمة لايات . ولكن ما حيلته والسلطان يأبى إلا الاستمرار . فيجمع رجال دولته ويستثيرهم لحرب الروس . مما انتهى هؤلاء إلى إعلان الحرب على الروسيا صراحة سنة ١٨٢٨ . فلم يجد محمد علي يمسك إلا في الاستحباب . وبدا عليه الدم للاشتراك في تلك الصفقة المشعومة

موقف انجلترا ضد
روسيا

ويبدو أن انجلترا كانت على شاك أن نجيب محمد عليا إلى ما أراد . لأنها أحست أن كارثة باريس كانت أشبه بالحياة لهذا الرجل الذي لا زال يطمع في ودها . فأعلنت أسفها لما أصابه من هذا الحادث الذي لم يكن منه مفر *Fre antoward event* (١) وسارعت بحراجه من التبعات الجسام التي ستترتب على الاستمرار في الحرب ، ووعدته بالاعتراف باستقلال شخصته عن الدولة إذا هو لم يجد الحياض فيما يلي من أدوار الكفاح . فقد جاء في نص الاتفاق بين محمد علي وكدرنجتون أمير البحر البريطاني * أن حلالة الملك - من غير تدخل منه في العلاقات بين النasha والامطان الذي يعترف له النasha بحق سيادته - مسند للاعتراف لسموه بالحيدد التامة . منى تعهد هو أيضا بمراعاته مراعاة تامة . إذا ما شئت الحرب بين الحقاء والدولة * (٢)

الاعتراف من محمد علي
بالانجليز

استحباب محمد علي

هذا أحسن محمد علي أنه أدرك بعض غايته ، فقد اعترف الانجليز بكيان له مستقل عن كيان الدولة . فامسرع بالاستحباب قبل أن تأتي الحوادث التالية بما يعكر عليه صفوه هذا العم السبر ، فلم ينتظر حتى

(١) الاستاذ محمد رفعت . تاريخ مصر الساسي من ١٧٥٠ (قصته الزمه)

(٢) من المصدر من ١٧٦

يأذن له السلطان بالاسحاب. والسحب متعللاً بقلعة جده أو بقلة سقنه
أو بانشار الوباء في اليونان.

مؤلف لا بر الشوم
أصحاب عصر

أما السلطان فلم يكن في استطاعته أن يسحب بهذه السهولة ، وكيف يجب الدول الى ما نطلب منه وهو الموت أو أشبه شيء به ؛ بل زاده اليأس قوة ، فأدى في آخر أدوار حرب اليونان بعض القدرة ، وكسب جنوده بعض النصر في سلسلتها ؛ وكان في استطاعته أن يوقف تقدم الروس عند أدربة حين تقدموا نحو القسطنطينية ، ولكن الخوف ملك عليه وعلى وراثته كل سيد ، وسرع تنويع معاهدة أدربه سنة ١٨٢٩ وفيها اعترف باستقلال اليونان ، وقد وصفا الاستاذ داريو بقوله ولقد كان انتصارا ماهر السياسة يقولان ، الأول ، ورماعه معتدلا إذ قيس ما وصل اليه باطماع كثرية انشائية وأسلافه الآخرين ، ولكنه عوص ذلك بامتيارات أدبية عظيمة كان يستطيع كسبها من بعض مواد المعاهدة ، لقد تم تحت له أبواب الامراطورية العثمانية كلما من ناحية القوقاز ومن ناحية الداوب . ولقد تعلق فيها اليهود التجاري الروسي ، وأصبحت أدربه الآن تحت رحمته بفضل الحاية التي اعترفت له بها المعاهدة على ولايات الداوب (١) »

مما هو عليه

بلى أصبحت تركيا أمورها . ومركز الخلافة تحت رحمة الروس
وقد كانوا مستطيعين القضاء على دولة الاسلام القضاء المبرم في ذلك
الحين . ولكنهم تريثوا ، فقد كان في نقاشها ، دليلا حاسما مفتحة
الابواب مهيضة الجراح ، كساتجاريها وسياسيا لا تحصل عليه إذا وورثت
التراب وتمت مكابها دولات جديدة طامحة (٢)

بر کی نعت رحمہ
اللہ وسب

(1) Driault : OP, Cit, P. 128

(۲) راجہ تاج محمد الیاسی : ص ۱۷۷

وفي القسطنطينية ميت مسجى ، كما قال أحد الورراء ، أماها فيوجد الصراع بين مصر
 الجسم الحي ، ها الحياة ، وسوف تدب الحياة في كل شيء في تركيا
 أوروبا وآسيا الصغرى في الحريف . فهلا نجد أن صاحب مصر
 والشام ومكة وبلاد العرب وصديق شاه الفرس ومعبود أمته وكل
 أصحابه في الدين ، هلا تجد هذا أقوى يدا من هذا الذي يقوم بالأمر في
 القسطنطينية ؟ سوف يكون لي في الحريف القادم مائة ألف من الجند
 وثلاثون سفينة حربية . فإذا احتل مواريثي ومالي وفصيلتي فلن أطلب بعد
 دمشق شهرا من الأرض . ولن نجد السلطان في كتابه أحسن مني ، وأما إذا
 أفلقوا مالي ، ومالوا إلى حياتي ، لم أزد في الاستيلاء على حلب ، وسأذهب في
 حينها وجدت أرض عثمانية ، وهذا يحسم الصراع بين رجلين : محمود
 ومحمد علي ^(١) هكذا قال محمد علي لقنصل فرنسا المسيو ميمو في
 معرض الحديث بينهما عن الصراع بينه وبين الدولة العثمانية ، وهي
 قانة صادقة تكشف لنا عما كان يدور رأي هذا الرجل قبل حرب
 الشام ، وقبل اشتعال الخصومة بين مصر وأوروبا ، فهذا الرجل يرى
 في الدولة حسدا فائيا لا أثر فيه للحياه ، ويرى في مصر انماضة حسدا
 فتيا ينور بالقوة والحياة ، فكيف يحكم الميت الحي ، وكيف يحكم
 الضعيف القوى ؟ ثم هو يرقب الحياه بين مفتحة ومغرى لا تغفل ،
 إذ كان يعلم أن مصير هذه لدولة مات قريبا ، فرما كان في الحريف المقبل ،
 ولهذا انشأ يستعد ويعد العدة لكي يكون على الالهة ساعة العمل ،
 وهو لا يكره الدولة ولا يحقد عليها ، وإنما يرق لها وبشغق عليها ، ويرى
 يده أحى عليها من أولئك الذين يحكمون عليها بالموت بسوء السيرة
 وعنت الألاعيب وضلال الجهل ، وهو يشعر أنها لا تسكره بل

حسمه شعور محمد
 علي نحو الدولة

تحمه لأنه صديق المسلمين كافة وأمل الاسلام في كل مكان ، ولكنه يعرف أن هناك نورا يكيدون له ويأتون الاعتراف بعصه وقدره ، وهذا ما يعير نفسه ويفلق باله ، ولو قد قدر هؤلاء الأمر مقامه واعترفوا بفضله لما طالب الرجل غير دمشق بحكمهم باسم السلطان ، ولكن أحاصر المحلصين الخليفة ، أما إذا أتى هؤلاء الأمر الاعتراف بقدره وقدره وأرض الدولة ليعرفوا قدره ويقرروا بمكانه ، فلم يكن الرجل جشعا ولا ثائرا ولا عيبا يرضى شهوة خاصة في نفسه ، وإنما كان يدعى خير الدولة الاسلامية كلها . ويرى الخليفة بين يديه وفي رعايته . وهو رفيق السلطان مشغول به ، يرحو أن ماونه فيما يدعى من الإصلاح ، ويحب لو أطلق يده في الشام يصلح أمرها ويعت فيها الحياة التي بعثها على ضفاف النيل .

سيف الدولة
من ٤٠ على

أما في الفسطاطية فكان الأمر على خلاف ذلك . كان السلطان محمود حلا واسع لدهش شديد الشعوب . لمخرج الخطر الذي كانت تقع الدولة فيه . وكان لا يملك مذكرا فيما يتقدم لدولة من هذا المهور فأعدم جنده القديم « الأتكية » سنة ١٨٢٦ . وأحد في إنشاء جيش جديد . ومضى يمت الحياة في هذا الحراب الذي أحاط به فكان حليقا به أن يطر إلى محمد علي في كثير من عدم لرصى . فهو يرى نفسه سلطان الدولة المسئول عن أرضها كلها ، عليه أن يأخذ ولاته بالطاعة . ويحفظ على بلاده كاملة غير منقوصة ، فطالب محمد علي مرفوعة من أساس لها ترمى إلى فصل حر ، من الدولة والاستقلال به ، ثم هو يريد أن يرض أمره ، وعلى الخليفة أن يأتي وإلا لم يعد خليفة ولا سيذا . وكان صحاؤه وورثه يعرفون منه ذلك ، ولكنهم لم يكونوا يحسون إحساسه ، فهم يرض من الخوثة الإبدال يسعون الدولة ، ويأخذون السياسة محالا للعت وأرضاء المقوس في

هذا الوقت العصيب ، كان على رأسهم حسرو وعدو محمد علي لا يرى في النزاع بينهم وبين السلطان إلا فرصة لاشفاء الندد الذي يشعر به نحوه ، ولا يعرف لسيادة السلطان على حاجة من الواحي معنى إلا أنها تضيف ملءا من المال يدخل خزائنه ، فسهل عليه بالطبع أن يستعش شعور السلطان بحو محمد علي ، يوحه الوحبة التي ترصاها نفسه ، فساق الدولة هذا العث المردي إلى هاوية سحيقة ، قضت على كل أمل لها في الحياة والهوى .

وحول هذين وقعت اندول توجج الدار ونير الخلاف ، لأن كلاهما نرحى أملا من وراء قيام الخلاف أو سكونه ، ولا تعنى آخر الأمر ، لا هلاك الاثنين معا ، ولا تكاد تشعر نحو أحد منهما بمناطفه ولا اشتقاق ، تختلف فيما بينهما اختلافها أو يسيرا ، وتتصاحب أو تتعاصم ، ولكنها تنفق أحيرا على كراهية السلطان وواله معا ، كراهية لا تنمها كلها — وهي حمة دول عظمى — من الاتحاد على حرب محمد علي وهو الضعيف المسكين ، ولو قد كانت هذه الدول تريد أحد الخصمين حبرا ، لحل المشكل وانتهى الأمر كما انتهى في اليونان وفي باجيكاف وفي مستعمرات أسيايا في أمريكا ، وما كانت مشكله مصر أشد تعقدا من أى هذه المشكلات ، ولكنها كانت مشكلة الشرق والعرب ، مشكلة أحيال وحصومة أحفاد ، وأنس منها الانصاف والعدل والسداد .

فقبصر روسيا - يقولون - ووربره سلرود وإخوانه كلهم يرون أن الوقت قد حان لتحقيق حلم روسيا القديم والخلاص من الدولة العثمانية واحتلال ناصية البحر الأسود وإبرول إلى البحر الأبيض ، ولو قد ترك الأمر لتصرفها لحلت المشكل في أيام ، فقضت على الدولة واحتلت القسطنطينية وتركت محمدا عليا يفعل بالشام وبلاد العرب

موقف اليونان
الرائع

ما يريد ، ولكنها كانت ترى الدول الأخرى ترقىها بعين الجدر ، وترى انجلترا على وجهه الخصوص تحوف نياتها وتمشى غدرها بطريق الهند ، فلا بد لها من مراعاة انجلترا ومحاولة اقناعها بأنها لا تنوى مها شرا ، فهي تقرب إليها وتبعث رسلا إلى لندن بين الحين والحين يملنون هذا الحب والولاء ، ثم هي لا تنسى اناء ذلك أن تريد نفوذها السياسى والاقتصادى فى أعلاء الدولة ، فإذا لم تستطع القضاء على السلطان فلتسقط عليه حمايتها ، ولتأخذ عن الانجليز هذا الدرس للصالح ، ومادام قد عز عليها أن تترك جندها أرض الدولة على عدا . فليسر لها على حب وحماية ، لتدفع الخوف على كيان تركيا من محمد على ولتسارع بدل العون ، استطاعت الى ذلك سبيلا

وفى طرف القاهرة تقف انجلترا ، وقد مدت أساطيلها فاحتلت البحر الأبيض وراقبت الأحوال فيه خوفا على طريق الهدى كان يحترق أرض الدولة حلال مصر وحلال الشام ، وكانت تعلم أن سلامتها رهونة سلامة هدير لسيلين أى سلامة الدولة لعثمانية ، فهي تأتى على الروس أن يعتدوا عليها ، وتزد محمد عليا إلى حدوده إذا أراد مها نغيا ، وهي تحارب السياسة الفرنسية التى تعمل على كسب ود محمد على والسيطرة الأدبية والدينية على المارويين فى جبال لسان ، وهي تعرف أن فرنسا تقول ولا تعمل ، فهي لا تحشاها ولا تقيم لعصها أولرضاها وزنا كبيرا وإنما هي تحشى الروس ، أولئك الذين يدفعون مجموعهم الحاشدة فى غير روية ولا تفكير .

مما يذكر

وبين هاتين تقف فرنسا لا تكاد تنهص على أقدامها ، على رأسها ملك بحس فى أعماق نفسه أنه مدين بعرشه للانجليز ، فهو لا يملك يرصد موضع رضام ولا يطبق لهم خلافا ولا شيئا يشبه الخلاف ، يعيش فيها شعب ثقلت عليه عقايل الثورات والحركات ، وحيرته الدنيا فى

حرف لوى بليب

أمره فهو لا يستطيع عملاً ، ولكنه يحيا بذهنه ما يزال في الامبراطورية
الماضية لم تفارقه بعد نشوة الانتصارات ، فهو لا يفتأ بين الحين والحين
يثور لكي يظهر للعالم قوته ، ويرد الناس عن حياضه ، وربما ذهب مع
العضب ملعاً لا يكون بينه وبين الحرب فيه الا خطوة . ولكنه لا يلبث
أن يسترد صوابه ويعود الى نفسه ويعرف قوته وحاله ، وهنا يفارقه
الحماس ويسكن العليان كأن لم يكن بالأمس .

هذه العيون تنظر هذه الدول الثلاثة الى المسألة الشرقية . تراو
كل منها الأخرى وتحشاها أشد الحشبة ، وربما كره فيصر روسيا
ملك فرنسا ونجحت الدولتان بالعداء إحداهما نحو الأخرى . وربما
حفت النمسا اتساع سلطان الروسي في تركيا واللقا فانضمت الى إنجلترا ،
وربما أملت بروسيا أن تقع حرب بين الانجليز والفرنسيين فتجد فرصة
تثار فيها من هؤلاء الأحرار - الذين آدوها في السنوات الماضية أبلغ
الأذى - فانضمت الى إنجلترا . ولم نال أن تشترك بذلك في حق أمة
لا حول لها ولا طول

كان السلطان والوالي بهما من ذلك حق الفهم ، وكان كل منهما
يعرف من أمر هذه الدول ما تعلق وما تطن ، فأما السلطان فقد
صمم السلامة فما عاد يحشى كثيراً . فألقى الحبل على العارب وترك
الأمور تجري في أعنتها ، وهو واثق من أنه واحد العون من الروس
أو الانجليز في أي زمان ، ومضى يشنط في معاملة الوالي ويفرض
عليه طاعته وحرص القوى المنتجهر الذي يعتز بيمينه وسلطانه لا يمين
غيره وسلطانه ، وحقق الدول طبه فيها فطفي وتجبر ومضى في المناد
إلى حد بعيد ، وأما الوالي فكان يعرف أنه في مسعة لا نجاة له فيها
إلا بسلاحه وحيلته . فاستعد هذين إلى حد أرهاق البلد الذي ينده
بالسلاح ، وحطم الرأس الى ترسم له الخيلة ، فأنهى هذين إلى حمود
ودهول .

وقف مصر و تركيا
من العرب

مسودة عم ط

ولم يكن لمحمد علي كذلك مجبصاعر عداء الدولة عثمانية والوثوب
 بها ، فقد كان حرج إلى حرب اليونان على أمل العوز بولايات الشام
 وقد كانت الدولة وعدته ذلك . فكان من الحق أن يعطى ما وعد به
 بعد إتمام بنعائه في حرب اليونان حير قديم ، فقد فيها أسطوله ومعظم
 جيشه وأبقى من امدال شتيا كثيرا ، ودا أنى استيطان عليه ذلك لم يكن
 له بد من أن يسمي بقوة على تحقيق ما عجز دون الحصول عليه
 الرأي والافماع . بل يبدو أنه لم يكن له مهر من عداء الدولة لاثباتها
 كانت على يسه الانحاء إليه كلما حرمها أمر ، فقد استعدته لاحضاع
 الثرين في الرومي ولم يفرع من عقيل حرب اليونان ، كأن هذا
 الرحمن إنما كان يعمل لخدمه هذا لمر من المظالم المفسدين في
 القسطنطينية ، يسرف دمه شمه ويرحق نفسه والله لكي يريحهم من
 اعمل ويؤمنهم من الخوف ، وليس له بعد ذلك نصيب من مال أو
 شكران . إنما كان على لدوله أن تلم له بما صلب فقد كان الرجل
 حثيرا مصحاحا كان حير من في لدوله كلب ، وكانت ولايات الشام
 التي طلبها في حاجة إلى رأيه وبه . ه فقد كانت في حال شدة ، وكان
 الأمر فيها مروعا إلى حد اسجل معه على الرمن أن يمدوا حلالها
 دون توقع الأذى والعدوان ، وقد طال بها ابر من بحكمها اشوات
 يستمدون ومع جهدهم في إرضاء حشعهم ، ولم يكن أحد يستطيع أن
 يظهر أي مظهر انسي . وكان الجميع فقراء أو بطهروا بالمقر ، وكان
 أهدها ظلم — مدد هم المختلفة — محلهين مندابين طرائق (١)
 وهذا كانت لدوله تريد من نقاشها على هذه الحال ، وما ضرها لو
 أطلقت فيها يد هذا القدير فأصلح من شأنها واستقدها من مظالم ال الجرار
 في عكا . والشهابيين في بيروت ، وخلص بها من فوضى منازعات

حال الشام قبل
 الفتح المصري

الدين في كل مكان ، لو فرض السلطان هذا لراد سلطانه على الشام ولم يضعف ، وقد كانت هذه المعوصى فرصة طية للدول لتدخل في أمور هذه الولايات ونأتى فيها من الامر ما تريد ، فاستطاع الانجليز أن يدشروا متاحرهم ويشرفوا بأنفسهم على طريق الهدى ، وأمكن للعربيين أن يستولوا سلطاناً أدبياً على لبنان واليه من الموارنة . فلم يكن للسلطان حظ من القوة هناك ، فماذا ضربه من مصاب واليه ؟

المرجع بين محمد علي
والدول

يبدو أن الصراع لم يكن بين الوالى والسلطان . بل كان بين الوالى والدول ، فقد اصطالح السلطان والوالى مراراً أثناء الكفاح وبداعيهما الميل إلى الهدوء ، قامت الدول ذلك وأحدثت تأثيراً أحدهما على الآخر وتعريه به . بل أتت جابراً وحدها ذلك وأصرت على الفصاء على محمد على و « إنه نه في السبل » كما قال بلرستون ، من هنا يصح أن نطرح هذا الصراع على أنه مشكلة دولية ، لا مسألة داخلية ، وأن ننتبه دوراً من الكفاح بين الشرق الاسلامى والمصارعة الأوروبية ، فالصراع في الشام كان بين الانجليز ومحمد على لا بين هذا الأخير والسلطان ، وهو صراع يشهد انتشاراً فيه للوالى بأنه لعب فيه دوره بمهارة وإقدار ، بحيث استطاع أن ينظر إلى سياسة محمد على حيال المسألة السورية كقطعة طريفة من السياسة الذكية الرشيدة .

ضرورة ولايات
الشام لمحمد علي

وكانت ولايات الشام لازمة لمحمد على في ذلك الحين ، فقد كان له أسطول لا يستعنى عن أحشاش لبنان ، وكانت له متاحر تصالح لها أسواق الشام ، ولم يكن في استطاعته أن يترك قسطنطين — مصباح بلادته — ليهدده لأعداءها ، وليقيم فيها ولاداً لا يدحرون وسعاً في أيديهم واسكاناً به كأنهم موكلون بهذا (١) . وقد كان الانجليز على حق حين تحوّلوا

مطالبه لأنه لم يكن لدعهم أحرارا في الشام يأتون من الأمر ما يريدون كما هم الآن.

الروسيا تحول النزاع
من مسألة داخلية إلى
مسألة دولية.

ولم يكن تقدم المصريين الأول في الشام بالأمر الجديد ولا بالحدث الخطير ، فقد كانت الممارعات والحروب دائمة بين ولاية السلطان لا يعتأون يحثرون فيما بينهم لسبب أو لغير سبب ، وربما أصلح السلطان بينهما أو تركهما على حالهما ما دام احتلاهما لا ينقص المال الذي يأبىه من أحدهما ، وقد كان من المعقول أن يظن الشام في يد محمد علي زمانا بعد انتصار ابراهيم الخاسم في قوبه في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ ، لولا تدخل الروسيا الذي أحاف الدول ودفعها إلى التدخل ، فقد كانت الروسيا تعتبر الدولة العثمانية مضطقة ، مود لها ، وكانت مصالحها تقتضى بناء الدولة على حالها من الضعف ، ولبارأت أحناء مصر يحتاجون الشتم وبشرفون على حبال الاصول ، تحوقت مسيرهم إلى القسطنطينية واستيلائهم عليها ، وأنها صهم الدولة من حديد والقضاء على مطامعها فيها لهذا حرصوا على أن يثيروا محاور السلطان من ناحية واليه من نادية الأمر (١) ، والعوا في تصوير المسألة وجعلوا حرب محمد علي للجرار حربا للسلطان ، وأخرجوه بذلك عن حله ، فنورط في عدا محمد علي ، ومن ها يسهل عليها تصور انسب في توجه السلطان قواته لحرب محمد علي من جهة وتخريصه الولاية الآخرين عليه من جهة أخرى ، ثم حذفه اسمه واسم ابيه من سجل الشاوات الذي شرف في عيد الاصحى الذي تلا ذلك أى سنة ١٨٣٢ ، وقد كانت الدلائل كلها تدل على أن محمدا عليا لم يكن يرجو شيئا بعد الشام ، فلو قد كان اسلطان فافوضه قبل قوبه لأراح نفسه من عاء طويل ،

ولكن تخويف الروس أذهب فوجه نحو الوالى قوته كلها ، فصار الصدر الأعظم رشيد محمد نفسه نحوه ، وهذا لم يعد الأمر ترانعا بين محمد على والحرار بل بينه وبين السلطان ، ولو قد أراد محمد على القضاء على السلطان إيداك لكان عليه فى شغل من الدول . ولما أرسل يستوقف ابنه عند كوتاهية بعد أن أصبحت القسطنطينية قاب قوسين أو أدنى فلم يكن الرجل يفكر فى الاستيلاء على بغداد فى ذلك الحين ولم يأمل فى الصدارة العظمى فى ذلك الحين كما زعم الملبو دريو (١) .

ولما كانت روسيا تذكره أن يتدخّل غير ها فى منطقة يهودها . فقد حرصت على الاسراع بفتح الباب قبل أن تنه الدول الأخرى ، غير عالة أن تدخّلها هذا هو الذى سيثير مخاوف الدول ويدفعها إلى التدخل ولو قد استطاع الروس النكياسة ومنروا أغراضهم لكان فى الصلح أمل ولما اضطرت الأمور هذا الاضطراب . ولكنهم بالعواقب سوء التصرف — لو استقام هذا التعدير — فاسلوا قائدهم مورافيف Muraviev إلى محمد على فى الاسكندرية لايضعهم معه ، بل ليأمره بالانسحاب من الشام جميعه ونسليم أسطول له إلى السلطان وإيقاض جيشه إلى عشرين ألفا فقط ، وهذا بعد شهر واحد من انتصار قوبه ، أى والرحل فى علواء النصر ونشوة الظفر ، ولو ضلوا إليه هذا وهو فى عقابيل الهزيمة ودل الانكسار ، لأناه وهو على حق فى الآباء .

هذه الخطوة الروسية ونحت أبواب الدلاء . لاعلى محمد على وحده بل على السلطان والروسيا ، فقد تار ثائر الوالى حين وجد السلطان يستعدى عليه الروس اسصارى و تغشى العصب على السلطان فى نفوس الرعية حتى لقد سه درويش صغير على قارعة الطريق (٢) . وأحس

عصب الرعية على السلطان

(١) Driault : Question d'Orient, P 141

(٢) Ibid

محمد على بذلك قد ارت برأيه ففكره خلع السلطان بالمضى إلى القسطنطينية .
 هذا صارح بالكر مدون الخبر ، وأرسل لانه ابراهيم يطلب اليه
 أن يحصل على صوى نشرع له عزل السلطان قل أن يعزل خلع
 ويسقطه من خطه . ومن أن يمضى إلى القسطنطينية ليرى بها هذا
 تدى لا ينف أن سمعى حصوم المسلمين على المسلمين .^(١)

دجل لا ينجى
 والله تعالى

أراء هذا اتهمه ابرومى لم سمع الاخبار والعريسيين إلا أن
 يندحوا ، كما كان بالروسون ليترك الروس بدسطن حمانهم على لدولة
 ويحصول ليس بهم . وما كان للوى قبل أن يسمح لعدوه بقولا
 — كان لا ينف أن سمعى حصوم المسلمين على المسلمين .^(٢)
 ومن ثم أسرع الاناب بالعمل . وقد ابرسيون قد كانوا لا يطلون
 أكثر من كهم يدروس واشدداد إلى عمله . فاكثروا بأن وجروا
 لمحمد على انصح بالبرم القنوع في عمله . وأن يعمل بالصلح
 مع السطن . أن يتسع اناب إذا استمرت الحرب والشجاء ، ولهذا
 عذرت برسال مدون حصص هو . رور نوايكوت ليحل بذلك

س من محمد على أم لا حال فهم بعد ددروس مطالب أخرى . فقدر أو أرى العير
 أن هذا الرح امدص قوى ، وأنه منى عن فوه معلقة وفتح عظيم
 فيها الشام له طان الحين أو قصر . وطرق الهند في يديه عن أى السل
 فهو لا ينف عن ابروم خطا وانقضاء عليه ضربه لازب ، وهذا بدأ
 لبرستون بعد دوره الخطر في هذه المسألة ، وهو دور يبالغ المؤرخون
 كل المدلعه في تصويره والاعجاب بالرجل من أجله . وينسون أنه كان
 يعاتب حصنا صعيقا هو محمد على ودولة صغيرة هي مصر ، وينسون أنه
 لم يكن على شيء من الكياسة لابع مصر وحدها بل مع فرنسا أيضا ،

(1) Dodwell p, 114

(2) Dou'n . Mission du Baron de Boecomte أنظر

وأنه كان يلعب لعباً مكشوفاً صريحاً في أكثر الأحيان . وأنه كان يعامر في غير حذر معتمداً على أسطوله في البحر الأبيض ، ينسى المؤرخون هذا ليعجزوا بانتصره في آخر الأمر ، مع أن الرجل لم يكن له مهر من الانتصار — إذا استقام هذا التعبير — ما دامته المسألة صراعاً بين أسد وحمل . وما دام على ثقة من انتصار أوروبا له على خصمه الضعيف

كان فصل إنجلترا في مصر في أو ثلث أيام الصراع الكولونيال بارزاً ، وإثارته انتصار محمد علي ولم يملك نفسه ، فلم يمهله باستيلاء اسمه على عكا . وانتهر فرصة عزل السلطان له لكي يحدث عنه بادره فكان يبعثه بالوإلى اسبق حياً وما شتر حياً آخر . هو حد بالمرستون أنه يوشك بذلك أن يفضح نيات الإنجليز ، فسارع بعزلهم وأهم بدله الكولونيين بترك كامل أقدر معتمد في مصر . وأوسعه فهمهما من حكم محمد علي (١) وأكثرتهم عطفاً عليه وتقدير لآعماله . وإنما أحال بالمرستون بذلك ليعرف بواسطة كامل بويا محمد علي وأمر حبه من سبيل المودة والصدقة . وفهم محمد علي ذلك فغير أسلوبه من المصارحة إلى الدهاء ، وبعد أن كان يصارح باركر برسته في فتح فلسطين ، وبعد أن كان يعبر لهرعته في عزل السلطان ، أسرى إلى كامن أنه لا ينبغي للدولة شراء وإليه رجوع انعادها وإصلاح شأنها . وأنه لا زال بعد اختص للدولة التركية وإن حصر سلطانها . ولم يستطع بالمرستون أن يفعل أكثر من ذلك . وذلك لاشغال جيوش إنجلترا في هولندا والبرتغال وغيرهما . فوقف سير قتال حوادث ، وألح عليه السلطان في الدخول في دسيسة إنجلترا اسير ستراد فورد دي ريكيفانلا : « ان المسألة أصعب مما يتصور الباب العالي ، وإن الحكومة البريطانية ستحتاج إلى وقت تعجيب فيه ،

(١) Dodwell, Op. Cit. P. 112 - 113

ولكنها - في الوقت نفسه - ترسل الى محمد علي في أقرب فرصة ،
معبرة عن الأسف الذي سببته خطئه وعن أملها في أن يعقد الصلح
مع السلطان مباشرة (١) »

احتلالها اسكونا ، وكان لها في اليونان حزب قوى جدا لا يملك أن يصحح صاحب السلطان انوار فيها ، وصككت فتوحها في الجزائر تسير سيرا موقفا على رغم كد الانجليز . . وكان الفرنسيون أصحاب الرأي المسموع في مصر ، إذ كان مصحاؤهم أدنى الناس إلى ثقة الباشا . ومع ذلك اعتد صاحب فرنسا حتى في طين واناشم وطرق أبواب آسيا الصغرى والعراق . فلم يكن الناس محشئين حين رعموا أن السحابة البيضاء قد تسع دد في تكبره ودمه . انكاره لمه و سريو . ولو قد قرأ عنه اسطو سواب أو تيب أو حرمه لاسحقين وهو يرى أساطه سيرا سح حرمه ودمه ودمه فلا تحرق فرنسا أو غيرها على الخوص فيه ولا يعلم ما يحرمه صاعقه و . . كانوا يحاربون على أن يكونوا سريو سريو سريو لا يرد حرمه ودمه ودمه أوجههم أيام نابليون عساو فرنسا . سلكوه فيه لا يخلع من فرنسا صف حرمهم لا روسا أو لا يحترقوا ولا حرمه . إلى قول أن حلاله لا تكونا آثار سدهم بعض الاطباء من حرمه . وأنفسهم وان كانوا يرون أن استقلالهم من و . . نرا من لا حرمه . ولم يرد حرمه ودمه ودمه من نظيره في البحر ثمانية من حرمه ودمه ودمه ودمه ميزون حين نزلوا في حرمه ودمه ودمه ودمه لم شراؤ في موقعة ولم يرد حرمه ودمه ودمه ودمه .

إنما الحقيقة أن محمد علي شقي بهمة العون الفرنسية في حرمه ودمه ودمه ودمه شقي بها لأنها أثرت بخوف الاتحاد من حرمه ودمه ودمه ودمه بعض لحساب الفرنسيين . حرمه ودمه ودمه ودمه على ثقة من أنهم يحاربون فرنسا . ولو قد سلم محمد علي من تبعه بعد لحساب فرنسا لم أصر لاجل

على سائر هذا الإصرار ، فالأخير أكسب من أر يفقوا كل هذا
أجهد في عدا دوله صعيقة كمصر الناشئة . وشقى بها محمد على مرة
أخرى . لأنها غررت به ودهنته من حيث لا تنوى معاونة فعلا . فتركه
يضي نار الحرمة وحده . وإياها اكتفت بذلك . بل أهوت بيدها على
رأسه في آخر الامر كألد الأعداء والخصوم .

في محمد على

وب محمد على رقب الحوادث إرداك معين انقلب ، فقد أفرغه
تقدم الروس وار لهم الجند امون سلطان ، وكان يرجو محلاصا أن يتقدم
إليه هذا الأخير في طلب الصلح . ول أن يستعجل الأمر ويقتل الروس
والمصر بول على المصططبية ، فاستطروا أوروبا كلها بارا حامية ، وكان
يرجو أن يعينه الله على الاتفاق كما بصحته اجتريا وهرسا ، وبلغ منه
الخوف . ولما عطيما . حتى أيدكر « سنت جون » — وهو شاهد عيان —
أن الشاة نر وجمع ٥٠٠٠٠ مصري الحصور صلاة جامعة امام قصره
سائمين الله انصر للأشأ ورجوع حوده طافرس سالمس (١) .

تصا ٤٤٤
في الدول الاو من
الكن

فدا هو في هذا . دأناه الفرح . وإدا يرسل السلطان بطرق بابيه
عارضاً عليه الصلح ، مقدما له الشام كله علاوة على مصر ، ورضى جدلان
طربا ، وطاول فترة من الزمن حتى كسب لانه درجة محصل لولاية
اطه ، فاستوى الأمر بذلك واستراحت النفوس بهذا الصلح الذي عرف
بصلح كوتاهيه في ١٦ مايو سنة ١٨٢٣

من مصر والدول

صصيت المسألة بين والى والسلطان ، ولكسالم تصف بينه وبين الدول ،
فقد رضى سلطان هذه الحال واطمأن إلى أن وجود محمد في الشام لن
ينقص من ماله أو هيئته واطمأن محمد على إلى مركزه الجديد فاخذ
يشته ويقويه . أما الدول فلم يرضها ذلك ، فكيف تقفل روسيا الباب
و تترك الدولة مطمئة البال ، وكيف تسمح لها بذلك الرخاء الذي قد

يمكنها من اصلاح شأنها والوقوف في وجه روسيا ومطامعها .
فلتسرع جد ولتؤكد حمايتها للدولة من أى اعتداء . وذلك لتستثيرها
إلى عداء محمد على من جهة . ولتتطلب على أى نفوذ دولي آخر في
القسطنطينية من جهة أخرى ، فرسلت سفيراً فوق العادة هو الكونت
أرلوف Orloff وكلفت إليه مهمة عقد معاهدة دفاعية مع الدولة العثمانية ؛
ورحب السلطان بذلك لأنه عرف « من تجاربه الحديثه درساً جديداً ،
وهو أنه لما اشتدت الآرمه واهرمت جيوشه على وجه نحو أصدقائه
يطلب المساعدة المعنوية ، فلم يسعه أولئك الدس طاماً أعدوا لإحلاصهم
له (إلا) بالكلام واقول الخيل ، أما روسيا فلما وجه إليها الطلب
أجأته على الفور بالجيوش والأساطيل ، من ذلك عرف السلطان
الناحية التي يجب أن يولى وجهه شطرها إذا ما اضطر لطلب
المساعدة (١) » ، ومن هنا عقدت معاهد سرية عرفت باسم « هكار
اسكاسى » تعهد انقيصر فيها بالدفاع عن السلطان . وأحد السلطان على
نفسه ان يقفل المصاييق في وجه السفن الحربية لأية دولة عداء روسيا

هذا كادت الصفقة كلها أن تخرج من يد الانجليز ، وبمعت الدولة الزهد والسياسة العامة
لمحمد على ويقولوا ماضية : وقعت طرق الهدى في يد الأول وأصبح
شرق البحر الأبيض تحت رحمة الثاني ، فلودام الأمر على ذلك لا تقطع
رجاء الانجليز في الصلة الهدى عن هذا السبيل ، ولأمكن الروس أن
يهاجموها آمين وقد أحكموا رناح لئلا يملك الانجليز لهم دفاعاً ،
ولهذا لم يلبث المرسئون ان أحس أن هذه القسمة ثقيلة على نفسه ،
وما يطيق الرجل صبراً على هذا الخل الذي أصبحت الدولة به شطراً
لروس وشطراً للفرنسيين .

من ثم أنشأ البرستون يعمل مجد ونشاط ، وكان يرى أن محمد علياسب
هذه المصائب كلها ، أليس هو الخطر الوحيد الذي يدفع لسلطان إلى الاحتماء
بالروس ، وأليس هو الستار الذي يخفي خلفه امرؤسيون ، وهم قد وده ؟
ولم لا يقصى عليه ويستراح من شره ؟ ولم لا تسلك إنجلترا كل السبل
للوصول إلى هذه العاية ، ولن تشفع للرجل عد الانجليز اصلاحات
ولا تقدم ولا عمران ، ولن يشفع له جهد بدل أو مال ادهق أو شعب
صحي نفسه للوصول إلى هذه العاية ، ليهدم العمران وليذهب الجهد
هنا . ولترم الضحية للكلاب ، ليسلم الانجليز ويعيشوا موفورين

إنجلترا منهم محمد عبده
دبه سبب البلاء كله

هذا هو الخطر الجديد الذي سيلقى أسولة الاسلامية الناشئة في
في دورها الجديد ، خطريعوقها عن تقدم وبأحد عليها سبل الاصلاح ،
لأن إنجلترا عرفت أن كل إصلاح من شأنه أن يقوى الدولة ويمز
من جانبها ويجعلها قوة على طريق الهند انما هو خطر على إنجلترا ، وإذن
فكل إصلاح على هذا الطريق خطر على إنجلترا ، وإذن فإنجلترا تعتبر
انقضاء على الاصلاحات والنهضة في اشرق الاسلامى دفاعا عن
نفسها ، تحاربها بداهه وغير زرد ، ذلك مفتاح سياسة الانجليزية إلى يومنا
هذا ، وما دامت عيون الشرقيين قد تفتحت للاصلاح وسعوا إليه ،
فذلك يعتبر إعلانا للحرب على إنجلترا ، من اليوم الذي تستيقظ فيه
الشعوب وتأخذ للاصلاح سبلها ، يصح الصراع بين المسلمين في كل
مكان وبين الانجليز

بحرارة وحرارة
الاصلاح والهدوء

بحرارة وحرارة
الهدوء والهدوء

وليس أدل على ذلك من الحرب لى أعدها على محمد على جبراً
وسلاية ، في الشام وفي مصر وفي القسطنطينية ، وفي أوروبا كافة .

فأما في الشام فقد شمر قسطل إنجلترا عن ساعده وبرل . الميدان
صراحة ، وأخذ يتصل برعماء القبائل ويحرضهم على الثورة ويقدم
اليهم السلاح . وما كان هؤلاء الزعماء بحاجة إلى من يحرضهم على الثورة

بأسمى الله الله محمد على

أو يدفعهم إليها ، فقد كانت يد محمد قد ثقلت عليهم منذ حين ، وأبوا عليه أن يخدمهم في حيوشه ويرع سلاحهم ويحتكر دولتهم تجارة الحرير وما إليه ، وما كانوا يطيقون أنطمته ولا قوايته ، فما إن همس 'نُسْبي' والثورة في آذانهم حتى هملوا ورحلوا ، فاشتعلت الثورة ، وحق للأجبر أن يؤكدوا بدول أن محمداً علياً يحرب 'شاه' بحكمه ، وأن العدل يقتضي تحليله من نيته ورده إلى لسلطان العادل بقادر

سور محمد علي ردكف
عن زيادة حله
عنه

وأما في افسططينية فلا صير على ستر انقورد دي ردكف أن هو الخ على السلطان في اعلان الحرب على الوالي و احرار مكره ، واقاعه بأن الانجليز حدم له إذا هو فعل ذلك . وأما في أوروبا فلا أقل من اقناع انبسا بأن اتساع سلطان روسيا في تركيا خطر على كيانها ، فلا بد من القضاء على ذلك السلطان . وهل من سبيل الى ذلك الا بالقضاء على محمد علي ؟ ولا تعجز انجلترا عن أن تهزم روسيا بأن القضاء عليه اصعاف لهرسا واحاط بالمساعيا . فلا يلت ابروسيون أن يقبلوا . وبهذا تجتمع السياسة الدولية كلها لحرب مصر

سور محمد علي عن
مصر

وأما حربه في مصر فمعما كسته في ررقه وماله ، فإذا كان الرجل يعول على التجارة فتعزم عليه التجارة ، وليحصل الانجليز من الدولة على حق لتجارة في بلاد محمد علي ، فيضربونه ، ذلك صرة قاحية العناء على الاحتكار الذي هو أساس نظامه المالي

محمد علي عن
الحرب مع قسعه علي ؟

يشيى بذلك أن يعرف أن الحرب كانت مستظيرة بين الوالي والسلطان عاجلا أو آجلا ، لسبب معقول أو لسبب غير معقول ، من ناحية السلطان أو من ناحية محمد علي ؛ وكل كان هذا الأخير مسكيا . وكل توفي الحرب ، وكل احتمل الحرح والاعبات في صبر وإباء . وكل رأى اليد ترتفع لتطعمه فلاها مالا ورحمانا ؛ ولم يشفع له دفاع كامل عنه وحس رأيه

فيه ، ولم ينتج دفاع بعض الوزراء الانجليز أنفسهم عنه حين أرسل إلى بلرمستون يقول « لا يمكننى أن أرى ترك ماشيدته بمصر من المصانع والمرافق الحيوية بها طوال هذه السن — مما كلفنى أموالاً طائلة ، كدور الصناعة البحرية ، والاسطول ، والواحد والمصانع وعددها وعملها . . — لا يمكننى ترك كل هذا للصفاى في يد باب العالي بعد موتى ، وإن قلبي ليسطر حرماً كلما ذكرت أن ثمرة اتعابى صانعة ومصيرها لعماء ، وأن أولادى وأمرقى سيتركون بعد موتى تحت رحمة باب العالي » (١)

ولعلنا لا نحيط به ، إذا فدا أن اضطرأ هي التي أثارت حرب الشام الثانية بعد أن استوثقت أن أوروبا كلها — عدا فرنسا — معها على محمد علي ، فلم يكذب بسفنى Ponsouly يستوثق من ذلك حتى أنشأ يحرص السلطان على الحرب صراحة وعلاوة ، وأكده أن اضطرأ معه في هذه الحرب وأن أسطوطها في خدمته ، فتشجع السلطان وأقدم على حرب هو المكاسب فيها على أى حال ، إذا انتصر كان بها ، وإذا انهزم كانت حماية الروس والانجليز مأمراً له من عدوان محمد علي ، وكان السلطان قد بدأ مدحجى بصاح جيشه وببطحه ، فطر أن العدة اكتملت له ، وأنه مقتدر هريرة المصريين على أهون سبيل ، وأمر حدوده بالمسير ، وأحسنت فرنسا أن السلطان وقع في الفخ وأن اضطرأ بالغة بالارادت ، فأرعت تطالب إلى الجيشين المتحاربين أن يتوادنا ، وكلفت مدووين لها بسط الأمر على حقيقته أمام بصرهما ؛ ولكن الرسولين تأخرا فلم

اضطرأ من التي
أثارت حرب الشام
الثانية

(١) سجلات دور « الخارجية » مصر ، كامل إلى مارسون ٢٥ مايو سنة ١٨٣٨ عن

يصل إلا بعد موقعة نصدير ، أي بعد القضاء على جيوش السلطان وانه تاح طريق القسطنطينية أمام محمد علي ، لا يعرضه معارض .

الصراع في الشرق
يصح صراعا بين فرنسا
والإنجلترا

هذه تلك أصح اصراع بين فرنسا وإنجلترا صراحة ، وانتقال ميدانه من القسطنطينية وقاهرة إلى لندن وباريس ، وأصبح مدار النزاع كرامة كل من الدولتين وقدرهما في أوروبا ، ذلك أن الفرنسيين وحدوا في ذلك فرصة يملكون فيها ما طل بهم الزمن وهم يصرونه من كراهية إنجلترا وسخطهم على عسبها بحكومتهم وتدخلها الدائم في شئونهم . ولم تكن الوزارة الإنجليزية تتوقع أن ثور فرنسا هذا المنار لحاظ محمد علي ، وتأكد لديها وإجرامه محمد علي بحب الفرنسيين له ، فأصربت الاصرار كله على موقفها ، وقررت ليهذهن كل أم لمحمد علي هذا .

العلاقة بين محمد علي
وروسيا في
الأزمة

والحق أن العلاقة بين محمد علي وفرنسا تطورت نظورا سريعا خلال هذه الأزمة ، فلم يكن الفرنسيون الذين ثاروا من أجل محمد علي يرون في تشجيعه أشرا للحصاره وعملا للرفق بقدر ما رأوا فيه سبيلا للذكاء بالإنجليز ، فقد بدا لهم بوضوح أن إنجلترا تستهين بهم ولا تحمل لحرصهم ، وترجو أن تقودهم من آدابهم في كل حين ، ومن هنا تريت بلرستون في العمل مع شعوره التام بأن الموقف يستدعي الاسراع في التمسيد ، وكانت فرنسا تحيره من أمره فلا يكاد يعرف ما انتوت من أمر فيما يتصافح سولت وملبورن كالأخوس في لندن وباريس إذا بالأسطول الفرنسي يكبد للأسطول الإنجليزي في مياه اسحر الأبيض ، ويعين الأسطول التركي على الانضمام لمحمد علي .

بدا أن روسيا تطوعت لا تقاد بلرستون من هذه الخيرة ، فأعلنت تاز لها عن الحقوق الى تتيحها لها معاودة هكار اسكلسي ، فتفس بلرستون الصعداء ، وأيقن أنه يستطيع الاستعانة بجيوش روسيا عن جيوش فرنسا ، فبدأ يعمل على حل الأزمة بعير رأي فرنسا ،

ولعل روسيا لجأت إلى هذا الحل لكثرة ما أخرجها انفرنسيون وجاهلونها بالعداد . فكان من الطبيعي أن تنحاز إلى جانب أعداء فرنسا ، وذلك بعد أن تأكدت أن هذه المعاهدة لم تصح دات بال أمام انتباه الانجليز وحذرهم ، ومن هاسارغ نيرود وزير خارجية روسيا فأرسل مدونه بربوف ليؤكد لاجلها استعداد روسيا للعمل مع الدول جنبها إلى جنب

إزاء ذلك نشجع بلرستون وبدأ العمل ، ولكنه أحب أن يستوثق لنفسه قبل ذلك ، فأعلن إلى مستقباى سفير فرنسا في لندن أن الدول لازى ماها من مع محمد على مصر وعكا وراثيتين ، وهما أحطأت فرنسا الخطأ الذى جر علينا — نحن المصريين — الويل ، بعد استباحة الرد باسمنا ، وكان يجب أن نتركها تتكلم عن نفوسها ، فرفضت ذلك رفضا قاسيا ، وأكدت أنها لاتوافق على استعمال القوة في قهر محمد على

فرنسا تتكلم باسم محمد على

أما محمد على فكان يسعى عن سبيل أخرى ، كان يسعى ليحل المسألة باعق خاص بينه وبين السلطان ، ولمح بنفسه ذلك قرأى فيه محاولة لتضييع الفرصة التى طال باجلترا الأمل وهى ترقبها ، فسارع إلى السلطان بحذره من الاتفاق ، فلم يجد رجال الدولة بدا من الوقوف واسطار رأى الدول ، وهذا حرم على محمد على أن يفتح فيه فى اللحظة التى أصبح مصيره فيها فى الميزان ، وحكم عليه أن ينتظر نتيجة الموقعة ، وما كانت نتيجةها بحايه ، إنما كان الرجل موقنا أن فرنسا تسوقه لحتفه وتضعه فى هم المدمع ، وكان منذ حين يصرف أموره فى كثير من القدرة والسياسة .

محمد على يسعى للاتفاق مع السلطان

وبدأت المعركة ، فكانت أسلحة فرنسا خطا رنانة فى البرلمان ومقالات طنانة فى الصحف ، وأسلحة اجلجترا خطوات عملية حاسمة

المعركة فى دررها الأخير

فية حسارة لمصر ! . بدأ النائب جوفري في يونيو سنة ١٨٣٩
فالقى في البرلمان الفرنسي ما ما يليق أكد فيه عزم فرنسا على أن تقف
مع مصر جنباً إلى جنب ، وأعلن استعدادها للعبادة على إنشاء امبراطورية
عربية توازن الامبراطورية العثمانية التي صارت إلى يد روسيا (١) .
وبعد ذلك قليل ألقى نير خطاباً قويا أيده كلام جوفري وأعلن أن
شرف فرنسا مرهون بعون مصر . فشتملت فرنسا باراً ، وتجاوزت
الصحف تنادى بالعداء ، فلم تملك وزارة سولت المعتدلة أن تقر في
موضعها ، فاستقالت ليحل محلها نير صاحب محمد علي وصيره ، وأيقن
أساس أن الحرب واقعة لا محالة ، وعجل نير بالصعوط على الباب العالي
للأمر أع في عقد الصلح مع محمد علي مباشرة . فلم يكده يتصل بلرستون
ذلك حتى فاجأ فرنسا بتوقيع المدكرة المشتركة بين روسيا وبروسيا
والنمسا وانجلترا ، تعمل فيها ضمانها لسلامة الدولة وحرية الملاحة في
المضايق ، وتمنح محمد علي مصر وراثية وإنشام مدى حياته

هناك توقدت فرنسا باراً ، فاعل « لأمريتين » أن هذه المعاهدة
« ووترلو السياسة » ، وحتى نير أن يجمع مجلس النواب بحافة أن يتورط
في إعلان الحرب . فريث . وملك الخماس أمة السكت فقلت « الطار »
« أن أوروبا لا تثبت لنا » فأحاطت اليدا مؤكدة « أن المعاهدة هامة
لا تقبلها فرنسا ، إن شرفها معها من قبولها » حتى لوى فيليب نفسه على ما
من كراهة الحرب وخوف التورط فيها حذراً من صباع لتاح ، لم يملك
أعضائه وعادت إليه ذكريات جياب فعال « أي أجاهد لرد الثورة
إلى عقابها مد عشر سنوات ، وقد عرّضت في سبيل ذلك حب شعبي
وراحتي وحتى حياتي للضياع ، إهم مديون لي بالسلام في أوروبا
و ثبات عروشهم ، وهذا جرأني منهم ، أيجوز لوليس شارة الثورة

علاية ، وكأنا لم يكنه هذا العيب فعاد يقول ممددا ممددا المسا
وروسيا « إنكم لمسكروا للجيمين ، إنكم تظنون الحرب ، فتصلون
بأرهابها ، فإن كان ذلك ، فاني مطلق لمر من مصاله ، به يعرفى وأعرف
كيف أتقدم معه ، وسرى إن كان يعرف لكم قدرا (١) »

ولم يكن الرجل يستطيع أكثر من التهديد ، كان يحشى على نفسه
من عمر الثورة أن يأكله أول المأكولين ، وكان يهرستون يعرف
ذلك ، فلم يهر التهديد منه جدا ، وثار به رملاؤه في الوزارة ، واحتج
عليه الأورد هولاند ، فهدد بالاستقالة ، فركه ملوردون يفعل ما يريد .
وهلل القيصر واستشر ، فهدد عدوته فرنسا تساق إلى الحرب
راضية ، ورحا أن يرى بعديه « صرع » ملك المتاريس « عن قريب ،
واشتعل الحقد في قلب الألمان ، ورحوا بالحرب ، واستطارت الحصومة
بينهم وبين الفرنسيين ، وتناكر الشعبان ، وتحول الأمر بينهما من
حصومة في محمد على إلى حصومة في لربن ، فادى بكر شاعر الألمان .

لن يكون لهم ، هذا الرين الحر الألمانى

فرد عليه لا مرتين :-

لقد كان لنا ، هذا الرين الألمانى الذى تدعيه

وسيمضى الطفل إلى حيث كان أبوه .

أى سيمود الرين إلى فرنسا ، وليحمد محمد على الله على ذلك !

في ذلك الحين كان محمد على ينتظر ، فاني أن يحجب الدول إلى
ما طلعت في المدكرة المشتركة ، ولست يرقب ما تجلى عنه المعركة
بين فرنسا و إنجلترا من أجله ، ولكن الدول لم تنتظر ، فزل المكلول
بايير عند بيروت ، وثار شهاب الشام بمساعى الانجليز وأصبح مركز

الخلاف في الورد
البريطانية بسبب مسألة
مصر

بعد عهد الخلاف
وتحول روسيا

جائز بكر ، المعد
في ١٩٠٤

قوره في الشام

محمد علي في الشام حرا حراً ، وحشي أن يقطع الأسطول الانجليزي على جيشه خط الرجعة إلى مصر وراجع ابراهيم مسرعاً .

و بعد جمع

وها فوجي ، الناس بأمر جليل ١ - . لقد سقطت وراثة تيمر وعاد سولت وقام جيرو المفضل لشئون الخارجية . واداميران فرنسا محمد ، وحماسها يسكن ، وإذا بها تستبدل العلو بالتراصع وتقع بمصر لمحمد علي ، كأنما مصر من أملاك يمينها بصرف الأمر فيها لوى قلب كما يشاء ويهوى . وما هي الأيام حتى هدأت نائرة الفرنسيين وتركوا محمداً علياً تلعب به الأقنار ، وكان هذا جراًؤه على تعفقه بها ونظاره رأياها ، ولو قد عرف أنها ستتصرف على هذا النحو لقبل ما عرسته الدول عليه من أول الأمر . ولما تحدثوا هذا نتجدي . ولو فر على جنوده عناء حرب الشام اشكاه . ولما وقف الرجل هذه اللحظات العصية يلتمس الرحمة من يد الأعداء : أحسن محمد علي أنه بين الحياة والموت فاشأ يخصص مصر تحصيها بالعا ، وكون جيش حديداً من المصريين . واستدعى جنوده كلهم ووجد أسطوله في يد واحدة . واستعد للبركة المأصلة في حدود مصر بعد أن فقد الأمن في الشام . ورأى الكولوبيل شارلس نايبير ذلك ، فوعرف استحالة أحسد مصر من محمد علي ، إذ استيقظت فيه عزة نفسه فاني شروط لدول مرتين وأحيرا وبعد أن باء ظهيرة تحت ضربات الخلفاء وخيابه فرنسا وعنت السلطان . قبل مصر وراثية ، ورجا أن يعطيه السلطان مصر . و بذلك يقدم نايبير معاوضه رأساً على ذلك الأساس . وأكده أن الحكومة البريطانية لا تعارض في أن تترك له مصر وراثية ، فقبل الرجل . وتعلل السلطان بتمل انقادر الذي يحتج سلاحه يمينه ، فلم تمالك الدول وهي أعداء محمد علي — من أن تعجب لهذا الاسراف في اسطر ، واحتججت ، وانتهى الأمر بفرمان ٢٢ مايو سنة ١٨٤١ الذي أصبحت به مصر

محمد علي يستعد
للقاوع عن مصر

نايبير معاوضه محمد علياً

فرس ٢٢ - ١٨٤١

وراثية في أكبر أبناء أسرة محمد علي ، وحدثت الجريه بأربع مائة ألف جنيه مصري ، ومنح الشا بعض حقوق بسيطة في منح الرتب وما إلى ذلك .

ذلك كان نصيب مصر من الدنيا على طول الجهد وطول العناء ، ولو قد استمرت في كل حروبها وقصرت في كل تصحياتها لم يكن لها أعداؤها غير عداء ، فلم يكن مفقدا لها إلا نصف المهر وم في أي الحالات ، ومن ثم سئمت مصر وسئمت العمل ، ولقت نفسها في احصاء يوم طويل لن تميق منه إلا بعد ما تواتر ، فهم اليوم أساس وماذا يأخذون عليها ، ومما كان يظن أنها لن تعمل فوق أيدي ومات في هذا السواد ، به تقدمت حق في احتيا حاكمهم ثم ظهرت نفسها وأثبتت حجمها في حروبها مع أعظم قوى الدنيا ، وأثارت من أعينها أن هذا وقابل شعوب الشعوب الأخرى المسددها ، ومما لم يشر به لم يمانه لأسباب حصرية ، وكان عدو الشر في حروبها على ، على ما من جود مصر ، ولم يكن لها يد من أن ، هو سلاحهم في ميدان الشر ، ولهم حروب أعداؤهم ان يتخلصوا من وضعه فيها ، وعندهم دورا به حاربته على لأيه كان يحارب نفسه وليس من وراثته شعب بخصب الجريه ويزنأهم ، كان عصامات الم دن ، التي كانت تبيع سيف محمد علي ، و كانت تعتد على سيف الانجليز ، في الملاحظة التي اشتعلت بحسب الاحياء فيها حماس من أجل كبرها ، كان هذه المعصية ستحق لاستقلال ومصر لاستحقاقه ولو بحثت مصر عن سبب لهذا الفشل الذي حاق بها في النهاية لما وجدت غير سببين اثنين هما وقوعها على طريق الهند وتهاجمها لعمل الحساب فربما فاما لوقوعها على طريق الهند فذلك في نظر لسياسة انه نظامية لا يعتقر ، ولو قد قاد مصر اللورد ملورن نفسه لما كان في نظر

أثر المصطفى
شعب مصر

به اليوم

محمد علي باشا

لم يعمر محمد علي بعد ذلك غير سنوات فلائل ، فضاء صبق
الصدر ندى الحر ، وكانت الدنيا قد عرفت فضله بعد أن قصت
جراحه ، فاهال عليه التقدير من كل صوب ، صفه أعداؤه في الاستانة
بالدموع والآسى ، وأحسوا هول جريمته في هذا الأمل الذي حققوه ،
ومث إليه ملك لفرنسيين وسام فرقة اشرف ، ولم يستح الانجليز أن
يعفوا ليه سفينة كعلامة على التقدير والاعتراف ، فحصل ، حتى
بمرستون نفسه أرسل يدعو إلى إنجلترا ويرحب به أحسن ترحيب ،
ولكنه أنى وفصل زيارة الاستانة ، وذهب إليها وعاد وقد ذهب عنه
بعض ما كان يتجدد وكان الرجل يمشى نحو الثمانين يحمل على ظهره
هذه الحقيبة المأجدة وكان لابد أن يتوء تحتها ، وحجم على مصر ذهول
أصابعه منه نصيب ، فحتم مرة مع بعض عماله واحدا عليهم ، وبام
ليلته هو ما مضى ، ثم هب في الصباح ليلقى بعض وزرائه ، فاعتذر
عهم ، وجلس على أريكته وبكى بكاء مراً . ثم رل ومضى إلى القاهرة
عن طريق المحمودية لا يتكلم ولا ينس ، بعد أن اتهم ووراءه ورجاله
جميعاً بالفقر والحياة .

واردت عافيته إليه بعد حين ، ولكنه كان بين الحياة والموت
وهذا أحسن أعداؤه الانجليز مما أدوه فلم يسعهم الا الاعتراف بفضلهم . ففي
هذه السنوات كتب فصل إنجلترا إلى بمرستون يقول : . وفي الحق
ياسيدي . لا جدال في أن محمدا عليا رجل عظيم ، فقد استطاع أن يهض
من مصاعبة النسب وقلة المال ، ويشق طريقه نحو القوة والشهرة بشجاعته
التي لا ترد ومثابرة وحكمته (١)

(١) من جرائد لمرستون . ١٨٤٩

من توبويل ص ٢٦٣

وكان هذا من أحسن ما قيل في لرحل الذي مات بعد ذلك بقليل

الاصول في تركيا

— ٤ —

أراد هذه الأخطار كلها . ولما انتهت إلى أفلتت بعضها في أثر بعض
أحسن مو عثمان أن نهاية أمرهم قد أوشك أن تكون ، وترامى إلى
سمهم ما تنصهم عليه الدول من نعيم بلادهم واحتلالهم هذا لهم الخطر
واصحابها ، ووجههم ذلك إلى التفكير في سبل يخلص بلادهم من
هذا الموت المحيط بها من كل جانب .

وإحساس الأتراك بخطر أورده قديم يرجع إلى أوائل القرن
الثامن عشر ، حين أشد ساعد لروسيا وعهدت إليه على أن يزيل تركيا
من موضعها ، فهداهل الأتراك ما وجدوا من انكسار جيوشهم
واسكاش دولتهم انكاشا شديدا بسبب الصلح الأوروي من العرب
على سبب النمسا ومن انشغال على يد الروس . . . كان الأتراك لا أن
يشعروا بالخطر بعد إصابتهم بمآهات مبدية لشرف العسكري العثماني
كمعاهدة كارلوفقر ١٦٩٩ التي سلمت بها المجر وضرب قلب أوربا إلى
النمسا ، ومعاهدة سارووتر ١٧١٨ التي فقدت بها حرمها من البلقان
أو معاهدتي كيتشك كير حتى ١٧٧٤ وباسي ١٧٩١ الذين أدت تركيا
للروس .

حركة اصلاحية

لم يكن الأتراك قد نبذوا قوة أو ما وعرفوا أساس نهضتها
وتقويتها . فوقع في ظنهم أن سبب هذا لا صلح للال العثماني هو
تعمير بطهم في سبل أجدادهم الأواين ، ومن ثم انجحت أفكار المصلحين
منهم ووجه سلفية كالي سراج في عمر تركيا من بلاد الاسلامية بعد
حين . وهذا التفكير السابق معقول جدا ، بل هو الخاطر الوحيد الذي
يخطر في أذهانهم يدعوكروا في إصلاح أمورهم والعودة إلى التفرق
الذي كان لهم في سابق الأيام . فقد كان أجدادهم يتصرفون حيث
(١٦)

يهزمونهم . وكان ادوهم بوسون الدنيا وأهلها . فب السب في
عجزهم اليوم وقصورهم ؟ وكان المسلمون قبل أن يتنبؤوا
حقيقه الحضارة العربية . يعيشون في الاسلام ، و يرون أنه
لسين الوحيد للعز واعظمة و لرفع . فلم نكذب المصائب تنزل بهم
حتى جرى إلى أدهانهم أن السب الوحيد هو انقراض في شعائر الاسلام
والانصراف إلى الدنيا والاسترسال مع الشهوات ، وهذا النمط من
التفكير نجده في تركي اليوم وفي مصر و جزيرة العرب بعد قليل ، وفي كل
بلد اسلامي تنكسر جبهه أمام أوربا ويحس خطرها

دنى د

بدأ كنتي بك فأهاب بالآثارك إلى الارترداد إلى اعظم العثمانيه
انقيصة والاعتصام بها ، واكد لمواطنيه أنهم ملاحون أن عاجلوا هذه
الرجعة إلى أطلمة محمد وسليمان ، فلم يلبث أن طهر من السياسيين من آمن بهذا
وأحده كوردا . أسرة كبريى ، فانتعشت الدولة إلى حين ، ولكن
عادت فاسترسلت في نومها العميق .

هذا عرف الاتراك أن الأمر ليس مجرد اصمحلهم . وإنما سده
أن أوربا لم تعد ما كانت عليه أيام سليمان ، وإنما شعلها تغير عظيم
نقص بها من الضعف إلى القوة ، ومن الهرمئة إلى لظهر ، ولم يكن
الأتراك حاجة إلى كبير جهود ليقنعوا ذلك على وجهه ، فقد كانت
الروسيا إلى شياهم تعرض عليهم الأمر عرصا واصححا لايحتاج إلى
يدان . فعرفوا أن بقاء الدولة الاسلامية على حالها لايعنى عنها شيئا ،
وان القوة الأوروبية الحديثة لا تقارم بالارترداد إلى الاسلام الأول
أو بالاعتصام بالاصايب العثمانية الأولى ، بل بالسير في نفس الطريق
التي اتبعتها أوربا ، والتي أوصلها إلى هذا الاوج من التهور والابصار .
فكر الاتراك في هذا بعد أواخر القرن الثامن عشر ومضوا في
تنفيذه من ذلك الحين . ولم يكرهوا - كما يظن الكثيرون - جناس ولا

التفكير في ادخال
الانظمة الأوروبية

مصرين على العناد، أن استطعوا أن يقطبوا في هذا المجال خطوات وسعة
جدا تعادل أصعاب ما أتاه السكايون عند الحرب الكرى . وربما وجد
القارى غرابة في مثل هذا القول ، لأن الرأى السائد بين الناس هو
أن تركيا طلت جامدة ساكنة بحافته على القديم حتى الحرب الكرى
وحتى قام السكايون بحركتهم ، فعضوا عنها فقديم وأسرعوا بها في
ميادين السجديد وتطرقوا في ذلك تطرقا طاهرا . ولكن الحقيقة أن
السكاليين لم يفعلوا أكثر من إتمام ما بدأ به السلاطين . ومما نة
بسيطه بين ما أدخله السلاطين من وجه التحديد وما أدخله السكاليون
تتعلق بهذا . فقد استبدل السكاليون مثلا بقصة ملابس الرأس التركي
القديم ، ولكن السلاطين هم الذين استبدلوا الرى الأوروبي بالآزياء
التركية القديمة ، وقد استبدل السكايون القانون السوى بى بالشريعة
في مسائل الأحوال الشخصية ، ولكن السلاطين هم الذين أدخلوا
القوانين الأوروبية عن الشريعة في غير المسائل الشخصية . وهكذا ،
لا نجد إصلاحا للسكاليين إلا وهو في حقيقته إتمام لما بدأه السلاطين (١)

الوضع السياسى
تذكر من حرب
القرم

ولعل دافع الناس إلى الأخذ بهذا الرأى هو ما يرونه من أن هذه
الإصلاحات لم توف على العرض المراد منها ، فلم ينتقل الأثر الك من
المحرمة إلى الطاهر ، أو من الإضمحلال إلى النهوض . والدس يذهبون
هذا المذهب ينسبون أن الدولة العثمانية كانت إلى حرب القرم تعتبر
نفسها . ويعتبرها الأوروبيون كذلك . خارج المجموعة الأوروبية .
وأن علاقاتها الطبيعية بها كانت . ولا بد أن تكون . علاقات حرب ،
وهى العلاقة الطبيعية الوحيدة المعقولة بين الإسلام والصراية
وينسبون أن هذا الاعتار حال بين الأرك وبين أن يحققوا أحلامهم
في النهوض والاحد بأساليب الحصار الأوروبية ، إبدأ شعور العداء

واسمور ولا حقرر من الخدين لم يروح قنما بينهما وهذا الاعتبار
 به عرييد السلاطين عن الإصلاح أو اسع 'صحيح . والسلطان
 لا يستطيع - وهو حى الاسلام من حصراته - أن يهلك « مصرى »
 تقبداً طاهراً ، أو يمرض على « المسلمين » أموراً « مصرانية » يكرهونها
 ويروون أنفسهم أرفع من الآحاد . فكان لابد له من أن
 يصطلع الأناة والحدري كل ما يطلب من وحوه الإصلاح ،
 بل كالب لا يملك التعبير إلا في حدود صفة حدا لا تتعدى
 حده وحرسه وقصره . ثم إنه سلطان دونه مترامية الأطراف
 والواحي ، تصمم اليوناني المهدب ، مصر الهمديس ، والمعربى لدى يعيش
 على المصنة والمصري المتحضر الوادع والكردى المنحرب الخشن
 والعرب اعطرى اسدوى والتركي العنيد الشديد ، فكيف يستطيع أن
 يمرض على هؤلاء نظاماً واحداً في طرفة عين ، كيف له أن يجمعهم
 كلهم في لواء واحد ويسوى بينهم ، ويجعل الدولة العثمانية وحدهم متائلة
 كفرنس وانجلترا مثلاً ، وهب أن السلطان استطاع ذلك - على استحالته -
 فكيف يستطيعه واغلاقاته تحيط به من كل جانب والأحظار تهدده
 كل يوم . وما من قرش يدس حرره إلا استهدته الحروب لرد
 العدى أولئكيت الخارجين والوائين ، وكيف يستطيعه وأوروبا لا تميته
 عليه العيون المفيد المنجى ، فده روسيا لا تكاد تترك له فرصة للعمل ،
 ولا يمتأثير عليه الحروب واقتن ، بل كيف يستطيعه وأوروبا تتدخل
 في شؤونه وتحول بينه وبين رعاياه فلا سقى له على الهيئة اللازمة في هذه
 الأحوال ، فيدعى الروس لأنفسهم حق حماية المسيحيين في البلقان ، ويزعم
 هم رسول لأنفسهم حق رعاية الأراضي المقدسة ، ويرى الانجليز
 أن لبحر الأحمر منطقة تعود لهم فيها ما للسلطان وزيادة ، كيف يستطيع
 السلطان والحالة هذه أن يعقد أمراً أو يصاح شأناً أو يقيم ساء ، بل كيف

العقد التي تعرف
 السلطان من الاصراع

يستطيع الإصلاح وهؤلاء رعاياه تسرب إليهم المادى الحديثة
فيؤمنون ، ويصارحون لسلطانهم أنهم أحرار أو لا بد أن يكونوا
أحراراً فادأحدهم تصدوا ، وبذا تصحهم يصحع بدوا وأصروا ،
ووجدوا من دول أوروبا معيباً فثاروا وجرحوا على اطاعة جملة ،
فادأرأدهم السلطان على اعانة عترة أمراءه ، فاستعلاهم ولم يكن
له بد من احترام هذا الاستقلال :

تلك كلها أمم ، ويبنى أن يحس حساب من المصطفى في هذه حركة
الإصلاح في تركيا ، ولذا ذكر في ذلك أمورا أخرى كالتشاور وعدم
الثقة بسلطان رعاياه ، وهو شعور طامعي بين خاكين والمحكومين
في البلاد الشرقية ، فقد حاد هذا الشعور — وما يصاحبه من الخوف
والريبة — بين السلاطين وبين أن يفعلوا رعاياهم بحسب نواياهم أو
بالخير لدى رجبى لهم من وراء تناع السلطان فيما يريد ، ولم يكن
السلاطين يحدون المال العام إلا ما بقى على وجوه الإصلاح ، فقد
كانت إرادات الدولة قد شغلت هبوطاً مررباً جعلها تنحرف عن
أن تهيب لها أعداء الدولة مقاومة الدول الأوروبية الأخرى
ولو قد وجد السلاطين الحال المحتضين والأعوان الصالحين طاعات
عبيهم السليل ، ولكن الأتراك لم يكونوا حذرا من المصريين في
هذه الناحية .

هل كان السلاطين
مخلصين في حال
الإصلاح

ويبدو أن أقوى أسباب فشل السلاطين في تحقيق وجوه الإصلاح
والهوض هو أنهم لم يكونوا مخلصين في طلبها ، ولم يفعلوا بها عن ثقة
بصلتها وجدواها ، وإنما عن اضطراب وإكراه . لجأ إليها السلاطين
على رعمهم ليقاوموا بها هجوم أوروبا ، ومن هنا عانت عنهم محاسنها
فلم يستطيعوا الاستفادة منها على وجهها الصحيح . ولو قد وجه السلاطين
الإصلاح لصالح الرعية لكانت الفائدة أمة واستبان أقوى ، لأن

الحضارة الغربية حضارة شعوب لا حصاره ملوك ، فهي إلى هوس
الخداع أدنى . وما من شعب يتبين حصارها حتى يؤمن بها ، ويسعى
هو المجتمع دون الحاجة إلى بناء ملك أو بوحية سلطان

مورد الشعب التركي
من لأصلاح

من هذا لا لوم على اشعوب الاسلام ، إذا هي نهرت من الحضارة
أمره ولم تدين وجه الخير فيها . فقد اعتبرت الدعوة إسبا صراها من تحكم
الملوك والاطنين . وفتحت آفاق مبادئها لوبا من الخسوع لهم ،
وأعدت لها من دون عار والمقومة لاجلها طمأ أرادت مقاومة
أو ، ، وصفت إلى ذلك هذه الحضارة أدنى انصاري
فأما في ذلك مدصرة بصريته على لاسلام . وحققها صرت من
استعد و هو حقيق بانه من اصحيح .

ملك كبا ، عو من حمت سدر لأصلاح صعه شتند في وجه
الاطنين كان بينهم أن يعملوا عليه قبل أن شمر ثمره واحده من
الغبار أنى سلوا الجهد في ، ، فحسب حسابها عند دراسة تاريخ
الأصلاح أن تركبا ، ، عسا لا عطل . وسعت مع أن ثلثي بأن محمدا
عد وفق في حين شمس السط . وأنه لم أفر وأحجب ، إذا في بين
من يعمل في دولة مبرامية الأطراف وفي ممدد على بالصعوبات ،
وبس من يعمل في بلاد منجر آمن محمد ودقان للسحصر عاجز عن
المقاومة إلا طلبها

نفس الحركة السبعة

فشلت الدعوة السلفية التي ردى بها كشمس بك لأنها جاءت متأخرة
حدا في الساعة الحادية عشرة كما يقولون — وقد أطلعتهم يهكرون
في اسير في اسيل أنى اسرجتها عده هم اسكرى - روسيا - أنى
استطاعت أن تنقل عن دولة مضمحلة مأخرة إلى دولة حديثه قوية
بحسب لها كل حساب في سياسة الأوروبية . وهذا السبيل هو بحارة
أوروبا سلاحها ، أى تنقل مظهر الحضارة الأوروبية

بدأ هذا العمل اسلطان سليم الثالث الذي مر ذكره ، وكان طبيعياً أن يبدأ بالحرب الحربية . لأن مطهر الضعف العثماني كان حربياً ، ولأن روح العصر كلها كانت مهتم بالحروب وتحسب لها كل حساب ، ولأن الاحطار الي أحاصب بالدولة كانت تستدعي وجود جيش قوى يحفظ سلطانها ويهيئها . بدأ بإعداد جيش على نظام جديد ، إلى جانب الجيش القديم . وقد يكتمل في ذلك حتى تبين له أنه لم يكن على اصواب فيما قصد إليه . لأن الجيش القديم لم يدهم يمضي فيما صدر . لأن فهم هذا الجيش الجديد قصاء على «هم» . ومن ثم بدأ الصراع بين السلطان والالاء كشارة هذا الصراع الذي انتهى بقتله والقضاء على حركته .

وحاول سليم كذلك أن يدخول على نظام لدولة الاجتماعية والسياسية تعديلًا لهما ، وهو تعدد الاقطاع ، والافطاع عن السنة التي جرى عليها بلاده من التشكك والايه في العمل والولاية وقصر ولايتهم على سنة واحدة . فاما عن المسألة الأولى فقد كان رجال الاقطاع قد انقصوا في العالم كله ولم يعد ببلادهم إلا حلة الدولة الجديدة ، وقد كانت الافطاع التركي قد فقدت نظامه وأدبها وحده المائدة منه . إذ كان اسلطان — فيما مضى — يقطع رحله الافطاعات على أن يقدموا له خدمة حرية لقاء ذلك . ولكن المقطوعين كهوا عن أن يقدموا الجند والاعوان الحربي ، وأغاثتهم فترات الاصمحوال فأصبحوا ملاكاً فعلم لما بددهم يوارثوه ويصرفون فيه . أراد سليم أن يقضي على هذه العلة فقرر ضم كل افطاع يموت عنه صاحبه إلى أراضي الدولة ، ويرصد دخل هذه الافطاعات المستردة على الاطلاق على الجيش الجديد . وهذا كان سبباً أن يهب أمراء الافطاع (أو الأمراء الاقوياء — دره ملك كما كانوا يسمون) لرد هذا الاعتداء على كيانهم . وأما عن

معدل نظام لالة الدولة المسألة الثانية وقد وجد سليم أن قصر الولاية على ستة حايق أن يكف
يد الوالى عن الاصلاح ، وحقيق أن يحسن لولاية سلعة تساع وتشتري
المال والرشى ، فقرر أن تكون الولاية ثلاث سنوات قابلة للتجديد
وهما وجد السلطان أن هذا النظام غير المنطق على الحكام القدماء
الذين كانوا يعتبرون أنفسهم دواب الدولة واعداها لا انصارها ،
يترقبون عملتها أو صحتها يشاءها ، يقطعوا الصلة بينهم وبينها ، ولم
يستطع المصطفى في هذه السبل طويلا (١)

اشارة لعلاقات سياسية بين
تركيا ودول أوروبا
وأراد سليم أن يحطو بدولة حطوة أخرى لا تهم أهمية عن
كل ما بدأ به ، وهى المحاولة الأولى لدخال تركيا في الهيئة الأوروبية :
فقد سقت الإشارة إلى أن العلاقة « الطبيعية » بين الدولة وغيرها
من الدول الأوروبية كانت علاقة حرب وعداء ، فلا يجتمع الحيان على
مائدة واحدة إلا لامضاء معاهدة أو لحل مسألة طارئة ، وفي غير ذلك لم يكن
ليوجد بين تركيا وغيرها غير الحرب والقتال . وكان هذا اسوع من
العلاقات علة تركيا وسبب تأخرها عن غيرها من الدول ، لأنه قطع الأسباب
بينها وبين غير هاو عز لها ميااسيا ، فقدمت الدول ولزمت هى مكائها ، ولو
فد كانت العلاقات غير ذلك لسارت تركيا جساً إلى جنب مع غيرها من
دول أوروبا ، ولما وجدت أهوة السحيفة التى فصلت كلا من الجانبين
عن الآخر ، وأراد سليم أن يوحدين الدوله وغيرها من الدول علاقات
ميااسية ، باقامة السفراء فى عواصم أوروبا . ليكويروا صلة بين الأتراك
وعصرهم الذى يعيشون فيه . ورمما بدأ لنا هذا الأمر ميسور التنفيذ ،
فما على السلطان إلا أن يذب السفراء الذين يريد أن يمثلوه لدى
حكومات العرب ليتم الأمر ، ولكن من أين للسلطان الرجال الذين

يحبسون اقيام بمش هذه المهمة ، فيدبحون في الاوطان السياسية في
السلا الذي يقصدون فيه . ويستغلون أحباره وأحواله وسهولها إلى
دولتهم؟ بقدر مثل اسطان في ذلك وشلا بما ، والمعنى مدونه صغوات
كبرى في القيم بوطائف السراء ، هي صغوات ناشئة عن نفورهم
من أوروبا والحصاره الأوروبية وعدم فهمهم لطوائع هذه البلاد ،
وصيقتهم بالخيف في البلاد الأوروبية ، وعبر ذلك من الصغوات التي
تجدها معصلة في الكتاب الذي وضعه هرت هتوا « سفارة تركية »
لدى حكومة الديركتوار . يصف فيه الصغوات التي لاوها على امدى
سفير تركيا في باريس من سنة ١٧٩٧ إلى سنة ١٨٠١ وعجزه عن لقيام
بمهمته على الوجه المطلوب (١) ويدوا أن سلبها لم يرد من هؤلاء السراء
أن يقوموا بمهام سياسية في أول الأمر ، لأنه لم يكلهم شيء من ذلك ،
ولم يعتمد عليهم في حل مثل هذه السياسية مع الدول ، وبما أراد أن
تكون السفارات مدارس فيخرج فيها شئ فدرسون على الاصطلاح
بمهام التمثيل الخارجي ، دليل أنه لحق بكل سفارة من « طلاب »
الأتراك لهذا الغرض . يد أن سلبها لم يطل به الصبر على التعليم
والاعداد ، فلم يلبث أن كف ، واكتفى أن يقيم في العواصم الأوروبية
قائمين بالأعمال من اليونان ، ولم تتمكن لدولة من إيجاد أكثر قادرين
على لقيام بمهام السفارات الاحلال النصف الثاني من القرن
التاسع عشر .

وأراد سليم وجوها أخرى من الاصلاح ، فحاول انشاء مجلس
وزراء مسئول بالتصام من شئون الحكومة ، وغير ذلك مسائل
أخرى ، فلم يكن توفيقه فيها بأكثر من توفيقه فيما ذكره من بواحي
الاصلاح ، وعلة فشله في ذلك كله هي أنه أراد أن ينشئ الحديد والقديم

(1) Herbette, L ne Ambassade Turque sous le directoire

باق على حاله ، وكان عليه أن يفهم أنه لابد من إرضاء الميراث القديم
وإرضاءه حتى يمكن إقامة الجديد .

أثر حملة القرمية على مصر في دعوى الأتراك
فمن سليم في اندرث ما طلب ، وانتهى الأمر بقتله ، ولما سكن الية
في الإصلاح لم تبارح إدهان السلاطين ، لأن الإحباط لم ترح تهدد
بهم ، فكانوا يحثون على التماس سبيل أخرى للإصلاح ، وقد دأبهم
عد الحملة لمرسية على مصر أن أوربا لن تتركهم يستسلمون لا يوم مره
أخرى ، فبدأوا بمحاولة جديدة تختلف عن هذه الأولى بمص الاختلاف

بما هذه الحركة الجديدة السلطان محمود الثاني ، وقد علم من
سليم أن إرضاءه مع علم القديم حرمه من إرضاء الجديد ، فكانت تلك
خطئه في كل وجه من وجوه التحديد التي طلبها ، فعلم أن يبدأ بأشياء
حيث حديداً ، إذ لا شك في مدعاه فيه لشبه حدام مدعاه المماليك
التي أباد فيها تابعه محمد علي المماليك قبل ذلك بخمس عشرة سنة .

ويبدو أن محمود الثاني كان متأثر واليه محمد اعلم في كثير من الأعمال
التي قام بها ، وذلك لأن المصحة التي وفق إليها محمد علي كانت حقيقة أن
تكون هذه الصالحة متأثرة بالحكام ، إذ طلبوا الإصلاح ، ولا راع في
أن أداؤه صادف إعجاباً من نفس محمود ، حين رآه يوفق هذا التوفيق
في حرب اليونان أي فشلت فيها حيوش السلطان ، وكانت تركياسة
ولي أمورها أشبه بسقية بمعنى تحديد قاعدته وصواريخها وأشرعتها
ومحاربتها ، أي كان نفسى تعبير كل شيء فيها

يبدأ أن محمود لم يكن يستطيع المضي في سبيله قبل أن يحس مركز
تركيا في خطر الدول ، وقد كانت ثورة ليون وحروب محمد علي
والأردن التي نشأت عن ذلك قد هطت بسمعة الدولة إلى الخضم

ولم يعد لأمة دولة ثمة فيها أوفى طامح حكمها . فوحد السلطان أن يبدأ
باصلاح حال رعاياه ، وبإيجاد وضع جديد مسيحيين منهم في الدولة .
وكان بحس كذلك أن رعاياه المسلمين يكرهون الحكومة ولا يثقون
فيها ، فبادر وأسس إلى الرئيس هدى أنه يريد أن يصح انعز
من الآن . أمر الشعب لا يخافه ، في أقرر إعاء المصادرات ، وحتى
أولاد الرئيس لهم أن يتمتعوا بميراثاتهم ، (١) وسكن المصاعب
الكثيرة التي أحاطت به حالت بيته وبين أن يتم مابداً ، فكانت
ثورة أيوب وحررت محمد علي ، الروايشلة لشاعل طوان حكمه ،
فلم يستطيع أن يثر من إصلاحات سبقه مصعبا انجس المستطعية
وطبيعاً ، وبعضها دول نواحي الادارة كتنظيم الدولة إلى أربع
ولايات كبرى . بعد محل ثمة به شرفها المديونة التي كانت تعرف
بالدالات ، وإدخال الرول الأوربي وفرصة على حال المالا والحكومة
وغير ذلك عدة مسائل أخرى قليلة الخطر .

محمود الثاني وإصلاح

بعد أن الحوادث سبقوا أن تحولت إلى كمن محصاً في هذه الوجوه
توسمها . وما كان معنى أن يصطع أمره دول مطم الجني تحته
صعب الدولة وتأخرها . لم يكن يقوم بما يفعل أو يحرص على
ساعة . فبعد أمره وبين فقط من إعائه المصادرة صادر أموال ربح
يؤدي اسمه شمشي . وعقب على ذلك تمصادرة أملاك الرئيس هدى
التي أعلن إياه قانون إعاء المصادرة منذ أيامه ، وكان محمود إلى ذلك
قد التوقيع للدين ورجاله . كثير الاستهانة بتقليد والاوصاع .
فأدت تهره به بحروف الناس وسخطهم . وبلغ عصب الناس أرمسه
درويش على فارعه اطرقت وأنهم بمعالاه أصدرى على المسلمين .
وأندره بسوء المصير . وفي الواقع لم يكن محمود كفئاً للدهوص بالمهمة

التي تعرض لها فقد كان محس الحاجة إلى اصلاح ، وكان يشعر
بتموق اورو ، ولكن رآه لم تكن تظهر إلا في فترات قصيرة ولم
تسكن له طاقة لفهم المسائل اسخري ، وطى تركياً في الوقت الذي
أراد فيه أن لا يكون كذلك ، وقد ألح المؤرخون كثيراً في تقدير
الدور الذي قام به والاصلاح الذي أدخله .

في أعمال محمود
الثاني

و كما ملاحظ أن أعمال محمود أفادت له وله بعض المبادئ ،
فأثارت في آياها لونا من النشاط على الأول وعلى الرغم من كثرة
الحروب التي اشترك فيها والبرائيم التي مضى بها ، وإكوارث التي رآه
بالدولة على أيامه ، على الرغم من ذلك حد الدولة عديمونه أقوى منها
في أول ولايته ، فقد راد سلطان الدولة على ولاياتها وولاتها ، فلم يعد
تسمع بولاه خارجين عنها نالجرار ناشا في تشام ، وسيمان ، شا في
بعداد . (١) وبدوا أن ذلك راجع إلى خوف الولاة من أورو والامن
للسلطان ، فلم يعد أي حاكم يهكر في الوثوب سلطانة محفة أن تتدحج
ادول وتقصى عليه ، وإلى هذا الخوف من أورو " استطيع أن يرد
ماددا على الدولة من دلائل النشاط الأخرى كرادد دخلها من ولاياتها
لأن حكام الولايات ماتوا يعتقدون أن الدولة أصبحت في حماة
أورو وكفها ، وثورة على السلطان ثورة عليها ، وليس لعهد بعيداً
بمحمد علي وقصه .

مات محمود الثاني سنة ١٨٣٩ وحفنه ابنه عبد المجيد في السادسة
عشرة من عمره ، فكان صغره هذا فرصة مكنت بعض المربين
من الاتراء من ظهور على مسرح سياسة التركيه والعمل على اصلاح
حالتها ، وعلى رأس هؤلاء المصلحين رجلاي قديران قدما للدولة خدمات
جليلة هما رشيد باشا ورضا باشا .

ور العهد

كان رشيد باشا قبل ذلك سفيراً للدولة في لندن، وكان رجلاً ذكياً مخلصاً، فاستطاع أن يمس بواحي ضعف بلاده، ونفط إلى الوسيلة المجدية لأمورها، وقد رأى بعينه كيف كانت حماية الدول الترك متقدمة لها من المود حساً أحق بها، وكان يعلم كذلك أن الدول لا تحسن النظر بالدولة العلية ولا تثق فيها، فأحب أن يبدأ عمله بالكتساب ثقة أوروبا، فعلى حتى استصدر من السلطان الاعلان المعروف « بخط شريف جلجانه » أى المرسوم المتوخى بحظ لسلطان الذى صدر عن سراى الزهر.

أعلن الخط الشريف فى مظاهرة حافلة لاحتفى بجانب امكافه فيها، فقد اجتمع سماعه رجال الدولة وعدوها ورجال الدين فيها وطائفة من رجال انفسك اسياحى، وأطلقت له مائة طلقة وواحدة، وسقته صلاة تحير وقتها معهم معروف. ثم قرأ السلطان: « ان اعظم الاهية تصعب لرعايانا من الآن أما شاملا على أرواحهم وشرهم وأموالهم ودهمه الملح حق للجميع من أية ملة أو مذهب. يستمتع بها اسكل على السواء. » ولم يخص على ذلك الاعلان كبير وقت حتى عرفه السلطان بتصريح آخر، إذ اجتمع بهر حافل من رجال الدين اليونانيين والأرمن واليهود فى جريده متلين. وهناك خطهم رصاً باشا باسم السلطان، فقال أنها المسلمون والصارى واليهود، اسكم رعية امبراطور واحد وأبناء أب واحد، ان السلطان سوى مسكم جميعهم (٢)

صرح السلطان
بقلب التقاليد
الاسلامية

هذا التصريح الخطير الذى أصدره الدولة لتشرق من دول أوروبا فأكدت أنها دولة منحصرة بقيم العدل بين رعاياها ولا

(1) Engelhardt : op. cit P. 39

(2) Driault : La Question d'Orient ' : 153

تحتسب لمداها ورعاياها الدينية حسنا . ولا تنعصب للمسلمين على غير المسلمين - بهذا التصريح من السلفاء التقاليد انتمائية في الشعار وتناول الشريعة الاسلامية بالتحريف . فان التقاليد والشريعة كلاهما لا يفتحان أن يتمتع المسلمون وغير المسلمين بنفس الحقوق في رعاية حليقة المسلمين ، لا بد أن يكون هناك تمييز بين المسلمين ومن في دوة المسلمين ، فاما هذا التصريح الخطير فله دلالاته ، فهو يطاق بأن رجال الدولة اعترفوا بأن التقاليد القديمة لم تعد مبررا صالحا للحكم ، ولا بد من الاخذ بأساليب العرب ولو نعارض مع الشرائع والسنن ، وهذا الاعلان وحده يكفي للدلالة على أن رجال الدولة في ذلك الحين لم يكونوا أقل رغبة في الاصلاح ولا حراً عليه من الكنايين .

وكان رشيد يمتاز عن غيره من رجال الدولة بأنه كان يقول ويعمل في حين كانوا يقولون ولا يفعلون ، وهذا هو الفرق الجوهرى بينه وبينهم ، وهو الذى جعل له عليهم فضلا وجعل أعماله ثابته ذات أثر ، ولهذا نادر العقاب حاكم أدركه لأنه حكم على رجل بالموت بدون رأى السلطان

رشيد باشا
رجل عمل

أبقى رشيد أن هذه السياسة الجديدة لا بد كاسية عطف الدول ، ففضى في طريقه وأنشأ للدولة مجلسا يصمم نوايا من مختلف الدواحي ، يناقش انتواب فيه المسائل ويقترعون عليها في حرية . ويسرى رأى أغليته على السلطان نفسه (١) ، وأعقب ذلك اصلاحات شاملة في أساليب الدولة وطعم حكمها ، وألغى نظام الملتزمين إلعاء فعليا ، ووضع للدولة نظاما ماليا دقيقا حديثا ، وعهد في جمع الضرائب إلى هيئات محبة من أهل الاقاليم حتى لا تثقل يد الحكومة على الناس في جمع الضرائب ، ثم وضع للدولة قانونا للعقوبات وفق الشرائع الحديثة ،

مجلس نواب

المرحوم نظام الاندلس

واستقدم رجلا روسيا لصنع قانونا مدنيا حديثا للدولة ، واشتد
في تطبيق قوايه شدة حازمة صممت احترام الناس لها ، فلم يعب حسرو
ناشا الصدر الأعظم القديم لها كنه وعاقبه على الرشوة ، وأقام
من العلماء مفتشين يفقدون الولايات ويهون اليه أحارها وأحوالها ،
ويوافونه بأحار الحكام الذين يقلون رشوة أو يصفون الناس أو
يزلون بهم طامبا ، وأعقب ذلك بانشاء ملك جديد للدولة وأصدر
أورفا مابية

على هذا النمط نالت جهود رشيد ناشا ، ومضى في سعيها بحري
لا يعرف التواني أو اللين ، فلم يلك الناس كاهم أن أحسوا ثقل يده ،
ولم يلك القدماء أن شعروا بالخوف منه فدأوا يكيدون له ويأثمرون
للخلاص منه ، وأعاهم على ذلك أن أحسوا أن العامة شعور استياء
وتخوف من أعمال رشيد ، وهذا الخوف طبعي من جهة العامة ، فقد
وجدوا الدولة تساوى بين الصاري واليهود ، وتستبدل بالشرعية
الخنيسة قوايس النصاري ، وتخلع الأرباب القديمة (الشرعية) لتتحد
ري الصاري ، وأحسوا كذلك أن حكومة رشيد لا تكاد تأتي أمرا
إلا راعت فيه خاطر الصاري وحرصت أن لا تمسهم بأذى أو
تسأهم بضيم ، فلم لا يكون هذا الرجل آفة في يد الصارية تستر
حقه لتسعى على الاسلام ، ولم لا يكون معاؤه خطارا يسعى اقضاء
عليه قبل أن يعم ويشمل ؟ . . هكذا فكر العامة وعلى هذا الأسلوب
هموا أعمال رشيد ، ولم يكادوا يرون الروس يختصون الدولة
ويتقدمون لحمايتها من محمد على حتى استحال شكوكهم يقينا ، ورشيد
ستد يفتنى خلعهم الروس الصاري ، وإن السلطان لأهيجي وإنما
المسلم محمد على ، (١) ومادروا أن المصريين كانوا يقولون عن محمد على

عزل رشيد

مثل ذلك : وأحسن أعداء رشيد ذلك فحدثوا يكيدون له ويعملون على إسقاطه . فلم يلبث أن عزل سنة ١٨٤١ :

الاراء والاراء

وكان عزله معاء العام نظامه ولا يرد على نظام القديم مساوئه ، ولم يكن ذلك عن رغبة من سلطان أو إيمان منه بصحة القديم وخطأ الجديد ، ولكنه حتى وثوب رعاياه به لما رأى من سوءهم وقلة ثقتهم فيه وفي مستشره ، حتى رعاياه من النصارى الذين رفع من مكانهم وأعلى من قدرهم لم يثقوا في حسن نيته ، ومصوا يطالبون بالاستقلال والاعصال ، ويراء ذلك اسخط العام وحد سلطان أن لا حاجة به إلى الانتقال على نفسه ، لأنظمة الحديدية وتبعات الإصلاح ، فترك رعت ناشا لوزير الجديد يأتي مبريد ويرد البلاد إلى سابق عهدها في نظام المال أو الحكومة .

محرمة لاصلاح

يبدأ أن الظروف كلها لم تكن تسمح بعودة النظام القديم بخلافه ، لأن فكرة التقدم لم تعد ملكا لسلطان يعدم أو يحجبها كما يشاء ، وإنما استيقظ من رعاياه وأحدوا يطالبون ويشعرون أن الدولة صائرة إلى انحصار ، لم تسارع في القيام به . والواقع أن كثرة المصائب والارمات كانت قد أوجدت بين الأتراك شعرا من دوى الرى الصالح والتعكير الحديث . وكان جن هؤلاء من معشهم الدولة للعمل في التمثيل السياسى الخارجى أو للدراسة العسكرية ، وكان من هؤلاء من يعهم السياسة الأوربية ويحسن الاستفادة من أحوالها وتقلباتها ، وعلى رأس هذا الهر رشيد ناشا الذى مر ذكره ورصا ناشا . وكان الرجلان متعفين في الآراء والعلايات ، متفارين في القدرة والتدكك والوطنية وان احتلغا بعض اشياء فتطرف رشيد واعتدل رصا . وقد تناوبا قيادة الدولة وتوجيهها طوال عصر عبد المجيد وعبد العزيز واشتركا معا جسا إلى جبا في مناسبات عدة ،

والى تصامهما وفدتهما يعود الفضل فيما أدر كته الدولة من نجس وانتصار بسى فى حرب مرم . هذا الانتصار الذى صان كيانها حتى الحرب الكبرى ، على هذين الرجين ، جمع المصل فى ادخل تركيا فى هياه الدول الأوروبية . والحيلولة بينها وبين الصاء فى الازمات الحاققة التى أحاطت بها على أيامهما أو بعدها .

ما

بولى رضا باشا قيده ، الأور . عرل رشيد عباس . قضى على سياسة رشيد فى انقرب إلى الدول . لاجل إلى (عابا والرفق هم روقا طاهر لا يكاد يجاور مدى البلاغت وانتصر سجات . لاه إذا كان اسلطان ومنه من مستشريه يؤمون بفائدة الدولة من المساواة بين عبايا . وإذاعه العدل بينهم خيما . فان عامة الشعب كانوا عبيدين كل ائعد عن هذه الآراء . ولم يكونوا مستعدين لتكمل بما يصدر لهم من مصائح وما يوجه لهم من فخر . من كان فواد الدولة وحكامها أشد الناس ، كلاً أ لئلك . ونفلمهم إذا على المسيحيين من رعينهم فى نفس لوقت ائدى كانت تداع فيه ائمراراب . ولم يكن لسلطان ليكره من رعاياه المسلمين هذا ائعد ولم يكن ائعصب على أحد من ولاته إذا أدى رميا أو عصب يهوديا ، لأن السلطان ومستشاره كانوا يعلمون أن الصاى الذين يعدشون فى سدوة قد هملوا لمصائبها وأسرفوا فى الانتصار لدول الأوروبية السكة فى كروسيه وموسا . مما أدى شعور المسلمين ودفعهم إلى عصب هؤلاء انصري عصب جاور الحد

روح الشعب تيل
إلى عرل

وكان الصاصل قد دأبوا على عزاء هؤلاء السدين باسمصره و شجيعه وأصحبوا بها على لئمة يعلون سسا ويأخذون عايم السيل ، مما جعل احكامهم يظرون إلى المساواة بين الرعية كلون من الخصوع للدول . ويتدرون تحسن حال السدين صرنا من الهوان بلا للام ودولة الاسلام لئد يدعى أن يعلم أن المساوية لئظرية ائى أعيا

عمود و عهد المجيد ، والأفكار الجديدة ، سعى إليها رصا ورشيد ،
لم تكن أكثر من مظاهرات لا تعدى أثرها جلجلة وجرره عتلى .
وأن دول أوروبا التي كان يرعى حدها عن هذا السبل كانت أعلم
الناس بحقيقة الحال ، وأنشط العاملين في عرفة هذا الإصلاح
المرعوم .

تداول رشيد ورصا قيادة أمور الدولة زمنا طويلا ، وحققا
لها من وحيه الإصلاح طائفة شئ ، وأول رصا الجيش وأصبحه
واعده ليقوم بدوره الحزم في حرب اقم ، أعضاء لقوه الى مكته
من اثنت إلى الحرب الكبرى ، وشتم رشيد سواحي الادارة كما شتمه
وكذلك ما به أن مدارس مديرة لادار الحديث ، وأسس جمعية وأشتهر
لادارة مصرفا على النظام الحديث وأصدر رسم أو اوراقه ،
وأعاد قسم الادارة لادارة وورع وحدات الجيش أحدث على
هذه الأقدام ، وصح برسم حد أدنى للمدبر وأهله تشيقات
تعالج الناس من طاب الحديث ، وأنشأ لرق رسمه الاطلا ،
وغير ذلك من أقل شئ ، فلم يدار الرحلان وأولوا من سواحي
الحكومة إلا تباؤا لا يوفى ، باراداة واحدة ، وأكأن أعمالهم لم توف
على انه المطالوه ولا ثمرت بلوعه في مقبل الأيام ، من انهن
الأمم بهذه الرحمة وحده حركه الإصلاح ، فأنه ان ذلك ،

من الإصلاح لمن أقوى أنه ب ذلك هو مديرة الماديين ، منهم في ادولة إذ
ذلك ، ولم يكن من شئ ، بل هو الإصلاح أو قوه رسمه بالاهرقان
جدا ، ولم يكن المصاحون ليجدوا من سواحي في انهم في الذي
هو أساس هذا الإصلاح ، لهذا كان ان حركه رسم لا يجد من
بهم في القرارات قراراته ، بل ان الشعب التركي لم يكتف
هذا الموقف السلبي وإنما حرص على أن يأتي من الأمور ما يبداه

أوامر الحكومة الجديدة طامعه أن هذه التنظيمات الخيرية ، رحس
من عمل الصراية فلاند من اجسده . ومن دلائل ذلك أن مساعي
الشام اشتدوا في إيداء الدميين وتعصوا عليهم حين بلغتهم أوامر
السلطان باحترام هؤلاء الدميين ومساواتهم بأنفسهم بل كان الحكام
أنفسهم يحافون هذه الأوامر ويسمعون ما ينفصها كما فعل د. و. بش
باشا حاكم دمشق الذي أداع على المسلمين منشورا جاء فيه :
فأبداً هو أن الصاري عنكم عملاً يقلدوا لاسلام (كد) في ملائمتهم
وعفائتهم وعافيتهم ، وعدوا درجهم ، وحافوها هذا صدر صابا ولا
يعطى به رخصه ، فسد على ذلك أرسا سكم مرسوماً هذا لأحسن أن
تحدروهم وتندروهم من عواف ذلك المراد حالاً ، وتنفوا ساليب أن
لا يلبسوا ملموس أررق وعمامة سورا. وبعد ل. سودا.
أن واحداً نمدى الحذاء المذكور د. فإله لا يخفى عن حله وحطائه في
عقده ويطلع من حقكم وحقه (١) وهذا بعد إدعة الخط الشريفة
بقليل من هذا نظر الآثار إلى الإصلاح من تسخط وكفوا عن مدحه
أو مداصرتة ، فطل محصوراً في دائرة صيقة ولم يظهر له أى أثر

ولنصف إلى ذلك أن لدوة لم تكن تصدر في ذلك الإصلاح
عن يه الخير للشعب والرعية ، وإنما العاد بها طلت بذلك مرصه
الدول وكسب ودها « فكانت هذه لتصريححت انجيلة التي كانت
وحددت مرات لاحصر لها ، معترة مظاهرات الخداح أوروبا ، ولم
يكن الناس أير وسها على أمارعه أكيدة صادقة من الحاكم (٢) واسما
تقطع بأن هذا كان العرض الوحيد لعبد المجيد ورشيد ، لأنه يعلب
كذلك أن المصلحين كانوا مدفوعين رغبة صادقة في انقاذ الدولة وإيما

مرص الدولة من
الإصلاح

(١) حشر الشام عن ملكات الشام لمؤلف محمول طبع مصر سنة ١٨٩٥ (ص ٤٤)

Engelhardt Op. Cit ; P. 81 (٢)

لا يراع في ان الناس - في ركي وحارجها - أصروا على اعتبارها
كذلك وحسب هذا سببا يفتش والخمران

معد الدولة في المال
والنكبات

كذلك كانت الدولة فقيرة في المال وفي السككيات لني تمنع المال
فلم يرزق حلال هذه السموات كلها رجلا اقتصاديا يحسن
المصلحة على مواردها ويحسن النصف في قبيل على نحو يبي لها المال
للشرايع الاصلاحية ، من واقع مصححون في احتياط مائة كبرى
كاصدار أوراق مائة لا يملكها رصيده معدى . فلا تلتك أن تعقد
قيمتها وعدم وجود مبررة حقيقية للدولة ، ومعنى آخر : عدم
وجود خطة تنفع في صريف أموالها ، وحاجتها إلى أساليب
تمكنها من إيجاد توازن بين الدخل والخارج (١) هذا إلى حيرة الدولة
في أساليب جمع الضرائب ، واعطائها للبر من تارة ، وتكليف رؤساء
المعاشير والأقاليم جمعها تارة أخرى ، والاعتماد على إقاده المسكرين في
جبايتها تارة ثالثة . وعسف ليس وطلمه في أدائها في محصف لتارات
والخالات وإراء ذلك وجذب الدولة نفسها في أزمة مائة مستمرة
فلا هي واحدة المال ولا هي فادرة على صرعه إذا وحده . حتى قد
توفقت عن دفع إعطيات حدها في كثير من الأحيان مما جعل الجند
والعمال يحرقونها ولا يحملون بما يصدها من هزيمة أو اندحار ، بل
كان الكثيرون لا يترددون في ترك صفوفها والمخرج للعدو في عهوان
المعركة وحوه القتال . ونصف إلى ذلك ما يعرف من فساد دمة
الموظفين الأتراك وقبولهم الرشى وميلهم إلى احتلاس أموال الدولة
(حتى رشيد نفسه لم يسلم من هذه التهمة فأدين وثبتت عليه تهمة
السرفه والارثش ، في قصية خطيرة) (٢) إذا ذكرنا ذلك استطعنا أن
نعلم كيف كان توفيق الدولة ضئيلا ، وكيف كانت تجد نفسها عاجزة

فساد الموظفين

(1) Engelhardt; Op. Cit P, 101

(2) Ibid. P. 61

عن القيام باصطلاحات و سعه تجوهم من الخرج الذى كان يرداد
بها يوما بعد يوم

موقف الدول
من الإصلاح

ولم تكن الدول كذلك تحالصة البية فيما كانت تغفل من الخدب
على مصلحة الدولة والأحد سدها ، وقد سقت الاشارة إلى ما كان من
فساد نظم الدولة المسابقة ، مما يدل على أن تصحاحها الأوروبيين لم
يكونوا من دوى الكفاية أو دوى الإحلاص . فمباحهم للدولة باصدار
أوراق ماله غير مصمومة بدل على كلا الأمرين ، وتحلهم على انه رنة
بالصنع في مسائل انطواء المالى والمير به يؤكداهم كانوا يتجادعون .
لأن تلك الأمور من أويات التنظيم الأوروبي المالى ، يعرفها رحل
اشارع لا المستشار ، الذى يندب لتنظيم أموال دولة وسرها ، وكانت
الحكومات لا تتأخر في القيام بأى عمل من شأنه عرفة الأثر في
اصلاح أمورهم . فلم يكف الروس عن اطلاق الدولة والدخول في
شئونها ، وكانت تحرب المصلحين صراحة وتعمل على إفساد ما بينهم
وبين الساطن ، حتى لقد تمكنت من عزل رشيد باشا في مرة من المرات .
وكان متريخ بغير إلى اصلاحات ادولة في شئ من اطلاق ، ولم يتردد
في اعلان استيائه منها ورعته و العائتها وعودة تركيا إلى ما كانت
عليه ، وحتى انجلترا وفرت لم حكما عز التحدث بين السلطان ورعايته
وادعاء الحماية على طوائف منهم ، مما قلل هيئة الحكومة وشل يدها
وجعلها بين يدين الرافضة من الدول و من الصلف من ردة تعتر
على راعيها برعاة آخرين .

خبره المصلحين

وماذا يبقى لرشيد أو لعير رشيد من الوسائل أو الآمال بانه ملام
إذا أصحح ولام ، إذا قصر ، محطى ، إذا أعلن المساواة محطى ، إذا أداع
الاستبداد ، مهان إذا بقرب من أوروبا مهان ، إذا اتعد عنها ، لا يحدد
المال إذا طلب وإذا وجد لم يحد الوجه الذى ينفقه فيه ، فإذا وجد

وحه الاضاق لم يجد شاكرًا ولا عارفاً . فإذا يستطيع . . لعمله لو استطاع مدفع ، فكيف وهو العاجز الملعول البليدع الاصلاح وليتروا الأمور تجري في أعنتها ثم هو مدلل من الأمر شيئاً ، وما أراد عليه الا قول مربيح - يحكم على عمله وجهاده - ان اندوله اغنياءة كيان في دور الاصحاحان ، ومن أسباب هذا الاصحاحان بل 'سبب اندي نشأت عنه كل بلاهاها - هي فكرة الاصلاح على 'طريقة' لاوروبية 'و وضع أسس اسطون سليم . والتي اندفع فيها 'سلطان الاخير مسوقاً بحسن تشدد وخطافه من الخيلات ه . . ليدفع الرجل العجز وليحل . . . والدعاه فما كان . . من سطلون اليه الاتقان عليهم بالعمل . . . ونازع النصرانية وأهأها . . لدع الآء هو وأصحابه وليتركوا عند محمد وحده فانه لا يرضى عنهم من يرمهم بامداد الأمر عليه . . . ينصرف رشده لسلام في أواخر حكمه عند محمد (أوائل سنة ١٨٥٢) وبيدع اسطون بحرب حينه أمام لدول والباس وجهالوجه ، ليجرأ الرجل على نفسه سخافات الناس . . فما يكلف الله نفساً الا وسعها وماهو سالع أمراً بعد الجهد والاعياء .

قول عبد المجيد

وايق عبد المجيد وحده في المبدأ . يتلقى سحق الناس ويسمع بأديه ساهمهم إياه بمجاعة النصرانية على تاحه وشعبه ، وليتلقى وحده حوارج المهانة ومظاهر البحرية من عواهن أوروبا وناو ساستها ، ويرى عليه حده يشعون عله ولا يقيمون له ورناء . ولير حل عن هذه الدار محرو . . آسفاً . مجلساً بين أحده عبد العرر ورجل الحكيم ، معرباً نفسه هؤلاء « لاأخذ يسكر انه على الرعم من اعباية لتي سالت لتشفيد آرائي

لم يشعر شيء من هذه المشاريع التي أبدى رحيته منه ، حلا الإصلاح
الجزئي ، وحتى هذا لم يقم على أساس معين
الع الأتني ، لا ليتعرف هذا الأسلوب من التفكير ، وليقبل
عزل الناس له نفس راضيه ، ولكن عراؤه انه كان صادق انية
ون قسا ، حرصا على حياة الرعية وان تسد الوزراء وأساء اليهم
وصرفهم غير مقدر فصلهم أو حسب ثم حساب
سخط الناس ولعهم اياه ولتسكن له حسنة المؤمن الذي أخطأه التوفيق .
و ، له يجاهد بين الرجعية ، رعه الا يادان الحال الأولى ، لقد طالما
حال بين الحرب الرحمي في مصر و الحكومة وبين الاقتصاد ، وقد
طالما حارب جنوده وأتبعه على ع ، طاش ، ولقد طالما استمع إلى
وشاياتهم وصانعه على قلة الخدمي ، فليحسن به وبين ما يريدون ، وهذا
عبد العز يشار إليهم بالرأي والفكر ، فيرفعوه على أنفسهم خليفة وسلطانا
ولقبيل عبد العزير ليحرب خطه ، فمهد بالأمور إلى رجح أي
لا تتركه كبرية ولا حرة ولا مرفه ، هو محمد علي ، وليدعه يمشي في
في الإصلاح والسطم حيا عساه سلح من الأم ، ادا ، وبصير فاما
حدثا في نوفمبر سنة ١٨٥٢ فيضم به أمور الدولة من جديد ويصحبها
ي ، ابلاها به رشيد وعبد المحمد ، وليعد الدولة إلى نظام قديم جديد يرضى
عنه السلاهيون ويرون فيه اعترافا للشرع ، الماضي وإن كان فيه مهانة
للرعية ، فليكن على رأس كل ولاية حاكم عسكري يقابل الوالي أيام
الخدما ، وفي دار يقابل صاحب الخراج ويحضر الوالي لعسكري المصدر
لأعظم ، وليقع الدفتر دار لوزير المالية ، وانجر الأحكام بهذا من
غير تعاون بين رب الادارة ورب المال ، ولتضرب عند العزير في هذا
الملاح مسميها بصحا ، بعضهم مثقف في مدارس فرنسية ، ولا عابه
إذا توالى إليه اساء عجز ادارته ، حكمته وشرطته عن ضغط الأمن

في محرم النواحي لا علمه إذا أصبحت أذنه وطرايرون وأرمبر
مسرحة للفوضى والاضطراب ، لأعنه من ذلك كله ، فاصلا به بحر
عن طاقة الناس ، ليدع هذا كله لسطر مائتيه لدول في الشام ، وماثيره
عليه من الحرب والقتال . وبعد عنه آخر الأمر مسوقا إلى حرب
لا يعرف لنفسه فيها مصيرا .

٦

في ذلك الحين كانت اشام تشقى وتث تحت والحق من الولايات
والآلام ، ولعلها كانت أحسن بلاد الاسلام إذ ذاك بالمصيبة وأعصاب
بالداء إصانة ، فقد كانت تحم على عانها فوق مصاعب مصر
الحديث — عقيل فزون ماصيه . بعضها ناشى عن تكوين للبلاد وبعض
مردده إلى تاريخها وتاريخ الشرق الاسلامي كله .

الشام

ذلك أن الحروب الصليبية كانت قد وصلت أهل ادمه في اشد
موضع لا يخلو من حرج ، ولم يكن ينتظر بعد هذه الحروب الطويلة
التي اشتعلت بيراما في بلاد اشام من الصراية والاسلام ان يتصاق
المسلمون ومن بقى في البلاد من اصارى ، فكما اشتد نصارى الاسلس
على المسلمين بعد حروب الاسترداد ، فقد اشتد مسلمو الشام على نصارى
بعد الحروب الصليبية ، والأمرا من قريب من قريب ، وقد استمر الأمر
على ذلك من نهاية الحروب الصليبية إلى أوائل القرن الثامن عشر ،
فظل الديميون يعاملون معاملة شعب مغلوب على أمره مستضعف مسكين
وكان الصراقي لا يملك أن يساوى معه المسلمين فيما يلبس أو
يركوب أو يفعلون . ولم يكن ليحصر على المسير عن طريق المسلم .
حتى لقد كان يقاله في لطريق فلا يلبث أن يتيسر في طريقه أدنا
واحتراما ، ولو لم يكن لنصارى الشام من سماح المسلمين وقاية لحاق
هم في الشام ما حاق بالمسلمين في الأندلس ، إذ عفى القوم على آثارهم تمام

• كركن نصارى
في القدم

ولم يكن ذلك كل ما في الأمر . فقد كان تاريخ اشام قد فرس عليها
أن تكون و متحفاً لكل عرب طرف من الأديان والمذاهب .
فهذه البلاد — التي لا يزيد عدد سكانها على نصفه ملايين — تضم كل
ألوان الأديان بمذاهبها المختلفة ، وتفرّد بطائفة لا تخص من المذاهب
الخاصة بها ، كطوائف الموارنة والدرور والسامرة والصيرية التي
لا توجد إلا في بلاد الشام وحدها . ويدهى أن يكون هذا الخليط
الذي حائل بين توحد للبلاد واجتماع إلى لواء واحد ، مما جعل
حكم اشام من أعقد الأمور وأصعبها ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يترتب من
من اختلاف الآت في لشام بين السهولة والخرابة . وبين الصحراء
والمزارع ، وبين بلاد ساحل والداخل ، وبلاد المرتفعات وبوادي
المنخفضات . وما يترتب كذلك من اختلاف المهاجرين إلى هذه
الأرض العربية في القدم ، واتجاه الناس وانماحيث إليها من كل حدب
وصوب ، إذا عرفنا ذلك أضفنا له أن حكمها في العصر الحديث
كانوا هم الأتراك العثمانيون الذين يصعب عليهم حكم بلاد آمن وادع
متحد متجانس كعصر . هاهنا على تصور الحال أي كانت الشام علم
في مطالع العصر الحديث .

قسم الأتراك الشام إلى أربع ولايات تعرف بالولايات هي حلب
وبيروت و اشام واقدس ، يقوم على إدارة كل منها باشا وضع بدوره
الحاكم الشام الأعلى الذي يقيم في دمشق ويلقب بمشير العرشي الهاشمي
وكانت البلاد تحكم حكماً عسكرياً ونجدي صرائها على طريق الأنظمة
المعروفة . ولم يكن الحاكم يعني إلا بجمع المال والرشي وسرقة الدولة .
فكان يرمي الأهليين بمصاعفة الأداء . وإلا ضوعف انعدام ، وكان عماد
الحاكم التركي على ما يده من الجند ومعظمهم من الأتراكشارية وطائفة
أخرى تسمى أقييقول ، وكان الطائفتان لا تقتاتان تقدران ويحترقان

في المدب والمرار حتى هطت حالة البلاد هبوطاً تاماً . وشغل الجند بما بينهم من المازعة فانصرفوا عن حماية الناس ورعاية مصالحهم . فاحتل الأتراك واضطرب الحال ، واشتد هؤولا . الجسد على الناس وعسوههم حتى أصاب أهل اشام على أيديهم أكثر مما أصاب أهل مصر على يد المماليك ، و إذا كان رجل كل قسم يشمون على أيديهم بشا . و حافهم (و فهم) . و أكثر اجتماعهم في امهوى . و جرت العادة أن رسم فوق وحق كل فهو شدة الوجوه الذي يجتمع رجاله فيها ، ولم يكن لهم نظام عسكري في ذلك الوقت لأن رجل كل حارة كانوا يحصون لأغا (نس) الوجوه الحال ، و الجميع يحصون لكبير لوجاق لمحب من بين الأغوات لاميريه . الحسار و صداقة الوالى أو خيرها . ولم يكن يمكن لحدث أو لأمر أو شاة جملة المرور أمامها وى انى جمع فيها العبد . كرجفة أن صحوه . يسة أو يك الجمل . (١) و كان الرابع بين الأسم قائما على قدم وساق . وقد شأ عنه خبر . كثيرة من هذه الأقسام المتصاعفة فتدب عن ذلك محاور كثيرة ولحق لأدلى أصرار عظمة . حيث كانت سبب الدكاكين و هم لاسواق وتعطل الأشعل ويندر عن أساء السدل الخروج من يوم ٢٢ . وكم من مره أصبح بعض المدن — وخصوصا الشام وحب — مطاماً للار من جراء ذلك . ولم يصرف المشكل إلا بعد احلة الولاة أو بعض الأتسان . ولكن ليعود الشر بعد وقت قصير عند ما يحدث له موجب صغير . . . واطما هم يقوم على الولاة أنفسهم وقبوهم وعما كرههم كما جرى في دمشق سنة ١٨٣١ لسليم باشا حيث قتل هو ومعلم عما كرد لأجل صرنة جريئة فرضاها على

الدكاكين والمحزين والماتير . وقد كان الاعتداء على العرص والقصر
ما يحدث كل يوم ٥ (١)

الاتصال باوروبا
يشير الخلاف بين
النصارى والمسلمين

فما أهدى العصر الحديث . وتسامع المسلمون تفوق أوروبا ، وبدا
للرعية ضعف الدولة العثمانية وسوء حالها ، انصاف مصاعب الشام
مصاعب جديدة رادت الخلس . على سوء ذلك ان طوائف النصارى
لم تكن تنقسم أحبار تفوق دول أوروبا حتى رفعوا رءوسهم وأخذوا
يستعملون ليردوا المسلمين . أسلفوا لهم في العصور الماضية ، وزاد
النصيلة ما جرى عنه لأشهر من امر بين الرعية وضرب صوائفها
بعضهم ببعض مما أجمع امار . حمس اشياء كلها كمحزون البارود
لا يكاد يشتم امار - عن مد - حتى يقجر العجز آخرد وأحد سائحون
لأورور رتبون انلاذ وسهون أحواله الى دولهم . واصل بهم
مهم بعض الطوائف مهضة واسمع الى شكاه فلم يلبث الدول أن
نصبت الى هذا الحال اسبي . ورادها رعه في تدح من أروا من هوان
له ميين في هذه انلاذ وم . لمساو من احتلال الأمن الذي كان يهدد
انتحده - وهي عرص لأ . بين الأول فلم تكت عناية الدول
أن انجحت بحو هذا القصر ، ولم تكذب أن أرسلت داصلها ومعتمدتها
وأحدث تدح في الأمر وزيد الأمر على الدولة العثمانية حرجا .

السائحون الاساقفة
دعوا

اتجاه النفوذ الدول
تحو الشام
عكا

انجحت أطار الأور ويين الى ثلاث نواح من الشام : هي عكا
ولسان وبيت المقدس فأما الأولى فقد كانت قد أحدث طرفها الى
الى قوة والاستقلال خلال انصف اثنى من قرن الثامن عشر .
إد ولى أمورها صاهر العمر شيخ فائن صعد ، وكان أمير أقوى قادراً
استطاع أن يمد سلطانه على ناحية الخليل وحصنها وحلصها الى حين من
مسامات الحكم انبركى ، فلم تلبث المدسه أن نهضت في رعايته وبدأت

مصر مصر

أهميتها السياسية والتجارية في الظهور . . . ظل مستقلا عن لدب العلى
مدى خمس وعشرين سنة من ١٧٥٠ إلى ١٧٧٥ . واعانه على ذلك أمرا
مصريون على بك وأنى لذهب ، وكان اعمدا . إذ ذاك بين الروس
والأراك على أشدد ، وكان أمير مصر على بك قد سعى للاستعانة
بالروس على الأتراك . فجاراد في ذلك صاهر ، واستطاع أن يعيد من
معاونه الروس أكثر مما أورد صاحبه على بك ، لانه استطاعوا أن
يبدوه بأسطول وجمه ، واستمر يواصل الأراك حتى مات وهم على
حصار بلده سنة ١٧٧٥

من ذلك الحين أحدث عكسا سلبها إلى لقوة والرقى ، واصلت
الأسباب بين ولايتها وبين الأسطول الانجليزى الذى كان يراط في
شرق البحر الأبيض مداحلة الفرنسة ، إذ وجد الانجليز أن الاعتماد
على ولايه صيدا ومساها عكسا يجعل الأسطول الانجليزى ملحا وموردا
للمثونة وقت الحاجة ، ومن هنا كان هذا التعاون الموفق الذى اشتهر
به الأسطول الانجليزى مع الجزائر وار عكسا وانتهى بحادثه مدعى
نابليون في الشام سنة ١٨٠٠

وحوالى سنة ١٨٢١ تولى اعادة صيدا أمير شاب سيكون له أثر
بعيد في مستقبل اشم الساسى ، هو عبد الله الجزائر وقصة هذا الهقى
وأعماله وسياسته تدل على الروح التى سادت زعماء الشرق الاسلامى
في ذلك الحين . وتكشف لنا عن كثير من جوانب الضعف
الذى كانت اندولة تروح تحت عثها ، والى مهدت لطريق لا يبار
الوحدة الاسلامية وأعات العرب على التمكن من بلاد الشرق .

بدأ عبد الله الجزائر حيلاته العمله في سن مكرة جداً . إذ أقام في
الاسعة عشرة من عمره حاكما لمواحل اشم ، ولا يلبث إلا قليلا

حتى استطاع أن يسولي على مارة دمشق وصحبها إلى رهامه . وكان
 انتهى طموحا تحامره برعة الوثوب والبلالة والاستقلال عنها بالشام ،
 بن كسب آماله للعيدة راسي إلى جمع الخليفة محمود الثاني وإعلان
 نفسه خليفة على المسلمين ؛ ولهذا لم يكت الخلفاء أن يدب إليه وبين
 الباب العالي ، فأغرى السلطان به حكام دمشق وأطية وحلب فقتلوا له
 يريدونه على الطائفة ، فأغصم بهم حلف ميثاقه الحصين عكا ، وظن
 ساحر وية وم تسعة أشهر . فإذ أشرف على الهلاك فقد أراد أن يسعين
 محمد علي صاحب مصر على هذا السبيل الذي حل به ؛ وكان هذا
 يرفب الأمر بعين البحر وبتنم من امركة الأسفلاء على الشام بعد أن
 أثبت قدرته وكهالته في حرب الوهابيين ، فأحسد يقاب الأمر على
 وجوهه والرجل مرتعب العيون ، هوى عنه بلاده وبواحيه يوما بعد
 يوم . فلما استيأس من بجدة مصر اتجه إلى أمير لبنان شير الثاني ،
 فمحن هذا بمعاوضته معونه عادت على لبنان الحصار ، إذ صق أنصار
 السلطان على شير حتى اضطار إلى معادته بلاده والحرب إلى مصر .
 واشد الأمر بعد الله مرة أخرى فوجه إلى محمد علي يستعطفه من حديد ،
 فأحد يبعث إليه رسائل تفص دلة واستعطوا ويمدده ، مؤكدا له أنه
 عده الخاضع وعامله الآمين . ومضى في الرجاء إلى حد تمديهم سكا إلى
 محمد علي ثم لهذه المعاونة ، وهذاك تحرك محمد علي لعموم ، وكان طوال
 الوقت لا يعلق موايه في وجهه من عكا ولا يجمع سال لأمداد من
 اسحر اليها ، وربما أرسل بعضها نفسه ، تقدم محمد علي برحو السلطان
 أن يعفو عن عبد الله ويؤكد له حسن بيه وتوسه وبده على ما في من الآم
 فلم يادب السلطان أن عفا عن الحرار وده إلى و سنة ١١٠٠

الجزائر يمدد
 إلا عكا

الجزائر يستمر بمصر

مصر بده

تدخل محمد علي
 والاعين على الحار

أعاب اطر أن محمدا غايام يبدل هذا السعي حالصا الوجه عند الله .
وإنما رجا أن يدوم اعتراف هذا القى بمصله عامه وتبعية عكا لصاحب
مصر بعية معوية . ويذهب لأستاد اسد صم إلى أن الجزائر لا بد قد
وعد محمدا عليا بالمعوية الحرية وقت الحاجة (١) ، وليس هالك ديمع
من قول هذا الرأي ، خصوصا وقد طر الجزائر يعترف بفصل محمد علي
سوات طويلة ، بل استطاع هذا الأخير أن يفيد من ولاء صاحب
عكا حتى نهايه حرب اليونان ، في أثناء حرب المورة طلب محمد علي
منه نهيفة عشرة آلاف معات من لسان لايجاد ولده ، راهيم فتنيق ، اطلب
ما قبول ، على أنه لم يصب منه مبيده ، بل قد وقع ابتراع بين الأمير
شير — صديق محمد علي — وبين الشيخ شير حسلط ، كتب إلى
عبد الله باشا يستحثه على ايجاد الأمير ولي عبد الله باشا هذا اطلب .
فأرسل إلى لسان شردمة كشافه وأعدحمه لتأييد حرب الأمير شير (٢)
والكن عبد الله هو الآخر لم يفعل ذلك كله سرقا ، بالحيل ولا اعتراو
منه بالتدبير لمصر ، وبما كان يمدح محمد علي ليستعين به وقت الحاجة .
ويجند منه العصيد حين تسح هرصه تستش بالشام .

أولئك كانوا ولاة الدولة و « أعمها » كما يقولون ، فما أوهى
الس . ١ . يحال أحدهم الآخر ويحده عن نفسه ، ويعاوبون معا على
سلطان لا يتقي الله في نفسه ولان رعيته . ولا يتخرج أن يمدح ولا به
ويعرر بهم في ساعة الخرح والأزمات ، وما كان يخفى على
السلطان تدبير أحد الوالين ، وكان . اخوف لا يفتأ يدب في صدره
كلما ذكر عكا وصاحبها مصر وواليها ، وما دام يحس من نفسه
العجز أمامهما ويتحرف اثلاهما عليه فلا أقن من إفساد ما بينهما
وضرب أحدهما بالآخر ، وأحسن رجال الدولة « بغير زتهم » عسر

رجال الدولة يسعون
بين محمد علي والجزائر

محمد علي عليهم وسهولة كسب عبد الله الجزائر، فلم تلبث معابة رجال الدولة - وعلى رأسهم حبرو باشا - أن فعلت أوعليها في نفس صاحب عكا، حتى انعقد بينه وبين رجال الدولة شبه تحالف على الوقوف في وجه محمد علي ساعة الخرج. وأحسن محمد علي بذلك فبات على احمر من الجزائر. وأشا يترقب الفرصة للقضاء عليه وإعادةه إلى حدوده وفي هذه الانعطاف إلى اطمأن حبرو فيها إلى أنه جدع صاحب عكا وعث صاحب مصر ثار عبد الله لا يتخرج من المصارحة برعته في الخلافة ولعمل على حلع محمود ثاني ونقل مركز الخلافة من القسطنطينية إلى عكا (١)

هذا الاور من العلاقات يعرض لنا مقدمات الحرب بين السلطان ومحمد علي. وهي حروب صربية جدا من آمال مناصرة وساسات متويزة ورعات بعدد ووامرات معقودة في ذلك الحين بين رجل الدولة الاسلاميه. أويس الامانة ودمشق والقاهرة. وللحرب مقدمات أخرى في بواحي أخرى من بواحي الشام وهي لسان وحمورا وجبل الدروز فلنمر بها مسرعين.

كانت أمانة لسان وما يجورها من حبال حوران تعش في شبه لبنان استقلال عن الدولة، فلم يكن للسلطان على سكانها من السلطان ما كان له على مصر وبقية بلاد الشام مثلا لأن الحال كانت منعصا لأهل هذا الاقليم يطعمون فيها الامان من جيوش السلطان. فاداعر عليهم الامان في لبنان لم يكن عليهم رأس إذا التمسوا اسجاء في سفن البحر والحروب إلى الجزائر أو إلى اليونان. ولهذا صالح أهل لبنان والدولة على أن تنزل لهم عن بلادهم يحكمونها على أن يؤدوا إلى الدولة ما لها.

كانت أرض لبنان قسمة عادلة بين طائعتين دينيتين مريدتين في

«بها ، أولاها الدروز ولثابة الموارنة ، والاولون أقرب إلى المسلمين
والآخرون أقرب إلى انصارى ، وكلاهما حرج عن طاعة الخليفة
والدولة . وكانت الفتن دواني ماض مجيد في الحرب الصليبية ، إذ
أبلى دروز في جاسه لمسلمين . وابتلى الموارنة في جانب اللاتين . وبها
انقضت الحروب الصليبية طلت أواصر الولا . معقوده بين لهرسيين
والموارنة من أهل لسان ، حتى أن لويس الرابع عشر ادعى الحماية على
المسلمين وأدى عليهم عطف طاهراً .

المسلمين الموارنة
— ٥٥ —

وكان حكم السلاد في أول الأمر إلى الدروز . يدهم أهل رأس
وسطود ، واشتهرت بهم بيوت أنشبت قدرتهم على الحرب والنضال ،
فتوالى على حكم لسان وحوذان وجن الدروز أمراء من بيوت حوج
ومع وأرميلان وجسلاط وعماد وشهاب . ولما كان هريقان حارجه
على الإسلام ولصراية منه . فخرجت بلادهما من لمداء اسدي وتضاق
الخليفتان ، وحررت الأمور . منهم على ما يجري الأمر بين الخليف والخليف
في مكان الدروز بمحمود لمشبح انصارى : ولصدي يحضرون
لمشايخ الدروز عن دمس طيبة رادرة « ١١ » وأنشبت أماره لسان في مائة
القر . اثنا عشر إلى الأمير شير شهاب ليدى طل على ولايتها إلى
سنة ١٨٤٠ ، وكان في أول أمره مسلماً ثم علق انصراية وصار مازوني
وطن اصغاء معقودا بين الدروز والموارنة في أغلب أيام حكمه

الأمير شير شهاب

« أن طبعه أن تنص الأساب بين شير ومحمد على . فكلاهما
رجل عذر واسع الرأى . فوسس لنفسه ملكاً ، يتخوف الدولة ويأخذ
نفسه بالتقية من يدبرها وكيدها . وتعطش بشير إلى قوة محمد والخير
لدى يرعى للشام على يديه إذ هي صارت إليه ، وكان محمد على — كما
سرى — آخر من بهيم البلاغات لدية وروا في مسائل السياسة
والحكومة . ومن ثم جرت مراسلات بين شير ومحمد على ، وسواء

بين الأمير دا
ومحمد على

توعد أبو حلال على سعد بن علي الموثوق بالدولة ، أم ثانياً قد اتفقا على ذلك على يد رحى إيطاني اسمه سكي ، وسواء أصدق عند الله الخار فيما ألقى من أن هذا المراسلات ، فمت في يده مصادقة قطير سته للمطيطبية (١) أم لم يصدق ، فقد أصبحت الدولة توحس حيقه من بقاء لندن على حله ، ومن فوه أديه واستعد دهم للفتح مع رحل كحمد على . بدل الدلائل : كأم على فسر العلاقات بين الدولة ، وعلى أنه لا يتوى بالدولة خيراً

الدولة سعى من
الدولة والمؤامرة

من ثم أحدثت سعادت الدولة ، بنشط في الميريق من المؤامرة والدرور ، فبعد أن رأى الود معسودا بين أمر بدره لشبح شير حبالط ، وأمر المؤامرة تشيع شهاب ، حيدما في آخر عهدهما بدساتس الأثر ، وقد أقت اشبح شير حبالط في عكا على يد الخرار المشهور بالظلم وظن أنه لن يترك ذلك بل يظلم الأمر بشير فأموأ عنه وشقوا عصي طاعته ، (٢) وسعد - دولة هذه الطائفة المسيحية في حرج عطر ، ومهدت أسد - رحى فريدي في شتوب شام تدحلا فعليا حظيرا .

المدام بين افروور
والمؤامرة

سعدت العلاقات بين الدرور ودارنه ، وعمت المدايح والمداعات ذلك من الأمن المظلم ، وسادت الأسباب من الجرار ومحمد على وكان كلامهم ممدوح صاحبه عن ممة وتكون استهرة عليه . فكانت العلاقات بين أولاد والأمراء وأصدوا - اعط - لافه حيداع وديبر وكذا ذكر هيبه . ولم يكن هناك يد من أن يقع الواقعة بينهم جميعا عحلا أو أحلا ، فإذا كانت أسباب حرب الشام لفيسة ترجع في

بعض أسباب حرب
العام الثاني

(1) Dou n . La mission du Baron de Boisecomte P 66 66
Asad Ri : om. Op. cit. P.P 24 25

(٢) انظر حبر الشام من نيكات الشام : ص ٦٦

البراع بن محمد على وعبد الله الجزار ، وإذا كانت أسماها العبيدة أو عا
ترجع إلى تقرير السلطان محمد على وحشته بما وسده من ولاية الشام .
فان أسماها العبيدة ترجع إلى هذا العداء اللاتى المتحكم بين رجال
الدولة كلهم حكاما كانوا أو رعية ، وخوف بعضهم من بعض وسعيهم
كلهم القضاء على بعض عن أى سبيل ، هذا الشعور الذى الذى انتهى
سهم جميعا إلى خاتمة عمره حقا ، انتهى « قضاء على أمل محمد على .
وزوال بيت الجزار . وبقي الأمر شيرا ، وتسلم السلطان عاصمته
إلى روسيا فى معاهدة هنكيار سكلسى .

محمد على يفتح الشام بدئت حرب اشام فى صورة خلاف بين محمد على وعبد الله
الجزار ، ولكنها لم تلبث أن كشفت عن حقيقتها ، فأصبحت حرب
بين محمد على والسلطان كما مر بناه ، وقد بقي الجزار فيها جرحا على
ماتحون من عهد محمد على وما أنتم فى حقه . إذ أشد عليه صديقه
اراهيم باشا حتى سقطت المدينة فى يد المصريين والجزار مرتقب
معونه لسلطان ، وسلم نفسه وهو يصف السلطان « شرفه كشراف
العاهرة . وأصبحت الشام كلها بعد فوزه فى يد المصريين .

الحكماء من الشام حكم المصريون الشام منذ تسع سنوات تعد حير سنوات الشام
فى هذه الفترة العصبية . فقد بدأ اراهيم فأخذ لعصا ، وشاثرين
بالشدّة حتى قضى على كل مقاومه ، ودبت له أسلاد وأسلمت له
قيادها ، ثم أعقب ذلك بمرص أنطمة محمد على وأسلمه على الشام
فاعلى التجسد الاجبارى واحتكر معظم المنتجات وجمع لسلح .
ونظك كل أمو لم يعرفها أهل الشام فى أسود أيام الحكم التركي ،
فلم يلبثوا أن يروا من حكومه مصر نفورا شديدا ، ولكن الذى زاد
نفورهم وملا قلوب أهل الشام حظه وغدا هو المساواة التى أعطاها
اراهيم بين أهل الشام نصارى كانوا أو مسلمين أو يهودا ، مساواة

اراهيم بنوى من
الطوائف فى الشام

شاملة في المعاملة وأمام المحاكم والقضاء ، وهذا أمر لا يقبله مسلمو الشام ، ودونهم وقوله خرط القاد ، وقد حسوا أول الأمر أن ابراهيم راجع إلى صوانه ومعبد الصاري إلى حدودهم من الدله والضعف ، فذهب نفر من علماء الشام يشكون إليه انقلاب الأوضاع ، ويسطون أمامه ألهم من استعلاء الدميين وركوبهم الخيل كالمسيئين ، وتلك في نظرهم جرعة لا تقهر ؛ وحرب على الدين لا تسمحها إلا قوة حواء فلم تكن من ابراهيم إلا أن سحر منهم سبعة مرة وردهم كاسي المال ، إذ نصحبهم أن : كانوا الخيل من اليوم حتى يصيروا أعلى من الصاري كافة : (١) ثم جمعهم وجب أمالهم بأن حصر حفلا من حفلات الصاري ، وشهد طقوسهم بفسه جدلان طرما بد أن الأمر لم يثبت أن ساد روع الشام ، فعاد الناس إلى رراغة الأرض ، وأمن الناس على أموالهم فاحرجوا ما كان محبا منها أيام الانزاع وأحدوا تاجروا به ، واستطاعت الجلود المصرية أن تعصر البلاد من عارات اليهود التي كانت تهدد المراعي الآمنة طوبى الرراع وعادت لأرض قيمتها وللمراعي صيرتها ، حتى لقد وصف أحد فاضل الدول حكومة محمد علي في الشام بأنها كانت تضم للناس الأمر من الأوامر الاستعدادية — إلا فيما يتعلق بالتجديد وتؤمهم على أموالهم ، وتترك لهم حرية حادثة في أمر دينهم ودينهم وأسباب الاستمتاع بالحياة ، وعدلت بين الناس في توزيع الضرائب ، وعلى الجملة هيات لهم أسباب الحرية التي يستطيع الناس أن يعملوا بها في ظل حكومة حرة على قدر المستطاع ، بل قد لاحظ الفصل أن الإدارة تحسنت حتى تجاوزت الحد الذي كان منتظرا منها ؛ ولكنه يصيب إن الناس لا يحسوها . . . (٢)

الطشاش الثاني في
القسم الأول من أيام
حكم المصري

(1) Dodwell; oP, cit.P, . 251

(2) Ibid ; P 352

الاجل والحكم
المرقون

الواقع أن هنر تشم كانوا لا يحسون حكومة مصر للأسباب التي
سبق بيها ، ولكن شاركهم في هذا الشعور نحو الحكم المصري أناس
آخرون فقد كان الأخير يصدون محمد بن عبد القلق لا يحصى ، إذ أن
وقوع تشم في يده من شأنه أن يحمله بسيطر على طريق الهدد البري
الأحد . ومن ثم صدق صدورهم به ، وده ، لو مضوا على اشياء
سقط به ، ثم ان امداد حكومته إلى هذا المدي الواسع من شأنه أن يجعل
منه قو خطيره في شرق البحر الأبيض ، وهذا أمر لم يكن اجلياً
مطلوبه ، فصد به . وما دام رجل مصر اعني أن يحتفظ بأسطول
قوي ، فإن مياه الملاحة في حنتر ، و دن ولا بد من القضاء عليه
هد إلى أن تقام في تشم واسطير . فوجه في لمراده من شأنه أن يحرره
بالأسيرة من أرض ابدالة ، وهذا بدوره يحسن لأوس تعلقه
يتحدون بها في العمل الدولة اعلية ويدعو الخريه عنها ، ومن ثم كان
لا بد من اطلاق حجه اياه من انفساء على الخطر الذي يهدد الدولة
هو محمد علي لم يلم بسراج لا خطير في أد لكبحه ، على من اوفيق
في ابريه بلاد الشام ، وسدوا بعلول ، لا انه املاد عليه
أطباء ه يظهر لاجل عن حكمه . لا . ولخلق مبرر للدخول في
أمر حكومته ، ومن ثم وحي بلرستون إلى فصله في اشياء بدهم بأن
ينظم حركة اثورة في سوريا . وكان هذا الأخير في عر حاجة إلى
أن يرى محمد علي حي يبدأ في امكسه ، فقد كانت نفسه تعيق
حسرة وحدها هذا الرجل الذي حصل إيمانه بهذا الخطر المباشر المحقق
فشط الرجل في لعن شطاً حاور لحد المألوف حتى لقد باع في
إيداً محمد علي والاساء إليه . ومن بصعب على إنسان ما به مهما
فلت قدرته وحصونه . ان شير ثورة في تشام في هذه الأيام ،
أنام كان المسلمون يسكنوا القس على بعض من ساح اراهم وما

الاجل والحكم
المرقون
على محمد علي

تصوروه من اعتدائه على الدس ، وأمام كان نصارى يتسمون المعوية
 من أمة دولة مسيحية . وكيف به يطايبا ذات الحول و الطول ، من ثم
 أفلحت سعاية الانجليز فأحدثت يربا الثورة تطلعي في نواحي الشام
 كلب ، وأسرع رجال الدولة بمحقون في الله ان . ويعدون أهل الشام
 ، عهدهم من شعاع التي كان يهرصه عليهم بقاء المصريين في الشام
 كالجندية الاحدية والاحتكار وجمع السلاح وما إلى ذلك . واصناف
 الى ذلك كله ما كثر أهل الشام يجدون من اخرج في هو منهم من استعلاء
 اليميين ومناصرتهم . فلم تلك يربا اثورة أن اشتعلت سنة ١٨٣٤
 واصطر ابراهيم الى الاشتداد على انصار ليعيد الأمر الى بقاءه واصناف
 شدته هذه إلى مسااته الأخرى في نظر أعدائه . ولم يدخروا من الآن
 وسما في القصص عليه ويخذه من الشام . ولم يكن الانجليز يحفون
 أيديهم وهم يعقدون أطراف الفقه في نواحي البلاد ، بل عملوا جهارا على
 أن يقطعوا المواصلات بين مصر وسوريا بواسطة اسطولهم في البحر
 الابيض . ونشط بنفسي في إثارة الناس شاطا بالغا ، حتى اضطرت
 البلاد كلها على ابراهيم ، وحلج الناس عن أنفسهم ما كان المصريين
 قد ألزموه به من مظاهر الإصلاح . وانتزت السبل على المصريين
 وعاد السلطان يحدد الحرب فخرج الشام عن يد مصر حملة ، واحتت منه معالم
 الإصلاح والطام وعاد فوصي كما كان ، ثم برأت جيوش الانجليز
 أرض الشام تحارب ابراهيم ويصيق عنه الخاق فكان ذلك ايديا
 بانتهاء أيام السكسة به . وسرا يعودته إلى يربا الاتراك يرلون به من
 المسافات أصعاف ما كانوا يأتون قل غرو مصر ، وهذا أدركت انحطرت
 ما أرادت على حساب الشام ومستقبله . فاعدت عنه المصلح وسامته
 للمسي . ونفضت عنه السلام والاطمئنان واسلمه للقوضي والاصطحاب ،

الاطول الانجليز
 بعد از الثورة

الانجليز يربون
 جودهم في الشام

ممن يحكم المصري
 من الشام

على الرغم من أنه « لم تكن من الشهامة في شيء ، أن تتولى سفارة بريطانيا في القسطنطينية تحريض قوم عر فوا سردهم ضد أي حكومة طائفيه ، وخاصة عدد سراق ممثلي إنجلترا نفسها بكفاده ومعهده الحكومة المصرية » ولقد حق لير أن يسفهم من الحكومة الانجليزية : « هل كان لتحرص على اشروع من الأعمال التي تعيد الدولة العلية التي هي في حاجة إلى الراحة والطمأنينة ، وعلى الثورة في الشام تولد حب الطاعة والصدم في قلوب رعائيا السلطان . وهـ سيجح اسلطان في حكم هؤلاء بقوم بعد أن أنزهم الباب العالي في حه اوالى (١) .

حكم مصر في الشام
وفكره للدولة العربية

يبد أن وجود ابراهيم في الشام أوحى اليه الفكرة التي سقت لاشارة اليها قبل ذلك . وهي فكرة « الدولة العربية » وسيلح الباطنيين بالعربية عن جسد الدولة . فقد كان ابراهيم وأبوه يحكم الآن معظم الباطنيين بالضاد . ولم يعد حار جاع سلطانيهما إلا أهل الجزيرة وعداد ، وكان صوت محمد علي قد طر كل مطر . وسمت ابيه لأطاري في لحظة ليس المسليون فيها من الدولة العلية وسلطان . ومن ثم أحد ابراهيم بسط ذكايه هذه الفكرة ، يعرض عليه الآراء للوصول إلى الانفصال وإعلان الدولة الجديدة ، ومضى محمد علي يستعمل ابيه ويصححه بالإداة ويسأله أن يتحسس موقع الأمر من نفوس العلماء والمراة ودوى الرأي في الشام ، ولو قد ترك ابراهيم وحده لأعلمها ولما حمل ثورة الدول ، فقد كان الرجل لا يؤمن بعير سفه ، ويكاد يكون عربيا حاصلا لا يفتأ يذكر العرب ومجدهم الداهب لتقديم ، وقد تكون هذه الآراء واليات بعض ما أنار اندول على ابراهيم وحمرها إلى العمل على طرده من الشام . وعلى أي الأحوال فقد كانت جهود الانجليز ومساعي الأتراك قاصيه على كس هذه الآمال المريرة لى كانت ترجى للشاه

والعروة على يد محمد علي وآله لوطن الشام في أديهما ، سواء من ناحية إصلاح أحوال البلاد وإعادة الأمن إليها وبعث الحياه والرحاه فيها من جديد ، أو من ناحية دفع الدولة الاسلاميه باانشاء دولة عربية حاصلة بضم مصر والشام والعراق وتبدأ للدولة الاسلاميه والاسلام حياة مجيدة زاهرة .

أحلى المصريين اشام خلال سنة ١٨٤٠ دون قتال طويل ، فعادت البلاد إلى « أصحابها » ترك ، عادت اليهم لعبادوا بها مادهم ، مساحرم ولهبطواهم . مرة أخرى إلى اسرته الذي كاد محمد علي يستنفدها منه « وكأن الآلات لما عادوا إلى امتلاك الشام رأوا أن يوصوا ما فاتهم في الساعات اتسع حتى حكم فيها جال الدولة المصرية ، فسعوا في تحقير المسيحيين ، بناء أسباب البغضاء بينهم وبين المسلمين ، وكانت الحركات في لصدور من أيام ابراهيم باشا لاهم ظلوا أن يصارى تحاوروا حد الأدب في طلب المساواة بالمسلمين وحسدوهم على تقدمهم في المراكز الأمرية وفي صاعاتهم وتجارهم ، وأصدروا لهم انشوء وساعدهم على ذلك تحريض الأتراك لهم سرأ وعلنا ، واضطر المسيحيون في المس إلى العود للملاصم وحالتهم القديمة وكثر اسعدى عليهم من الرعية والحكومة » (١) .

مصادر الحكم
التركى المصون

ولو قد اقتضت مشاكل الشام على ذلك لكان ذلك حجة كافية برر بها الدول تسخط في البلاد ، فقد عاد الأمن فاحتض وهددت المتاحر والأردى بالخطار ، وتواتت مصادبات الأتراك حتى صبح امصاص لشكوى وأحدوا يمشور إلى دولهم بامتياز يصفون الحال ونصوروهم لها الهوى به التي يتساق إليها لبلاد من جديد في حكم

الانراك ، لو اقصى الامر على ذلك لكان فيه الكفاية لئلا يرتدحل الدور
الفعلي وسلح اشام عن لدولة . فكيف ذلك كله لا يعدو أن يكون
جاسا يسيرا من أسباب الاضطراب ، ولو قد كانت إحدى هذه الدول
حرة بعض ما تريد لأتعب الامر على أهول سبيل ، أما وهي ترى
الأحريات رقيبات عليها وليس لها إلا أن تسعى للدرج في شئون
الدولة تدخلا ملجأ تحت سائر المحفظة على كيدهم وصيانتها من الإعدام
وكان الانحاز أسرع الدول تعطل إلى هذه الناحية فهدامة حرهم في
بواحي الشام . وحصلوا من الدولة على احتكارات وتسهيلات شتى حتى
أصبحت الشام منطقة تعود تجارى لهم لا يكاد أحد من مسوحيهم
ومستحاثهم الاخرى منافس له .

محدث عهد على
من باب اقتصاده
في الشام

أما فرنسا فقد سلكت للتدخل ميلا أخرى ، إذ مدت سلطانها
عن طريق الدين ورعاية المسيحية في الشام . سقطت الإشارة إلى ما كان
من رعاية فرنسا للموارنة واعتدتها بإهم تحت حمايتها واتصال الامر
بيدهم وبنيهم . وكان الفرنسيون قد حصلوا من الدولة في أوائل القرن
السابع عشر على حق رعاية الأماكن المقدسة والعمارة بها وترميمها .
ولارلت فرنسا تسمى في هذا الحق المستطحي أصبحت تملك لكس
المقدسة عرهما وحصلت من لدولة سنة ١٧٤٠ على تعهد بأن يباح للجميع
زيارة الأماكن المقدسة في أيام الحرب والسلام على السواء (١) . ومضى
الامر على ذلك والدولة لا تنحس له خطرا ولا تعلم أن نقاء طائفة من
رعاباها في حماية دولة أخرى يمس شرفها ، وأن امتلاك الفرنسيين
للبنات المقدسة في بيت المقدس من شأنه أن يتقص من سلطتها كدولة
محترمة لها كيان واعتبار بين الدول . ولم تكن تحسب أن التدهور
سيصل بها إلى حد تنصع معه هذه المنح حقوقا الزمنية بحسب الدولة على

من
لده

طاعتها ، وسبباً لعمود سياسي يحوله الفرنسيون فيما بعد

يد أن هذه الحال لم تثر من الأتراك مثلاً ولم تروعهم سرعاناً ،
 وأسكنها روعت قوما آخرين كانوا يبطرون إلى هذا السلطان الفرنسي
 النامي في كثير من اقلق ولم يكن هؤلاء الأحرار إلا أخبار - هؤلاء
 لا يرعهم كثيراً ارباب العمود لديني لأية دولة عربية في تركيا - وإنما
 كانوا الروس الدس وأيضاً هم يستطون رعايتهم على المسيحيين من رعايا
 الدولة في البلقان وعلى النابوت ، وكان الروس يتعدون حداً من
 الفرنسيين ، ويتشوقون للمرضى التي تسمح لهم بالتدخل في
 الفرنسيين في ذلك الخط العظيم ، ورادهم عنه في ذلك أن يصرروا وسبباً
 في السنوات الأولى من الحرب اتسع عثر كان رجلاً شديد الملق
 بالدين وأساسه ، وهو اسكندر الأول ، ولم يكن برصه أنت اطل
 إلا ما كن المقدسة في رعايا الكاثوليك ، فلم يرل بعد ويسعى حتى
 سحبت له المرض سنة ١٨٥٨ ، إذ استطاع مساعدوه أن يصعوا اساطان
 محموداً بالخيار الذي يهدد الدولة وشره من احتكار الفرنسيين لرعاية
 الأماكن المقدسة . ومن ثم أصدر اسطان فرماناً أباح له للروس
 الارثودكس اصلاح الكسبة السكري في القدس

ذلك بدأ هذا الصراع الميف بين الروس والفرنسيين على الأماكن
 المقدسة في اشم . بدأ في صورته مصره حداً : في هيئة راع على شرف
 رعاية الكنائس ، وانتهى في صورته مكرمة في حرب غرم سنة ١٨٥٦
 وليس من الخطأ أن نقول إن الأمر كله لم يكن - من أول الأمر
 راعاً على شرف معبوى صرف كرعاية المائى المقدسة ، وإنما هو في
 حقيقته راع على السلطان والعمود في أراضي الدولة وبلادها

احتج الفرنسيون على السلطان واعتبروا منحه هذا الحق للروس
 اعتداءً منه على حق مسلم لهم به في معاهدة محترمة . ورد الروس بأنهم

مركزون في الشام
 يترعوا الروس

بدأ الصراع بين
 الروس والفرنسيين
 في الشام

الفرنسيون يمحرون

أصحاب حق هم الآخرون . حق تدعنه معاهدة محترمة لا تقل عن معاهدة الفرنسيين قوه ، لا احتراماً . وهو الذي فارت به في روسيا معاهدة كوشك كيارجى سنة ١٧٧٤ . فكسفت به حق رعاية الروم الأرثوذكس في الدولة . وما دام الروم مسيحيين كالكاثوليك . فللروس ما للفرنسيين من الحق في رعاية الأماكن المقدسة التى هى حق متاح لكل مسيحي كاثوليكي كما كان أم روميا أرثوذكسيا .

تقرر الحقوق الدينية
أو حقوق سياسة

في أثناء ذلك كان هذا الحق الدينى المعصوم يتطور بمساعي الدول إلى حق سياسى خطير يهدد الدولة باحطار شتى . وقد أعان سوء حال الدولة وكثرة مساكنها واضطراب أحوالها على هذا التطور ، فما دام لرعايا غير أميين على أنفسهم وأموالهم في رعاية السلطات فلم لا يتمسكون الأماكن في رعاية دولة أجنبية ، حتى يحتتموا بالقصاص ولسمراء ويقروا من المطام والمعارم ويعيشوا أميين مطمئنين ، ومن ثم أخذ الرعايا يتمسكون بجنسيات أجنبية فرنسية وإنجليزية أو روسية ، وفتح الروس أساب على مصرعيه وبدفق الرعاية بطلون الجنسية الروسية من غير حساب ، حتى أصبحت أثاره لقصاص لرومى على حرار لسمراء كافية لاعتدال الرحل روميا خارجا عن رعاية السلطان داخل في رعاية الميصر ، فلم يلبث السلطان أن وجد أن دول نعزوه هذا العرو السلبي الخطير ، يجرحون رعاياه عن سلطته ، فملكه الخوف من استفحال الأمر ولت يبحر الفرصة ليوهب هذا السيل . ولم يكن يحسر عليه أن يجد فرصة مواتية ، فقد كانت الأمور بذلك تسير من سيء إلى أسوأ في جيل ليل لدى استقطارت الحصومة بين أهله ودت الفتنة فيه بسعايات أترك بين الدروز والموارنة فامتلأ شعله من نار يتردى أهله بالعداوة والثارات . فلم يلبث السلطان أن أعلن أن كل تصريحات التجسس لا بد أن تراجع بمعرفة السلطات التركية باشام وأعقب ذلك

اعلان قرر فيه أن سهر أحد الرعايا إلى أى بلد أجنى لا يلزم السلطان باحترام أية حسية أجنبية لهذا العائد فما دام أصله تركيا ، وما دام يعيش في أراضي اسلطان فهو تركي يحصع لحكومة الأتراك ولا سلطان لراع آخر عليه

وأدرك الانجليز بصرهم الكوف أن المسألة ليست صراعا معويا ، وأن فرنسا وروسيا لا تحترمان على شرف أدنى تكسبه من وراء رعاية المسيحيين ، وأن الأمر في حقيقة صراع سياسي صرف كالحرب سواء نسوا ، وقد عاينهم أن يجدوا اللزوم والعرضيين مذهب دسه لها ، في اشم يتنرون حلقها ، فبدأوا يعملون على عرس دور البروتستانتية في بلاد المقدسة حتى يكتسوا لأعضهم رعايا يستطون عليهم سلطانهم ، ويدون سلطانهم السياسي عن سببهم ، فتقدموا إلى السلطان حوالى سنة ١٨٤٠ يطالبون ان يسمع لهم مباد كنيسته وتسنده في القدس ، وعرضهم الأمان في ذلك ، وأحسن القرون مسعى الانجليز فشطوا لاحتاطه وأثروا كائنات اشم وطارفته على البروتستانتية وحوافهم من مدعى الانجليز ، فلم تلت الرحى والشكايات أن انما الت على الباب العالي لتدخله أن يرخص هذا الطلب ، فالكاثوليكية هي المذهب المسيحي السائد في بلاد الدولة ، وجرسه وتسنده دبرع في أى مكان ، فالانجليز لارعة هم في اشم في عناهم ، يدون الا سلطانا سببياً . .

وهكذا منع السلطان فرخص طلب الانجليز ، ولكن هؤلاء لم يثبوا عن عرضهم فداروا بالحق في الطلب وشارون عليه حتى أقاموا كنيسته الكنيكائية صغيرة في القدس حوالى سنة ١٨٤٢ وتسامع الأديريكون بذلك واث الانجليز فيهم دعاياتهم فبرولوا بأعوانهم وعرضهم التثبيرة فلم تلت لكيسة الصغيرة الشائعة كسدت لبعضها

طائفة من الاتباع ، وبشطت المعصيات في مداونة 'الكريمة' حتى صار هؤلاء الاتباع نفر يعتد به وبحسب حسبه . وأعدتها على ذلك ما كان الناس يفتخرون به من الانقياس للبروتستانتية من تمتع بحماية الانجليز بهذا أحدث الدول ديميين مامحته بالسيار ، حافظت على كيان الدولة العثمانية في اظهر ومضت تحرك كيان هذه الدولة ونهضت رعاياها في اساطير ، وطردت محمد عليا من الشام وقسمته بينها هذه القسمة لدية التي لا تفرق عن الاحتلال الحقيقي في شيء ، ردت اشام الى السلطان وأخرجت عن طاعته أهل لشام وبحاره الشام . وسكرت حول مواهبه وأحدث عليه اسل . وهذا نقي للدولة فيدغير تعية امنية تكاد لا تبقى شيئاً ؟

الدول تحت الشام
موريا واقتصاديا

ولو ترك الأمر للروس لما أقروا هذه الحال ، وجمعوا جميعهم مد حين ورلوا أرض الدولة وقصروا عليها مد بعد ، هؤلاء هم يحكمون من رعية السلطان عدداً طيباً . يملون على اسطان إرادتهم ويتصرفون في سياسة الدولة كما يشاءون . وليس لهم صر الانجليز ولا بشعهم عن الأمر متاعب الفرنسيين ، إذ ليست لهم هند يحرضون على طريقها ولا متاعب سياسية داخلية تستولي على ألبانهم ، وقد عجب ان يقصر بقولا من بقاء هذه الحال على ما هي عليه ، تحسب أنه يدي حديد " يدعصر على الانجليز فكرة تقسيم الدولة ، وكانت بينه وبين فرنسا حصوة نظر به يمرى انجلترا بالعمل إذا هو أخرج فرنسا من الحساب ، إذ قد صاق درعه كقناح امرسيين رد مظالمهم في الشام . وليست لهم فيه إلا صاع كنانس ووضع حقوق أو ما يشبه الحقوق ، ومن ثم رأى أن يفتح هاملتون سيمور سفير انجلترا لدى ملاطه في الأمر . وكان له صاحبا . وشجعه على ذلك أنه كان على ود موصول مع اللورد ايردين رئيس الوزارة الانجليزية إذ ذاك . ومن ثم دار بين القيصر والسفير حديث

داع له وطار صيته في سنة ١٨٥٢ في هذه المحدثه — التي
 نقت للبدن ساعته والى نشرته ساعته أعلنت حرب القرم —
 تحدث فيصر غير ركما في صحتها بأنها دولة يكاد هم ساهيا ، وقال
 ان ايركي حيا فيصر حيدا ينظر له الموت من ايديهم .
 الحس ، وجير . ومن ثم كان حيق هم ان يعملوا راسهم برو وديهم ان
 ناراضه له حم في اعصا . ، فعب الواقع ، وأكد لاهم ان نصت
 الامم بد بحتر وروسيا ، انهما استطعا ان تراقه انهما من
 حرب ، ثم اشار اشارة حقيقة صريحة إلى الحل الذي يرى ، قوليات
 انه منج سقلا في حاة اس . وعين الرديا القسطنطينية
 . غير ان صحتها الى ارضه . واما الاثار فخصتهم من هذه القسمة
 مصر . ، ولم يكن الا حتر عهلون هذه اسوانا في ستم اروس .
 و . حديث القيص أكد بحلوفهم وانهم بان لروس على الالهة
 وأ . من تستريح إلا دافار . خصتها من ركة الرحمن المرض ،
 و . ثم أحمد الا حتر دعدن . مع مطامع الروس بالحرب د
 ا . الحلال

كلامه حيد فيصر ان الا حتر عول له على مايرد ، وأ ان ردا
 في السعيد ، فرس أحد رجال بلاطه المقيمين وهو الامير مشيكوف
 برسالة خاصة الى اسطراب بطب منه امرين بسطين : أولهما تسليم
 الروس معانج الاراضي المقدسة وانهما حماه الروس جميع الرعايا
 الم . حين في الدولة . وكان سفير الانجليز ابدك في قسطنطينية
 هو المورد سنة تهوردي ردكف السياسي الانجليز ، الدائم السعيد

سنة بعد ذلك
 ردكف بسطين لا
 حرب القرم

وحاف الرجل أن تطول مدة المحادثات والأمم على حرج ، فحمل
تعة الأمر ومضى الى السلطان فُشار عليه بأن يرفض طلب الروس
الثاني ولا بأس عليه أن يقبل الأول ويسلم مغانج الأماكن المقدسة
لهم هذه مظاهر لاغنا فيها . فلم يكن مشيكوف يسمع هذا الرد من
السلطان حتى اعتراه إهانة له ولدولة . فطوى ذيله في مايو سنة ١٨٥٣
وهو يهوى في نفسه ليثيرها على الترك عوانا . ولم يكن يقصى على
أوته شهر حتى سير القيصر حنده فعبروا البروت واحتلوا ملدايا
وولاشيا ، وبدلت الدول وسعها لتجسم الحرب على غير جدوى ، فقد
كان الروس قد أحجموا رأسهم فلا بد لهم من المضي فيما بدأوا . وقد
أحسن الأتراك أن يجلدوا من ورائهم تشد أزرهم فتشجعوا وأصروا
على رفض مطلب الروس وتخرج الأمم بين الحين فلم يلبث الترك أن
أعلنوا الحرب على الروس في ١٤ أكتوبر سنة ١٨٥٣

حرب القرم سنة

حرب القرم سنة

أثنت حرب القرم والنتائج السياسية التي حققتها أن تركيا ليست
ضعيفة فحسب . بل لا أمل في شهادتها واستقامتها كذلك ، فقد حثت
بعد جهود طويلة لاصلاح الجيش والادارة ، فكان لابد أن يرى
اناس فيها ركبا جديدة تحالف العديّة وتمتار عليها . ولكن الحرب طالت
ولم يتركها أمراً جديدا ، فام الخلفاء - الانجليز والفرنسيون - لا
كله . فاضطروا الروس إلى الانسحاب من ولاشيا وملدايا ثم توجموا
لانتقاد البحر الاسود من الروس بالقضاء على قاعدتهم الحربية فيه وهي
ساندول . وكانت الحرب فرصة طيبة يظهر فيها الأتراك كفاءتهم
واكتهم صجروا دون ذلك ، وكانت الحرب حرب حصون والأتراك
معروفون بالمهارة في هذا الباب ، ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء . ولم
يكن في جيوش الانجليز والفرنسيين صايط ماهر يقود الحرب بجراح

ساندول

الا اللورد راجلان ولا الجرال سمسون ولا كارو رت Canrobert ولا نلسيه - لكن من أن يستولى على ساس-بول ، واستمر قائدها الروسي - الألماني الأصل - تودليس Todeleben يدافع عنها بمبارة استحققت اعجاب الأعداء . كان على الأتراك أن يصدوا من هذه الحرب التي اشتركوا فيها مع الانجليز والفرنسيين ، ولكنهم لم يصدوا شيئاً ، ظل الجيش التركي على ما عرفناه قبل ذلك بسنوات : حدود واصل يمكهم الصبر في طلال الموت ، وقادة فاسدون يشعلهم الفساد عن اظاهر . وإليك ما قاله أحد كبار صباط الانجليز يصف الجيش التركي في ذلك الحين ١٩٠٦ :
 لمعجب الصبر الذي يتحمله هذا الجنس النصور الشديد الآسيوي
 ماعب حمة كانت تنكفي في أي مكان آخر لصدف الجند في الاعصاب
 وطعام الجند يتمتع الرحمة . وقد أهمل القوم أدب قواعد الوقاية الصحية ، فهناك اخبات وهناك البهوس . وروايات الحمد متأخرة ما بين ثمانية عشر وعشرين واثني وعشرين شهراً . أما الضباط فتمنعهم الخبرة والطعام واشفاقه بقصا فاصحا ، معظمهم أهلون سمو إلى مراتب القيادة . ودأبهم في الحياة شراب ولا يحفلون إلا لسرفة الجنود ، وفي هذا الباب يجد المشر بصرب لصباطه أسوأ البشر في الافساد ؛ إذ كان الاتفاق بين اعداء والضباط وتعاونهم على اقتسام العسمة عوياً له على أن يطلع الدولة أمورا مشتهرة غير حقيقية ، فكان يطلع الدولة أن جوده ينامون ٣٢٠٠٠ في حير لم يبق منهم في الميدان إلا ١٧٠٠٠ . . . ولا يتأني المشر عن أبسط السرفات . فقد باع محلفات اثني عشر ألف جند ما روا في المستشفى في الشتاء الماضي ، ولما كانت الدولة تعطيه بعض اعصيات الجند ورقا وبعضها لآخر من فضة فقد كان يعطي الجند الورق فقط لكسب الفرق وهو حوالى ٢٠ ٪ . (١)

1 Engelhardt. Op. cit. P. 120,

المشير هو القائد الاعلى للجيش التركي

وهذا كله بعد اصلاح وبعد تهذيب وبعد - واثبتوا به من الدعوى
للتقدم لارال الله على حاله وان يعير - فاشور . فما جدوى الجهد
وما وراء العجز .

شق المشركون في حب لفرعون شعاعا ، وأبلى الخيلان فيها
إلا محمود ، فاستمرت هجرات البحار والفراسين والأتراك نحو
عام روى غير مد فيها لدرك حصون مستقوت على غير حدودي ،
والسات عليهم في موضعهم حيرت منه بعض الكوليرا ، وبعضها
أهوى ، وبعضها شابه ، وروى أنه منى ، فصل الأبحار بيرانما في
بلا كلاله ، وأمر من حتى كان حاد ، حاد ، حاد ، يقطع في الحياة ،
ولم يصف من بل هم جهود انطه الاحدة ، الدفعة لصية من
أورد ، تسخير ، فطقت فوهم ، أحد عشر ألفا فقط ، وخيرا ،
بعد صرع حدث في حصون ريدان ، ولا ثوب استطاع له ، الفرسى
مكمهوا ، أن اسو على الحصن لأحر وشرف على المدينة ، ولكن
ذلك ، حديم الحار ، عوض ، وس ريث لا ابتلاء على حصن كان
في آسيا الصغرى

لا يوجد في القرآن

وأخيراً ، فهم حينئذ جميعه الخلق ، عرف ان روس أن الانجليز
يدخلو بمسئله البحار الأسود ، ومصيده ، وأرض الانجليز أن
الروس يعرفون انهم ما يدبرون إلا ان لا يوافقوا الانجليز على اسحق
الآن . مرد ان في يوم م - م - م روس قد عرفوا ان ذلك قد أدرك الانجليز
من الحرب وغرهم : لا احاطه لهم سياسة قول ولا مرسكو بهم ، وانتهى
الامر أخيراً ، مؤتمراً ديس في أ. من سنة ١٨٥٦ ، حيث قررت حيدة
البحر الأسود ، وحرب ميده غير انهم الحربه من أي لون ،
وقت ذلك فعل المضائق في وجه أنه فيه حرية ، بذلك اطمأن

1456

الإنجليز إلى أنهم أعطوا الباب في وجه الروس ، واشهدوا الدول على ذلك . ولكمهم أرادوا أن يطمشوا إلى أن الروس لم يعودوا يتدخلون في شؤون الدولة ويسيطون عليها حرية دينية أو غير دينية ، فقرر أن لا تدخل دولة بين السلطان ورعاياه ، وأخذوا على السلطان الموائيق أن يبعد ما وعد من المساواة بين رعاياه لأفرو بين دين ودين وجنس وجنس ، فوعدهم السلطان بذلك ، وأرادوا أن يشتوا ذلك فرفضوا تركيا إلى مصاف الدول الكبرى وأدخلوها ضمن الحماة الأولوية لكي لا يعتدى عليها الروس أو يستهنوا بها

تركي تدخل فيه
الدول الأوروبية

صلح باريس ١٨٥٦
طية قترك

بهذا أنتجت للأزمات فرصة من ذهب ، ساحتها الدول سلامتها وأمتها من افراس ادب اراض شمالها ، فكان عليها أن تستمر هذه الفرصة وتعمل حادة في إصلاح شؤونها . وودعت لها الدول المعاونة اللازمة . فلديها تحاول من جديد بعد أن انحلت عنها سميرات وراياتها الأزمات ، والعود إليها بعد حرب يرى ما يكون من أمرها بعد سنوات

— ٦ —

المغرب

يعرض علينا عرب البحر الأبيض المتوسط لوه حر من الصراع بين اشرق و الغرب في العصر الحديث ، ويكشف لنا هذا الصراع عن نواح أخرى من العلاقات بين الجانبين تحف الاختلاف كله عما رأيناه في المشرق .

الحروب الصليبية
في الغرب

ذلك أن بعد الحروب الصليبية لم يكن معصورا على اشرق وحده وإنما شمل عرب البحر الأبيض كذلك . فثار بين المسلمين في الأندلس والصارى في الشمال حرب طويلة عرف بحروب الاسترداد Reconquista ، وكانت هذه الحرب شديدة حامية لأهميتها

عما دار في الشرق من الاسلام والصراية ، بل كانت اروح الدينية فيها أغلب وأظهر ، وكانت نتائجها على مستقبل الحيين أحسن وأبعد ، بل كان سكون ربح الصليبيات في الشرق مؤدباً اشتداد ربحها في المغرب واجتماع القوى كلها على الصراع في مديانه ، وأما تستطيع أن تلاحظ انتقال ميدان الحروب الصليبية من المشرق للمغرب خطوة خطوة ، فقد كانت نيرانها مستعرة أول الامر في الشام ، ثم تحول ميدانها إلى مصر ، ثم إلى تونس ثم إلى الجزائر بعد ذلك ، وهالك أقام حتى أوائل القرن التاسع عشر حين انتهت بانتصار العرب واحتلال الخراف وبده استعمار شمال افريقية .

الحرب الصليبية
شمال افريقية

من هنا ليس بعيد أن نجد المغرب طوال العصر الوسيط وإلى أوائل القرن التاسع عشر مدياناً هاملاً بالحروب لا يكاد يسكن فيه ربح الصراع الشديد أو المداوئة المتأججة ، وليس يعرف كذلك أن نجد الفريقين يلتصقان السكك كلها للعدو واضطر لافرق في ذلك بين مباح وغير مباح ، وليس من اصواب في شيء أن يحكم على ما يحدث في المغرب بالمقاييس التي يحكم بها في أوقات السلام ، إذ كانت الأيام كلها حرباً هالك ، وكان المديان مغموراً على مصر عيه للجيش والاساطيل ؛ فأولى ما أن يعتبر المغرب ميدان حرب لا ميدان سلام ، وأن يعتبر أهله مقاتلين ومدائه معسكرات ؛ ولم يكن للمغرب أن يسهم — في افريقية وأوروبا — ليطيرون الأمر بإلهاذه اتعين عليه كره السيف آنذا واستمر الكفاح بينهم دائراً متعللاً

بعد الحرب في حرب مدته

يبدأ أن ظروف المغرب الحرفية لم تكن تساعد على الاستمرار في الكفاح أمام الحاح الأوروبيين وسرارتهم ، فقد كان على دويلات المغرب العفيرة أن تترك الاسلحة المسعمرين والبرعانيين الذين امتلأت

الحرب الصليبية
الاسلام في المغرب

نهمهم بالرغبة في الاستعمار وقويت أساطيلهم ، والفرنسيين الذين اتجهت همهم منذ حملة لويس التاسع على تونس للاستيلاء على المغرب واحضاعه ؛ فكيف يستطيع الحفصيون في تونس وبو عبد الواد في وسط المغرب وشرقه أن يباخروا هذه القوات كلها ؟ كان طبعياً أن تنهم قواهم وتخلد إلى اطمأنه مدطاول الصراع ، لأن بلاد المغرب فقيرة هائلة الخيرات والأوراق لاتعبر على تكاليف الجرد وأعمالها ولأن نظامها الجعرا في يحول دون اتحاد جهاتها واتلافها وتكريم جهة واحدة ، فظلت متافرة متدائرة تحرب فيما بينها فصيح للعدو ومنه انصر واطهر . لهذا تمكن المرابطون من احتلال جزء من ساحل في هذه الغري وأقاموا فيه محارم سميت باسم *frontiers* . واستطاع الأسابيون أن يحتلوا جزءاً عظيماً من ساحل الجزائر وحصوله محصور عرفت باسم *presidios* ولم يكن بو عبد الواد ولا الحفصيون هم وحدهم أصحاب السطاطة في المغرب إذ حدث أن ازعم فيه بدوا حرب الدين كانوا قد أخذوا يتقاطرون على المغرب يجمعوهم ابتداء من القرن العاشر . وكانت بقية الأراضي الداخلية بها متنازعاً بين مائتين البربرية المستقلة التي كانت تأتى الخضوع والانتفاع ، فلم تخطيء حوايات أدن حين وصف المغرب في ذلك الحين بأنه كان وقاشيا سياسياً (١)

وكان المصير الذي انتهى إليه أمر المسلمين في الأندلس قد أضرب إلى متاعب أهله نصيباً كبيراً وحمام نعت كبرى ، فقد تنهم أمر مسلمي الأندلس إلى الهرمة ، وأصبح أمر الملاد يد الأسبان والبرتغاليين الصاري . فأفلوا شعور على من بقي من المسلمين وأخذوا يديهم من العذاب ألواناً ، إما يفسوهم عن دينهم أو ليدنموهم ، يستندوهم في أعمال العبيد . واشتد لأسان في ذلك شدة دمع أمرها بين الناس فلا

حاجه إلى نصيرهما ، و طارت الأحواز بما يقفاه المسلمون من الدل
 و هذه البلاد ولم ينصهر لأسباب من ذلك من أحدوا يجوزون الحجاز
 و يخطون على سوا من البلاد المسلمين فيحفظونهم بطرقهم و يسهون
 الحلال ، و أصبح سموع لا استفاد المسلمين في أسايا واجد ، شرعياً
 يحرم على تلي مسلم أن يهود به ، و أصبح لراما على الدول الإسلامية أن
 تترك حدود أساطين الأسان بالمشي ، و أن تقف في البحر رصدا لما
 يقع من من سفن انصاري تنوقع بها و تؤذيها و ترد ايها ما تنسلف من
 أذى و كيد .

صار المغرب يهود
 لأنقاد مسلمي
 الأندلس

دار هو الوصف صحيح أي يسمى أن نصف به أعمال العرب
 و الحرب البحرية عبر لظلمة التي دن أهل المغرب يهودون ، و قد
 أحطوا الكثيرين بسموها فرصة أو لصوفة ، و ليد في الواقع
 بلا لوء من الحرب الدينية من جهة و دفاعا عن الأوطان من جهة
 أخرى ، و ربما نظرف لمعسوس في أعمال المدا و شتو في مطرده
 لسه ، و ربما أرلوا للموا في كثير من الأذى ، و لكن نعم لهم
 لا توصف إلا بأنها حداد . فالعرف لاسلامي يعتبر بلاد الصراية كلها
 دار حرب باع العرب فيها و يستحل أس في أرضها ، و لم يكن المعارفة
 رصاوا أكثر مما كان لارتعا يون يفعلونه في ذلك الحين في كل
 لبحار البلاد .

قد مر في
 ج ١ ص ١٠١

بل كانت هذه عوام من شيء دفع بأهل المغرب إلى الاستمرار في
 هذا الطريق و تصطدم إلى الاستمرار فيه ، حتى لو سمحوا إلى السلم
 و الاستمرار . أول هذه العوام أن تقرب البحر الأص من كان
 من و المشعو . من العرب خصص في بدرس العرب و قرصه و عمود
 عليها في معاشها : فكانت مدقن أيضا و فرنسا و أساما أعشاش

عرب البحر
 في بلادهم

للقراصين يقيمون فيها ويهيمون مع للعرو واسلب في البحار ، فلم يكن
المسلمون وحدهم هم الذين يهاجمون السفن الأسبان والانجليز
والهولنديين ، بل كان الأوروبيون يهاجمون بعضهم بعضا لا تفرقة في
ذلك بين دين أو نسب ، وسرى أن كثيرا من الأمم النصرانية كانت
تحالف القوي لاسلامية على أحوالهم . وقد كان الانجليز أنفسهم في
هذه العصور قراصين أو مياشبه القراصين ، ولو قد فرأت توار يع
كبار الملاحين لانجليز كما واهاه فرود ، لعرف أن الفرصة أصل
البحرية الانجليزية (١) كما كانت أساسا لبحرية الاسلام في البحر
الابيض المتوسط ، ثم ثانی هذه العوامل فقر بلاد المغرب واصطرار
أهلها الصب الرزق فيما حاورهم من البلاد والأراضي ، وكان يرر المدب
لا يستقروا على حال ولا يخصصون لتمام فلم يكر للدولة موارد من
أرضها أو أهلها ولم تكن تستطيع أن تقيم بيان ديارتها ، لا عن
سبل أخرى كالتيجارة مثلا ، وما دامت الفرصة هي وسيلة لحدرة
المعروفة في ذلك الزمان فقد كان طمعاً أن يلجأ إليها أهل المغرب
خصوصاً وهم قوم بحريون يحسنون الملاحة وشئون البحار ، ومصدق
ذلك أن الحرب والعرو والكماح كان مستمرآ طوال العصر الوسيط
بين دويلات المغرب في ساحل على السواحل ، وهي حالة من
الفاق والاضراب لا تعلق إلا بصغر الناحية بضطرها إلى انتحار
والتنافس على ما اصعب الخصب والخير وثالث هذه العوامل أن بلاد
الاندلس كانت تاتي بين الحين والحين بطوائف وجماعات من المسلمين
هاجرين من أسايا أو صرح لهم بالخروج منها ، وهؤلاء كانوا يخرجون
من بلادهم آلافا مؤلفة لا تملك من حطام انديا شروى بغير فساد
تعمل إلا أن تصمم لسف المسلمين العارية لتدرك ثأرها من الأسبان

الذين هم من
الذين هم من

أصل المغرب
الذين هم من

هم هاجروا
يشيرون المغرب

الذين استولوا وأدوها ، واتحد عن طريق ذلك سبيلا للرزق
 وأعيش ، فكانت هذه البحار لا تجد غير هذا السد ثقل عليه
 بحماس وحمة وتمدل فيه قصارى جهدها ، ومصدق ذلك أن معظم
 المحاربين على سمن المعسرت كانوا من هؤلاء الهاربين من الثغور
 الاسبانية . وراعى هذه احوال هو اتصال الأمر بين دوليات المغرب
 والدولة العثمانية في أوائل القرن السادس عشر ، وكانت الدولة العثمانية
 في حالة حرب دائمة مع القوى الأوروبية ، فلم يكن للبلاد المغرب بد
 من أن يمدد أهل الدولة فقتلهم على اندرو في اسجار ، لأنها أصبحت
 من ذلك الحين مرصطة بالدولة العثمانية تجرى على سياستها وتقف
 موافقا . وخامس هذه احوال حلول البلاد من قوة واحدة مركزية
 تسطيع أن تضبط الأمر ، تنشر سادسها على الرعة وتوثق عنهم في
 المملكات السياسية . فكان كل فريق يوجه سياسته على النحو الذي يريد ،
 ولم تجد دول أوروبا حياة تحاطبها لابقاء أعمال القرصان والآفاق
 معهم ، فعشلت كل الجهود التي بدأت لتحويل الموانئ المغربية عن أن
 تكونا مشاغبة لقرصان فاستمرت في سبيلها حتى أوائل القرن التاسع عشر
 بل أن امداد البحر في تاريخ المغرب في هذه الأيام يدل على أن
 أهل المغرب كانوا مسوقين إلى اتخاذ هذه الوجهة وإن مالوا إلى
 الاستقرار والانظام ، فقد كان أهل الجزائر مثلاً قد هدأ أمرهم وازدهرت
 مدينتهم ودولتهم في أواخر القرن الخامس عشر ، وزاد في إزدهار
 أمرها توفد الهاربين من اسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر بعد
 سقوط عاصمة سنة ١٤٩٢ ، وكان معظم هؤلاء الهاربين من اصناف المهرة
 أو المدينين الذين درجوا في مهات الحصار والاستقرار ، فأخذوا
 يمارسون صناعاتهم القديمة في وطنهم الجديد ولكنهم لم يستطيعوا أن
 يأمنوا على نفوسهم والاسان يهددون مدينتهم الجزائر بالعرو والتهب
 وقراصنتهم رصد لمتاجرهم في البحر تحطف أموالهم وأوراقهم

اتصال
 الدولة العثمانية
 بحر

عدم توحيد البلاد

أوروبا لا تدفع للغرب
 من البلاد

وكان أمراقها من الثعالب بين أمر من ثلاثة ، إما توحيه قواهم كلها نحو البحر لمحاربة امرصنة ، وإما لتسلم للاسناد الدين اقلوا يغزوا بلادهم بقيادة بدرو ، فافروا الذي كان لا يفتأ يهدد لبلده وجزائرها بمداغمة ، واما الدحول في حماية أحد كبار الملاحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والشعور الاسلامية كلها في ذلك الحين ، ولم يكن لها بد في كل من هذه الحالات من أن تطوى حصارها وتهدم ما بنته من صرح دولتها . وقلبت لهذه الحرب البحرية الشديدة

امرب بدس
المجموعة الاسلانية

وتلك هي الظروف التي اقلت بالمغرب في احصاء الدولة العثمانية ووصف أسسها بأسس المجموعة الاسلامية الكبرى في شرق البحر الأبيض وما يليه ، وهي ظروف يستوى في روايتها من انقصاص ودقة المؤرخ ، لأنها تجمع بين طرافة القصة وصنق العبرة ، وقد تعاونت هذه الظروف على أن تسلط للدولة العثمانية نهضا فسيحا من الأرض واساحل بلا عناء أو جهد . ولو قد أرادت لعرب وجه الحياة فيه ولخوته من مبدآن للكفاح والنراع إلى بلاد مستقرة هادئة ووفرة الخير كما فعل لعرب قلمهم بضعة قرون ، ولكن كثرة مشاعلم وقلة حيلهم ما اصلاح أمر رغاباهم ، وعدم اهتمام السياسة الاسلامية بالمستقل عادة جعلت الحكم العثماني سكة على المغرب لارحة له

وبروسا

استجد الثعالب نعرواح بن يعقوب الملقب ببرروس الأول (١)

(١) نشأ نعرواح في جزيرة (ماس) في بحر الأناضول ، وكان في أول أمره ملاحا من شدة ساعده اعتمد على بحاره السلطان ومال إلى القرصنة ، ولما لم يكن في مسوره أن يصوم بأعماله في ثرى البحر لأن سواحله كلها بلاد اسلامية دخلت في طاعة الأتراك بعد شد رحاله إلى المغرب وأرسل هناك وأخذ يفاوض صناعته بمهارة أدعت ذكره وامد نحوه نظر السلطان بإيزيد الذي اختاره مجاهدا في أوشن القصر ، ثم رعت له حوادث أنه حينم أظف وعاد بعد أن بلاد الأول دخلت حوزة الدولة من جديد ، وعجبه مطلق الدولة بورد عدا وهو السلطان ، بد نفسه وشجعه ، ولكنه لم يستطع أن يفلح في المغرب بعد موت ما يزيد ، وأخبره على نور أورد وسعها حتى جعلت له ، به تظلمه ، ثم أرادت أن يوجد لنفسه مركزا فاستأجر سلطان تونس في ذلك الحين ما عداه محمد بن أحمد الحفص في أن يحيط حص ثوره

الذى كان قد استولى على جحل في ذلك الحين وجمعها مركزاً لأعماله وطلّوا
عونه على الاسان فجمع هـد . لمعاونه الى طابوا وفي نفسه أن يدخل
بلادهم في حورته ، فتم له ذلك بعد حروب طويّلة سنة ١٥١٦ ، ثم أخذ
يستولى على بلاد المغرب واحدة فواحدة ، فاستولى على معظم بلاد الدونة
الرابية في المغرب لأقصى حتى أصبحت سواحل بلادها كلها في يده
وحلفه في أعماله أحوه المعروف بحير الدين . وكان أقوى هـد حفظ
وأبعد منه خطراً ، ويبدو أن حير الدين لم يكن يعمل بمحرد الكسب
والخدمة وإنما كانت حيرة عاصفه دنية صدقة . وقد تجل هذا الرحن
في ساعة نظيره ، طمعه فوضع عسه في خدمة السلطان وقدم إلى الخلافة
بلاد في الوقت الذي كان عمال الدولة يهـون فيه فرصة استقواهم
ليصلوا عنها ، وقد كان الرحن موفقاً فيما رأى ، إذ وقع تصرفه من
عس السلطان سليم وفعاً طيباً ، فجمع عبيه لقب باشا ولقبه أمير الامراء
(بيجرپاخي) وأمدّه بالهين من الجنود ومدفعية قوية و أربعة آلاف
من المتطوعة والاسكشارية . وهدد المعونة انطيه استطاع الرحن أن
أن يستولى على الجزائر في مايو سنة ١٥٢٩ وتوس في أغسطس
سنة ١٥٣٤ وبذلك دخل المغرب حيمه في زمام الدولة العثمانية

حير الدين بربروسا

نظم الانراك المغرب على عس الأسس التي اطلما بمقتضاها غيره
من البلاد الاسلامية ، فكان يمثلهم فيه باشا يعتمد في قوته على حدة
من الاسكشارية مقسمين إلى وحدات يرأس كل واحد أعا ، وفهم
المغرب إلى أربع ايلات هي الجزائر ويطري وقسطمطيدية ووهران

نظم المغرب في
الحكم التركي

فأدبته هـد وصعد عروج الى عابده من اقدم بلاد الافرعى عس السلطان . ورجع به ورجع
عس . ولحق به سديلين أحده حير الدين الذي سيشم في بعد حير الدين الكاؤ هـد في ذلك الحين
كان فرد يد الذي قد أتى للصلب في عابده سديلين حير الدين ، أحد عمل مهمه هـد
ثلاثة أشهر ليس مهجرة لمسلمين واسمهم هـد أحد . حرك حير الدين وأطلق الالسة عهده
ودكره هـد ومن هـد أحد يد حير في شئون تونس هذا التدخ الذي انتهى بصمها إلى الدولة العثمانية

يحكم كل منها باى يرجع في شئونه إلى كبير البكوات في الجزائر نفسها ،
وكان لأهل السلاسل مجلس يسمى مجلس الشورى أو الديوان . يجتمعون
فيه لانتخاب البايات والتشاور في شئون الإدارة العامة ، ويتولى انعمو
والأسر من شعور أوروبا وشمال إفريقيا ومهاجرة المسلمين من اسيايا
تكونت في السلاسل قوة بحرية بحرية أخرى معظمها من الأفارقة
والاندلسيين ، فقسمت هذه القود إلى طوائف برأس كلا منها قائد
يسمى « الرئيس »

مجلس الاسمايين
في الغرب

المسلمون
في أوروبا

هذا التكوين الجديد تغير موقف المغرب حيال أوروبا ، فاستطاع
أن يرد عدوانها إلى أن تقوى عليها ويرد كيدها ، فاحتلت الحصون
الاسماية والبرتغالية من على السواحل وتراجعت أطامعها في البلاد .
وأعان على ذلك اشتغال اسيايا بحرب فرنسا في ذلك الحبر ، ومن ثم
انقلب الأمر فاحد المسلمين يعيرون على سواحل اسيايا وفرنسا
ويأسرون من أهلها ويعودون بالعم الوفير ، وكلما راد الأسر كلما
تصخم الجيش الاسلامي والبحرية الاسلامية وقوى أمرهما ، وراد عدد
أسفر السريعة واشتهر أمر المسلمين بالطعام والدقة والاحلاص والبطافة
والشجاعة حتى استثاروا إعجاب حصومهم من الاسبان . وارتفع
شأن الجزائر ونوس ، وجرى العدل في ربوعهما حتى أدرك المغرب
شأوا من الرفعة عظيما .

صفحة ١٠٠

بيد أن الدولة الاسلامية هي في كل مكان لا تتغير ولا تتبدل ، تعلو
إلى أى شأ تريد ، ويسموا بها أهلها إلى أى أوح تقتدر عليه همهم
ولكن مصيرهم إلى ضعف وإلى اصمحلال عاجل سريع ، فهذه الدولة
المعربة كانت تحمل في أطوائها عوامل الضعف التي لارمت أخواتها
من دول الاسلام في الشرق والغرب ، واختصت من بينها بعلل أخرى
شديدة الخطر على كيانها ، أهمها وأقواها أن الدولة لم تكن معتمدة في
جندها أو مالها على مورد ثابت يصمن ثبات القوة واستمرارها ، وأنها

وقفت في مكانها فلم تتطور مع حصولها وجاراتها فتقدم عليها
وسبقها في التنظيم الاجتماعي والحرقي والرقى الفكري .

المداء بين الانكشارية
والأهل البلاد

بدأ اصمحلال الدولة الجزائرية في صورة عداء وتحاسدين اقوى
الى وكل الها حميتها والقيام على شؤونها ، بين وجاقات الانكشارية
وطوائف المقاومة والبحارة الأندلسية والمغربية ، وبين الباشا المعين من
فل السلطان وبين الديوان المكون من الأهالي لمعاونته في إدارة
البلاد ، فأما الباشا المعين من قبل السلطان — والذي كانت
مدة ولايته لا تزيد على سنة — فقد اشتغل بشؤون نفسه وأنصرف عن
لاداره ، واحبذ أن يملأه بالمال من الرشى والسراقات ، فلم تلت
هيته أن سقطت واحترأ عليه جنوده من الانكشاريين ، وإلى هؤلاء
الباشاوات ترجع مسؤولية الاسراف في التمديد على السهم والتمور ،
فقد كان الباشاوات يدعون أهل البلاد اليه دوماً بل يكلفون بعض
القرصان أن يقوموا به لحسابهم ، ومن ثم لم يكن لباشا أن يحسن تمثيل
السلطان أو يقوم المهمة الملقاة على عاتقه ، فلم يكن الجند أو الأهليون
يحبسون بوجوده ، لاقى الاحتفال العظيم الذي يقام لاستقباله يوم يصل
من لمسططبية ، وإلا في هذه الاجتماعات التي كان مجلس الشورى
يمقددها للطرف في شؤون البلاد بين حين وحين ، وربما حاول الباشا أن
يحصص شوكه الانكشارية بالاستعانة عليهم بقائل من أهل البلاد
فدشأت عن ذلك حروب وويلات شتى ، وقد حاول أحدهم أن يستولى
على المدح التي كان لسلطان يعثها كل عام لاعانة الأسطول الجزائري
فكانت نتيجة أن فرر الديوان (وكانت السلطة فيه للانكشارية)
أن يسحب من الباشا آخر ما بقي به من مظاهر السلطان ، وهو القيام
على الأموال والاحفاظ (بالخرقة) ولاها الأعايعاونه الديوان ، ومن
ذلك الحين (سنة ١٦٥٩ م) أصبحت السلطة الفعلية في يد الأعوات .
ولم يمض الا قليل حتى تبين الناس أن انعير الجديد قد راد الحلة سودا

الالى المترك

بأشهر

إد أن الأغوات اقتتلوا فيما بينهم للوصول إلى مركز الرئاسة حتى
لقد مات محمد السيف أربعة الأغوات الذين تولوا هذا الأمر من ١٦٥٩ إلى
١٦٧١ وإزاء هذا الصراع بين الأغوات والوجقات لم يجد جود
البحرية وطوائفهم لأن يتخلصوا من سلطة الأغوات وإن يستأثروا
هم بسلطة ، فقتلوا أحرهم وهو الأعاء على واستدبوا مكانه أحد
« الرياء » وتلقب « بالدائى » أى « الحال » ومن ذلك الحين
أصبحت السلطة فى بدايات ، وفى سنة ١٦٨٩ رفض أحدهم وهو
الدائى على شاوش أن يستقبل الدائى المعين من قبل السلطان وطلب أن
يمنح هو اللقب وأن يمارس السلطة رسمياً .

الدائى

فى أثناء ذلك كانت تونس هى الأخرى مسرحاً لتطورات شتى من
هذا « بين وإن احتلفت معها فى التفاصيل . فقد كان أصحاب الأمر فى
دارتم من أول الأمر هم الدائيات المعسور فى مجلس الشورى وكان الدائيات
(أى المسكوات) يمارسون سلطة اسمية تانيين عن الباشا فى الجرائم ،
فاشتهروا مرصعة صعب الدائيات واستولوا على السلطة ، واستطاع
أحدهم وهو الدائى مراد (١٦١٢ — ١٦١٣) أن يحصل على لقب
شاوش وأن يحصر السلطة فى امه حموده وأولاده من بعده واستمر ذلك
إلى سنة ١٧٠٢ حين استطاع أحد القواد أن يقتل آخر أسماء حموده
ويسولى مكانه ويحصل على لقب باشا ويصبح ذا سلطة فعلية فى البلاد
ويحصر السلطة فى أولاده سنة ١٧١٠

الدائى

بهذه الأهور اشتعل أهل المغرب وقواده ورجاله وانزاعه
باركس المهتم من الشؤون ، وقد دفعهم نظام الحكم التركى إلى أن
يسرفوا إلى مقابلة بعضهم البعض والانجذاب فى الكيف والتدبير بما
أحد يمتص حيوية أسلاد شيئاً فشيئاً ، وفى هذه الأحوال استشرى
خطر القرصان ، ومضوا فى أعمالهم دون أن يكون عليهم رقيب ،

أردباد حط القرمك

إذ تحولوا مع الزمن من طلاب جهاد إلى طلاب غنم ، واتصلت
 الأسباب بينهم وبين دول البحر الأبيض وقراصته فمضوا يحطون حط
 عشواء لا يميزون بين ما يضر بلادهم وما ينفعها ، وأثاروا لدول كلها على
 أنفسهم وعلى بلادهم من غير حساب ولا رعاية . فجنوا بذلك على بلادهم ،
 وانضمت إليهم لغصات من كل جنس وناحية ومضى الجميع يدا
 واحدة يسرفون ويسبون والسعة أحياء على المغرب وأهله والدولة
 الإسلامية ، وأسرفوا في ذلك اسرافا مبرها . منهم الرأى العام كاهل الدول
 جميعها ، فلم تعد دول المغرب في خطر أوروبا ولا حركات من اقراص
 لا فرق بين حاكم فيهم ولا حمى ولا صاحب صناعة ولا صاحب
 من .. الاصل دين . ولم يكن الأمر على ذلك في الحقيقة إذ ان أهل المغرب الاسلام
 مضوا في سبلهم لا يكادون يشتركون في الدفاع بين الحد والحكام
 ولا بد لهم في سرقة ولا قرصة . فنزلت نقاباتهم شئون الصناعات
 المحلية ، وتناولوا الزراعة . . . فاحتكر أهل الزاب القيام على الحمامات
 العامة وتجارة اللحوم والمطاحن في المدن ، وسامحوا كذلك في تخار
 القوافل والرفيق الأسود . واحصى لسكرويون بالسقاية وأعمال
 بسيطة أخرى وبعض أعمال الشرطة (١) وهكذا ، وصمت المدينة كذلك
 كثير من اليهود تناولوا شئون المال وبعض أعمال أخرى ولسكنهم
 كانوا يحقرين من الأهلين لا ينظر إليهم برعاية أو احترام ، وانصرف
 أهل البلاد إلى اقامة المنشآت العمرانية كالطرق والأبنية والمساجد وغير
 ذلك بما لا زال باقيا إلى اليوم : فاداساهم أحدهم في القرصة اشترك
 فيها اشراك تجارة . فاكثرت بعض اسس وأجرها للملاحين لقاء مال
 أو حرة من النعيمة . بيد أن اتساع أعمال القرصة لم يلبث أن راد ثروته
 أهل المغرب من العائمه والاعمال ، فعم اسلاد الرخاء . وأصبحت كل
 من تونس والحرائر خلال اقرنين السابع عشر والثامن عشر من مراك

دعارة " س
 وجنر

العمران والحصار في البحر لا يضر ، فبع سكان الجزائر مائة ألف
وكثر فيها الأسيية والمهاجر . وبيع عدد سكان تونس ٨٠٠٠٠ وأصبحت
حصو سها للجائعين من أساييد وحرائر الدار . تقدمت البلاد تقديما
طاعرا ، وكانت تونس أكثر ازدهارا لخصب تربها وكثرة بحاري المياه
الصالحة فيها . وحر باب البحر مجرد في أرضها فلم تعمل كثيرا على ما يرد عليها
من السلاب القرصان . ولم تلبح القرصة فيها الأهمية الكبرى التى
صارت لها في ولاية الجزائر ، ثم كانت ضرورية لتجاره والعلاقات
التجارية سببا في أن يهتم الحكومه بالخدمة طبعان القرصان (١)

وردحت مدن تونس والجزائر بطوائف شتى من الأسرى
أحد عددهم برداد عاما بعاما ، كان من هؤلاء الأسرى من الأسبان
والأبحار والفرنسيين والأتراك وغيرهم ، وأخرى ، وصحت
تجارة الرقيق باقية في نواحي المغرب ، وأصبح الاعتماد على الرقيق عظيما
في شتى الأعمال . والسكان لم يكونوا في حاجة إلى وصوله أساسا
فقد كان ما السكوةم يحسون به من الحاجة . ويشفقون عليهم ، ولا يشعرون
عليهم ، بل كانوا يتركونهم في سجون شعترهم الدنسة . وقد روى
هايدو المؤرخ الأسباني أنه لم تكن على محاولة منهم . ح في أن
يرحلوا صلواهم نزيلا مسموعا على وقع الموسيقى (٢) فأين هذا من
معامده أهل باريس في ذلك الحين لم كان يقع في يدهم من العروتسنت
لقد كانوا يلقونهم تحت العجلات في طرقهم ويحتفونهم بالفرح
عليهم . . . وعلى الأخص كان وضع الرقيق في المغرب ، صعبا في كل
بلاد لمسلمين . إخوانهم يدهمون معهم في الحروب والخدمة

1) J. I. Hist. d'Afrique du Nord P. 546

(2) P. 546

المثل وخارجه . ولم يكن الرجل يطل استرقاق ملك يمينه من كان
يحمره ويعتق رفته انتعا مرصاه الله . وكانت الرققات يتزوج
سادهن ويرتقين إلى مقام الامهات المكرمات

وكان الموقف السيامي يتطور في غرب البحر الابيض المتوسط
تطورا خطيرا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فقد أحدث
آسيايا تهوى من الاوج الذي كانت فيه ، بعد ثورة مستعمراتها عليها
وهرمة أساطيلها أمام الانجليز ، وأحدث قوة فرنسا البرية والبحرية
في الظهور ، ومن ثم استراح أهل المغرب من منافسة الأسبان
وعدواهم وأحدوا يستقلون عدوا دسسا جديد في شخص فرنسا ،
وبدأ تمر مرسلها بأحد طريقه إلى النهوض ، واهتم أهلها بحماية الأساطيل
الفرنسية ، فكانوا يقوون معامرات وأعمال التجارة ، وكان الانجليز قد
تفوقوا عليهم في أمريكا والهند وأحدوا عليهم هذه السيل ، ومن ثم
لم يجد تجار فرنسا وملاحوها ميدانا حالماعير ميدان المغرب فاتجهوا
إليه . ومن هنا نلاحظ أن الضغط افرنسي على المغرب أحد يرداد
بسببه ما كانت تعقد من مستعمرات وأسواق في البحار الآسيوية
والأمريكية . ففي أوائل القرن السابع عشر استطاع رجل فرنسي -
قرصيني الأصل اسمه ساسون نابليون أن يحصل من دولة تونس على
تصريح باقامة محرس تجارى حصين عرف باسم البستيون Bastion (٢٩
سبتمبر سنة ١٦٢٨) على الساحل الافريقي . وبذلك للحصول على ذلك
أموالا شتى بعصا دسنى لأصحاب الامر ونصبا الآخر فروضا
وأموالا تدفع للدولة . واحتكر صيد المرحان على السواحل الأفريقية
بطير دفع ستة عشر ألف جنيه جربة سوية . ولم يكن مصر حاله بأن
يقم حصونا أو يتدخل في شئون البلاد . ولكنه استعمل البستيون

اصحاب الجوهرة
البحرية وديارهم
قوة فرنسا

ساسون نابليون

مر كرا للاستطلاع والتجسس على أهل البلاد ، ثم تناول تصدير القمح وامتدت يده إلى متاجر شتى في بلاد المغرب .

الإيطاليون

وكان الإيطاليون قبل ذلك قد حصلوا من حبر الدين على تصريح باحتلال جزيرة طرقة وحملوها مر كرا المتاجرهم ، وكانوا يتولون صيد المرجان وكثيرا من المهاجر ، وكان معظمهم من حوا وأثارهم ما وصل اليه الهنسيون على يد ساسون ، فدروا له مؤامرة انتهت بمقتله والمثيل بجثته في مايو سنة ١٩٣٣ .

هذا تغير ميدان الصراع ، فلم يعد بين الفرنسيين والاسبانيين وأما بين الفرنسيين والجنوبيين ، وأحد الهنسيون بدلون وسعهم للتدخل من هذه المدة الجديدة ليحلوا لهم عرب البحر الأبيض ، واشتد النزاع بين تجار حو وأصحاب شركة ساسون حتى أفلق الرابع بالحقاء الجرائر فصادوا ومشآت الأوروبيين جميعا في ديسمبر سنة ١٩٣٧ . ولكنهم لم يلبثوا أن منحوا امتيازات Concessions جديدة لشركة فرنسية مرسيلية أخرى صرح فيها للشركة بأن تقيم منشآت لحماية أموالها وأرواح أصحابها ، ولم تكأهل ليون يرون ما فوق إله أهل مرسيليا حتى حقواهم لآخرون يطلبون امتيازات واستشارت منارعات طويلة بينهم وبين المرسلين على ذلك ، وانتهى الأمر أن حصل أهل ليون على نفس الحقوق التي كانت مقرره لشركة ساسون وأقصى اتفاق بالامتيار الجديد في أول يسار سنة ١٩٩٤ ، واستمر هذا الاتفاق أساس المعاملات بين الجرائرين والفرنسيين حتى سنة ١٧٥٤^(١) ، وقد قرر في هذه المعاهدات كلها أن يقتصر الأجانب على التجارة فقط ولا دخل لهم في شؤون البلاد السياسية .

يبدو أن هذه الحالة لم يكن مقدراً لها أن تستمر طويلاً، فهدنة معاهدة
لم ترص أحداً من الجانبين لم ترص عنها أهل المغرب لأنهم حرموا
عليهم مهاجمة السفن وسلب ما فيها، وكانت لهذه الهدنة كثير من الأضرار
التي تجسها من القراصين، أو التي ترسها بها كلفت حصصهم بقيام بعض
عبارات وسرايا الحسان، فكان الملاحون المغربيون يفصلون حالة
الحرب مع أخطارها على حال السلام فنة ورقة وجدواها، وأما
الأوروبيون فقد كان الكثير منهم يطلون بتجارة لدول الأفرقية
لا تهمهم من بد أهلها من الرقيق، وأحد الرأي لعدم في مختلف بلاد
أوروبا بها حكم سياسة لا تدعى لتجارتها مع بلاد المغرب وأحدثت
الحكومات به خوف صعدت حكمه والرأي العام - تتجس لفرصة
لنفس من هذه الزمانات - تحدد دول المغرب، هذا إلى أن هذه
الانعقبات لم تكن بعيدة مع دول أوروبا ظم، بل كانت
الحرر لا تتفق إلا مع دولة واحدة وتثبت على غيرها - (في أعمال
السيد وانقرضه)، حينما تعاقب الحرائر صلح مع ريدر Ryder
الموطني، كان معنى ذلك بعض الاتفاق مع فرنسا وتوجيه أعمال
انقرضت نحو السفن المردييه (سنة ١٦٦٣) وكان معنى اتفاق مع
لويس الرابع عشر - إعلان الحرب على الإنجليز والمغربيين -
(١٦٧٠)، وكان معنى الاتفاق مع الإنجليز سنة (١٦٨١) إعلان الحرب
على السفن الفرنسية، وهذا استمرت الفرصة في طريقها
تؤدي الحرائر أكثر في "دول" سبب ما تقيمه كوالادها .
العداء الشديد .

أراي العام في أوروبا
المغرب

تتبدل الدول أو توفق من غرضه فلم تستطع، وكلما تقدم
تتبدل الدول المغربية كما صنف من وأصبح الاعتماد عليه .

في القضاء على القرصنة أقل ممعا . وكانت سواحل المغرب على طولها تستعمل كلها مراكز لهُولاء اقراصين الذين تخلصوا من كل رقابة ومصوا يأتون من الامريكينون ورضى حكام المغرب وأهله الاصلاح أم لم يرضوا ، فلما أعيت دول أوروبا الحلة لجأت إلى القوة ، فضررت البحار الجزائر بالمدايع ثلاث مرات (١٦٢٢ ، ١٦٥٥ ، ١٦٧٢) وكان الانجليز والمولديون إذهابا في سفوف مصتهم الملاحة ، وكانت سفهم نصرت في عروص البحار في الاطلسي والبحر الأبيض ، فاشتد اقراصين في تصيد ما تيسر لهم منها حتى اعني انهم ملاحين ماهرة من أمثال بايك ومرمرو وآل . وانتهى الأمر بهم أخيرا إلى قبول دفع حرية لداي الجزائر حتى يأمنوا على أنفسهم ومتاجرهم من أذى اقراصين : وكانت دولة اسكتلندا تؤدي لها سنمائه ليرة اسكتلندية في كل سنة ، ودولة فرنسا هدايا ثمينة تؤديها عند تغير فاصلها ، ودولة الدانيمرك آلات ومهمات حربية قيمتها أربعة آلاف ريال شكو وهدايا نفيسة ، ودولة هولندا سنمائه ليرة فرساونية وملككة سيلانزيا أربعة وعشرين ألف ريال شكو ، وملككة سردينيا ستة آلاف ليرة فرساونية . والولايات المتحدة ، امريكا آلات ومهمات حربية قيمتها أربعة آلاف ريال شكو ، عشرة آلاف ريال نقدية تحصرها فاصلها معها والترتعال هدايا نفيسة ، وأسوح وروح آلات حربية ودحائر بحرية تساوى قيمة وافرهم ، وهوهر ورام من المانيا سنمائه ليرة انجليزية وأسبانيا هدايا نفيسة ، ورنما حاول بعضهم في بعض الأحيان مقاومتها وتحرك للاتتقام منها فلا يصادف نجاحا فيضطر إلى مسالمتها (١)

وكانت فرنسا أحفل دول أوروبا بالآدى ، فكان حلقها أن تكون أكثرها اهتماما بهذا الأمر ، ومن ثم انصل العداء بين الفرنسيين والجزائريين طوال القرن السابع عشر ، وتكررت حوادث الاعتداء

(١) تنهه الجزائر في عامر الامير محمد القادر - ص ٨١

الانجليز هم يرون
الجزائريين بالمدايع

الانجليز يدفعون
جزيرة لداي الجزائر

منه هو الاوربية
بيع حري

الملاحه من فرنسا
والجزائريين من
عصر النهضة

من العريقين، وتوالت مدائح الجزائر في مرسيا ومدائح الفرنسيين
في الجزائر. وهب المستيئون مرارا عديدة، وأهين قضايل فرنسا
كثيرا، ووضعت المدافع الفرنسية الجزائر مرات عديدة لغير جدوى
من حاول الفرنسيون غزو الجزائر سنة ١٦٦٤ فلم يوفهموا في ذلك وعادوا
بعد خسائر فادحة ومقتلة عظيمة. وحاولوا مرة أخرى احتلال جيجل
فلم يكتفوا أسعد خطا ثم حاول الفرنسيون التدخل في شؤون المغرب
عن سبيل الدس فأنجحت همة الجمعيات التبشيرية الفرنسية والاسبانية
على إقامة مراكر وكنائس على الأرض المغربية، وحاولوا بذلك أن
يشيروا أوروبا المسيحية على المعركة لمسلمين إذا أصاب السكت أنصر.
ووفقا لمساومة بعض توفيق فيما بينهم من أحدهم وحده لا اعتماد
علىهم رداه. فعرض عبادة الورد الفرنسي ثمرة. وصحح رجال الدين
هم المداون بحدود أسرى الأوربيين في الجزائر ثم عهد لهم أحرار
في القيام به طائف من مصالحهم. أحدهم بمصاحبة لمسلمين مصاحبة
ومسا. حتى أصبح يمثل فرنسا هو يمثل المسيحية في أرض المسلمين،
واستمر إمداد من الفرنسيين المداوية بمصلاطون أمم من تسامح
عشر والثامن عشر.

موت «شهاب»
المغرب

كلير «شهاب»
المدون

وكانت الجزائر طموح فرنسا الغريزي على حال حسنة من الناحية
والقوة، واتسعت رقعتها وشملت بواحي كثيرة، وغرت فرنسا
سنة ١٦٨١، وأعطتها على القوة والرهبة انقطاع الصلة السياسية بينها
وبين الدولة العلية تقريبا، فكان داي الجزائر أشبه «الأمير المسلمين»
بأنه لا أمر ما يريد دون أن يكون عليه في ذلك حرج، فلو قد تمكن
أو تلك الدارات في هذه الفرصة طيبة فحاشا أن تطعم بلدهم وأعدوها
لمقاومة كل عدوان يرادها، لأننى ذلك عنها كثيرا. ولافتت لبلاد من
المصير السيء الذي سئلناه في أو من القرن التاسع عشر، ولعد كانت

إدخال الجزائر

بواجذ العداوة تندى لها ، وكانت أبادى العرو سوشا . ومع هذا لم يتمطل أحد من هؤلاء الحكام الى أن تحسب لتسقل حسابا . ويأخذهم وبلاده بالقية من شر يكون . وقد منحهم الله أرضا يسهل الدفاع عنها ، وقدره على كوت البحر لها خطرها في اصرع المقس ، ومع هذا لم يعن عنهم ذلك شيء . وقد كانوا على صلة بأوروبا يستطيعون أن يروا بعيونهم . يعين حكامها ليحفظوا بلادهم وعروشهم . وهذا كان الإصلاح عليهم سهلا مسورا . وحكامهم أوالا لا جوع الى لده في حطة شديدا ساو الناس إلى لادهم .

في أوّل القرن الثامن عشر أحدثت بولند لاسرار دمع في أفرو . المغرب ، وحدثت عن شي بحر ورها ونقل عنهم . أحدا ر دونه من افرصة يقل تمهه ملاحه الاوروية وحيط سمر الماه سواحل افريقية ، فلم يزد دخل بولند من هذا الباب سوى مائة ألف من الفريكات . وفي لوصب الذي كان يعنى عليها انه أن يرد فونم البحر بخدمتهم في شهم فبولند لاسر إلى امصاف . وحدثت امجريت لأوروية قد نامت من التقدم ولرق في ذلك حين ملعا طبا وأمع هذا لم بعد بات الحرارة ما يدور ، إلى تحسب ستمه . وبعوية جههم ، وأقبل الاوتة في أواخر القرن الثامن عشر واحتالت لاه من حور . كان ليموت في الحرارة التي كان يومئذ . وكان في الحرارة أطباء فرسبور يعرفون أنه يجب طسة لمقاومة هذه الأدوات ومع هذا لم . الحكام داعيا لحمايه أراه الرعية ، فتركوا الداء يستشري والعله لسر حتى هطت الأمراض بالهمس وبلاد إلى درك سحيق ، واتقصع مدد المنطوعين الى جيوشهم لأن المحصورين في اساليا من المستسلمين قد انهوا . ومع هذا لم يفكر اللدايات في أسلوب بعوضون به ما تهوى من جيوشهم . حتى أصبح الجيش المغربي كله

سته آلاف حدى فقط ! من كان أولى بأولى الأمر أن يطوروا ،
هذه مآجر العرب في البلاد يشد سداً وترايد رباحها ، وهذه
حكومة حرب بأحد الشركات المردية العامة في المغرب في حمايتها
ويستط الملك عليها دعائه ، وهؤلاء الفرنسيون يحتكرون تجارة القمح
وتصديره ويحتفلون بتوزيعهم في تجارة المغرب ، فيصرون مداليات
من الذهب احتفالاً بناصره ، الكسب ، ويورعونها في ساعة ثقل الفقير
تلك كله على المعريين جمعاً . كان أولى بهم أن يمتروا هذا كله ، ويكون
لهم منه عظة وسير ، ولكلهم أرسلوا أنفسهم مع الهوان ، وألقوا
حبلم على عارب الأدم . فدهمهم الأمر وهم يفتك كننام

انك . بنك . بنك .
في الأمر

واقصى عصر الدايين انه قام . وأحد يتولى الأمر منهم رجال
صعاف ، واقترون ذلك تصعد بحجم الحديد واجتماع القوة كلها في
يد الأجداد وفوادهم ، وأدك لامة ظم قور ، فلم يعد لاديو ان حول ولا
طول ، ورك اناس إدارة لادى بشاه صرفها كيم بشاه ، ومال الوزراء
إلى الراحة ، وحداحد هم الموطمون فلم يعن « أعاء المحلة » بأن ينقش
الدائى في شئون البلد الحربية ، وانصرف د وكيل الخراج « عن إعانة
أشار الأسطول ، ولم يهتم « الخايدار » بشئون الملك ، ترك هؤلاء لعمل
أشئون كلها في يد الدائى يصرفها كما يهوى ، وثقلت عليه الأمانة فسلها
للجعد واستراح . وهذا في أواخر القرن الثامن عشر . أى في عصر
النهوض والقوة . عصر الأخطار والأهوال . من لقد أنعمه لقاء
في المدينة وأحب أن يدع نفسه من الراحة مدعاً طمناً ، وحاف عليها
فك الجود ، فآثر إعاقه ، وانصرف من قصره المعروف بالحنية ، وأوى
إلى قلعه الجرائر المعروفة بالقصة ، وهناك جمع متاعه وماله وعتاده
وحرمه ، وترك الأمر لمريده الأمر . فلم يحطى المتورخ الأسباني جوان

عصر الاندلس
في الموطون

كانوا حين وصفه بقوله « ربح غنى ليس له على أمو الله سلطان . أب
بلا ولد ، وروح بلا زوجة . ومستند بلا حرية ، ملك عبيد وعدد
رعاياه » فليس هناك أصدق من هذا الوصف اللادع للحاكم الذى
سيطل على سكوبه هذا حتى إذا تحرك فتح على بلاده تور الطوفان .
وليس على قبائل المغرب حرج في هذه الحال إذا هي ثرت على
الحكومة وحاصمتها وخدعت سلطاتها . وليس على قبائل وادى سبو
من حرج إذا أعدت استغلالها وحلعت طاعة الأتراك في النصف الثاني
من القرن الثامن عشر ، وليس على غيرهم من القبائل من بأس إذا
تواشوا بالدولة في كل مكان ورفعوا رايه العصيان . وليس على الآس
من حرج أبدا إذا هم جادلوا فتح المغرب من جديد . فما هو أمدائ الساحل
مرارا عديدة وحربوا وها . اب . ويس على الفرنسيين من حرج كذلك
إذا فكروا في غزو المغرب من جديد ، فإذا تعدر عليهم ذلك الكثرة
انشواغل ومسائل الثورة فلا بأس من اسباب أموال المغرب . واستيراد
القمح منه وتأجيل الدفع حتى تتراكم ديون الجزائر عند فرنسا . لا صير
على الحكومة الفرنسية أن تفعل هذا فهي تعرف أنها إن ترد شيئا من
ديونها وأن الجزائر أن تجرم أن تسترد ما لها . وإن الداي أقل عناية
بشئون بلاده من أن يتعب الفرنسيين بالمطالبة والالحاح لا صير
عليها أن تفعل ذلك ، بل لا صبره . ناه عن أنها في غزو المغرب ما دامت
تقور منه غلايين الخدمت فتحا . بل لعل مصلحتها تستدعى أن
ترفع التعاون مع لدول في القصاص على القرصان مادام هذه الجزائر
والقرصان يفندوها ويؤدى عدوها . بجلفرا .

قبائل المغرب شرر
الحكومة الله

الاسبان يهاجمون
بعض بلاد

اندلسيون فكروا
في غزو المغرب

بعض كروا
لقد في
القرصان

ربما كان ذلك كله معقولا يتفق مع طائع الأشياء ، ولكن العريب
الذى يستوقف الطار أن لأيام ما كانت تزيد الجزائريين ألا عوا في
القرصة وشدة في ترصد السفن وانهاها . فهذه أوروبا تتأدى من
أعمالهم وتعقد مؤتمرا في أكس لاشابل للتفاهم فيما تتحدثه الجزائر ،
ثم تؤثر الحسى وندب أميرالين - انجليزى وفرنسى - لمفاوضة لدى في كف

يدر عيته عن الآدى . فبما هم الداي صلعا را كزار أسه . ويحدثهم حديث
الامر ادا هي متهدداً من عدا ، وهؤلاء هم الانجليز يبالغ بهم اليأس ونداه
ويرسلون أسطولاً بقذفه ا كسموث الانجليزى وكانل الهولندي
لتأديب العصاه فصيب الحائر شىء من العطب ثم يصرف في أعظم
سنة ١٨٩٦ . (١)

وفي الخوف ومن الحذر ، ومادا تكون أوروبا هذه أمام بضعة
الاف من لحد الجزائرى . وادان يكون أسسها وحضارتها إلا
عد في هاء . يخلص الداي في طريقه مسنداً عشوما . يسحر من
واحد الدول في اللحظة ان يفهمهم في محمد علي . هو حسن طهم
وعد أقوى من الداي أصه طا مصاعفه . ولأشد داي تونس في طلب
الحال من القصر والدول حير عارف أن ذلك يحسن دولته في وضع
دوى ع . لا تقيها ولا تمهها بين الدول . ولعجب الداي من محمد
علي كيف يستلّه أن صانع العردين . ويخفى شرمهم . وليسحر منه
لهذا سحرته بالعه . وليرقص بساطته ويرد عليه رداً حشداً (٢)

(١) وهذه الحادثة كانت عارضة . والارو هول هذه اوردت في سنة ١٨٩٦
عنه أحمدهم بماتية في مصر من هذه القصة بعد حاول مراراً بوالى التري أن يصح
كسموث وشيعة الى أن دأ حديده وبعثوا عنه السروطة الانجليزية فصر عليه
وقدود حقد وروا بكاه عن حوجه . وقد اتهم العردين أن مصر في جهنم قوة للعربيين
ويعصع أسسب تهمه من الحبس . ومكانا لا يستطيع أن يخلص عدد لحد الجزائرى . هذا
كان القاصد من سيم ورجل أو . وكان الداي من الحادين متصلاً في البر والبحر وكف حول
المناخية قوة الاوروبين والاسليم ؟

واصح : تحفة الزائر في أخبار الجزائر = ١ ص ٨٠

(٢) د . هن الخبر ملك م . قدوض أهل دوله بوسطو محمد علي باشا حدى مصر
بصحة . فأميل له كآ مصحه وعنده . وحينه به داي أنه فيه رحيه . دما قرأه حسين باشا قال
للرسول : عه سلاى ومن له نائل القول . و . كات مصحه محمد علي هذه سابقه دفاوضه
مع فرنسا على فتح الجزائر . حديها . ولا يستل أن كذب الداي حسين قد عم بهد تفاوضات
فمحمد أن يصغر من محمد علي هذه السحرية

تحفة الزائر في أخبار الجزائر = ١ ص ٨٣

محمد على هذا رحل مسكين لا يهيم الأمور ولا يقدرها قدرها ،
ليذهب الأمر ، الداي مدد بعدا ، وليدك الصنف ، ولعمض عييه
وليطمن فلا خوف عليه ولا هو يحزن ١

سلك كانت سبب الداي حسين باشا سببا في إعدام الرجاء في الصلح بين
فرسا والجزائر ، أو بين الدول الأوروسيه كالمصعة عامة والجزائر فكد كانت
لدول كلها مستطاعة احتمال هذا الموقف من الداي ، ولكن فرنسا لم تكن
تستطيع لأن كانت أكثر هاشجي به العرب ثغو هامن ثغوره ، أكثر تعدي
سعه على سفس ، ولم يكن يحى على أحدم يتأملون حوادث هذه الأيام أن
هرسين كانوا يفكر ون جد باق لحص من داي الجزائر واقصاء على ساطاه
ولوقد كانت فرنسا في ظروف غير آتي وحدث فيها سنة ١٨٢٥ ، ١٨٣٣
لنقدمت حملتها على الجزائر صاع سواب ، ولكن حكومة شارل العاشر
كانت في شعب مصائبها فاضطرت الجزائر على مصص ، بل رعت إلى محمد
على أن يقوم هو بهذا الأمر ، ففقد حمله خضع لها طرابلس ونوس
والجزائر ويقر الأمور في سواحل المغرب ، على أن تقدم له الحكومة
الفرنسية معونه من بل وسفس . وذلك هي المسألة الجزائرية
المعروفة في تاريخ محمد على . ولكن الرجل أظهر في الأمر حكمه موفورة
ورأيا حرماً ، فقد رأى من ندى الأمر عث المشروع وقلة جدواه
عليه وكثرة معاقته ، ولكنه لم يحب - في نفس الوقت - أن يدع
الفرصة تفلت من بين يديه ، لأنه لو قدر هذه المفاوضات الفرنسية
أن تنتهي إلى شيء لأخذ منها فائدتين وهى فرصة يعيد فيها أسطوله
وسبيل للمحاربة مع الفرنسيين أو مع الانجليز إذا أقلقهم الأمر
وأحافهم (١) ، ومن ثم اشتط في طلب الثمن الذى يدفع له لتقيام بهذه
المهمة ، فطلب مئلا حسيا من المال وأربع سفن كبرى من قوات

فرس ، ودرهم محمد
على أصبح الجزر

الثمانين مدفعا ، وبعثا حاول الميوميغو — المدبوق لهرسي فوق العادة
الذي نذبه بوليائك لمفاوضة محمد علي أن يقتنع بمحدا عليا بالتعجيل
في العمل ، لأن الرجل كان يحشى الانجليز ويحشى الدولة انجليزية ، وقد
حذر السياسة الفرنسية من ذلك وصحبهم بالكمهان ، ولكن هؤلاء
لم يردقوا حصانه ولا دقة فهمه ، فمضى دروفتي فمصل فرنسا
يحدث باركر فمصل انجلترا في الأمر او تمحل حليو Guillemiot
سفير فرنسا في تركيا تحدث الرئيس امدي في المشروع راحيا الحصول
على موافقته ، فعجن الانجليز بمقاومته ، وعارض الباب العالي
مؤكدًا أنه يستطيع إرسال مدبوق خاص — طاهر — دشا — لمفاوضة
الداي يميز حاجة إلى حرب أو فتح ، وانتهى المشروع كله إلى فشل تام
لمفاوضة الانجليز والأتراك ، واعتراض الورراء الفرنسيين على تسليم
سفن فرنسية لمحمد علي ، واضطراب الحكومة في يد بوليائك وملكه
شارل العاشر.

ذلك مكرى مع
الجزائر جديا

يبد أن طروفا جديده ما لفت ان أيقظت في اذهان الوزارة
الفرنسية فكرة فتح الجزائر ، فقد راد احساس شارل العاشر ووريره
بوليائك باصراف الفرنسيين عنهما وسأهمهم حكمهما واتحدثهم بالثورة على
الملكية الضعيفة ، وكان شارل العاشر يحمل ذلك مادام مشروع تقسيم
أوربا مذخورا من التعديد ووزيره ، لأن تنفيذ هذا المشروع كان جديرا
بان يرضى قلوب الفرنسيين ويحب الملك اليهم ، فلما فشل هذا المشروع
وتحطمت آمال شارل فيه ، رأى وزيره ضرورة عمل شيء يرفع من
قدر حكومته في نظر الفرنسيين من جهة وليشعلهم به عن بقدهم آياه
من جهة أخرى ، وانتهى به الأمر إلى التفكير في فتح حدرجي ، فالشعب
الفرنسي مفتون بالحروب والعروات تملكه احارها ويأسر قده مجدها
وفجارها ، ومن ثم تحير الجزائر ميدانا لهذا الفتح ، فيه كذلك انتقام

لما أصاب الفرنسيين من أدى على يد اهل الجزائر ، وفيه كذلك شعاع
لعريرة دبية مطوية في قلوب العالين ، واعانه على ذلك أن وزير
حريته مارمون كان يتحرق شوقا لقيادة هذا الفصح ، ومن ثم احدث شارل
ووزير بولياك تهيئان الفرصة المناسبة للقيام به

الفتح الفرنسي للجزائر
أن رأى جوليان

ولكن سوء الطالع أنى إلا أن بلارم شارل العاشر في كل ما سوى
فكان سىء الاختيار المناسبة التي بدأ فيها بفتح المغرب ، وكان سىء
الاختيار للقاده الذين سبهم للقيام به ، وكان سىء التفكير حين
رجا أن يقيم امر ملكيته بهذا الفتح ، فلم يخطئ جوليان حين وصف
الفتح الفرنسي للمغرب بقوله انه وكان عملا مضطرا بادره تحارب جرائريون
يهود بالاشتراك مع سياسيين مفسدين في باريس وكان - اى الفتح -
حادثا أثاره سياسى متهم في ضيقه . وكان حملة قادها قائد سىء السمعة
قيادة خاطئة ، وبصرنا نلقاه الرأى العام بعدم اكتراث ، واعقه
سقوط الاسرة انى طلست محره . تلك كانت المقدمات العريضة الى
مهدت لفتح المغرب على يد فرنسا (١)

مهدت لفتح
دور الكرم

ترجع المقدمات القريبة للفتح الفرنسي الى القضية المعروفة وبديون
السكرى وأى رباك اليهوديين . وهى قضية لا يقال عنها الا انها كانت
مؤامرة سيئة دبرها هذان اليهوديان بالاشتراك مع امر من كبار الساسة
الفرنسيين لسرقة داي الجزائر وحكومة فرنسا على السواء . دراسة تفاصيلها
تدل على ان السياسيين الفرنسيين كانوا يريدون ان يعصوا حاكما
شرقيا مضعة ملايين من العريكات فاذا طلب بها كان مسئلتا حار جاع
حدوده في معاملة دولة محرمة مثل فرنسا بل يبدو كذلك ان الاستحفاف
بلغ بالوزراء الفرنسيين مداه ، فلم يكفهم المعاطلة والاحتفال . بل
قصودوا إلى احراج الداي تعيين رجل منهم في حلقة وأمانته للسفارة

ديال مصر فرنسا
في جزائريال القمح

لديه ، وعيثا حاول الداي أن يحتج على بقاء هذا لرجل ، وعيثا حذر
الحكومة الفرنسية من حرائر بقاءه عنده على مايبهما من سوء الظن
والخوف والارذراء . فلم تستمع إليه حكومة فرنسا ، وانتهى الأمر
بينهما إلى مشادة عيفة ملك الداي العضب فيها فلفظ القصل الفرنسي
ديال عمروحة كانت بيده . فكانت تلك الاظمة هي الشرارة التي اشعلت
الحرب بين الجانبين .

ديون الداي لدى
مصر

أما ديون الداي لدى حكومة فرنسا فتندمجة ترجع إلى السنوات
الآخيرة من القرن التاسع عشر . إذ احتاجت الحكومة الفرنسية إلى
القمح المارم لمحتى إيطاليا ومصر ، فعمدت بقدومه فيها تاحران هو ديان
من تجار الجزائر . يرجعان إلى أصل إيطالي . إذ نشأ في ليورنيا .
هما يعقوب كوهين بكري وميخائيل اوربات ، وكان الداي حسين
(منذ سنة ١٨١٨) قد فرض لهم أمر تجارته الخارجية ، ففضيا يوردان
القمح سنوات طويلة ولا يعقبانه شيئا . وكان لهما شبه اتفاق مع
تاليران . وزير الخارجية الفرنسية إدداث — على أن يفتسموا
ما يأخذونه من الحكومة الفرنسية ثمنا لهذا القمح من غير أن يكور
لداي . وهو صاحب الحق الأول به . نصيب . ومصب السنوات
واليهوديات يصيومان على المبلغ أرباحا وهمية وينراحيان في مطالبة
الحكومة الفرنسية حتى تزداد المسألة تعقدا ، ونعمد تاليران بالدفاع
عنهما . فكان لا يفسأ يوصى وزير المالية ه بأر لايعتر هذه المسألة
مسألة شخصية . وإلى مسألة حكومية ه (١) ، ولما تكررت مطالبة
الداي تصح تاليران له بأر يطالب بالليون في مصر هذا المبلغ ،
وهذا عرر الثلاثة ه في اللحظة التي تناولوا فيها أربعة ملايين من
الفرنكاتب من الحكومة الفرنسية لتسليمها لصاحب الحق . ونعمد

لداي حسين يعوض
الكرى وأورباتشئون
مصره الحار حه

بوربا ريك مع
ديون ورفاهالداي

سنوات قليلة تقدم اليهوديات إلى حكومة فرنسا يطالبها بأربعة وعشرين مليوناً من الممتلكات هي مبدع ما وصل إليه الدين وأرباحه المركة ، فلم يسع الحكومة الفرنسية إلا أن تحقق هذه المبالغ وانتهى الأمر بتقديرها أياه بمبلغ سبعة ملايين فقط .

وفي هذه السنوات أقامت الحكومة الفرنسية ديهاً فصلاً لها لدى حكومة ادي وهو رجل منهم في دمنه ، وكان ادي يكرهه ولا يطبق معاملته ، فلم يلبث حسين أن أقر أن ماله ضاع بين تسويق الحكومة لفرنسية ومالاة اليران وتزوير الكرى وحطوة مسووه في باريس يقول لا يملك Nicolas Plevine ونحدي ديها . وتحققت محاوله حين اعترفت الحكومة الفرنسية بحقوق الكرى ولم تشر إلى حقوقه هو كلمة واحدة — « ، أولى الناس المال — وأحسنت » عرقه التجارة في مرسلها « ، بأن شئت » الا اتفاق قد تم بين كرى وديها على احسنت صالح فرنسا والجران معا فاعلنت رفضها التعامل مع القصر ، ومضى لدى يشكو سوء معاملة ديها فكتب إلى حكومة فرنسا سنة ١٨٢٦ يلعبها بأنه لم يعد يتحمل بقاء هذا « لدساس » لديه ورعا الحكومة الفرنسية أن تستبدل به رجلاً « شهما » ، بل رأى الرجل المسكينه بكاديين يده فالتع الحكومة الفرنسية أن تكري وعد له ميل وديها أن يمنحها مليون من والممتلكات إذا حصل له على الملايين اسعة المتجمدة لدى الحكومة الفرنسية .

لا حرج على حسين إذا حرج به انصبت على ديها عن طوره . وقد وجد الحكومة الفرنسية تصر على سرقة وانتهاب أمواله وإيدائه ، ورا في غصه أنه « كان تجار فرنسا من أهل مرسلها على بحار الجزائر مليونان وحسناته انب فربك فرموا امرهم إلى دولتهم وطلبوا منها ان تعهد لهم أموالهم من أصل السعة الملايين المحكوم بها للحكومة الجزائر ، فادت دولة فرنسا للحكومة الجزائر أربعة ملايين ونصف

والدلائل
دعاه إلى

عنه التور في
عساقه من مع دال
لأن حسر
شكو

الحكومة الفرنسية
رهم دون عار

ملبون واقعت ما ادعى به تجارها في صندوق الامانة وامرت ان تجرى دعوى تجارها مع عرمانهم من اهل الجزائر في مجلس التجارة في باريس ، فعصب الشايل ذلك وطلب اداء الاموال المحكوم له بها كلها وان تكون مراعاة التجار والعرباء في مجلس الجزائر « ١٠ » وكان على حق فيما فعل ، اذ لا ينبغي ان يكون الفرنسيون حكاما على انفسهم ، ان ان كرامة الجزائر كانت تستدعي عرض الامر في محاكم الجزائر نفسها

في مثل هذا الطرف معقول جدا ان نشند المناشئة بين الداي وبين القنصل ، وليس بالامر دى الدال اذا تناول الدى مروخته وضرب بها وجه ديفال ، ليس ذلك بالامر الخطير الذى تستحق من اجله الجزائر ان يرال استقلالها ، خصوصا وقد استيقن الناس ان ديفال استغز الداي بوفاحة غير لائقة ، وقد لث الداي اياما يؤكد ان المسألة شحصبه لادخل لها بحكومة فرنسا ، ولكن هذه الاحيرة اعتبرت حادث ٢٩ ابريل سنة ١٨٢٧ كافيا لتبرير عرو الجزائر واحتلالها .

بدأت حكومة مارتيناك فقررت بحاصرة الجزائر ، فحاصرها حصارا طويلا كلمها مالا كثيرا ولم يمد يده ، فرفع الحصار وعادت فرنسا تطلب ترصيه ، فأتى الداي حاسبا أن رفع الحصار معناه عجز فرنسا عن فتح بلاده . بل رادت حرأته فلم يتردد حين أرسل إليه مندوب فرسى جديد هو لارتيير La Bretonniere ليعرض عليه الترصيات التى تطلبها حكومة فرنسا ، في أن يطلق مدافعه على السمية بروفايس الى كانت تحمل المندوب ساعة مبارحتها ميناء الجزائر .

هناك استقر رأى بولياك على أن يقوم بالامر . وكان إلى جانبه بورمون وزير الحربية Bourmont يرجو أن تكون إليه قيادة هذا الفتح ، ولم تكن فرنسا تحشى كثيرا من اعتراض الدول على فتح كهذا .

حادث المروسة
٢٩ بريل سنة ١٨٢٧

في الحصار

بورمون وزير الحربية
الفرسية يسمى لانقاد
المشروع

حتى اجتازوا مداعليها أنها بفضل قيام الفرنسيين في شاطئ إفريقيا على
بقاء داي الجزائر ورجاله فيها أما المقاومة الممدة فقد جعلتها الحكومة
من الفرنسيين أنفسهم ، فقد كانوا تلفوا وراة بوليك بالتشكك والريبة
وقلة الاكثرات ، وأحاطتهم منه اعتمادا على ، جان لا يكاد الفرنسيون
يحملون لهم حيا مثل بورمون هذا ، فقد كانت العامة تحمله مسؤولية
وأرلو وتهمه نخون نابليون والجيوش الفرنسية فيها ويدنو أن حامية
الجزائر كانت على حال شديدة من انصاف والعجز لأن الفرنسيين
استطاعوا أن يقضوا عنها في زمن قصير جدا ، على رغم سوء قيادتهم
وتعير نفوس الحسد على انهم وانتشار التمرد بين صفوفهم ، وبكى المدلالة
على ضعف لقوة الفرنسية أنها عجزت عن الاستيلاء على « ليليد »
بعد ذلك لأنها بقيت فيها بعض المقاومة . عادت الحملة الفرنسية تفر
طولون في ٢٥ مايو سنة ١٨٣٠ وتم ازالة لاقوها على الجزائر وسلم الداي
حسن نفسه لها في ٥ يولي ، أي أن ولاية الجزائر سقطت في أي من
أربعين يوما يدل على أنها كانت ضعيفة جدا ، وأر جديد الأتراك
في السلام يكونوا حيرا من دلائلهم في الدلائل الإسلامية الأخرى .

ضعف الحامية
الفرنسية

لاستيلا على الجزائر
٢٥ مايو سنة ١٨٣٠

وليس هنا موضح التفاصيل في أحداث الفتح الفرنسي ، (١) وليس
هنا كذلك موضح القول في ثوره عدد القادر التي بدأت بعد ذلك

(١) في الخامس والعشرين من ٢٠ ١٨٣٠ مارج الجنرال بورمون Bourmont
تم طردون على رأس جيش عدده سبعة وثلاثون ألف جندي في العاشر من يونيو ألت الحملة
من سيب عبد الحجاج سيدي مرجع وأحداث تدمر نحو الجزائر على جبل الجبل الذي في
جسر الهم لم يلقهم لا احد سعة أنهم في سون سوالي وظهر أنهم مدعاهم ثم نه الفرنسيون
بعد وتردد . وبعد اختلاف بين القادة . حتى تفرقوا على حصون المدعوين خلفوا على المدفع
حتى سلمت حامية التركية في ١ يوليو سنة ١٨٣٠ في الخامس من سون . في بعض على شروط
مها سلامته وحيدته أمرته ورجاء الحرة بعده لآهل البلاد في نفس اندم دجعت القوات
لفرنسية الجزائر . وقد وجد الفرنسيون أموالا كثيرة في حاش الذي وردها بعض القوارج

عمر فرنسا وذهب ساكنة حياله . وكان في استطاعتها أن تفعل شيئاً
لحماية المغرب لو أرادت .

وكانت بلاد المغرب على الإطلاق فقيرة فقراً إلا يعين على قيام
دولة قوية حديثة ، قد تطيع أن تهمس بأعناء التنظيم و الدفاع . ومرد
ذلك إلى قلة موارد الرزق في البلاد ثم إلى سوء التصرف فيما كان يرد من
المال ، فإيراد المغرب كله في تلك الأعوام لا يكاد يكفي لإنشاء جيش
قوى صحيح ، ولم يكن بينكم الخد كمن من مباشرة وإحدى الإصلاح
لو طامسوا ذلك ، ولا من المصوطة لدى أصاب موارد البلاد إلا أن
أهلها أصرخوا عن استنثار موارد الخير الحقيقية في بلادهم واضعوا
نكب الرق من وجوه أخرى كإفقر صه . وضعت موارد البلاد
مع الأعمال يومه مرسوم . وأخذت حكومة الجزائر منسجماً لحقها الاقتصادي
الذي وقعت فيه كل دولة إسلامية غيرها . وهو إهمال عيون الثروة في
البلاد والاعتماد في ملائحة أخرى على ميراد من الأسلاب والاعتماد
وإدراج الحروب ، فجميع إهمال الحكومة إلى إهمال الشعب ،
وتدهورت مرافق البلاد تدهوراً شديداً خطيراً جمعها في حان أقرب
إلى الأفلاس والاملاق . وعلى الرغم من أن استنثار هذه موارد لم يكن

Duperré أن سمع في مسرحي إحدى هذه قصص المسكين الذي جرح نفسه بمسيرة
عنه من أجل أن لا يترك . ولم يبق كثير من كثر في عمله على ذلك ، السبع وثمانين
Berthezéac (١٨٣٤) لم يكن حراً من هذه . صرف ماله إلى هوان صغيرة
ومرأته مائة الفانده ، وكان الرجل ممسكاً بقل القيم في تلك التورب أن شرب في كل
مكان وجرح كثير من التواحي . في كانت قد حصلت الفرنسيين - عن حاجتهم لم يبق الرجل أن
طلب المال فاجده . الله وأفعه Savary Duc de Ravigo . فاعده على الأمان
شده . يمتد به أي ينده قد نزل بأسرها . مما أديت كثيراً من التواحي . ولكنه لم يبق أن
حاله Voirel فالتفاد بحسن حيك ومهارته أن يصنع البسحق حتى يستطاع رؤيته الفصح
فيها . وفي ١٧ يوليو سنة ١٧٧٤ أرسلت حكومته قرب أول حاكم عام فرنسي للجزائر وهو
Drouet d'Erlon . وفي تلك الأثناء كانت حركة الأمير عبد القادر في طريقه إلى الطور والعودة

بالأمر العسير فإن الحكومة أهملت وأصرفت عنه، فنحت صيد المرجان
 حكومة مصر مع إلى شركته مرمية احتكاراً. وكان في إمكاتها صيده و لكسب من ورائه
 والأوربيين أمثال وفلس سبى ذلك ما أصاب موارد الخير الأخرى كإدارة وتنظيم جمارك
 البلاد وما إلى ذلك، وقد كان هذا الفقر سبباً في طائفة شتى مما أصاب
 البلاد من الشرور فهو يندى دمعاً إلى الاستمرار في محاولة اكتسب عن
 طريق انقراضه وجعل أفعالها عن ذلك ثمراً حطراً على مايتها. فلم
 يسطع الحكام الإقلاع عنها على الرغم مما بدا من أخطارها وما هددت
 به سلامة البلاد من النقص والصراع. وكان الفقر أيضاً سبباً في فساد
 العلاقات بين الجزائر وبين دول أوروبا. فقد كانت هذه الأخيرة تأنى
 الاعتراف بالحكومة الجزائرية بصفه الدولة المحترمة ما دام حاكم الجزائر
 معتبراً في نظرها رئيس عشائره من الخصوص لا بد أن تدفع له أذوة
 مالية حتى يكف أراحه. منع أفراد عشائره من العدوان والأذى،
 فكانت العلاقات بين الجزائر والارول شاذة لا تشرفها محال ولا تعطى
 عسكرية طيبة عنها. وهذا هو السبب الذي جعل الدول رضى عن عمل
 فرنسا وتركها تفعل بالمغرب ما تريد

أوروبا لا تعترف
 بحكومة الجزائر

ثم إن أسلوب الحكم المتبع في المغرب كان قد انتهى فيه إلى مثل
 ما انتهى إليه في عامة البلاد للإسلامة الأخرى. فقد عمل من أول
 الأمر على إبعاد أهل البلاد الأصليين عن بواحي الحكم والإدارة
 والدفاع، وجعل ذلك قصراً على طوائف الاستكشافية ووجقاتهم،
 فأصرفت أمل البلاد عن الدولة وما سواها وأعطت البلاد وضعف
 أمرها بعداً لذلك كما حدث في مصر حين أبعاد المصريين عن الحكومة
 ووقف برت على الأتراك والمماليك. ونهى ذلك بضعف البلاد تماماً،
 لأن هؤلاء الأتراك لا يقفرون على الدفع عن البلاد بنفس القوة
 والاخلاص الذي يستطيعه أهلها.

٢ حكم المتنفذ
 يفسد أمور المغرب

وقد كانت الباب مفتوحا بين المغرب وأوروبا، وكانت الاتصالات بين
الجاسين معقودة في ميادين الحرب والسلام على سواء. فكان في مقدور
أهل المغرب أن يسايروا أوروبا وتتخطوا إلى أسرار تقدمها، يعملوا على
الصرب على سبيلها وانقشع بها، وكانت له ولذوقه من الصابغة أسلحه
ودحائر حذشه الطراز، فكأن في مقدوره أن يساعد من ذلك
الاتصال والتعاون وبكبرهم ضمير في ذلك وأهمولوا، حملوه، فلو كان
لما لك مصر عذر وقصورهم من عديد من سبب اعطاع صلات بين
الجاسين لما كان لأهل المغرب من أسوم على ما جعلوا من تقدم
أوروبا واسيارها في ميادين الأمانه واخروب.

ولقد كنت أن أصحاب اثنان في المغرب لم يكونوا من ذوي
الرأي أو الكرامة، في الرعم ما سبق عليه انكثيرون من وصفهم
بالده. وحسن الخلة، فقد كان خليفة، الذي حسين أن تجعل علاقته
مع الفرنسيين خاصة مباشرة دون الحاجة إلى وساطة السكري أو
غيره، وكان يتطوع أن يتحد معه وكيلا في ريس يشرف على
تجارة القمح ويحصل له المال. لأن اطلاق يد هذين اليهوديين كان
جديراً أن يدفعهم إلى الفساد والهدية، وأن لا استطاعة لداي
مره أخرى أن يكون أحسن تصرفه في علاقه مع فرنسا، فقد أطلق
نفسه مع بعض إطلاقات حرجه عن مذهب الرأي والحجى، فمضى
في الرأية، طلب منه أن ذلك جدير بأن يرغم على احترامه وتقديره
والزول على رأيه.

هنا تده أقصه الفرنسيين في المغرب، وهي قصة طويلة محزنة لا تحلو
من وجوه الخير للبلاد وأهلها، وقد كان دبا مصير المغرب على أي حال
عادت أوروبا تجاوره وشور في نفسها شعور الصليبيين نحوه بين الحين

والخير ، وما دامت العلاقات بين الجانبين قد طلت فربما طويته
لا تتغير ولا تغدل - حماد ثم وعرو لا ينهي وحرب لا يحمداوارها
وقد رأينا كيف المغرب حصة حتى في أيام قوته وعلو شأنه ، ورأينا
كيف مهدها وادارته محتلة وشئونه موصى لأمل للحير فيها ، ورأينا
السياسة التركية تريد ضعف البلاد وتثير عسايدا العالم الأوربي فكلمنا
عدا الأتراك على المسيحيين في شرق أوروبا تطلعت الدول إلى أحمد
اثار من المغرب ، وهذا شق المغرب ، الاتصال ، المجموعة الإسلامية
شقاء عطيا وعرفنا أن فرنسا كانت تست له هذا المصير منذ حين ،
وسما كانت تنبصر به ، واثروا وفالف صه الموائية ، فلم يكن سقوط
الجزائر بالأمر العمد الاحمال أو الماعرب ، ، كائن نتيجة طبيعية
جدا ه أسباب الله سه والمعدة وطه ، ، منها المعبدة اقربة كدله

٧ -

فداني الصفحة اثبه من هذا الكتاب ه وأصحح موقع
الخصب ه ه أي في الشرق الأدنى مقصد سياكاه وموجه آمهم
من فجر الربيع . هب عسا من الخير والحين رواج الرياح المملكة
بدفعها الرياح ، وعواصف المدو المحنة يدفعهم لفقير ، وليس كاد يبع
اعراق دليلا على صدق هذه له له : فتاريخه كله من قديم الزمان
حتى نهاية القرن التاسع عشر صراع بين الدول القوية على امتلاك
أراضيها ، ومحاولات من القتل المديبة لأعداءه والاستقرار
خيرها وأزواجه ، بما حين ماضيه كله سلسلة طويلة من الحروب والفائز
وإدارات ، لا يكاد يحمده واه أو يسكن يديرها ، وجعل أراضيها
ميدان سهلا يتواءم عليه بعراة من كل ناحية ويقتصدونه من كل صوب

العراق

ذلك أن العراق واحد موقوف الأرزاق والثمرات في وسط بلاد
وهضاب يعيش الفقير وتشح فيها الخيرات . فصح أن صده -
من هجر المارشح - متجه الفرس في الشرق وموسسه سدو العرب في
العرب وقبيلة الأكراد والحركس والآراك . الآمن من الشمال .
وقراصنة البحر الهندي وحليج فارس من الجنوب ، ومن هنا كان من
الطبيعي أن تتوالى الحارات والمرواب على هذه البلاد بسبب وبغير
سبب وأن يجد أهلها مشغولين في غالب أيامهم بمدافعة الأعداء ومعالجة
المناجين ، حتى لا يكادون يجدون فسحة من الهدوء يعنون فيها بشئون
أنفسهم وسرايق بلادهم . فإذ كان العراق بلد زراعي يحتاج إلى
الهدوء والاستقرار حتى يركون ثمره ويورث زروعته وتؤتي حبه ما
المأمول ، أدركنا أثر ذلك الحال في تاريخه ، عرفنا السدس في
أن الرحا لم تشمل هذه البلاد ، إلا في فترات وجيزة جدا ، ولو قد كان
كل جهته وعاياه يوما محصورا على شيء من المعرفة بقضيه ما يقو
في بواحيه من مظاهر العمران ، لم يخلصه عند أفراطهم ما أصاب
البلاد على أيديهم شر كبير . . . وهم في الغالب طغاة حواء
لا يطلون في العراق غير مسعة الوافرة والهب الشديد فقد كانت
نتيجة ذلك حرمان أهل العراق من حيرات بلادهم ، ورادي أثر
هذا الوضع الحضري على تاريخ العراق أن العناصر التي تجاوره من
كل الجهات - عناصر حرية شديدة لا تكف عن الحرب والعرو
والزراع على أرضه فيما بينها لم يدع له فرصة لمراحة أبدا

العراق من الوجهة
الجغرافية

وليس العراق - بمعاذ الحديث - وحده جغرافية متسفة تسوده
طروف جغرافية واحدة ، بل إنه يمتد بوصوح إلى ثلاثة أقسام مميزة ،
أقليم جبلي شمالي في أعالي دجلة والفرات وهضبة كردستان . ثم

أقليم حصص زراعي في الوسط ، ثم إقليم جوفى يختلط فيه الجذب
بالخصب ونسوده روح بحرية ، ويتأثر كثيراً بظواهر بلاد العرب الواقعة
إلى غربه وهذا التقسيم واضح الأثر في كل أدوار تاريخ العراق ، فهو
الذي قسمه في القديم إلى بابل وآشور وكادييا وفي الحديث إلى الموصل
وإمراة والبصرة ، وهو الذي حال بين أهله وبين تكوين وحدة
متبصرة من ناحية لسيه أو الاجتماعية ، وأصعب سكانه عن مقاومة
الغاصبين وجعله يرثيه سهل لمن طلت بواحه منهم

وعد كان تاريخ العراق من قسم الزمان متأثراً بحبرته لأن
لأن شعب إيران دائم النشاط متجدد الجهد ولا يسكن له جهد ولا
يقطع له يوم وهو من ، تتولى على حكومته الأسرات المتعديدة ويأق
بأريخه بالملوك ذوي الأسس ، الإغلاء من ذوي العصرية وسوخ . فلم
يكن لعراق يد من أن يكون دائم متأثر بما بهوم وخصاب إيران من
مظاهر القوة ومعالم الحضارة ، فلا يكاد يملك على عرش إيران شه قادر
حتى يجده في العراق بعد حين . ولا يكاد يحدث في إيران لون من
الحضارة حتى تجد له ظلالاً ملحوظة في 'عراق' وأغار على ذلك أن
الظلمة لم ترق العراق حدوداً حاصره بحمية شريرة والمهاجرين بل
جعلته قريب المال سهل المدك ، فلا يكاد الإنسان يخلص من مصاب
مرتب حتى يتجدد بخداراً حياً سريعاً إلى سهل العراق الخصيب ،
ومن هذا ليس بعيد أن تجد العراق نفسه مركزاً لكثير من الدول
التي سبقت لعظمته ، وأن تجد كثيراً من عواصم إيران القديمة على دجلة مثل
كتر فورد وأسوس ومن بينهما ، وأن تجد الأيرانيين كانوا يفتنون العراق
جزء من بلادهم في فترات كثيرة مراراً وتكراراً ، وطناً من ذلك حتى
عقبه الأيرانيون لعماليين عليه ووضعوا أحد فصلا بين العراق وإيران

ر العراق بعد
إيران

يدأن تأثر العراق بما يليه شرقاً من البلاد لا يقل عن تأثره بأيران التي تقع إلى غربه . فاصلات بين الجزيرة العراقية والشام قديمة ترجع إلى دحوها معا في دولة السوفيين التي سعت الاسلام قليل . ثم جاء الاسلام فطوى افاق في المجموعة الاسلامية وأصب على لو نا طاهرا من العروبة والاسلام . إذ أحدث قاتل العرب تهاجر إلى سهول العراق وتنشئ فيها البلاد . حتى أصبح العراق بعد قليل من الزمن سلاطا عربية صرفة بل مركزا رئيسا من مراكز السياسة والحضارة الاسلامية ، ومن ذلك الحين بدأ العراق تاريخه المجيد في وطن على ذلك ظل الاسلام ، وأحد في الطور على مسرح السياسة الاسلامية ليكون قطبا ومركزها في الحضارة والسياسة طوال العصر الوسيط وظل على ذلك حتى انتقلت منه الرعامة إلى مصر في أوائل أيام الحروب الصليبية أي حين انتقل مركز الجهة الاسلامية من الموصل شمال العراق إلى مصر بانتقال زعامة الكتلة الاسلامية من بور الدين محمود صاحب الموصل إلى صلاح الدين الأيوبي صاحب مصر حوالي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر السادس الهجري) .

لهذا يجد العراق حدا فاصلا بين الفرس الآريين في المشرق والعرب الساميين في المغرب : على بساطه يجتمع الجسار أصحانا حيا وأعداء ، يتعاونان دونه ويحترمان بارة أخرى ، فكان العراق ميدان النزاع بين الفرس والعرب على السيادة والسلطان في الدولة الاسلامية وكانت تواحيه بحول الصراع بين شيعة الفرس وسنية العرب والأتراك ، وقد استمر هذا الصراع بشقيه السياسي والمدني زمانا طويلا ، وانتهى باضعاف الفريقين معا ، وظهور عصر جديد على مسرح السياسة العراقية ، استند بالأمر من دون العرب والفرس معا ، وهو العصر التركي الذي بدأ يسود العراق ويصرف أموره من أوائل القرن الثالث

العراق من لاص
بين الفرس والعرب

الهجرى . ومن هنا شهد العراق معركته حامية بين العرب والفرس
والأكراد ، كان من أولى نتائجها خروج العرب من المديان في زمن
مبكر جد . وارتدادهم إلى حريرتهم وعودهم إلى حال البداوة الأولى
والخمول الذي أخرجهم الإسلام منه : وصار المصريون الأحرار يتشاركون
لمصر ولعلب زماناً طويلاً . وقد أيقظ الصراع في فارس روحها وبعث
في نفسها الحياة . فطاولت مطاولة لم تستطعها لأرك . وبدأ الفرس
ظهرون عليهم وروادهم . معرباً أولاً ثم عادوا . وأعان على
ذلك من الحروب الصليبية شملت الأتراك من أواخر القرن العاشر
إلى . فاستعصم مدينتهم وآسأ صغرى التيماهم كله من است
أرهم في العراق فاشعل رعايه . كنهه الإسلام من نور الدين أحرار ملوك
أرولة . لحقوقه في الموصل في صلاح الدين أول سلاطين الأيوبيين
في مصر ، ومن ثم أحد الفرس يستمدون قوتهم في العراق شيئاً فشيئاً .
من أوئل القرن العاشر الهجرى كان اسمائيل الصموي يعمل حاداً في
أشياء فيصر به إراده حديده تستفده من غير الممول الدين أنقلوا
عديم زماناً طويلاً . فلم يرل ساحر حتى استطاع أن يعلب على رار
ملك الممول حولي سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) ومن ذلك الحين بدأ
أرجح الدولة الصفوية الموحدة . الذي كان أول ناعه عود العراق
إلى أحضان فارس .

مرات القصة في
العراق

وقد استمر عراق في ظل الفرس بعد ذلك زماناً طويلاً ، وأعلب
أطال أن هذه لصحة طويلة حلفت في نفوس الفرس شعوراً خاصاً
بخواجزة العراق ، فأصبحوا يحسبون أنها جزء من وطنهم الأيراني ،
وأعدن على ذلك أن العراق كان يضم كثيراً من الأماكن الشيعة المقدسة ،
وهي : حلف التي تضم قبر علي كرم الله وجهه وفيه كربلاء . مرار الشيعيين
من كال صوب ، وفيه كذلك قبور الكثير من أولاد الشيعة رضالحيم من

أمثال موسى الخدم ومحمد تقي، وهذا تطور الاحساس المذهبي شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح رأياً سياسياً. وباد ذلك اشعور حدة عداء السنة والشيعنة أو عداء ما عرب العراق لما شرقه. فأصبح لفرس برون في "البيادة على العراق لونا من التدين والوطنية معا. وأصبح الاستقلال عليه قطاً من أقطاب السياسة العراقية في مختلف الأوقات والأزمان.

الصح العربي -
عصراً جديداً في
العراق

وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي دخل العراق في حوزة الأتراك العثمانيين. فكان ذلك إيذاناً بدء عهد جديد في تاريخه. لأن سلطان الأتراك السديين في العراق كان كهيلاً بأن سعد عنه التأثير الفارسي الشيعي إلى حين. وأن نعم فيه مبار السنة من جديد. بل إن سليمان القانوني كان يشعر بأن فتح العراق فيه شيء من الجهاد الديني لأن فيه انصافاً للسنة. ولهذا عى أشد العناية بأن يجدد في أبي حنيفة النعمان وإن لم يسجن بالعدي على مراكر الشيعة والسجف وكرنلاء. وعبرهما - وكذلك كان السديون من عرب العراق يشعرون بهذا. وحترون المالح انركي محصاً لهم ه فسارع شيخ القبائل العربية - الذي كان يحكم البصرة حاصداً حضوراً ظاهراً للأشاه فأرسله إلى رشيد مفاينج الملك وحثه على إرسال فياسة بالولاة إلى السلطان^(١) وهذا بدأت السفينة تنفس من جديد بعد أن حال سكوها ونحوها طوال الحقب التي كانت البيادة فيها لله من الشيعيين.

العراق في
الأتراك

يد أن العراق في طان الأتراك العثمانيين لم يكن أسعد حظاً مما كان في طر الفرس الصفويين، إذ لم تلت أهل العراق طر واد من السخط إلى هؤلاء الأتراك الذين كانوا يرسلون إليهم كل عام حصياً أو عيذاً ويأخذونهم

(1) Stephen Hemsley Longrigg, « Four centuries of Modern Iraq » Oxford, 1925) P 25 .

طاعته على الحق والباطل معاً ، ولم يكذّب الاتراك يدعون الحكم بنظامهم المعروف حتى بدأت النفوس تنعبد ، وأظهرت العلاقات المتبادلة لفرق العظيم بين عقلية الجاسين أي - العرب والترك - لأن العرب - بماضيهم الطويل في حياة الصحراء وفيه صبرهم وكثرة تحوّلهم - أصعب الشعوب حكماً ، ولم تكن العقلية التركية التي لا تسجل وتعودها المرونة - لتطيق منهم هذا العقب ، بل كان مجرد ظهور الأغا التركي في العراق - بطبيعته ولغته التركيتين - أمراً عابداً غير مألوف في نظر العرب وسعدهم^(١) ، ولا حاجة بنا إلا للإشارة إلى مساوي الحكم التركي التي سبق بيانها والتي لازمتها في كل زمان ومكان - لأن أحوال العراق الخاصة كانت كفيلة وحدها بأن تجعل الحاكم والمحكوم على طرفي تقيض ، وأن توجع الخلاف بين العريقين وتملأ النفوس بأسباب الخصومة والكراهية من الجاسين ، ذلك أن العراق بصم عدداً عظيماً من غلاة الشيعة فاستخضعوا تشجيع القبائل العربية السنية وإقبالها إلى أطراف البلاد وبدونها الاستقرار فيها ، وعرفوا أن هذه القبائل لا تقبل إلا في رعاية السلطان التركي السني مراد استخضعهم عليه وانطوت نفوسهم على اللدد والام ، وكذلك كان الاتراك لا يشعرون نحو هذه البلاد عمدة ولا محب ، لأن الذين كانوا يرسلون منهم للحكم في العراق كانوا يعتبرون ذلك مهاباً وعقوبة - بعد العراق عن مركز الخلافة من ناحية ولرودة شماله وحر جوبه ووعودة مسالكه وانتشار الأوشة فيه من ناحية أخرى ، ثم لصعوبة حكمه بعد ذلك ، إذ كان جل سكانه قبائل يصعب قيادها ويصعب ردها إلى الطاعة لكثرة تنقلها ومخاطبتها على النظم القبلية التي تعلل يد الحاكم عن السيطرة على البلاد .

وراد الحكم العثماني ملا - أرب - الفرس والترك كلاهما جعلاً الاستيلاء على العراق رمزاً لسيادتهما وتفوقهما ، فجعلاً يحترقان عليه

ساحل الفرس
والأتراك على
العراق

وبقائسان على أرضه وشي الأساليب حتى كانت الظاهرة السائدة لهذا القرن (السادس عشر) هي العداوة - التي كادت أن لا تهدأ - بين الامبراطورية العثمانية وفارس ، وهي حالة ثرت في أهل العراق وحمايته تأثيراً يصعب تقديره ، فإذ كانت قد أثرت في زيادة تيار الحجاج إلى المزارات وفي تنشيط التجارة المتبادلة مع أصصاها وتبرز من جهة فقد استدعت كذلك بدفق الاسكشارية ورجال الاقطاع ليشتركوا في الحروب في الشمال من جهة أخرى ، فكان الطلب يشتد على الخوب وسوائم الخيل ، وأصبح الرعب من هجمة تكون على أسوار المدية ، ومن وثوب أمراء الاكراد لضماف ، واستقال سفير فارس في طريقه إلى الينسهور أصصت هذه كلها من الاحداث العادية في العراق في تلك الأيام (١) وأصبحت اللاد معرضة بين الخيل والخيول للقتال بين الفرس والترك وما يسببه ذلك من الخسائر في المدن والمزارع ووارد الرق لأن الفرس لم يكفوا عن أن يروعوا اللاد وأهلها بعرواتهم وغاراتهم السريعة ، يتمون فيها ويأمرون في غير رحمة ولا هوادة ، فإذ أصصا إلى ذلك إهمال الحكم العثماني لإصلاح ما عسى أن يتبع من مرافق اللاد وعيون حيرها بهده الحصومة اثائرة ولتصورها كيف أصبح العراق ضحية لمطامع السلاطين وأهواء الشاهات ، وكيف اصمحل أمره ، وتحولت هذه اللاد - التي كانت درة القيصريه الاسلاميه في أوجها - إلى قمار ياب يعيش الفقر في امحائها ويسودها الجوع وتفتك بها الامراض والاثوثة من كل صنف ولون

وشهد القرن السادس عشر قوة جديدة تستأذن لتظهر على مسرح السياسة العراقية ، قوة ليست إسلامية ولا شرقية ، وإما هي طليعة أوروبا الناهضة التي بدأت تسيطر أشرعها في بحار الهند وتنشر أعلامها في مياها تمهيداً للسيادة على أراضيها بعد ذلك . كان البرتغاليون قد

ظهر البرتغاليين
في الخليج الفارسي

وصلوا الهند في أوائل القرن السادس عشر، ثم حدثتهم مصائد اللؤلؤ
ومناجر العراق وفارس فقدموا في الخليج اعمارى صعدا حتى أدر كوا
جراثير البحرين وأسسوا قلعة حصينة عند هرم سنة ١٥٠٧. ثم أخذ
تجار اسديقه وحوه يخترقون العراق إلى لشال، ومن ثم يعرجون إلى
اشام. فكانوا بذلك أول من رسم هذا الطريق الجديد إلى الهند، الذي
يسمى مدار السياسة الدولية في العراق بعد قلدن من الرمان.

المرجع
والمرجع

وكان تجار العرب يسودون بحار الهند وخليج فارس حتى ذلك
الحين. وكانت مياه هذا الخليج في طاعة السلطان العثماني اسما، ولهذا
لم يستلزم أن يكرروا على البرتغاليين هذا الشدح وهم صوا الرد عاديتهم
لأن البرتغاليين لم يكتفوا بفتح هرم من أحد رانهم البوكر ك
Albuquerque يفتي. سسله من المراكز التجارية على شاطئ خليج
فارس. ولكن الصراع لم يبدأ بين الجانبين إلا بعد أن استولى الأتراك
على مصر وزاد منهم البحر الأحمر واجتهدت إلى الخليج اعمارى.
فروعها ما وجدت من مؤسسات البرتغاليين ودأبهم على نشر سلطانهم
في هذه السواحي. ولم تلبث الحرب أن نشبت بين الفريقين على أثر
اعداء حصن البرتغاليين على بعض مرمى العراق الواقعة على جاني شط
العرب واستمدد حاكم القطيف بالأتراك، فمجل القبطان التركي
مراد بك باخاده، ولكنه لم يلبث أن ارتد إلى البصرة منهزما،
واستمر لعداء بين الجانبين متصلا، وكان نتيجة أن يكتب النصر في
هذه المعركة للبرتغاليين لتعرفهم على الترك والمسلمين عامة في شؤون
البحر. فانهزم قبضة الترك واحدا بعد واحد ارتد يرى لك ومراد
لك وعلى شلى بالهزيمة نال وحاول الأتراك أن يفصوا على مراكز
البرتغاليين في البر فلم يوفقوا كذلك. لأن أمراء الولايات المحيطة بخليج
فارس كانوا يحبون من تجارة البرتغاليين وبحا طيا. وكان لا يرضيهم أن

لا تظلم
المرجع

الامارات العربية
تظاهر البرتغال

تصار البرتغاليين

يقطع عنهم هذا الرزق فطاهروا البرتغاليين على الأثران ، مما انهمس
استجاب هؤلاء من مياه خليج فارس وتركهم البرتغاليين يسودونه
ويشربون ألبينهم فيه . وبذلك خطوة عظيمة الخطر والأهمية على
سياسة ظاهرها ويسر حدوثها فانها اليوم انتصار بسيط ، وفور التجارة
عليه من الحرير واللؤلؤ في خليج فارس ، وانكسار في احد حصر
لأمم الشرق واقفان لسبيل اسحر في وجهها ، فهي على نساطتها تدير
سيادة العرب على بحار الشرق وايدان مما سيكون له السيادة
البحرية من الأثر الخامس في مستقبل الشعوب الشرقية ، وهو أثر يفوق
التفوق البري بكثير .

تمام الحكم العربي
في العراق

لم يبدل الأثر - حمداً خاصاً في عظيم أمور العراق تطبيقاً يتفق
وأحواله الخاصة ، ولم يلتفتوا إلى أحواله الزراعية ويعيدوها بالرعاية
والاصلاح ، بل انصرفوا إلى إرهاب البلاد بالمعازم والحمايات ، وشغلهم
كيد فارس عن كيد البرتغاليين . قضت حكمه البلاد على عواصمها .
وكا في الحالة المعنوية والفكرية فقد انحطت في هذه البلاد منذ أمديعده ،
فلم يعد للنس أو الأدب فيها ذكر - وهي من قديم العلوم واعنوا
والخصاره في زهره الحضارة المشرقية - فلم يعد العلم تحميطة قرآن .
وبعد السكاسوب أو اعدوا ، وبهت عمتر بغداد واجتاحتها الدرات
والقصبات والأرومة حتى أصبحت ما كره لم راس والثقافة
اطلالا عافية ورسوم جافه

ولاية الترك

لم يكن لاشا مطلق السلطان في شؤون البلاد ، بل كان عليه رقابة
من قبل السلطان - كما هي عادة - ورقباء من أهل البلاد ، فكانت
بده معلولة في رقابة هذين ، إذ كان قاضي القضاة المعين من قبل السلطان
يرقبه ولا يعفيه من اللوم إذ حجب للعصان وكان له قردار وأعوانه

يشرفون على أموال البلاد ويقدمون حسابهم في القسطنطينية ، وكان
المرغية أن تشكو للسلطان رأساً ما يسيئها من حاكمها ، وكان على الأتباع
أن يجمع مجلس أعيان البلاد بين الخير والخبير ، وكان للسلطان على ذلك
مندوبون من لدنه يشرفون على راحة التجار وأمنهم في البصرة وحلب
وغيرهما من الموانئ ، وأما هذا كله أحد سلطان الولاية الرسميين في
الضرائب شيئاً فشيئاً وانقلت من أيديهم القوة إلى الاسكشارية مع
الأيام لأن هؤلاء الأخيرين كانوا أداء التهرب الذي لا يستعصى عنها
صاحب السلطان سواء أ كان الوالي أم سواه ، فكانوا يد صاحب
السلطة في مختلف الحالات وانتارات ، ومن هنا كان شعورهم بقوتهم
وسعيهم للاستئثار بالسلطة وتصريف الأمور على ما يهون ، وأعانهم
على ذلك ميل الدولة إلى تعديل الحكام واستعدادها لقول وشايات
(صغار الجند والموظفين ، وهذا سادت البلاد شردمة من المتبطلين
الجاهلين وساء أمر العراق بين جشع النابغا إلى العبي وجنوح الاسكشارية
للاستبداد والطغيان .

نظام الاقطاع
في العراق

وكان نظام الاقطاع العثماني سارياً في العراق ، أي ان السلطان
كان يسمح بأجراء من أرضه اقطاعات خاصة أصفيااته على أن يؤدوا له
نظير ذلك خدمات حربية وقت الأروم . وقد كان في هذا النظام فائدة
كبيرة للسلطان وأرلم يكن فيها شيء من الخير للبلاد المقطعة ، لأنها كانت
تجمل من الخا كم العثماني العام مشرفاً على أصحاب الاقطاعات أي على
موردي الجند ، فكان معظم اجتهاده إلى الاكثار من الجند الذين
يرسلون من ولايته إلى الميادين التي يحارب فيها السلطان ، وفي هذه الحاجة
كان الخا كم يوجه جهده ويبدل فيه وسعه وينسى كل ماعداه من مصالح

الولاية ولم يكن السلطان يطلب اليه أكثر من ذلك أول الأمر لحاجته المستمر للجدد لكثرة الحروب والفتوح . ولكن الحل لم يدم على ذلك طويلا إذ أخذ أصحاب الاقطاعات يقصرون في تقديم الجنود لأن السلطان لم يعد يوف الاقطاعات للقادرين من رجاله بل للمحبسين اليه وأصحاب لموه وبجته وشرايه منهم ، وأراد هذا أحد الوالي يحمل هذا الواجب ، واكتفى بالاهتمام بجمع المال للسلطان . وتكلم صديقه السلطنة المكرمه كلاما صحيح الولاد إلى الوثوب والاستعمال وأعلمهم على ذلك بعد المراو عن لدونة وتماعن اسلاص عن الحروب ، إذ هم الغايه . وهذا تحول لشا اعتما بعد فتن إلى حاكمهم في الواقع لا رطه ، لمعه إلا أوهم الصلوات ، الأساب

وكان وجوده في حرب العراق معربا قد شانت على الثورة فارس وسلاسله والخراسان لمصال لأن صدر اشاه كان مفتوح دائره حرك بكل حاج على السطحة من حركه كثير حركه الشواب في عراقه ، صوحه بمصان بهج هذا بوضوح في ثوب بكر لصور شى ، اسديعائه انه من لمعه على اسلطان في وقت له من سابع عشر ، ولو لم يكن السلطنة الرابع قد خف للنساء على بكر ، ثور به الخراج اعرف عن يد اسلاص حلة من دفت الحسن . بيد أنه بلاحظ أن احوال البلاد مالت إلى الهدوء والاستقرار بعض شى بعد أن ستمارها مراد في الأشهر الأخيرة من سنة ١٦٣٨ وأشير من زوايا من سنة ١٦٣٩ م ، فقد كانت حملة مراد بعينه ذكر في نفوس عرس لما أشاه سلطان وجوده فيهم من الإخلاص والفدر والقوة . فكيف شاعنت عن مساعيه في عراق وأحمد انه شاورت بعميون عليه يشو بعضهم بعضا يحرون على ه رويس ، لا يعود على لبلاد أو أهلها منه خبر ، أو كثير

في ظل هذا الهدوء النسبي أخذ سكان البلاد يقطعون
ويستقرون، وجعلت القبائل تتحرك إلى مواضعها التي سكنت عليها إلى
القرن التاسع عشر، فظهرت فئات جديدة في بعض المواضع وعدت
قبائل أخرى غيرها على مواضع جديدة، وأحد كل يسقر في مكره
الجديد ويستمسك به، وهذا بدأ استقرار الناس وتركهم في مواضعهم
بعد طول ترحل، وهذا الاستقرار هو الأساس الذي كان لابد منه حتى
تبدأ البلاد في انبعاثها الصحيح، لأن قلب الناس على المواضع وعدم
استقرارهم في مكان بعينه كهيل بأن يمدحهم من لعمل انشأت المستعمرات، خلق
بأن يحرم البلاد الجمال الصالح. من أحدث القبائل الصغيرة تنقلب
لتتحد وتكون وحدات كبيرة في أواخر هذا القرن استقرت قبيلة شعب
في عربستان بعد أن دارحت مشارط الأولى في قبا، وأحدث في
مستقرها الجديد تراول دراهم الأورو وتصبح ما أمكنها من الأرض
واستقر شو عاتك والأجواد ونو سـميد وأحدث صروف
الأيام تعصف بهم نحو الحرب بآلهة والأمان تارة أخرى حتى انشاعوا
أحر الأمر بعد حدوث طويته تحت راية آل شبيب. وسادوا
أقاليم العراق الأدنى وأهله باسم المنتفق، وفي هذا القرن أيضا أقل
سو شمر من يجد يعودهم شجعهم فارس، ومارالوا في مدافعة أعدائهم
حتى استقر لهم الأمر في أمانة على عرب العراق من أعلاه إلى حدود الجزيرة،
وفي هذه السنوات تم استقرار سولام في أواسط دجلة فأصبحوا من ذلك
الحين حاجرا بين العراق وبين آل لورستان واستقروا في تلك النواحي
رمانا طويلا. ولم يحدث ذلك في الشرق والعرب فقط بل إلى تلك
العهود ترجع أوليات أسرة أباان المعروفة في شمال العراق، وكان
أصاهم أكرادا وأحدوا يمدون رويدا من كوسنجق إلى إقليم
شهربارار حتى عروا أقيم أردلان في أواخر القرن السابع عشر،

الذين سكنوا

شمر

رمان

الذين

وشجعهم السلطان على ذلك وأمر أميرهم سليمان بك في ولاية كركوك
فجعل عاصمته من ذلك الحين في قره جولان

أحد الدشوات يتلو بعضهم بعضاً دون أن يكون لذلك أثر ظاهر
في شؤون البلاد أو رأى في اصلاحها، وإن علب على أكثرهم التهمى
والميل للجزير، ولكننا نلاحظ أهم كانوا يفلون في الاقتدار والفضيلة
شيئاً فشيئاً، بحيث نجد كل باشا جديد أقل من اقديم قدره وحققه. فبعد
حسن باشا الصغير وقره مصطفى ومرضى وغيرهم بدأت دلائل
الضعف تظهر في حكم محمد باشا الأرض وعمر دشا الذى لم يبق أ أكثر
من تعميم بعض الأصرفة، وهكذا حتى وصل إلى المجامع في عهد حسن
باشا، فلما علم أن أحدث أحوال البلاد تسوء، وبواجبها تنهرك من جديد
فاستقل شمال العراق أوكاد، وحرحت البصرة عن طاعة الدشوات
ونشطت الدعاية الفارسية، فأخذ خلاف اشيعة والسنة يظهر من جديد
وبدا يوصو ح أن الصراع بين فارس وتركيا على أرض العراق عائد
بغير ريب ليضى على الآثار المله أى نتجت عن فترة الاستبداد
القصيرة الماضية

في تلك الأثناء كان - طلائع الأوروسير قد تشجعت وأحدثت
ترتاد العراق بعد أن أصبح بابه على مصرعته من خليج فارس ومن
ناحية الشام، فأخذ السائحون يرتادون بواجبه ويردون على البصرة
وبغداد. وتحدثنا الصوص عن سائحين فرسيين اهلوا على العراق
من سنة ١٦٤٩ م، بل تشجع البرتغاليون فدخل بغداد راهب من
رهبانهم اليسوعيين سنة ١٦٦٦، وأثنى امرسيون كيسة فيها في
سنة ١٦٤٨، واستقر تجار ساذقة وجويو في بغداد والبصرة لتطعم
التجارة، وبذلك بدأت بغداد تتصل بالعالم من جديد فعرها العالم
الحديث، ووصفها السائح الفرنسي تافرييه بقوله: «حامية المدينة مكونة

طلائع الأوروسير
مدن العراق

بغداد كما وصفها
تافرييه

من ثلاثيته انكشارى بقومهم أعداء ، ويحكم المدينة باسم طيفه الوردية
عدة ، ودره على شطى البحر ذات مطهر جميل وتحت تصرفه
على الدوام سببته أو سمعته فارس ولهم - أى للبشوات -
علاوة على ذلك طائفة أخرى من انهرسان يسمون الجنحوا ليلي أى
شجعون بقومهم أعوان ، ويوجد منهم عدة حوالى لآلاف لثلاثة
فى المدينة وما يحيط بها ، ومفاتيح أبواب تلك ومفتاح لقطرة فى عمده
أعدا آخر تحت يده يحومون انكشارى ، وهذا أرباب سمائه من المشقة
بقومهم أعداء آخر وحوالى سنون مدوب كال بقومهم إردك (سنة ١٦١٢)
حار محض لسموية السور ويحائل ، أصله من موالد كسى
أصبح ركازاً ، وقد وضع نفسه فى خدمه السطان حين حصر
بعده سنة ١٦٣٨ ، أما حكمه ودراد منه فلا يقوم بها عراض
يقوم بكل شئ ، ولى عام مهمة اخرى يساعده شيخ الاسلام أو
المرور دارى جمع أموال السطان ، وفى المدينة مع عدد خمسة منها
الملك حسنة ، هما قرب معصده بامد شى المدهون بمختلف
الألوان ، وما يدب به امارت نشرة فى قبيته امداء على الخربة ، عدا
اثني عشر سارل فيها بعض الرجة ، ومدينة على لعموم سيته لمداء ،
وليس من حمى حلا لاسواق وخدمه بامسور ، وغير ذلك ما كان
اسرار لتجمل الخراج ، ولأرباب كدب من أن نرط شوارع هذه
الاسواق بامد ارباب ثلاث أو ربع مرات فى اليوم - وقد حصص لها
من فقرامدى لخدمته بامد جوريهم ، والمدة ملائى بالتجارة ،
ولكنها ليست كما كانت فى يد ملك فارس ، لأن التركي حين استولى
عليها فت معظم سراد لاجار ، ثم ان المدينة منتهى اناس من شقى
الجهاب ، وليس أدنى إن كان ذلك للتجارة أو لشئون اعبادة .
وعلى هذا فلا مفر لكل من يريد لمدى الى مكة طريق البحر من

أن يمر بعداد حيث يضطر كل حاح إلى دفع قروش أربعة للنساء (١) وهو وصف لعن الخطيب العدادي كان يكره أشد الأسكار لو شامت الأيام أن تراه بعداده العريضة بعد أن مال بها الرمان وأثنتها عواشي الحداث ، وليلاحظ القاري اسم السائح العربي إلى قوة المدينة الخربية ، وتدقيقه في تقدير جدها وأوارها وحاميتها ، مما يدل على أنه لم يكن مجرد سامع تسبب به الأناطع وتلقى به النوى في حيث تريد ، وإنما كان يسرق قوة اللادودة حقة مقاومتها ، وقد لاحظ القاري ، كذلك اهتمامه بتجارة السدوم ، دها وأوراقها ، مما يدل على أنه كان مهتما بذلك بل ربما كانت التجارة همه الأول

وكان شمال العراق وحده قوة استقلال عداد أو كاد ، فأما الشمال الموصل - فقد أحدث علاقات بينه وبين عداد تضعف من أوائس القرب السابع عشر حتى أسهب إلى الانمضاع في أواخره ، فكان والي الموصل في كركوك لا يتصل ، لوالي في عداد إلا فيما ندر ، وأحدث هاشم الشمال تنقل إلى امواضع التي ستسفر فيه أحر الأمر وكان ولاية الموصل فقيرة لقلة الخير واضطراب الأحوال فيها ، لكثرة براع الأحاسيس في بواحيها ، فحدثت متحرم وصادراتها إلى ديار بكر وحلب نقل شتاء فشيئاً حتى انعدم تصدير الحرير الموصل المعروف (الموسلين) ، نهدت الولاية عارات إيرانية من سجاج وعارات الأكراد من التلال ، وعارات الجراد وبوارل السدوم ، وأعان على ذلك صعب الشاوات الذين ولوا شتونها خلال القرن السابع عشر وجلهم من رسة الميرمران ، يدأن أهل اولاية كانوا على حب من القدرة مكهم من شغل مركز الشاوة في مناسبات عتد ، فشعلها منهم محمد

(1) J. B. Tavernier The six voyages of Tavernier

(التي جده الايطالية ١٦٧٨) ص ٨٦ وقد فاه برسه مرحلته الستة في العراق بين

سنة ١٦٦٨ و ١٦٦٣

القرن السادس عشر . إذ كان سلطان البرتغال الذي تبعه بموه قد أخذ في الاصطدام للال ، لأن البرتغال نفسها دخلت في طاعة الأسبان حوالى ستين عاماً ابتداء من أو حوالى القرن السادس عشر ، وكانت قسوة رجالها على أهل خليج فارس وجزائره قد أثارت عليهم سخط الأهالي وجعلتهم يتربصون بهم الدوائر ، فلم يكادوا يلجئون اضطراب قواهم وقلة ما يصلهم من الامدادات من بلادهم حتى صار حوالى سبع البرتغال بالعناء ، وأعاق كثير منهم مواهبه في وجوهها ، وأحدوا يجمعون عن البرتغاليين متآخروهم بما أثر في تجارتهم تأثيراً طويلاً .

وكانت أخطر الدول الأوروبية الأخرى قد اتجهت نحو الخليج ،
 فأرسل الانجليز بعض بحارهم من أمثال الدير Elidred ونيو بري Newbry
 وفتش I tch ليسطلعوا أحوال الخليج والجزيرة العراقية ، ولم تلبث
 شركته الهندية أرسلت رسلاً يحوسون الشواطئ ويسرون أعوار
 المياه ، وكذلك فعل الهولنديون بعد حين ، ولصفت إلى ذلك أرملة
 فارس كانوا ساحطين على البرتغاليين ، فساروا إليها ياجزونهم حتى
 أخرجوهم من جزائر البحرين في أول القرن السابع عشر ، ثم أحدوا
 يعدون العدة لأخراجهم من هرمز ، فعجل البرتغاليون باحتلال
 المياه الجديدة لدى كان الفرس قد أنشأوه بعد خروج هرمز من يدهم
 وهو سدر عباس ، ولكن سلباتهم على سدر عباس لم يدم طويلاً ، إذ
 استطاع هرمز سنة ١٦١٤ أن يحلوا البرتغاليين عنه ويسردوه .
 هنالك عجل الانجليز ليسروا الفرصة والبرتغاليون في ضعفهم
 أمرهم لا يملكون لهم دعماً ، فأرسلت شركة الهند الشرقية منقبتهم
 المسماة « جيمس » فالتفت مراسيها في تلك وأحدثت تحاول الدخول
 في سوق الحرير ، وبدأ مدونوها مراسلون إنشاء للحصول منه على
 احتكار هذه التجارة ، وانتهى الأمر بينهما في حدود سنة ١٦٧٠ إلى إتفاق

الانجليز بدخول
 الخليج

الهولنديون

كتاب تاريخ
 وادي فارس

حمل تحارة الحرر بيد الانجليز وغصصها من البر تعدل . ومن ذلك الحين بدأت أهمه يشك في ظهور حتى كادت تأخذ مكانة هرمر . ثم أخذ الانجليز يعدون العدة ليهاجموا معاقب التجارة البر تعالية ، فهاجموا القسم ثم أخذوا يستعدون لمهاجمة هرمر نفسها من أوائل سنة ١٦٧٢ ، وهاجمت البلاد حامية فارسية فاحتلتها . وأخذت تهاجم حصنها فامتنع عليها . وكان الهولنديون قد أقبلوا إيداك وأنشأوا لاهمهم مصمعا في هرمر ، وحملوا مركز أعمالهم في مسقط ، فأكادوا يحدون الانجليز والفرس يهاجمون البر تعاليين حتى سارعوا بدلون دلوهم ، فاشتركوا مع الخييميين في مهاجمة البر تعال واستمر أعمال حول هذا المعقل ربما طويلا خسر المتحاربون حسارة حمة بسبب ذلك .

فرس حمة لا ملة
على البصرة

يد أن روال سلطان البر تعاليين وعوده سلطان فارس على الخليج لم يكن حيرا للبصرة . إذ تطعب أنصار الشاه إلى هذا البلد الذي يؤثر في تجارة بندر عباس تأثيرا ظاهرا ، وكان إفراسياب إلى ذلك بإصادق البر تعاليين وبأوامرهم وبعين الطاعة لسلطان الاستدانة . فكان ذلك سببا كافيا يبرر إقضاء عليه في نظر لشه . ومن ثم أصدر هذا أوامره إلى والي شيراز بمحمة البصرة وإرغام أميرها على خلع طاعة الخبيثة والدخول في طاعة الشاه ، وأن يحمل الخطبة باسمه ويسك عملته برسمه ، فأبى إفراسياب أن يجيب شه إلى شيء من ذلك . ومن ثم أرسلت حمة لتأديبه فاستعجب إفراسياب ببر تعاليين فاجدوه بسفهم ، وهذا يمكن من أن يرد الفرس عن قتال بعد أن سقطت في يدهم شمشير ، وفي تلك الأثناء توفي إفراسياب الكبير وحلقه على لبصرة انه على دشا . فبدأ يستعد لمقاومة الهجوم الفارسي المنتظر . ويبدو أن طول عهد آل إفراسياب بحكم البلاد كان قد أنشأ بينهم وبين الأهابين صلة ووداء ، فأسرع أهل البصرة وأحايشها للجدة على باشا ومعد البر تعاليين يد العون . وتقدم على باشا بقواته إلى اموره وعسكر فيها . وجعل يترقب أعداءه ليعلمهم من العبود ،

ولكن الانتظار لم يطل به حتى فوجى. بأمر غريب وهو ار شداد الفرس على أعقابهم وانسحابهم من الميدان قبل أن تطلق رصاصه واحدة. وهذا تنفست البصرة وأميرها الصمداء. أن كتبت لها النجاة من هذه العروة التي تهددتها بكل أدى وقد كان لهذا الانتصار الحين أجمل الوقع عند الدولة العثمانية ورجالها. فقتلوا إلى مسج على باشا رتبة المشوية وحلج عنه السلطان الخلع في سنة ١٦٢٥ ، ومن ذلك الحين أحدثت البصرة طريقها إلى القوة والازدهار حتى أصبح بلاط أميرها يصارع بلاط الرشيد في سالف الأرماء (١) ولم تحل الأيام شاعر يتعنى هذا المر الوارف الطارىء. فأرسلت الشيخ عبد العلى الرحمة يرسل الشعر فيما يصير ويسمع. ويصيف إلى عقد الأدب العربى توضع حبات من الخرز الرخيص

الانجليز والمولديون
برنون القريه الذين

أما في الخليج فقد تقاسم المولديون والانجليز تراث البر تعالين، وشاطرهم في ذلك تجار عمان. ولم يشترك الفرس والترك معهم لأنهم لم يسهموا في تجارة البحر مصيب. وحاول البر تعالين أن يحصوا في مسقط عاصمة عمان، وأن يعدوا هناك عدة صالحة لاستعادة هرمز. ولكن الفرس عجزوا بالاستجداد بالانجليز للفضاء عليهم وإخراجهم من مسقط، ومن ثم تضعضعت قوتهم من جديد فسقط معقلهم صحرار في يد حامية عمالية حوالى سنة ١٦٤٣. وسدت مسقط نفسها بعد ذلك قليل، واستمر البر تعالين يقاومون بعد ذلك رما طويلا ولكن الفرس والانجليز والعمانيين لم يكفوا عن مهاجمتهم للقضاء عليهم، مما انتهى بهم إلى الانسحاب من خليج فارس تماما في ختام القرن السابع عشر.

شركة مد

وكان طبعياً أن يشدد ساعد شركة الهند في حذب فارس بعد انسحاب البر تعال، فأشأت مصفا في بدرعاس وفرعين له في شيراز

وأصعبان وسيطرت على تجارة الحرير ، وقاسمهما الهولنديون هذا
الربح ، وكانوا أهمر من البرتغاليين وأكس ، فسهل عليهم كسب ود
أشياء . وبعد حصولوا معه على امتيازات جديدة ، فأثار ذلك مخاوف
الإنجليز وحسد ، وبدأت العلاقات تفترق بينهما إن لم تنح وحة
عدائية ، واستمر نجم الهولنديين في صعود طوال القرن السابع عشر .
لهذه الأسباب كلها لم تنأثر البصرة بما حدث في بغداد أثناء ذلك ،
ولم يردحها الفرنسي كما دخلوا بغداد ولم تنأثر بتحديد قانون الامتيازات
لدى محبة السلطان سنة ١٦٦١ ، واستمرت تحكم أقاليمها سلطان طاهر ،
و صدر من متاخرها ، وتحدد من السياسات ما يكفل لها السلامة من أذى
الفرنسي أو البرتغاليين أو الإنجليز أو الهولنديين . وسكن طول الحكم أطر عاليا
« ش » فيما يظهر حال إلى شيء من العصف في معاملة رعاياه على هدايدل استجداد
من تجار البصرة يحكمونه فداد حوالى منتصف ذلك القرن ، وكانت أسرة
أمراسيات لا تستند إلى سد قوى من أعراب الأيالة ، وكان شيوخ القضاة
يرون فيها وليدة بطروف ، ويحسدونها لما أدركت من الثروة والسلطان ،
فجمعت نفوسهم تحذهم تحلع ص عنها ، ومن ثم اتجهت همه الناشوات
في بغداد إلى استردادها ، فوجه إليها موسى باشا حملة صغيرة حوالى
منتصف القرن السابع عشر ، ولكن المدينة استمرت مردهرة رعم
ذلك إلى أواخر ذلك القرن ، واعتشت أحوالها وسادها الرجاء ،
ووصفها الرحالة الفرنسي تافرنيه — الذى قدمها وصفه لبغداد —
بقوله « وقد وصف أمير البصرة أسانه بكثير من الشعوب العربية .
ولهذا نجد رجيا إلى أنتها ، وتسود المدينة الحرية ويشيع فيها نظام
يمكنك من السرى طول الليل في شوارعها دون أن يملك أذى ، ويأخذ
الهولنديون التواكل منها كل عام ، وكذلك يأخذ الإنجليز اعطيل وبعض
النهار ، وأما البرتغاليون فلا تجارة لهم هناك على الإطلاق . ويحصر
الهود إليها البخلج والقليقوط وشتى صوف الضائع ، وعلى الحملة في
المدينة تجار من كل حدب وصوب : من القسطنطينية وأزمير وحلب

البحر وسلاسل قله .
"سج عث"

البصرة كان لها تاريخية

ودمشق والقاهرة وسائر أنحاء تركيا. يملكونها ليشترى بها التجارة الواردة من الهند ، ومن هناك يحملونها على ظهور صغار الخمال إلى يشترىها من هناك أيضا — إذ يجلبها العرب إلى هناك لبيعوها — أما أولئك الذين يأتيون من ديار بكر والموصل وبعداد والجزيرة واشور فيسقلون متاجرهم في مياه دجلة ويكلفهم ذلك عناء ومقعة والصرائب في البصرة تلعب حوالى خمسة في المائة من قيمة البضاعة . ولكنك عابا ما تلقى من عطف الأمير أو رجال الخرك ما يفيضك من بعض الفقه فلا تدفع إلا نحو أربعة في المائة . وأمير البصرة من القدرة بحيث يربح في العام نحو ثلاثة الملايين من الحبيبات . وموارد دخله الهامة أربعة : المال والخيل والحمال والتمور ، ولكن معظم ثروته من هذه الأخيرة (١) .

يبدأ من هذه الخمال من الاستقلال لم تدم غير قليل . لأن أمراء بغداد ما كانوا يطبقوا السكوت على حروب البصرة من أيديهم مع ما هي عليه من انشراح واتساع الأخذ ووفرة الغنى . فبدأت يهرسهم تهوى إليها ، ولم يلبث الدراع أن دب من أميرها حسين باشا وإلى بغداد ، فاستطارت الحرب وطل أمدها حتى مل الحبان ، فدهامقا وصارت طال أمرها ، واستقر الرأي أخيرا على أن تنق حكومة البلاد في أمره فراسيات على أن لا يقوم بالامر حسين باشا فراسيات منه . وأن تصحح البلد خاضعة سميما للسلطان فيحطب باسمه على مديرها وتدفع الجزية له من حراتها . وتلك حار لا تدوم . فلا بد أن تصطدم مصالح الأسره الخاكمة بمصلحة السلطان الأعلى . أو لابد أن يحقق باشاوات بغداد تصادم ما من هذا النوع حتى يخلصوا من آل فراسيات حملة وقد وقع هذا بالفعل بعد ذلك بقليل ، ودخل حدود السلطان البلد بحجة أحد أقارب فراسيات المسمى بجي ، وهذا المسمى من الوجود استقلال البصرة وعادت ولاية حاملة ككل تواحي الدولة سواء بسواء في أواخر النصف الثاني من القرن السابع عشر ، ومن ذلك الحين انفتح بابها لمساكن الأتراك وعصف الولاية ومافسة اشاهات .

ولادة الخمال في بغداد
استعادة البصرة

الفضل على استقلال

حدث على تاريخ العراق عوامل جديدة خلال القرن الثامن عشر ، عوامل أحدث تخرج به عن هذا احوال وتكيف تاريخه تكييفاً جديداً يختلف اختلافاً يسيراً عما شهدناه خلال القرنين المنقضىين ، فلا زال الخلاف بين تركيا وفارس محورا من محاور تاريخ العراق ولكنه لم يعد الآن راعا حالصايين الشاهات والسلاطين ، وإنما دخلت فيه عناصر جديدة كالأفغان والروس ، ولم يعد الصفويون هم أصحاب الشأن في فارس وإنما حل محلهم حكام جدد بعضهم أفغان وبعضهم فرس افاشار . لأن فارس تضععت وهاجمها الأعداء من كل ناحية ، فلم يعد العراق وآله يحشون من حاجتها شراً ولا تأثيراً ، ولهذا أخذ الرعاء يسود شئون العراق وبدأت أحواله تتحسن من نواح شتى ، فلم يعد جهد حكامه منصرفاً إلى مناجرة الفرس وانقاء شرم ، وإنما أصبح في إمكانهم أن يبصروا لشئون ولايتهم وأن يفتنوا بها بعض العناية . كذلك بدأت الأحوال في خليج فارس حيا فامت البصرة طول الكفاح والصراع ، وأحدثت تسدرك بعض مافاتها في سنوات النزاع العنيف بين الترك والفرس والهولنديين والبرتغال والابجليز . وعلى الجملة اطمأنت أحوال العراق بعض الشيء خلال السنوات الأولى من القرن التاسع عشر . وافتتح باب الإصلاح والعمل الخبير البلاد .

حسن باشا مشي
حكومة وراثته
بالعراق

بيد أن شيئاً من ذلك الإصلاح لم يتم ، فلا امشاشوات التفتوا لإصلاح شئون ولايتهم . ولا أهل البلاد انتهروا الفرصة للأحمد يدقظهم ، وإنما شغل الأولون شغيت أقدامهم في البلاد حتى استطاع أحدهم - حسن باشا - أن يجعل مقلد البلاد في أسائه وأسرته بحيث لم تخرج الولاية عنهم من أوائل القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر أى من ولاية حسن باشا إلى ولاية داود باشا (١) إذ ظل

الحكم في أقرب حسن ثم انتقل إلى المقر بين من حدم الأسرة وانداعها ، وأما الآخرون - الأهلون - فقد أخذت قبائلهم تحترق وتصارع للاستقلال على أحسن المواقع في البلاد ، فدخل سولام في صراع طويل مع أمانة حورية المجاورة لهم ، وأخذت وجف وباباس يتنقلون بين فارس والعراق

لا يستقرون على أمر ، وروعت قبائل وسط الجزيرة عروات وعارات من إخوانهم في الصحراء ، وثار مقاتل الكبرى من أمثال شمر والمتفق وهدالم تسكن الأمور داخل العراق أو على حدوده السكون الذي يمكن من العمل لإصلاح راحته . فظل الإهمال يشمل مرافقه غير أن ملاحظ أن القبائل كانت في طريقها إلى الاستقرار في وادي البلاد : هذا الاستقرار الذي يمكنها من العناية بشئون الري والريادة ، فتورة المتفق إنما كانت في أساسها راعا على حق الريادة في جرائر الفرات ، مما يدل على أن هذه القبائل بدأت تحرص على الريادة وترى نفسها الحق في ملكية ما بيدها من أرض ، ولم تعد تعتبر نفسها غريبة لاعتلافها بالبلاد وأهلها .

وملاحظ كذلك أن عامل البلاد في هذه السنوات الأولى - حسن باشا -

كان رجلا على كثير من الاقتدار ، وأنه عمل كثيرا لما فيه خير البلاد ، فقد أعان القبائل على الاستقرار بحفر بعض البرع ، وحرص على أن لا يمس الشعور الديني لأحد من لسة أو الشيعة ، ولم يحاول كذلك أن يجرح على السلطان ، فطلت أمور العراق تسير في رعايته سيراً طبيعياً عاد على البلاد وأهلها بالخير .

غير أن هذا السكون لم يطن أمدته . إذ لم تلبث حوادث فارس أن ألقت على العراق طلائعاً ثقيلًا ، وأحدثت تستلقت اهتمام حكام العراق حتى شعلتهم عن شئون البلاد جملة ، ثم لم تلبث الحرب أن ثارت فعباد

الأمور سيرتها القديمة و غرق العراق في شؤون فارس وحروبها ، وهذا
 قطعت على العراق هذه الفرصة القصيرة من الهدوء والاستقرار .

في خلال العشرة الثالثة من القرن الثامن عشر قام في جبال
 أفعاسان اهانج المعروف بمحمود خان وهاجم فارس واستطاع أن يمزق
 جيوش الصفويين ويحكم البلاد ويشنت البيت الصفوي في كل ناحية ،
 وهذا راب من الوجود هذه الأسرة التي طلت تحكم فارس وما حولها
 ثلاثة قرون ونصف ، وأصبح داب فارس للعروات من كل ناحية
 فأحد جيرانها يقدمون في أرضها ويتقسموها . وبدأ الصراع بين
 الروس والآراك والافغان والفرس أنفسهم على ولايات شمال
 في جورجيا و دغستان ، وولايات اعرب المتاخمة للعراق ، واستولى
 الآراك على الولايات المجاورة للعراق مثل كرمان شاه و اردلان
 ولورستان و همدان ، وظهر جلياً أن الحرب واقعة بين الافغان
 والآراك . على هذه الولايات

هذه أفعاسان
 محمود خان

استمر الصراع بين القوى الافغانية والتركية على أرض فارس
 وماطويلاً ، استعمل الجانب فيه كل ماملكه من قوى الدعاية السياسية
 والدينية ، وأظهر فيه أشرف خان الافغان قدرته على في شؤون السياسة ،
 فجمع بين قرائن الإكراه التامعين للدولة دعاية واسعة النطاق ، قام
 بها بعد من اعلباء السنيين مما انتهى بحرب الجانب الأكبر منهم إلى
 جابه في ساعة الحرب ، وكانت نتيجة ذلك انتصاره على الآراك انتصاراً
 أعقبه انهو عن كل من وقع في يده من أسارهم ، مما مكن له من هوس
 أهل السنة في العراق نفسه . وانتهى الأمر بين الجانبين بمعاودة جعلت
 فارس قسمة بين الترك والافغان فأصبحت همدان وكرمان شاه
 و اردلان ولورستان حصه السلطان ، وأصبح أشرف خان أميراً على
 ما بقى من بلاد فارس على أن يحتص السلطان بالولاء

الحرب بين الافغان
 والآراك

نادر قزويني

يبد أن انفرس لم يطبقوا الاقامة على هذه الحال ، وبدأت نواحي فارس تنزع بالربعة في التخلص من رقبه الأجانب وطرده العاصيين من اشرق والعرب على السواء ، فلم يكن يقصى على تحالف الآراك والأفغان زمان طويل حتى أقبل من أقصى البلد رجل يسعى بالجد والجاه ، وتسامع اعاصيان بظهور نادر قزويني في حراسان ومسيره نحو الجنوب ليلقي أعداء بلاده . تقدم نادر بجموعه فشنت قوى الأفغان ، وأعاد سلطان الصفويين ، ثم اتجه إلى العرب ليستخلص الولايات التي بيد الأتراك ، فلم يرل يعادهم حتى تمكن آخر الأمر من ارجاعهم على الاسجاب ، فردوا كل ما كانوا عصبوه من أرض فارس وعادوا إلى الحدود التي كانت بينهم وبينها سنة ١٧٣١ .

العراق في عهد نادر

هذا الصراع العنيف بين الترك والأفغان يصور لنا حال العراق خلال سنوات القصة أي في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ويؤكد لنا أن مصالحه وشيئونه أهملت كل الاهتمام من جانب الولاة وقد كان يرحى أن تعود الأمور إلى بحارها في العراق بعد أن انتهى الصراع على أرض فارس وعادت اسبلاد إلى أصحابها ؛ ولكن صروف الأيام آتت على العراق ذلك . إذ أن هوص فارس من جديد وعودتها إلى القوة على يد نادر شاه كان معناه عودة البراع بين لفرس والترك على أرض العراق ، كما أن كتب على هذه السبلاد أن تكون قرابا مصحى على أي الحالات في هذه الأزمان . إذ أن السبلاد الهدوء والاطمئنان الذي يمكن أهلها من العناية بمراقب الادعم مادام نادر قزويني يصير الاصرار كله على أن تفتح له أبواب العراق يلجها كما شاء لريارة قور الاولياء ونص لحس في الجف وكر بلاه ، أنهم مضطرون أن يلقوا ماملسكوا من جهد ومان في الاستعداد للقاء هذا العرسي العيد ورده عن ولايتهم ، من أن حاكم السبلاد كان حقيقا أن يجتهد في العدة حتى يجاوز بها طاقه العراق فسه ليدفع العراة التي ويل ين نادرا كان يتأهب لاجتياح السبلاد

نادر بهد العراق

نادر يجرى العراق

فيها على رأس مائة ألف مقاتل - وماذا يبقى من الخير في هذا انقطر
المسكين بعد هذه العروات المتكررة وطول الاستعداد للحرب والقتال،
لا بد أن تنحط حاله الاقتصادية ويهدد الكثير من نواحيه وترداد
الاحوال فيه سوء : لقد استمر نادر يهدد البلاد بالعروا بحرب سوات،
طويلة ، وتقدم بالفعل وحاصر بغداد حصرا شديدا أصابها منه بلاء
بالغ ، ولث على الاسوار يجمع أهلها ويسخر منهم بارسال الطيح
اليهم وهم في عميرات الجهد والعطش حتى كادت البلد تسقط في يده ،
لو لا أن كنت لها سلامة على يدي القائد البركي المعروف بعثمان
طبل أي - الأعرح - بعد صراع طويل مع نادر ، تحمله ما يكون عادة بين
المتحاربين المسلمين من تناكر فكك وتعاث مضحك يطرب له الفاده
في حين يموت الجند وأهل البلاد ، وانصرف نادر عن العراق آخر الأمر
بعد معركة حامية دامت تسع ساعات سويا ابل فيها الاسكشاريون
بلاء طبا ، انصرف عن بغداد ليحل صيفا ثقيلا على مدائن اشمال
كتفليس واربعاء وججاء وما اليها ، وليهزم الأتراك فيها هزيمة
ساحقة يموت فيها قائدهم عبد الله كرتلي

حصار بغداد

وهكذا غرق العراق كله - شماله وجنوبه - في الحروب والمعاركات
والاضطرابات زما ما طويلا ، ولم يحسم الصراع الا في السابع عشر من أكتوبر
سنة ١٧٣٦ بمعاهدة حلت فيها مشا كل العقيدة واعادت كلاما من الجانبين إلى
حدوده الأولى بعد ثلاثة عشر عاما من الحرب والصراع ، فسد فيها كل شيء في
العراق وشمل الاضطراب القبائل فأخذت تنقل بسرعة من ناحية
لأخرى . وعاشت في شبه استقلال لا يكاد الوالي يجد مقسعا من
الوقت ليردها إلى الطاعة . وكانت تلك الحروب والفتاقل فرصة
طية للقوى الأوروبية ، فاحدث مصالحها وأعمالها تنمو في البصرة
نموا حطرا والباشا في شغلها بحرب الأفعان تارة والفرس تارة
أخرى . فأخذت اقدام شركة الهند الشرقية تثبت في أرض البصرة

معاهدة سنة
١٧٣٦ بين الفرس
والأتراك

الأوروبيون يتهودون
فرصة الحرب

وزدّد عمالها في واحة البلاد. وأصبح مصنعهم في البصرة مؤسسة دائمة على رغم، ما كان رجالها يقاسون من رداة الجو ومساءات الحكام، فهي هذه السنوات يذكر تاريخ الشركة نسبة عالية من الوفيات من موطئها في العراق؛ ولكنه يؤكد كذلك أن قدم الشركة ثقت نتيجة لذلك الصبر والجلد، وأحد عمالها يتدخلون في شؤون البلاد السياسية وباصرون فريقا على فريق كما حدث في سنوات ١٧٢٧ و ١٧٢٨، وكذلك انتعش مصنع أهو نديين انتعاشهم من الاستمرار إلى سنة ١٧٥٢.

وكان طبعاً أن تؤدي هذه الحالة إلى تمكك وحدة البلاد وانفصال أجزائها. وقد كان الساعون لذلك هم من دوى الناس في الأقاليم واسواحي وطائفة من رؤساء القبائل، وقد رأينا كيف استفحل آل أفراسياب بالبصرة، وبقي أن يعرف أن هذه الفترة شهدت ظهور أسرة الجليلي في الموصل وسدادها بأمره وتمككها من الاستقلال به بحهود مدتها خمس (١٧٣٠) . الذي استطاع أن يورث ولايته أساه، ومضى أفراد الأسرة يتوارثون ولايته الموصل حتى منتصف القرن التاسع عشر. كذلك انقطعت الصلة بين بغداد وولاية مانان في الشمال الشرقي. إذ استطاع والياها القويان حانة باشا وكر باشا أن يستقلا شئونها ويقطعا الأسباب التي كانت تصلها بالحكومة المركزية

وفي أواخر هذا القرن بدأ سلطان المعاليك يطهر في العراق؛ وتاريخهم في هذا لقطر وسعوم إلى القوة والسلطان فيه شديد أشبه بسيلهم إلى القوة واطهور في مصر. فقد بدأ أمرهم في العراق حذوا وحرصاً وعمال في القصر؛ كان يؤثرون صغاراً من نعليس وجور حيا؛ ويربون في البلاط أو المعسكرات بعباية طاهره، ثم توكل إليهم بعض وطائف

من ظهور المماليك
بمصر

القصر والحكومة ، ومن ثم يأخذون طريقهم إلى الوطائف السكري
 بفضل ما كان لهم من اقتدار ومواهب وما كانوا يدون من الاخلاص
 لسادتهم وحسن الاستعداد للعمل ، وعلى مر الأيام كثر عددهم ، ولم
 يقتصر استخدامهم على الشا نفسه بل أقبل عليهم كبار العيال والحكام
 حتى صارت بغداد تضم منهم عدداً عظيماً ، وأحد الباشوات والحكام
 يشقون فيهم ويعهدون إليهم بالوطائف المهمة في بيوتهم ونواحي الادارة ،
 بل كان بعضهم يروح مملوكه ابنه ، وبذلك أصبحوا ساعد الولاة
 الأمن في إدارة البلاد وحكمها ، وتطلعت نفوسهم إلى الاستئثار بالسلطة
 كلما راد مركز الولاة ضعفاً ومن هنا يسهل علينا تصور السيل التي
 وصل بها هؤلاء الكرخ (أو الحركس أو كولة من كما كانوا
 يسمون بالتركة) إلى منصب الولاية نفسه ، في أواخر أيام أحمد باشا
 بدأ أحد هؤلاء المليك يظهر ويبدى تفوقاً ملحوظاً في شئون الحكم
 والادارة ، فتولى منصب المكبة الذي يلي الشا نفسه ، واشتد على
 البدو والخارجين على السلطان حتى أحبه الناس ووصفوا فيه ثقتهم ،
 ولما اشتد ساعده روجه أحمد باشا اسمه عدله هانم ، ومن ثم خطا
 إلى منصب الولاية بعد موت أحمد باشا حوالي سنة ١٧٤٥ ، وعلى
 الرغم من أن السلطان لم يقر هذا التعيين — وسارع بهل سليمان إلى
 ولاية أصفه بعد قليل — طرأ أهل البلاد ومن فيها من حد الأثر إلى
 يظنون انه بطرهم إلى الرجل الوحيد الذي كان يستطيع أن يقر
 العدل والأمن بينهم ، فدوا يتورون محاسنهم الحديد ويشعرون
 عليه حتى وجد نفسه مضطراً آخر الأمر إلى التسليم سليمان باشا الذي
 عاد من اصفه ودخل بغداد دحلولاً طر دون إذن السلطان ، ولم يثبت
 السلطان أن أمر تعيينه وأصبح أول حكام العراق من المماليك

مجاهد باشا أول
 عمالته سكري

أظهر سليمان باشا حزمًا وقدرًا ، وأبقى وقته كله في شئون ولايته
 وأكثر من انعسك بالليل في وواجهها حتى أطلق عليه لقب «أبو ليل» ،

أبو ليل

واستقامت شئون البلاد في ولايته حتى أساءت إلى الحكومة التركية في العراق في أوجها على أيامه ، فقد كان رجلاً ماهراً قوياً مهراً للمعرض حبيراً بشؤون البلاد (١) ، واستمر بحكم البلاد ويصرف شؤنها باقتدار مدى اثني عشر عاماً ، وكان لزوجته عدله هاشم من السلطان شيء عظيم ، وقد كانت تتدخل في شئون الإدارة وتكيد للحكام وتأتي من الأمور ما تريد بحراً طاهرة أنارت عجب الناس في بغداد وغيرها ، وكانت لها طرائف لا تحصى من غرابة كتكويها حياة منظمة من تبعاتها والباسم شارات معينة من الحرير وكان الرجل من المهارة بحيث لم يثر أعماله هذه السخط والحقد في الفسطاطية ، فكان يصرف الأمر على حسن الظن والولاء من الباب الثاني ، بل قد استحق تقدير السلطان في أحرى أيامه أي سنة ١٧٥٢ . إذ أرسلت إليه جامعة سببه من العراق ، هذا على الرغم من أنه لم يكن يرسل إلى مركز الخلافة مالا ، إذ أنه كان " من الادعاء بأن حملاته ونهقاته صهي على مانهله ولايته .

عديله هاشم

لا يترك من
المركب المالك في
العراق

وفي حكومة أبي ليلى إرداد استخدام الكرخ الممالك في وظائف الحكومة بغداد ، وانجمت العناية إلى تعليمهم واعدادهم لسكران الوظائف والأعمال . أشأاً مالياً حياة من قديم الكرخ درس تدريجاً مستظلاً على شئون الحرب والإدارة ، فكانوا يعملون انفة والكتانه وركوب الخيل والسباحة ، ومن ثم يرفعون إلى مرتبة الحر يكمل إلى أن يؤهلهم لمناصب قيادة فرق الحدة ، وهذا استطاع أبو ليلى أن يشعر بالآ كراح كل وظائف الحش والإدارة . مما شغل نشاطه الأثرى والعداديين أنفسهم ، وبدأ انجاسد وانعدام يشتد بين الحامدين ، لأن أبو ليلى قصر كبريات المناصب على هؤلاء الممالك ، وهذه الهيئة الجديدة استطاع الرجل أن يخصص البلاد كلها من جراته البحرين إلى ولايات الشمال ، وترك البلاد عند موته في الرابع عشر من مايو سنة ١٧٦٢ على حال طيبة من الهدوء

والوحد والرحام . بل أن حبرائه من لغز من كانوا يحشونه ويرهبون
جاءه ويتفكرون اليه بالهدايا الطيبة محافة أن يهيم بهم أو يسير جماعته نحوهم
يبدأ الدولة ما كانت لتطبق هذه الحال من الاستقلال الذي

يتمتع به المماليك في حكم العراق ، لأن رجالها كانوا يتحرفون
الحكام الأقوياء وإن أقاموا على الطاعة وأحسوا في ولاياتهم ،
لا يشعرون لهم الاحتداد ولا الاقتدار ولا يدل المبال ، لأن أفرادهم
بالأمر يعد حرمة وحده . ثم إن حكم المماليك في العراق لم يكن
خيرا حاصلا ، لأنه حرم الدولة مما كان يرسل إليها من أمواله ،
وحرم أهل البلاد والأثراك كذلك من الوظائف وجعل الحكومة وقفا
على هذه الطائفة لغرضه التي كانت تستند على أساس بالأيام يوما فيوم .
هذا إلى أن حكام العراق من المماليك أسفوا جهدهم كله في الحروب
والعارات ، ولم تكن كل صرباتهم توجه إلى أجانب أو غارة وإنما إلى
فنائين من أهل البلاد ، في حكم أني ليلي وعمر باشا فاستقائل المستعق
والأكراذو له بالويلات شتى من حروبهم و حملاتهم وإذا بقي من اهتمام
المماليك شئ ، بعد ذلك فقد انصرف في ماورات لأفائدة للبلاد منها
بين أني ليلي وبماليكة أو بين حلفائه وروحه عديله هاهم ، فجمعت نواحي
البلاد تتحرك بالنسحق عليهم وتوجه الرجاء إلى القسطنطينية
للقضاء عليهم . لأن استمرارهم في الحكم كان معناه ادلال طوائف
البلاد وكلها والاستئثار بحبرها ، فكان هذا دافعا لرجال الدولة إلى
التعجيل بالعمل للقضاء عليهم .

الدولة العلية توجس
حرمة من يفتون إلى ذلك

وإذا كان الأثراك قد شغلوا عن شؤون العراق أيام أني ليلي لما
حز بهم من حرب الروس أو اسمويزر . فقد فرغوا من هذه المشاغل بعد
معاهدة كنتشك كيارجى سنة ١٧٧٤ وأصبح في استطاعتهم أن
يشرعوا في العمل للقضاء على استقلال المماليك في العراق ، فعجلوا

الأثراك يبدون العمل
للقضاء على المماليك

مصطفى بك

تسبب رحلة الى العراق يقودها مصطفى باشا الى المرتبة ووالى شهر رور
وسليمان الجليلي صاحب الموصل لينتقم من ابي ليلي لما نزل به من
الادى على يديه ، وصحبهم كذلك عند الله باشا الطويل والى ديار
نكر ، وكان معهم امر نقل عمر باشا الى ديار بكر واحلال مصطفى باشا
محله ، واما احدوا معهم هذه الغزوات كلها لانهم توقعوا الا يمتثل
عمر لأمر السلطان فاستعدوا اليه حدوده وقوه ، اذا عدل الى العسيران ،
والعرب **أب** الحار ما ب يدوى عصية ، لأنه جعل الاملثال
للأمر وخرج من المدينة في طريقه الى ديار بكر مروداً بما استطاع
حمله من الأموال ، ولكن مصطفى باشا لم يرعه هذا التسليم الهين
لدى لا يكسه خراً ولاداً ، فهاجم معسكر عمر على عهده واضطره
الى الاسراع بالهرب ، وهو لا يرى ان يفت في هذا العدوان الضيق ،
وبو أن الله جاء أرونته من نفسه فوقه من على حصانه فدوت عقه
ومات ومن عاب الأمر أن مصطفى باشا لم يكن يدجن بعداد حتى
شرب عما أتى من أجله ، واضطرب الى لار ، فامسح في هذه الأسماع
الى بان أولو الأمر في القسصصيه ينظرون فيها نتيجة مسماه بشوق
شديد ، فلم تنكد منهم لاشهم أحار عته ، تصيبه حتى عجلوا بعزله
وتولية عدى باشا والى كونه شتو ، و قد قدم هو بعداد ، ولم
يكديقارم حتى مرأه مصطفى باشا مسرعا حيث اتى حقه على يد
احل سلطان في ديار بكر ، ودهش ان اسبابه حو كاسترأسه في طريقها
الى القسطلية وقد حارب عدى باشا أن يستخلص الأمور من
فقاء المايك فلم يستطع ، إذ **ب** أحد هؤلاء **ب** عند الله باشا —
فما استطاع في سموت الاضطراب أن يجمع زعم السلطة من يديه ،
بما اضطرب السلطان الى تعيينه في ولاية العراق ، وهذا أرغم
السلطان مرة أخرى على اقرار المايك في حكومة هذه البلاد ، ولكن

عدي باشا

رجالهم لم يكفوا بعد ذلك عن الكيد لولاة العراق اشقى الأساليب بما
أغرق البلاد كلها في الحروب والمعاركات. وصرف جهدها في مآورات
لاخير وراءها ولا عناء فيها ، فسأت أحوالها وجعلت تخطو بحو
القرن التاسع عشر في حال من السوء والاضطراب والتفرق لم تعهد
عليها في أحلك أيام المعوصى في المصور الوسطى .

استقلال العراق
عن الدولة

هذا ، ولم يكن حال العراق بدسايين ولايات الدولة إذاك ، ففي
هذا الحين كانت معارعات الدروز والموارنة في شام على أشدها ، ولم
يكن للدولة أى سلطان على حال لسان وجوران ، ونواحي السلفان
وكانت سلطتها قد اعدمت أو كادت في الأيروس وولاشيا وملايا
وكانت بذور الثورة قد أحدثت تنمو وتشتد في الجبل الأسود
وكذلك كان الحال مع ملك مصر وأسرة الحار في عكا والوهابين
في بلاد العرب ، أى أن العراق كان كغيره من ولايات الدولة -
في شبه استقلال عنها . بصرف أموره بالسكة الجركس على ما هو
ويريدون . وقد كانت هذه الحال ملائمة كل الملائمة لنمو المصالح
الأجنبية في العراق فاشد ساعد وكالة شركه الهند واتسعت تجارتها
في الصوف والمعادن ، ونحو ذلك وكالة انجلترا في البصرة إلى فصلية
رسمية ، وأحد تجار البطيون يحطون رحالهم ويستولون على أسواق
البلاد . وقد كان ضعف الحكومة المركزية ، وحروبها عن طاعة
السلطان مؤديا إلى تفرق النواحي عنها وحل محل الصاعدة فعلا ، فتحدث رجال
الأقاليم وشيوخ قبائل بالثورة عليها . وكان هذا حافرا للأوروبيين على
التدخل في نواحي البلاد ومكسبا لهم من شعوبها تحرية . فمن ذلك الحين
بدأت السياسات الأوروبية تلتمت نحو العراق وتحاول الاستعادة من
ظروفه ، ورميت في ذلك الحين فكره سيطره الانجليز عليه ، لأن هريه
العظيمين كانا يكوّنان طريقا مائيا صالحا للهند عن سبيل البحر الأبيض
والشام ، وإنما يصح هذا الممرض لأن الأسطول الانجليزى كان قد بدأ

يتبين أهمية عكا في ذلك الحين ، وكانت العلاقات بين الانجليز والجزار
أخذت في الصعود في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر .

هدى معاليك العراق

يبد أن لا ينبغي أن نعمط بمالك العراق حقهم ، فلس من العدل
في شيء أن نقرهم إلى معاليك مصر مثلاً ، لأنهم — أي معاليك العراق —
كانوا على كثير من الحق الطيب وحسن التصرف والقدرة على سياسة
الأمور والاحلاص في الالتزامات إلى شعور الحكم ، فعلى الرغم من
أن كل الظروف كانت مؤاتية هؤلاء المعاليك للحروج عن طاعة
الدولة صراحة ، فقد ظل الكثيرون منهم على الطاعة ولم يقطعوا
الخطوة أو يطردوا عمال باشا إلا في مناسبات قليلة جداً . ولم يجمع
باشوات المعاليك طاعة السلطان في وقت من الأوقات ، بل استمرت
طاعة السلطان معترفا بها في ولاياتهم في الخطبة والسكة والمراسلات
الدائمة والهدايا القليلة والأتاوة غير المنتظمة ، في هذه الأشياء كان إعلان
الطاعة تاماً ، وكذلك كان هذا الولاء يظهر فيما كان يحدث من مسير جند
السلطان جنباً إلى جنب مع حرس الباشا الكرسي : وفي هذه الناحية
لا يقل باشوات المعاليك احلاصاً عن أي حاكم آخر من الذين احصعوا
البلاد للاستانة (١) كذلك اجتهد هؤلاء الباشوات في حماية البلاد من
الفرس والوهابيين ، واقدروا على الدفاع عنها من هذين العدوين ،
ولولا جهد باشوات المعاليك لضاعفت البلاد بينهما وكان معاليك العراق
يبدأ واحدة ينظمون الأمور فيما بينهم ، ولم يكونوا يتصارعون أو يكيد
بعضهم لبعض السكيد الذي أحد الأمور على معاليك مصر ، واستطاعوا
أن يسوسوا الأمور بحكمة أرغمت السلطان على احترامهم والتسليم
لهم ، حتى لقد كان السلطان لا يطر للعراق في أيام ولاية المعاليك من
أمثال سليمان الكبير أو داود باشا إلا على أنه جار محترم لا ولاية
خاصة ، وكذلك كان أهل الاستانة أنفسهم يظرون (٢) . ولم يكن

(1) Longrigg, Op Cit P. 199

(2) Ibid P 100

هؤلاء المماليك بمحمد بن ولا مشعلين بالقرور كما كان الحال مع
مماليك مصر ، وإنما استجد أنهم كانوا يحولون أن يمشوا في عصرهم
كلما استبدوا من قوة العرب وصلاحيه أساليب جديدة ، فلم
يحمدوا جمود مماليك مصر . ولم ينفوا من الحضارة الأوروبية موقف
العدو الجاهل الذي يعادها لأنه لا يفهمها ولا يقبل عليها لأنه يخاف
بمجرد تخيلها . وكلما تقدمت بهم الأيام ازدادت قدرتهم على الحكم
وارداد ملط بهم على اللاد . ومن ههنا كانت همتهم أرحم في عهد آخر
اثنين منهم وهم سايون الكبر ودود باشا المدان حكما العراق سجاح

عليه رفاة

من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ،
وقبيل عهد حكمهما وقفة مصر لمسه في أحوال العراق في شيء من
الدية وتفصيل خلال هذه السواب الخسوف إلى اشتد لصراع بينهما بين
الشرق والغرب .

كان سديان ملوكا نمازا ، يشهد بذلك مدعوه من المسلمين
والأوروبيين على السواء فشدها في ردحور أنه كان مودحا طبيعياً
للدن البركي . وكان في نظامه مدعى كثيرة من تعقل والاساية
وكان ممدوا في كل فنون الحرب والآلات حتى الصراع بحرفه ،
وكان محصداً وداحية في مديسه شؤون ديه وعقيدته ، وكان رجلاً
بالقدر الذي يسمح به لتركى أن يكونه مع قوم تعتبرهم آية من آيات
ديه كعلماء ، وكان ديفعاً مقصداً في نفقه حتى أنه رمى بالحل ،
ولكنه لم يكن يتأخر — عند ما يرى لده في خطر — عن أن يخرج
شيئاً فشيئاً بما كان دحمه وعدده ، وإن بلاطه فاحر أو فصر دشديد الشبه
نقصور ككار الحكام ، وقد لقي في أول أيامه عوباً وعطفاً من الانجليز

سليمان بوري

فلا زال يذكر ذلك إلى أواخر أيامه» (١) ويصفه الإيطالي سستيني بأنه كان رجلاً حميلاً ، ذا طبيعة مرحة صريحة . وهو شجاع جداً (٢) ويؤكد أوليفيه الفرنسي أنه « كان مهتماً بمراعاة الطبقات المنكودة . وكان يسمع كبار صاقله من أن يرتكبوا المظالم ، ولم يكن ليدبح أعمال الاستبداد ، ولم يسمح للعرب بأن يروعوا الملاحة في النهرين ، وعاون التجارة وحماها بما ملكت يمينه ، وكسب تقدير رجال الحرب بما كان له من شجاعة ، وقد حبه إلى الناس ما أداع في عداد من الأمن وما أسقط في ربوعها من الظمأنينة بما ألحح الألسن بالدعاء لحكومتها (٣) وهكذا استطاع هذا الرجل انقادر أن يقر الأمور في جيب العدل والرحاء مدى ثلاثين سنة في العراق وقد أعانه على ذلك أن الممالك استطاعوا أن يحوزوا الولاية والباشوية معا ، فلم يكن بينهم وبين الدولة عدا . في الظاهر على الأقل . كما كانت الحال مع ممالك مصر الذين شغلهم زراع ولاية الدولة عن كل خير ، ودفعهم إلى الأذى والاستبداد دفعا ، وكان سيئا . آخر الأمر . في القضاء عليهم قل أن يضاف أمدادهم في العراق نحو أربعين سنة .

على رغم هذه القدرة كلها كان سليمان لا يكاد يقدر على ضبط
 محاولات العرب
 الأمور إلا بالجهد والصب . فقد كانت سعايات الفرس لا تكف تثير عليه ولايات المشرق وتبعث عليه الفتنة في شتى الواحي ، وكانت مناورات الوهابيين تقلق البلاد وتروعها ولا تكاد تترك للرجل فرصة الهدوء والسلام ، وكانت مساومات الأحكام الماضية ثقيلة الوطأة على

(١) Harford Jones من Brydges

A Brief History of the Wahauby P P. 190-1a

Sestini, voyage de Constantinople à Bassora en (٢)
 1781 P. 163

G. A. Olivier, Voyage dans l'Empire Ottoman (٣)
 l'Egypte et la Perse IV P P. 350-2

الولاية مما عاقه عن التهنؤن بها إلى الحد الذي كان يستطيع ، ولم تكن البلاد مهدمة من أثر الاضطرابات والامراض المماضية كذلك كان أهل العراق ينظرون في شيء من الحسد لهذه الحكومة التي استبدت بالامر كله من دونهم ولم تكذب تدع لهم منه شيء ، ولو لم يكن سليمان قد اشتد في الرقابة عليهم لاستطاعوا أن يخلصوا منه ومن أتباعه ولعل الضعف لم يباقي سليمان إلا من ناحية عوره الدائم لجند محصين ، فقد كان جند الجركس آخذين في العلة مع الأيام ، وكان الدشاش مضطرا إلى الاعتماد على الانكشارية . فكان على دوام الخوف والحذر منهم ، واشتد سليمان كذلك مع قبائل العرب مما اضطرت قبائل عُبَيْد وشمر إلى الاذعان بالطاعة له ، وملا نفوس رجاله منه حفيظة وصغنا ، ولم يقصر الولي في مصالحة ارسال الجند إلى وسط العراق لرد الخرابيل إلى الطاعة حتى تمكن من ذلك بعد جهد جهيد . وزاد الامر عليه حرجا هجوم الوهابيين الذي روعه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الثامن عشر . أي أن الرجز قصى أيامه في الحرب وما يتصل بها ، ما بين حرب العاشين من أهل ابلاد وكهاسح الممتدين من حبر انباء الشرق والعرب .

الوهابيون

بدأ الوهابيون غاراتهم الشديدة على غرب العراق قبيل سنة ١٧٩٠م أي أن العراق كان وحشهم الأول بعد أن استقر لهم الامر في نجد وشرعوا في الامتداد الخارجى ونشر دعوتهم خارج نطاق الجزيرة ، فتلقت قبائل العرب العراقية في المستنق وطامر وغيرهما هجوم الوهابيين الأول ، وما هو إلا قليل حتى أخذ يتسرب إلى مدائن العراق وعواصمه دعاء وهايون بخطبون على المنابر لنشر دعوتهم واجتذاب الناس إلى مذهبهم ، ولم يكن هؤلاء الدعاة ليقصروا في انتقاد الخليفة وولاته ورجالاه الدينيين ، فلقبت دعوتهم القبول من الكثيرين في قلب العراق نفسه ، وانها ل على سراياهم الغازية سبل المتطوعين ما بين مقتنع بأراء الوهابية ،

ومنهز فرصة الانضمام الى جيوشها للامور العقيمة والاسلاب ، ومن هنا
 نهر أهل العراق المستقرون — سنة وشيعة — من هذا العزو المجاني
 ولم يرجوا به . استمرت نواحي العراق العربية تغاسي من حملات الوهابيين
 المروعة دون أن تحف قوات الوالي لردّها أو تحايصها من شرها ، وزاد
 الأمر خطورة أن الوهابيين جعلوا برصدون قوافل الحج ويهاجمونها
 في غير رحمة أو هوادة ، وعشاً حاول شريف مكة أن يلتفت السلطان
 إلى الخطر ، فلم يرد هذا الأخير على أن استحث واليه في بغداد على
 المروض للجزيرة للقضاء عليهم ، وكما تقدمت لنون كلما اشتد هجوم
 الوهابيين ، واضرارهم على أدى من يقع تحت يدهم من أهل البلاد ،
 وأخيرهم سليمان باشا . بعد أن أعينه الخيلة في الوهابيين — وأخذ
 يستعد لإرسال حملة قوية لهر الأمور في العرب ، وسارت الحملة
 المنتظرة في حدود سنة ١٨٠٠ . فلم يعم بأمر ولم تلق قتالا ذا خطر بل
 اتفق الجانبان على أن يؤمن الحج وتحلى الحسا

عزل الوهابيين من العراق

تخريب كربلاء

يبد أن الأمور عادت إلى ما كانت عليه ، إذ قامت جيوش
 الوهابيين في ربيع سنة ١٨٠١ بأخطار ما قامت به نحو العراق من غزوات ،
 فهاجمت كربلاء . مركز الشيعة ونبيها بها دربعاً د في مساء ٢٠ أبريل
 انتشر بين أهل كربلاء الخوف من اقتراب قوات الوهابيين من المدينة ،
 وكان معظم أهلها ينجون إلى النجف إذ ذاك ، فتسارع من
 بقى منهم إلى أبواب المدينة يطلبون الفرار . وكانت عدد الوهابيين نحو
 ستة آلاف راكب وأرسماته فارس ، ورجلوا على مقربة من المدينة
 وصرخوا حياتهم ، فظاهاها وقسموا قوام إلى فرق ثلاثة ، واجتمعوا في
 خان قريب ، ثم أخذوا يهاجمون البلد من أقرب أبوابها إليهم ،
 واستطاعوا أن يتعدوا إلى داخلها فأخذ ، أهلها — الذين ملكهم العرب —
 يتفرقون في كل ناحية دون أن يقودهم أحد — واتجه المطهرون (أي

الوهايون) الأشداء إلى الاضحية نفسها، وبدءوا عملهم عند هجر الحسين ،
فزعوا قصاصه وأكسيته ومراياه الكرى ، ثم أخذوا ينزعون — في
ضعف بالغ — كل ما وجدوا في المسكن من هدايا الشوات والأمراء
وملوك فارس : من الخواطر والسقوف الموشاة بالذهب وحوامل
المصابيح وعالي الطاقص والمعلقات وقوالب النحاس والأبواب المرصعة
بالجوهر النعيس ، وقتلوا في حرم القصر معه حوالى الحسين شخصاً
وخمسة آخرين في صحن الصريح ، ومضى المهاجرون يقتلون في شوارع
البلدة بغير حساب ، واستباحوا حرمة الدور ، ولم يبقوا حدثاً أو امرأة
من الأذى الشديد أو الأسر المحزون بحيث بلغ عدد الموتي على تقدير
البعض نحو الألف والخمسة آلاف على تقدير البعض الآخر (١)

آثار سليمان باشا

وكان هذا آخر ما حدث في عهد سليمان باشا ، إذ كانت قدمه
تقارب القبر في صيف سنة ١٨٠٢ ، وكان آخر ما فعله أن سمى سعيماً
حينئذ لكي يسلم الأمور من بعده لأحد أنساعه - أحمد باشا - وكان
من المماليك أيضاً ، وقد نهى آخرون على أحمد ذلك الاختيار وبدأ
صراع على الولاية في آخر أيام سليمان ، شهد طلائع وجفاهم طائر رويداً
رويداً ليحجبا عن عينيهِ نور الحياة في أغسطس سنة ١٨٠٢ ؛ وهكذا
أغمض الرجل عينيهِ على مثل ما فتحهما عليه قبل ذلك بثمانين سنة مليحة
بالحرب والنشاط والعمل الصالح ؛ إذ يذكر له المؤرخون إلى جانب
حروبه بامدرسة في مدينة السليمانية وإنشاء فروع لها وإصلاح مساجد
القبائبة وقاضل الخلفاء ، وتعيينه المدرسين فيها كلها ، وقد كسابة مسجد
أنى حنيفة بالذهب وانتى سوقاً وغنائاً بسر آجيين وبى دالى عباس
وشارمان ورسم أسوار مندالى والحلة والبصرة وأعاد تأسيس دار
الصناعة في كوت والبصرة وجصان وأصلح جسر نارين وحصن الزبير
وماردين واسكى بالموصل وانتى منازل للناس في الاسكندرية وكربلا.

وسمى في حفر قناة الحديدية التي تسقى الجيف ، وغير ذلك من الأعمال التي أفادت البلاد وبقى أثرها فيها زماناً طويلاً

حرف أهل البلاد
من الوهابيين

استمر خطر الوهابيين مائلاً يهدد أهل العراق ويدرم كل عام بالغزو الشديد ، فأخذ أهل البلاد يتحصنون منهم ويتخذون الأسوار والحاميات لردهم حتى استطاعوا أن يأمنوا شرهم بعد جهد ، وعلى رغم هذا فقد أقاموا على الخوف منهم ، حتى لقد روى سائح فرنسي أن الناس لا يتحدثون في بغداد إلا عن الوهابيين (١) مما يدل على انتشار الرعب من جانبهم وحاجة أهل العراق في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر إلى من يؤمنهم في البلاد ، وكانوا على الحق فيما تخوفوا إذ كان الزمان زمان مازعات لا هابة لها بين الفرس والمماليك مما أضاع على البلاد كل ما كسبته من الخير في لحطات الأمان في حكم سليمان بوريق (الكبير) وراد الأمر بلاء عودة الخطر العارسي إلى الظهور حوالي سنة ١٨٠٦ واضطرار الباشوات إلى الالتفاف نحو الغرب من جديد مما استفد جهدهم وصرهم عن خطر الوهابيين ، إذ اضطر أحمد باشا إلى المسير إلى كرمات شاء للقاء الفرس الذين كانوا يتأهبون للوثوب . ولو قد وجدت البلاد إذ ذاك حاكماً قديراً لها لم الحظ ولا حس الناس بعض الأمان ، ولكن أمورها وقعت حوالي سنة ١٨١٤ إلى صبي صميم سيطرت عليه أمه ومستشاروها . وهم الدفتردار داود أفندي وصديق لاقية له ومضحك (٢) فأخذت الأحوال تسوء والاضطراب يعم والخطر يرداد اقتراباً وشدة ، إذ أخذ المقربون إلى أم ذلك الصبي يجتهدون في الوصول إلى مسدد الولاية في بغداد

(1) Longrigg, Op. Cit P. 302

(2) Ibid. P. 234

حتى تمكن الدفتر دار داوود امدى من ذلك بعد تنازعات طويلة بينه وبين
العرس وأولى الشأن في القسطنطينية ومافيه الذي لا عددهم ولا حصر
في العراق نفسه

دور

لانزاع في أن داود باشا بعد أعظم من حكم العراق من المماليك — بل
هو أعظم حكماءه على الإطلاق إلى ما قبل أيام مدحت باشا — وهو كرجي
من أهل تغليس دخل بغداد حوالي سنة ١٧٨٠ ودخل خدمة سليمان
باش فاحبه وقرنه به فارال يتفان في خدمته حتى وصل في أواخر أيامه
إلى منصب الدفتر دار — أي صاحب خراج البلاد — واشترك في المعركة
التي دارت بعد وفاة سليمان على الولاية حتى فاز بها على ماروباشا.
ولم يمتز حكمه بقدرة ظاهرة ولا بسبوع يستلقت النظر ولكنه أقر
الأمم في البلاد واستطاع أن يخلص بها من كثير مما كان قد ألم بها في
في سنوات الاضطراب الماضية، وهو الذي أشرف على أمورها في
السنوات الحاسمة المليئة بالاحداث والظهورات التي مرت بها خلال
التصنيف الأول من القرن التاسع عشر؛ هي أيامه بدأت مطامع الانجليز
والروس تظهر في العراق، فكان عليه أن يعسد تدبيرهم ليخلص بيلاده
من شاكهم

مطامع الروس
في العراق

وكانت أنظار الروس قد بدأت تنحى نحو العراق لما رأوا من توفيق
الانجليز فيه واستحوادهم على أسواقه وتهيئتهم السبيل لاستعماله طريقا
للهند، فقدموا — لاليه وزوا من حير العراق — بل ليكيديوا للانجليز
فيه فبدؤا بتشجيع رجال الحكومة المتنافسين للوصول إلى الولاية
واتراءها من ذلك الصبي، فكان ذلك التنازع والحاسد والسكيد
من جملة ما أصاب البلاد من نكبات وهي تتغلى فوق بيران القلق
والرعب من الغزو الخارجي والنهب الذريع، واشتدت سعيات
العرس بين ولاية الأقاليم في العراق فكان من نتائجها خروج

والى أرضروم على داود والاصحاب لهارس ومعاونة عباس
مررا على غرو أفليم السابان في شمال غرب العراق ، وهي
مساورة كادت تنتهي بوقوع العراق كله في يد الفرس ، إذ
استطاعوا أن يتقدموا حتى بلغوا حجب على مسيرة يوم واحد
من بغداد ، ولولا أن سئم الفرس أنفسهم استمرار الحصار وطلبوا
الصلح لوقعت بغداد في يدهم ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبحت منطقة
السيامية شبه خاضعة لهم وأعطيت لابع من اتباعهم

بلاطون

استقرت الأمور بعد ذلك لداود وهذأت. فأخذت البلاد تنتعش ويعود
لهم أرخاؤها ، وكان الرجل على كثير من المواهب والافتداز ، وكان
بلاطون زاهر أيضا رخ بلاط الخليفة نفسه. يقوم عن خدمته حدم من الجركس
في أجمل الخيل والثياب ، ويحضر مجلسه العلماء وصعوة رجال الدين
فيناقشهم في أمور العقيدة مافئة تنتهي بهم إلى الافساع رأيه في كثير
من الأحيان ، وكان ولاية العراق التابعون له في الصرة وكر كوك
وماردين يرهبونه ويخافونه ، وكذلك كان موطفوه واتباعه يسوسون
الأمور بأمانة حوافه . وكان السكية (مصب يعادل رئيس الوزراء)
والمحاسون (يشبهون المستشارين ومن بينهم باب العرب مثل القبائل
العربية) وأعضاء الديوان وافتداز وأمين سر المجلس ورئيس
الوصفاء وكبار المديرين ورؤساء المصالح وكبر الأغرات يقومون
على خدمته الشخصية : كل موكل بعمل خاص على مثل ما كان كبار
الملوك يعملون ، إذ كان الاشراف يقومون على خدمة ملوكهم
ويتنافسون في الحصول على شرف حمل الدواء أو المروحة أو تقديم
الماء أو المعاونة على اللباس . فكان رجال الحكومة وسروات العراق
يتقاسمون خدمة أميرهم داود ويتنافسون في ذلك ، فكان منهم
حارس الثياب وعامل القهوة ومقدم الخوى والمشرف على ركوب

الأمير وصاحب النسط وحارس ماء الاعتسال وعامل ماء الشرب وحامل الشوبك وحامل الراية وغير هؤلاء من أصحاب الوظائف التي لا توجد إلا في قصور العواهل والخصفاء. هذا وكان للرجل حرس جر كمى كبير ارداد قوة ونظاما بعباية سليمان وداود ، وقد جلب له هذا الأخير المعلمين الأوروبيين فأصبح حياة حرية لها حظرها. وكذلك كانت للباشا قوة عظيمة من الاسكشارية والطحية واللاورد من أهل البلاد. بحيث لا يحظى. إذا فلما إن داوداً كان يحيا حياة قريبة جدا من حياة الخليفة نفسه.

نظم الضرائب

وكانت أموال الباشا تجمع من أنحاء البلاد على يد محصلين يرسلون من قبله إلى مخاف الواحى: بعضهم يلتزم ضرائب ناحيته وبعضهم بجمع لحساب الباشا، وكانت الضرائب مقدرة على التواخى جملة وعلى بعض الموارد فرادى فكان الأهليون يدفعون مالا إذا سقوا زرعهم أو عبروا جسراً أو مروا بمضاعة أو زلوا سوقاً أو أكتروا مراكباً، مما كان يرهق الناس ويثقل عليهم في أحيان كثيرة، فكانوا يتوجهون بالشكوى إلى حكومة الاستانة نفسها للاعتصام بها من أذى الجباة الذين كانوا لا يحملون إلى خزانة بغداد كل ما يجمعون إلا في النادر .

ويدو أن الرجل لم يكن يفهم مهمة الحاكم على الوجه الذى كان ينبغى أن تفهم عاياه في عصره. في أوائل القرن التاسع عشر - فقد انقضت الأيام التي كان قصارى جهد الحاكم منصباً فيها إلى الشاينة والصائمه ومناقشة العلماء والتندر مع الدماء وإسحاق الوقت بين المجان والجوارى ، تاركاً أمور الناس إلى الخدم والاتباع والمنزمين ، ولم يعد الحاكم ليشكر على هبات اللجين وعشق العبيد ، كما يقولون ، وإنما كانت الأيام تتطلب من الرجل - على أقل تقدير - لوياً آخر من الحكم ، يُمكن البلاد من أن تظن الى ما كان يحاك حولها من كيد

جود داود

في أول ايامه

و يدير من بجانب الروس والاممير والقوى الأوروبية الأخرى على وجه العموم

المطامع الأوروبية
في العراق

كانت الآعين الأوروبية قد أحدثت نركم نحو العراق وتصح غاياتها فيه منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فلدينا مذكرات ثلاثين سائحاً زاروا البلاد في ذلك الحين ، وهؤلاء ليسوا إلا جزءاً يسيراً من زاروا العراق في هذه الأيام مقايين من أوروبا والمهند ، فمن سنة ١٨٠٠ كان يمر من الرهسان الكرمليين الفرنسيين قد حطوا في بغداد ، ونزلوا كدلك رجل إلى يوراني ، وأقام بعض تجار البادية في الموصل وحملوا يستعملون صراطاً من شركة الهند في مرورهم بالبلاد من ناحية إلى ناحية . وكان فرسانات ر لاسقطع لهم سربين القسطنطينية وبغداد يحملون تقارير المفصل و أشاء نفسه ، وكان يريد شركة الهند يعضى بانتظم من بغداد إلى حلب عن طريق الصحراء . وكان ملاجر الهند يحملون إلى الصرة الأفضله الحربية والمحميلات من فرنسا والأفضله الاسطورية . ومعدن أديب ، مصانمها ورجاح فيا وبوغيما والسكر من أمريكا ، (١) ودخط رجال الدين الفرنسيون والايديا لون ، وأحدوا بقا ، لود بعض أعمال اسبانية في تهم بلادهم . كما قام راهب فرنسي بأعمال الفصليّة ، وانه . وهكذا أخذت المصالح الأوروبية تشتد في العراق ، لايعرفها إلا بعض العدوان عليها من لدواؤ من أهل البلاد بين الحين والحين وكانت فقد نسيب الكعبة الراحقة من حسن طل أباشا ، فأولاهم أمته كما أولاهم إيها كل حكمام الشر في تلك الأيام ، فكان منهم مدرسو جيشه وأطوّه .

شركة الهند الغربية

أما شركة الهند فقد أهدت من هذه الظروف كلها ، وعماوت

الممالك على الاستقلال بتقديم السلاح لهم ، لأن هذا الاستقلال يمكن
لها من تثبيت أقدامها في البلاد وتصريف متاجرها في نواحيها ، واستعمال
أسلحتها للو احر من غير أن تنقئ اعتراضا من الآثار ابل أخذ القنصل
الانجليزى توسط الحكام لدى الباب العالى إذا وقع بين أحدهم وبين
الدولة جفاء ، مما جعل للقنصل مركزا معتبرا ، وكذلك كان قنصل البصرة
يؤدى خدمات سياسية ذات خطر لحكامها : فربما توسط لاقرار الأمور
بين واليه وبين حاكم مسقط أو الكويت أو غيرهما من صغار أمراء المسلمين
الخاصة بين لاشراف الانجليز البحري ، وهكذا أحدث قدم الانجليز
ثمت في البلاد وسطا لهم يقوى فتحوات وكالة الشركة في بغداد إلى
مركز ثابت يقيم فيه مدوب دائم ، ثم تحولت الوظيفة بعد ذلك إلى
فصلية دائمة سنة ١٨٠٢ ومن هنا بدأ العراق وحكامه يحسون خطر
الانجليز ، وأثر قرب العراق من الهند ، وكان فواصل الانجليز
وسفرائهم إلى لاط المعجم يملون بغداد بأبهة ظاهرة تثير الخوف
في نفوس العراقيين ، ورااد الأمر خطراً أن قنصلى لبصرة وبغداد
لم يكن عابدا مجردا لاقامة ، بل أصبح لهما حرم كبير من أهل البلاد
ومن الهند ، وبهذا أصبح جانب « الأتشي » الانجليزى مهانا يحترمه
الباشا ويقيم له قدره ، وكان استقلال داود عن حكومة القسطنطينية
بمعد الانجليز والعراق تمكننا للانجليز من الانفراد بحكومة العراق وزيادة سلطانهم فيها ، وهى
السنوات التى اشتبك فيها الانجليز مع الأتراك فى الحرب فى أوروبا
من سنة ١٨٠٧ إلى ١٨٠٩ كانت العلاقة كأصعب ما تكون بين الباشا فى
بغداد والانجليز فى الهند ، كان عامل العراق امير مستقل له سياسة مختلفة عن
سياسة الدولة المركزية ، ولم يفتن داود إلى مطامع الانجليز فى بلاده ولا
إلى ما كانوا يبتوونه نحوها ، فهو أتمهم ويثق فيهم ولا يكاد يرجس من
جانبهم خيفة ولا شراً

وحوالى سنة ١٧٠٨ تولى وكالة الانجليز في العراق كلود ريتش
 جيمس ريتش Claudius James Ritch وكان على حارب عظيم من
 المهارة والافتدار، فجعل يعمل على تقوية لهو الانجليز في العراق حتى
 وفق الى أن يجعل دار القنصلية مركز السياسة في العراق ، فكان
 يتوافد إليها كبار القوم وسرورات البلاد، ويجتمعون فيها لدراسة أحوالها
 أو للتشاور فيما بينهم من الشؤون، وأهذا أصبحت بغداد مركزاً للسياسة
 الانجليزية في العراق وبلاد العرب وكل البلاد التركية الآسيوية وأحدث
 تحمل محل الصرة . ومضى ريتش يقوى العود الانجليزى حتى أوجس
 داود ومن معه خيفة من مرأيه، وبدوا يتحدثون بالشكوى منه ويتساملون
 عما يريد بالعراق بعد هذه الجهود كلها ، ومن هنا أحدثت العلاقة تتوتر
 بين داود وريتش يوماً فيوماً حتى أصبحت عداً مكشوفة ، فسارع الباشا
 سنة ١٨٣٠ بالغاء كل الامتيازات الاجنبية في العراق وبغداد ،
 وأعقب ذلك بمضاعفة الضرائب على المتاجر الانجليزية وتهديد
 القنصلية بمسها وعمالها بالأذى ، وهكذا أحدثت الأمور تنحرج بين
 الانجليز والباشا حتى صمم ريتش على أن ينقل القنصلية من بغداد إلى
 عملى مؤقتاً ، ففزع الباشا من ذلك وحاول القبض عليه ، وبلغ العدا
 بين الجانبين مبلغاً جعل ريتش يستعذ بخدمة من الهو ولمقاومة كل اعتداء ،
 وأحاط دار القنصلية بالحد والهجاة ، واستمر الحرج قائماً زماناً طويلاً
 وريتش شه سجين في دار القنصلية في بغداد، حتى تدخلت حكومة الهند
 وسفير الآستانة في الأمر فاحلى سيله سنة ١٨٢١ ، ولم تلت علائق
 الود ان عادت بين الباشا والقنصل

لماذا كان الانجليز يذلون هذا الجهد كله لتثبيت أقدامهم في العراق ؟
 واضح جداً أنهم لم يصبوا إلى ذلك من أرباح التجارة فيه ما يبرر هذا
 السعى الخفى . وواضح كذلك أن أحوال البلاد لم تكن تسبب عن

أسبابها
 بالعراق

ورخاء مقل يساوى جهد اندخل في شوقها وتكاليف حماة قصصياتها
 بالجدد والانواع او يد همت الكاشفين والباحثين الانجليز الذين كانوا
 يتوافدون الى العراق ورافات ووحدات في هذه الأيام وقومون بالبحث
 مهنية او علمية تكلف الحكومة أو اشركات أو الهيئات العلمية الانجليزية
 جهدا كثيرا وأموالا جسيمة . فلم يبق إلا أن الانجليز كانوا يشتمون
 بأمر اوراق لانه طريق ميسور إلى الهند ، إذ تستطيع السفن الكبرى
 أن تفل من الهند وسط العرب ، وتستطيع السفن الصغرى أن تغفل
 المأخر إلى أعين دحجها ، ومن ثم تمنع المأخر على الحل إلى حلب
 ومن حلب إلى البحر الأبيض . إلا عكس ذلك ، هكذا رسم الانجليز طريقا
 جديدا إلى الهند ، أتوا وادخلوا الجهد من ذلك ، حين الاستيلاء عليه
 وتأمينه . ولهذا شرعوا يبحثون بعوهم الاستكشاف والرسمة لدراسة
 مبدئية له . وقد مدى صلاحيتهم ، بالبحر والملاحة البحرية .
 ورجع هذا الاهتمام بالعراق إلى زمان الهند لمسة على مصر ، إذ أقبل
 انهم سون طريق اشتم والهم اق فاعطى الانجليز إلى استعمال طريق
 الشام والهم اق ، وظل هذا طريقهم إلى الهند القس طوال إقامة الفرنسيين
 بمصر . ثم انصر فواعه حيث بعد حرج امرهم من هذا بلد ولستهم
 عادوا إلى الاهتمام به حين هزم محمد علي وأشرف على طريق
 مصر ، أحديست له الحسد ويرقب الانجليز فيه ، ففي خلال عشرة
 اش شه من القرن التاسع عشر بدأ الانجليز أن همصة مصر خطر على
 طريق الهند ، وفيه ارايحوا بون همصتها من ناحية وبحثون لأنفسهم
 من طريق جديد من ناحية أخرى ، ولهذا نشطوا نشاطا بالغا في
 حرب محمد علي على ماسق بيانه ، ثم أخذوا يملون بعوهم الاستكشاف
 بقيادة الكولونيل كسني Chesney وأرمر في Ormsby ، ايوت
 Elliot وبلوس لينش Blos Lynch وعسيرهم من المعامرين

الاستعمار بين الدين وعرفو العلاقة بين الهند والعراق فخطوا اليه
يغامرون بجهودهم وأرواحهم يحاولون كشف طرقه وأمواله
وسر غورها .

سكوت الهند توجه
نظر الانجليز الى العراق

حركة الاستكشاف

كسي

وكانت حكومات الهند هي صاحبة فكرة طريق العراق وصاحبة
الفصل الاول فيما تدل الانجليز من جهد في ذلك الصدد ، وأعانتها
شركة الهند بمالها وضابطها وسفنها . فقصي الانجليز في ذلك جهد
متصل وعزم يمتد على الاعجاب . وكان أول دعاة هذا الطريق
وأكثر الانجليز اهتماما به هو الكولونيل فرانسيس ر . كسبي الذي
تشجع في العمل حين مد له اللورد بليستون يد وحين ثارت في البرلمان
الانجليزى ثورة تحدد طريق العراق وتدعو اليه . به كسبي عمله بأن
قدم نفسه لخدمة الامبراطورية في استكشاف طرق العراق بدون
مقابل ، وذلك لأنه وجد شركة الهند والحكومة الانجليزية تحتلهان
في تعيين من يتحمل نفقات الاستكشاف ، وشرع الرجل في بعثته
الاستكشافية مع حسين من صغار الضباط بحماس بالغ في أواخر
سنة ١٨٢٦ وحصل على تصريح بالعمل في وادي دجلة والفرات . بواسطة
اللورد سسني الذي كان لاجمده له جهد في هذه الأيام للقضاء على
محمد علي - ومن هنا شرع محمد علي هو الآخر يكيد لمكسي وبعثته
ويضع العراقيين في سبيله ، وكان للبحثة سعيدان بحار بنان إحداهما ودجلة
Tigris والآخرى الفرات Euphrates فمضتا في العمل حتى عرقت
إحداهما أثر عاصفة رملية في حوض الفرات ومضت البعثة في
عمائها فلم تسلم كذلك من كيد الفرنسيين ، إذ كان الرحالة الفرنسي
فوتانييه إذ ذاك يحوس حلال مراق ويحجب أهله من مطاعم الانجليز
ومساعيمهم (١) مما جعل مهمة البعثة صعبة لا يكاد يبدو من وراءها فلاح

(١) وكان الفرنسيون أيضا يحاولون الجهد لتثبيت دعائمهم في العراق وغيره من البلاد الاسلاميه

مما انتهى بالرحل وعشه إلى العودة إلى اجنرا في حال أشبه ماتكون
بالخسة الكاملة سنة ١٨٣٧

الانجليز ينادون
المالك

وقد كان الانجليز يرصرون عن ممالك العراق طالما كان هؤلاء
لهم معوانا على ما يظنون في البلاد من وفرة السلطان وتأمين لسييل ،
فاما وقد بدا لهم أن لا أمان هؤلاء الممالك ، وأن يقادهم في البلاد حقيق
أن يوجد لهم الصعوبات ، فقد بدأوا يتعيرون عليهم و يرون ان
نجاح مشاريعهم يقضى القصاء على داود وحزبه ، ومن ثم بدأوا
يقفلون عليهم و يلتصقون لسلطانهم السلطان عليهم و يخرج العاق
من أيديهم ، وقد زاد الانجليز اصرارا على هذا الرأي حين وجدوا
أن قيام الممالك في العراق لا يسهل لهم الكشف ولا تمكن لهم من
القيام باحتباراتهم الخاصة بطريق الهد

استعمار الممالك

وكان ممالك العراق أنفسهم في طريق الضعف والاضلال ،
لأن ورود الجركم الصغار كان قد انقطع أوكاد من مواردهم
الأصلية في جورجيا ، وكانت الدولة قد نشطت إذ ذلك في
القضاء على الاسكشارية ، فقل عددهم في الجيش العراقي فلة
أضعفت جانه ، وهذا حرم المالك من القوتين اللتين كانوا

ومن هذا كان راعهم مع الانجليز في هذه التواحي بدأ ان انهم عليهم هؤلاء في الهد لا تصدر الحاسم
المروءة أنظر

Victor Fontanier (1) Voyages en Orient, Entrepris
par ordre du gouvernement Français de l'année 1829
(2 vols, Paris, 1829)

(2) Voyage dans l'Inde et le Golfe Persique,
par l'Egypte et la Mer Rouge (2 parts en 3 vols,
(Paris 1844—1846)

يعتمدون عليها. وذلك في اللحظة التي ظهر جلياً أنهم - أي الماليك - مقدمون فيها على صراع أحير مع الدولة نفسها . وكان الماليك إلى ذلك يعيشون في غير عصرهم ولا يكادون يدلون جهلاً في التمشي مع الأيام فيما تمشي أهلها إليه ، فقد كان داود وأتباعه على جهن تام بشؤون العالم الخارجي لا يعلمون عنه إلا ما ينقلهم به بعض السائحين ، رجال السلك السياسي . وكان معطاهم لا يعرف مكان العراق على الخريطة ولا موضعه من الدولة المركزية ، فكيف يعيش هؤلاء بين دونه كما قد اتروا في ذلك الحين إلى رسم كل شبر في أرض العراق وقدس كل ذراع من مباد النهرين وتقدر كل ملية يمكن أن يسبح من الشجر فيه . نعم لم يبد داود وأتباعه حموداً نحو الإصلاح والتقدم ، ولذكهم كما لا يهمهم عصرهم حق فهمه ولا يبذلون الجهد اللازم لهم ذلك العصر والتشي مع أسائه ، فقد جلب داود والمندرين العربيين الحشنة والأطباء الأبحر الجنده . ولكن ذلك كان للبظهر لا للثعبيقة ، أي لاقاع الاوروبيين والسلطان . أنه يسمى للتقدم ، ولو قد ترك له الخيار لارتد مسرعاً ؛ وحالاً مثل هذه لابد لها أن تروى ، خصوصاً وقد بدأ سلاطين آل عثمان جهادهم للإصلاح ، وأرادوا أن يطبقوا إصلاحاً ، على نواحي الدولة كلها ومنها العراق

لهذا أرسل السلطان في أواخر صيف سنة ١٨٢٦ أوامر مشددة للقضاء على الانكشارية بالقضاء على الانكشاريين في العراق على نفس الأسلوب الذي قصي عليهم به في تركيا ، فوهب الباشا حبال ذلك الأمر في حيرة كبرى ، لأن هؤلاء الانكشاريين كانوا مخلصين له على أن حالهم ينعونه في شؤون الحرب ولا يكاد يجد عنهم عوضاً إذا هو أحير عليهم دفعة واحدة . ومن هنا خطرت له فكرة عرييه تدل دلالة واضحة على مدى فحمة للإصلاح والأساليب الحديثة ، فاستقدم فرق جيشه من مراكرها على

القضاء على الانكشارية
في العراق

أسوار بغداد إلى قصره ، وأوقف فرقين منها بالمدافع في مكان مرتفع مشرف على الساحة إلى اصطاف الاكشاريون فيها والمدافع مصلة عليهم . ثم قرى المرسوم الملكي بصوت مرتفع ، وثاقوه باستعراب وتكديب ، ثم نهض الشا ، والدموع في عييه - حسرة على مصير الاكشارية سند الاسلام القديم الحصن - وأمر بأن ينضموا جميعهم إلى الفرق الجديدة التي ستحل محلهم ، وهنا - ومن غير عنف أو ضجيج ، ومن غير تغيير القائد - قلب كل حدى من جنود النقابات قلبه إلى لباس رأس من الطراز الحديث ، وبجس اسمه في العرق النظامية (الجديدة) ثم سمع الخيخ طنقات الفرح تجرجل من المدافع التي كانت قد وضعت امرض آخر - إذا استدعى الأمر وهكذا تم الإصلاح وتم الانقلاب الحديث ! تعبير في المظهر وتحابل على الحقيقة ومرار مضحك منها ، هكذا هم داود الأمر واطمأن إلى أنه نهد أوامر السلطان . حين غير اسم الاكشارية إلى النظامية واستبدل اطلق بلباس رأس جديد ، إن هذا وحده ليدل أصدق الدلالة على عقليه داود وأصحابه وهمهم لمساائل عصرهم وإذرا كهم لمراعى سلطانهم محمود الثاني . ثم أعقب داود ذلك بأمر مظهرى آخر ، فاستدعى الميوديفو Deveaux امرئى لتدريب الجيش امرئى تدريباً حديثاً ، واستشار المقيم الانجليزى المساحور تايلور في أمور شتى ، وطلب كذلك طبيباً انجليزياً من عملى لعلاج وعلاج جنده . واشترى سلاحاً جديداً لأنف من الجند ، وطلب ثلاث سفن كبرى ومقادر عظيمة من الدخائر ، فأنى الانجليز عليه ذلك حذراً من أن يشتد به ساعده . ويبدو أن داودا هم بعد زمن معنى الإصلاح وفائدته وأحسن خطر الحرد الذى

داود إميل
عل الإصلاح

كان يصبر عليه فبدأ يتجه وجهة جديدة ، ومصادق هذا ما ذكره السائح
 الانجليزى المستر A. N. Groves من ان كل شئ في بغداد يتحو نحو
 التأثير بأوروبا ، وهذه الرغبة في اتحاد الاساليب والاصلاحات
 الاوروبية لا تقتصر على الناحية الحربية بل تداول نواح أخرى أكثر أهمية ،
 فلما شا رغبة في أن يدخل الملاحظة الحاربية في هذين الهربين الجليلين وفي
 الحقيقة في أحسن أن الله بقدر هذا الشعب تعبيرات عظمى (١) ، ونشط داود
 في الأمر نشاطاً يدعو إلى الإعجاب ، فبدل مهمة بعيدة في افتتاح المصانع
 وجلب الآلات من حيف ، واستقدم بستانياً من اليونان ، وأخذ
 يتحدث عن طريق الهدى ويتساءل عن مرامي المستكشفين من ضباط
 الانجليز ، وأخذ الرجل يبنى بأنه صائر إلى القوة والتحضر جنماً ،
 لأنه إذا كان يهتم للطهر وحده اليوم ولا يصل فكره إلى اعماق معاني
 الاصلاح ، فلا بد أن يعرف ذلك غداً ، لأن مصعاه من الفرنسيين
 واليونان لم يقصروا في بسط كل شئ أمام باطريه بسطاً واضحاً جلياً
 وذلك ما كان الاسطير يحادرون أن يكون .. فهذا داود يوشك
 أن يشتد ساعده ويقف أنواره في وجه المصالح الأوروبية ، وهم في أشد
 الحاجة إلى اضعاف العراق حتى يحلوا لهم الخوف فيه ، وحتى تصح سكة
 الهدى عن طريقه آمنة لا رقيب عليهم فيها ، ومن ثم بدأت مخاوفهم من
 داود تنشأ وتقوى ، وشاركهم الأثر في هذا القلق — ورعا أعابوا
 عليه — ومن هنا أخذت الدولة سطر لاستقلال العراق نظر الخائف
 غير المطمئن ، وبدأت تفكر في القضاء عليه ، حتى استقر عزمها على
 الشروع فيه ، وندب لذلك صادق اوسدى — أحد رجالها السياسيين
 للذهاب إلى العراق وعلان داود ناشاً بالخلع .

مخوف الاعمال
 من داود

(1) Rev. A. N. Groves, Journal of a residence in Baghdad

وصل صادق أمدى حدود العراق وحطا في أرضه فكأنما حطت معه الررايا والولايات من كل جانب ، فقد كان مقدمه نديرا للعراق وأهله مسوات عجاف ، من المرض والمجاعة والحرب الأهلية والفيضانات لم يسبق لها مثيل الا في مصر العاطمية أيام حليفتها المستنصر المسكود ، ذلك ان داود لم يكن يعرف ما انطوى عليه صادق من خلعه وحل حدوده ، حتى ثارت ثائرتة ودبر مع اتباعه الخلاص من أمره ، فتم لهم ذلك وحقوه ولما يتم في تعداد أياما عشرة ، واحطرت أسطعمول بانه مات بالكلول ، فلم تخرج الخيلة على رجال الدولة ويبتوا الدواد في انفسهم أشد الحزاء ، واسكنهم لم يستطيعوا فعل شئ في الحال ، لاشتغالهم بالمرامع مع صاحب مصر محمد علي يداك ، وكذلك ان حال الدولة ان يهضوا الملافة داود - حذرا من قوته وحوما من بطشه ، ففضوا يشترطون على السلطان ما يقولون من ثمن للقيام بهذه المهمة ، حتى رست و المناقصة ، أحر الامر على الحاج محمد علي رضا باشا الذي من ان يقوم بالامر لقاء ستة آلاف كيس

ول علي رضا حانا في مستهل سنة ١٨٣١ . وهناك أقام وأرسل احد رسله — قسم أمدى — الى داود بأمره بالتسليم طواعية ، كماما خاف ان يعضى اليه بنفسه . ثم تحرك من حلب على من لم يكن يعضى غير قليل حتى ترامت اليه ألباء روعته وأوقفته في مكانه ، ذلك أن طاعونا حادا كان يطرق أبواب العراق اذ ذاك . ويتسلل الى بلدانه من الشمال مسافقا الجندي شدة وعنف لم يسمع بها احد قبل ذلك ، فلم يكن يحل أمريل من العام حتى كان الوباء . قد نزل بعداد ، وأحد بعتال أهلها ويتفاقم بينهم بدرجة بعثت الرعب في النفوس ، فكان يموت منه في الأيام الاولى مائة وخمسون في اليوم ، ثم اشتدت وطأة الوباء في الأيام الاخيرة من الشهر حتى مات في نصفه الثاوي سبعة آلاف ، وصاعف المرض

المشروع في القضاء
على المماليك

على ريف

تكنت العراق

١٠ - ١١

فونه بعد قليل حتى ارتفع عدد الوفيات في اليوم الواحد إلى خمسة آلاف ، وهما جيم على دار السلام سكون الموت وشملت هاربة الرعب وانماها فزع شامل ، ومضى الناس لاعم لهم إلا بحير موانهم للدهس وتجهيز أنفسهم للمرض ، ووقفت الأعمال فلم يبق سقاء ولا عامل في متجر ولا في طريق ، حتى لقد طلب داود قارباً فلم يجدوياً يقوده ، ونصت الشوارع ، لا طفال الدين شردهم الوباء وأتى على آلهم فأصبحوا لا يجدون مأوى ولا طعاماً ، وبعد قليل كف الناس عن دفن الموتي فأصبحت جثثهم ملقاة في الطرق تعيث فيها الكلاب بمرأى من البقية لابقية من السكان الذين ابتك المرض قواهم ؛ ومضت الحال على ذلك حياً ، ثم أقفلت الدر تدر أهل العراق بشر جديد ، كان الولايات لم يكفها عدو مهاجم ووباء متعاقب ، فأقلت مياه دجلة تراحم ١ إلى ١

فقد شهدت العشرة الأخيرة من أبريل سنة ١٨٣١ مياه دجلة ترتفع كأنما ضاقت صدره بالأم قومه ، فغاص منه الماء واندهج فأغرق بغداد وطغى في شوارعها وحصر أهلها حصراً شديداً ، كما أقفل عونا للمرضى عليهم ، وأخذت أسوار المدينة تنهار أمام الماء ، وتداعى بديان القلعة ثم اندفعت الأمواه في المدينة تكتسح المساكن بالآلاف ، وتحمّل معها جثث المرضى الذين أمسكهم المرض عن الفرار ، وتهدمت أسوار درائب المناشا فخرجت حيلة بالمئات شارده ، وهضت تصرب في الشوارع وقد روعها الأمر والماء يجرها إلى بطونها ، واهارت دعائم محازن القمح فاهتجت على أبوابها وهكذا أشرفت الولايات في ختام أبريل سنة ١٨٣١ على مدينة الرشيد وهي تعاني سكرات الموت ، وقد أكل الوباء أهلها وأكل الماء بياها ولم يبق فيها إلا وحشة الخراب وسكون الياب ، واستحال ما فيها إلى تراب يعطيه عاب ؛

٢ الفص

تبق له المصائب شيئاً يستحق عناء مقاومة على رضا ، فليدخل قاسم
المدينة من أى ناحية أراد ، فما هو بواجب مقاومة ولا صيراً ولا يحمل
الضاعة كلها ان وجد أنها تستحق عناء حملها ، ولكن آل داود وأصحابه
لم يستطيعوا أن يسلبوا أنفسهم بعد أن بدأ لهم ما بدا من
شدة قاسم وجده ومن معه من اعراب شمر وعجيل ، فمضوا إلى قاسم
وحاصروه حصاراً شديداً حتى سلم لهم ؛ ثم لم يكد الماء بحسر
قليلاً حتى اندلعت النيران في قصر داود بحدة لا تجد من يحمدها ومضى لهيما
بعضى المدينة المطمورة ، وتعكس أضواؤها المفرعة في مياه الفيضان فتزبد
الامر هو لا ؛ وهكذا احترق قصر داود العظيم ، وأنت البيران على ما فيه
من طرائف وعوالى ، وجند قاسم يعيشون في البلد فسادا كأن الامر
لا يمينهم إقرار الناس بهم وهموا للدفاع عن داود ، ووصل على رضا
بجيشه في هذه الاثناء ، فهم أهل بعداد وجند داود يردونه عن البلد
ويمكنونه على أسوارها ، وهكذا قام الناس يكلون مافات الوباء أن
يصنعه ، وابتدأ صراع عنيف بين الجانبين ، صراع طال مداه عشرة
أسابيع حتى بنست حكومة الاستانة من توفيق على رضا فبعثت إليه
تستقدمه وتصرفه عن بعداد ، ووجد الرجل أن الارتداد عن المدينة
محال ، لأن جده لا يرضون على الالتفاف حوله إلا على أمل العيمة
في بعداد ، فأقام على الحصار ، ووجد داود كذلك أن الفناء على هذه الحال
لا يطاق ، وكان مد حين مر بعضاً يستعرب به الداء فلا يملك من الامر شيئاً
فصمم آخر الامر على التسليم ، فوصاً وصلى الصبح ومضى يده الاعضاء
إلى القلعة وطرق أبوابها وطلب أن يسلم نفسه ، فلم تفتح له الابواب
فمضى إلى دار قرية فدخلها ، ولث حتى جاءه الجند في اليوم التالي يلقون
القبض عليه ، وأحد : مجلس رضا حيث سادل الرحلان التحايا

وشرها القهوة موياء، ومضى المنادون يعلون الأمان في شوارع البلدة التي لم تبق تكبات الذهب منها إلا حطاما .

موت داود

وارسل داود بعد ذلك إلى أوروبا، فدخل القسطنطينية وهو لا يدري لنفسه مصيرا، ثم بقي بعد ذلك إلى روسة مع أسرته حيث بقي نحو عام. وأرادت المقادير أن تكتب في حياته الرجل صفحة جديدة، فاستبقاه رجال الدولة على أمل الاستفاده منه في الآرامات العvisية التي أحاطت بالدولة إذ ذاك، وتعاين الرجل من مرضه المميت وأقبل على العمل من جديد فأقيم واليا للروسنة، ثم عين رئيسا لمجلس الدولة في الاستانة، ثم نقل حوالي سنة ١٨٣٩ إلى ولاية أنقرة ثم إلى روسة، ثم كان ختام حياته جديرا بمكانته ومناصبه، إدرى عه السلطان عبد المجيد وقدره، فأقامه حارس الحرمين الشريفين بالمدينة المنورة وهناك قضى الرجل السنوات الثلاثة الباقية من عمره الطويل إلى جانب الحرم الشريف يستمرص هذه الحياة الطويلة الحافلة بالاحداث والمجد والويلات، حتى وافاه أجله سنة ١٨٥١

١٨٥١ للماليد
في العراق

وكان موت داود إيذانا بنهاية عماليك العراق؛ كانت قيامتهم قد هارت إلى احد اتباع داود وهو صالح بك، فلم يكفد المقام يستقر على رصا في العراق حتى دعا الماليك إلى داره التي بزل فيها، وهناك حصرهم حصرا عنيفا وأطلق عليهم جنوده الألياء، فاشتدوا عليهم حتى أمروهم عن آخرهم - حتى صالح بك نفسه ألقى من على حصانه ودبر سنائك الخيل - ووزعت في الناس أوامر السلطان بالقضاء على الماليك في كل مكان، فتسببهم الناس حتى لم يعد لهم أثر، وهذا تم القضاء على هذه لعنة التي كان وجودها آخر مانق من دلائل العصور الوسطى في العراق،

مدمحة الماليد

ورأت بغداد مارأته القاهرة والاستانة قبل ذلك سنوات

■ ■ ■

هكذا جرت الامور في العراق على نحو يحالف ما جرت عليه في غيره من بلاد الاسلام في ذلك الحين ، فقد رأينا كل أجزاء الدولة العثمانية في مطلع القرن التاسع عشر خاضعة لسلطان الدولة ، ووجدناها في منتصفه خارحة على ذلك السلطان وقد بدأت شعوبها تتخذ سبيلها نحو الاستقلال وأنأت قومياتها بالشوش والميلاد ، هكذا رأينا مصر والشام واليمن وغيرها ، فاما العراق فقد كان مستقلا عن سلطان الدولة في مطلع القرن التاسع عشر فادأ به دأحلا في سلطانها سنة ١٨٣٩ ، وإذا بسلطان الاتراك يردأد فيه ظهوراً كلياً تقدمت به الأيام في القرن التاسع عشر ، نحوالى سنة ١٨٥٠ كانت بغداد والبصرة وكر كوك وحلب في يد حكام لا يعرفون للدولة طاعة ولا سلطاناً ، وكانت ولايات الحدود كهذان ويايان وشهر رور والموصل تحت سلطان رؤساء عشائر أكثر استقلالاً ومعداً عن سلطان الدولة ، وأما في سنة ١٨٥٠ ، فاننا نجد ايلات العراق الأربعة مجموعة إلى لواء الباشا اسركي المعين من قبل القسطنطينية ، يحكمها سلطان ظاهر وبة صادقة لاحتضاعها للدولة تماماً ، وكلما تقدمت السنوات كلما ازداد العراق خضوعاً وطاعة ، وظهرت عليه دلائل سيطرة الدولة العثمانية ، بحيث لا نخطئ ، إذا قلنا ان العراق كان أكثر أجزاء الدولة العثمانية خضوعاً للسلطان وطاعة للدولة العثمانية إلى قيل الحرب السكري

سلطان الاتراك يشد
في العراق

يد أن ذلك كان خيراً للعراق لاضيرأ عليه ، لعدة أسباب : أولها أن والشعب العراقي لم يكن قد نشأ أو قوى في ذلك الحين ، بل كانت البلاد مطمع كل معامر وهدف كل طامع ، وأملا يتراوح بين الفرس

العراق يستعيد من
مودة إلى حظيرة الدولة

١ - صف لروح
للغربة في البلاد
هـ ذلك

ولعرب والترك ، وغيمة تنظر اليها روسيا وانجلترا بجشع لا يحصى ، وقد رأينا كيف كان ضعف سلطان الأتراك على هذه البلاد مضيراً لها في السنوات الماضية ، وجاعلاً إياها ميداناً تخرب فيه هذه الدول وتتنازع على السلطان فيه ، من غير أن يكون في ذلك خير العراق أو فائدة ، بل عاد ذلك عليه بالصرر البائع والحراب المتواتر والشقاء الذي لا ينهي ، ولو قد بقي العراق على حاله من شبه الاستقلال والخروج عن طاعة الدولة للهي من صنوف الأذى شيئاً كثيراً ، لأن الرابع بين الدول سيشتد خلال القرن التاسع عشر شدة لا نعرف هوادة ، فكان راعها على العراق سينضاعت ، ومن ثم يزداد به الأذى والصرر ، أما دخوله في كيان الدولة من جديد فقد آمه ونسى عنه الإحطار ، وثاني هذه الأسباب أن الدولة العثمانية بدأت تصح من حوالى منتصف القرن التاسع عشر تحسوا في المجموعة الأوروبية ، أى دولة محترمة لا تجرؤ دولة أخرى على الاعتداء على شئ من زمامها ، فكان دخول العراق في كيان الدولة من جديد ضحياً لها من أى مطمع من دول أوروبا ، فاستمد العراق من مركز تركيا بعد مؤتمر باريس وغدا استقلاله مضطرباً لا تجرؤ دولة أوروبية على الاعتداء عليه في هذه الفترة التي لم تسلم دولة ضعيفة خلالها من الاعتداء والأذى . وثالث هذه الأمور أن العراق كان إذ ذاك ضعيفاً فقيراً لا أمل له بتكاليف نفسه ، وقد كان محتاجاً في ذلك الحين إلى المال الكثير والنفقة البالغة لثغور الري والمواصلات والأمن والتعمير والتجارة والدفاع وما إلى ذلك ، فكيف كان العراق يحصل على المال اللازم لذلك كله لو لم يكن تابعاً لدولة قوية بعض الشيء ، عتية بعض العبي ، تقوم عنه بعض ما يعجز عنه من التكاليف والنفقات ، وتلك حسنة من حسنات الامبراطوريات لتكبرى وفصيلة من فضائل الانضمام اليها . فان

٢ - دخول الأتراك
في طاعة الدولة بحكمه
من مطامع الدول

٣ - فقر العراق
وصعفه ذلك

الدويلات الضعيفة الصغيرة تعيد الفائدة كلها من الانضمام إلى الامبراطوريات ذات القوة والحول ، وتضعف ويضطرب حالها إذا انفردت بنفسها وأريدت على أن تقوم بنفسها ، وهذا أمر نلاحظه إذا فارقنا محل الأمم التي كانت داخلة في زمام الامبراطورية النمساوية أيام الامبراطورية وبعدها ، فنلاحظ أن الامبراطورية الرومانية المقدسة ، كانت أفقدت على القيام بالمشاريع الكبرى في المواصلات والدفاع والحكومة والتجارة من هذه الدولات الصغيرة ، وأن النمسا مثلاً كانت أحسن حالاً وأرعد عيشاً في ظل الامبراطورية منها في هذه الحال التي هي عليها اليوم ، وكذلك المجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وعامة الدويلات التي تعرضت عن الامبراطورية النمساوية القديمة ، فدخول العراق في حظيرة الدولة فتح له الاعتمادات المالية الكبرى ، ومكنه من الاستعادة من ميزانية تربو على مبرايته أضعافاً مضاعفة ، وجعله في حماية جيوش كبرى وأتاح له الاستفادة من خبرة رجال دوى كعناية وفطرة لم تكن متوفرة في العراق في ذلك الحين ، ورابع هذه الأسباب أن البلاد كانت في ذلك الحين في أشد الحاجة إلى الاستقرار والهدوء حتى تستريح من عناء الأزمات الماحصة وويلاتها ، ولو قد تركت لشأنها لظلت قائلها تضطرب في بواحيها وتحترق فيما بينهما فتزداد ضعفاً وتزداد البلاد سوء ، وأما هذا الحكم القوي فقد أمسك القنائل عن الكيد والحرب وأثبتها في أرضها فالتفتت إلى الزراعة ، وكان في التعانها هذا بعضاً جديداً للعراق ، لأن العراق قطر رواعي يحيا بالزراعة كمصر سواء سواء وخامس هذه الأسباب أيضاً أن هذا الحكم القوي قد عمل — كما سنرى — على قتل امبرعات الامصالية التي كانت قائمة في هوس القنائل والعشائر ، إذ أن كلا من هذه القنائل كان قد طال بها الاستقلال في حاجتها ومصت

مزايا الانضمام
للإمبراطوريات
الكبرى

إلى البلاد في حاجة إلى
الهدوء والاستقرار

هـ. القضاء على روعات
القنائل والعشائر في
الامصال

لا تحمل إلا بالافصال ناحيتها ، ومعنى هذا تعرق وحدة البلاد في السنوات التي كان ضروريا لها أن تتحد فيها ، فكان الحكم لعميان ضربة قاضية على النزعات الاستقلالية ، إذ أنه أخضع نواحيه كلها ليد واحدة ، بدأت وحدة العراق في الظهور وأحس رؤساء العشائر - للمرة الأولى - وبهذا أهم أعضائه في مدن واحد وبدأت تنشأ في قلوب هؤلاء الزعماء مشاعر الحب للوطن الواحد الجديد ، وأعان على ذلك أن الأتراك لم يتركوا العراق مقسما إلى أربع إمارات كما كان ملأ أخذوا ينحون نحو توحيده وجمعه كله إلى لواء واحد

إلى تلك الأسباب ترجع أهمية السنوات التي انقضت بين روال الممالك وعوده العراق لحكم الأتراك ، فهي سنوات الحصار للشعب العراقي على ما فيها من مساوي وعيوب ، لأن رعاية الأب حير للصبي من تركه للحوادث ترعاه وهو ، محدث لا يميز ولا يشعر بنفسه : أيأ كانت حالة الأب ومهما طلع الصبي من الحصار والتوقد والذكاك ويريدنا تأكدا من أهميتها أن المطامع الأوروبية - الانجليزية على وجه الخصوص - كانت قد اتصحت وأحدث شكلا خطيرا جديا في هذه السنوات ، ففي ذلك الحين تم لموت الانجليز كشف البحرين ودراسة ما بينهما ورسم المصورات لهما ولبلاد العراق عامة . وأعقب ذلك تسيير سفن منتظمة بحارية في البحرين واستعمالها في نقل من الخليج العامر إلى البحر الأحمر ، فلم يقط عمال الأتراك لذلك ولو لم يشطروا للعناء عليه مما دأسته تارة وبالاشتداد على الشركات الانجليزية تارة أخرى ، لأصحت هذه الخطوط الملاحية قيدا يقيد العراق ويخفه كما أصبحت قناة السويس في مصر بعد ذلك ، كذلك كانت التجارة الانجليزية قد بدأت تنظم وتنسق في البلاد اتساعا استنفع اهما ما سياسيا من جانب الانجليز ، فلم يكن العراق ناعما للأتراك في ذلك الحين

توحيد العراق

دعوات الانجليز
في البلاد

السفن التجارية
في البحرين

شاطئ التجارة
الانجليزية في العراق

لا تلعه الانجليز على هيئة كما اشعلوا الهند وبلوچستان عن هذا الطريق
لا عن غيره ، وكانت تلك السنوات كذلك سنوات الراع الحاسم بين
الروس والانجليز على فارس ، وكان هذا هو المصير الذي ينتظر العراق
لو لم يكن في رعاية حليفة آل عثمان ، وهكذا . كلما انقضى عام انتزع
للأوروبيين جانب من جوانب الخير الذي يهزون به لو كان العراق
تابعاً لهم . فبرداد بذلك تعلقهم به وسعيهم للاستئثار بأرضه . وسرى
ذلك واضحاً في زياده الاهتمام بمشاريع سكك الحديد وبعوث الكشوف
العلمية التي أحدثت في هذه السنوات ، ووافد إلى العراق للتقريب عن آثار
الحضارة القديمة فيه ، كل تلك أسباب أخرجت العراق من عزلته
وجعلت تصفه شيئاً شيئاً في مجرى التيارات الخطرة التي كانت تعصف
بالسياسة الدولية في هذه السنوات . وما كان قسراً على الممازعة ولا
المماحلة وهو بعد يحيطو بحو حياة حديده وكان في انتمائه إلى الدولة
عثمانية إذ ذاك رعاية له وحنواً على نحو من الانحاء.

بعثت إليه
في العراق

العراق يخرج من
عزله

كذلك كانت العلاقات بين فارس والعراق تسوء رويداً رويداً في
هذه السنوات ، لأن أسباب الراع والمعضد القديمة بين الأتراك والفرس
لا زالت قائمة ، ومن ثم لا زال خطر غزو فارس للعراق قائماً . ذلك
أن القبائل المتديرة كانت لانفعا تنتقل بين أرض فارس والعراق ، تسبب
هدماً مشاكلاً لاهية لها ، وتوجد أسساً للراع كل يوم ، وكانت
الحقوق التي يدعيها الفرس في الأماكن المقدسة في جنوب العراق
موضع النزاع بين الفرس والأتراك وسبباً دائماً في التحرش والعداء .
وكذلك كان تجار فارس يلقون من الأذى شيئاً كثيراً من باشوات
العراق ، فكان هذا يثير الشاه ويحفزه إلى التعكير في الامقام
من لترك بعض مهم في العراق ، وراود ذلك العداء حدة ما كان الولاية
العثمانية يفعلونه من إيواء الخارجين على طاعة الشاه في بغداد ، وكان

سوء العلاقات
بين فارس والدولة العلية

الحيان إلى ذلك لا يكفّر عن النزاع على بعض بلدان الحدود التي يسكنها ترك وهرس أوهرس وعرب ، كلدة المحمرة التي هاجمها على رصا سنة ١٨٣٧ ، فطلب الشاة تعويضا عما نتج عن ذلك من الخسائر ، لا زال الموقف بين الجانبين دقيقا يذر بالشر حتى اتفقا في معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ على أن تبقى المحمرة في رمام فارس ، وأعقب ذلك تأليف لجنة من الفرس والترك والابجليز والروس لتقرر الحدود بين البلدين ، فلم تنته إلى حل صريح للمسألة بسبب مطامع الجانبين واصرارهما على الخلاف ، وأعقب ذلك نشاط الابجليز والروس في رسم حرائط للمناطق بين العراق وفارس مما انتهى بأقرار اللجنة وتحديد الحدود بعض الشيء في اتفاق عقد سنة ١٨٦٩ استقرت به الأمور في موضعها إلى حين .

معاهدة أرضروم
الثانية

وكانت المصالح الابجليزية في العراق قد تطورت تطورا استوعب من الابجليز سياسة جديدة فيها من الخطر على مستقبل البلاد الساسي الشيء الكثير ، فبينما كان القصل التجاري الابجليزي في العراق لا يطلب في القرن الثامن عشر غير مراعاة الامتيازات وكف الاعتداء عن الرسل والتجار ، أصبح المقيم الابجليزي في القرن التاسع عشر راعيا لشركات ملاحية كبرى دوات رءس أموال ضخمة ، وحارسا لخطوط تلغرافية بدل الابجليز الأموال في إقامتها ، وأصبحت الدول الكبرى تعمل على قيامها وسلامتها في شؤون امراطورياتها في الشرق مما يلى العراق ، وكان كذلك قد أصبح مشرفا على هيات عليية فيها فيها طائفة من العلماء تنوع المجالس العلية في أوروبا بجهودهم يقظة واهتمام عظيمين ، وكان مسئولوا إلى ذلك عن عديد من المؤسسات الخيرية كالمدراس والمستشفيات (١) ، ولعلنا أحرأصحت

شؤون مركز الابجليز في
العراق

له في العراق مصالح معينة يرعاها ويحرسها ، ولم تكن دولته كذلك أقل منه حرصاً على ذلك ، وكلما انقضى يوم زادت هذه المصالح الانجليزية في العراق خطورة ، وجعلت الانجليز يشبثون بأرضه ويهكرون في أسلوب يؤدي بهم إلى الاستيلاء عليه ، ومن هنا تغيرت السياسة الانجليزية نحو العراق تطوراً حطراً جديراً بالملاحظة اعتمدت مهمة ولاية الراك وموظفيهم إلى تقوية الحكومة المركزية واتحصن على كل سلطة ماسة أو معادية لها ، فانسرفت عايتهم كلها إلى القضاء على رؤساء العشائر ومن يليهم من ذوي السلطان الباطن القديم في بعض مدائن الحدود . ومن هنا لم يجد الناشئون مقسماً من الوقت لإدخال الأنظمة والاصلاحات الأوروبية في البلاد ، وربما كان أقوى أسباب ذلك أنهم لم يكونوا يفهمون هذه الاصلاحات أو يقدرونها قدرها ، ومن ثم لم يحسنوا يشرعون في تعليم أهل البلاد تعبيراً حديثاً . ولم يشرعوا في إنشاء مصانع جديدة ، ولم يفكروا في إدخال الأساليب الصحية الحديثة كما فعل محمد علي في مصر مثلاً ، ومن ثم سادت حركة الإصلاح في العراق سيرة بطيئة جداً في المدة التي انقضت بين ولايته على رصا وقدم مدحت باشا الذي بدأ العمل المنتج الاصلاحى في سنة ١٨٦٨ ، بل لم يبدأ الولاية في تنفيذ إصلاحات محمود الثاني وعبد المجيد إلا في عهد نجيب باشا أى بعد سنوات طويلة من انقضاء على دولة المماليك . ولم يبد في نواحي العراق من معالم التجديد إلا وجود طبقة منتظمة من الأندية الموظفين يتولون شؤون الإدارة ويرتدون الملابس الأوروبية ، وربما كانوا أكثر مهارة من غيرهم للحضارة الحديثة وأكثر تقدراً لها وذلك مأخذ عظيم يؤخذ على الترك في ذلك الحين ، فلم يكن من الانصاف في حق بلاد كالعراق أن يهمل الاصلاح فيه هذا الاهتمام المعيب في تلك الفترة التي كانت

تقوية الحكومة المركزية

بطء حركة الاصلاح

الدول تعدو فيها نحو الحصار بحرية عدوا

والسبب في ذلك راجع إلى تصور ولاه الأتراك عن مهم الحصاره
الأوروبية وفي حملهم أو حثهم حال اسد لى وكنت ليهم أمورهم
على رصا هم لم يكن على شىء من أهده في الحكم أو الإخلاص في
في عمله، فطلت البلاد على اضطراب في عهده حتى إلى أمورهم بحيث
شاسه ١٨٤٢، فكان أهده وأوسع فيها، وصرف همه إلى مقاومة
البصود الأخير، إلا، ثم أعنه بعد قبال محمد سيد اشا الملقب
بحرليكي فكان حراً من سببه، حكمه انور على العراق
بالخير، وصرف همه إلى مقاومة مفسد الموحطين فأخذهم بالشدوة وعن
عناية شدة، شاء قوات رى في أم، وأنه، شوات أخرى
لا يكاد البارح يدكر لحده شدة، أثر

أما الذي أسعدهم من ذلك، وأسف في أهدهم بعد كان توحيد
البلاد، فلهذا على كل مفسد في أهده حده، ذلك أجل مقدم
الأثر إلى العراق من حداثات، بعد شدة شوات في القضاء على البرقة
الاستقلالية التي كان يهويها، أوصل آل الخليلي، وتمكر محمد اشا الملقب
بناجه بيرقدار من قضاء على سلطانهم في حدود سنة ١٨٣٥، ودار الموصل
جزء من العراق لا يفصل عنه تارة إلى ديار بكر، مرة أخرى إلى فارس،
وكان شمالي العراق مقسما إلى أقطاعات تهرده في الحكم سوت قديمة
جعلت منه دويلات مفصلة عن العراق، فشدة شوات في القضاء
على هذه السوت واحدا فواحدا، حتى قصوا عليها في هاردين وشروان
ورادست ومرشى وأربل وما إليها، كذلك كان جنوب العراق

القضاء على آل خليلي
في الموصل

(١) هم بعض حرد باش (١٨٥٩) وأحمد باش (١٨٦٠) و... باش (١٨٦١) الذين
الذين ناشأ، ولم يكن أحدهم هؤلاء حده البلاد، فعلى إصلاح العراق مرهوما بال قادر على
صارت الأمور سنة ١٨٦٨ إلى مدحت «شأن العراق الحديث

طعمة لبعض دوى السلطة من رجال العشائر ، فلم يرل على رضا ومن
تلاه يوازن الخلات والخبو حتى قصوا على كل أمل مشايح
النجف وكرنلاء وغيرهما في الاستقلال . وعناد جنوب لعراق إلى
الطاعة والاتحاد .

علاج مشكلة القبايل

فإذا أصبح العراف وحده سياط معية الحدود والتجوم ، فقد نشط
الولاية في علاج مسألة القبائل التي كانت لا تستقر في احبة واحدة ،
ولا تمكن أهل السلام من مباشرة الزراعة وما ليها من وسائل الرزق
المتطم الذي يمهدها للصوص ، فكانت هذه القبائل تمتع الحكومة من إقرار
الآمن وتعوق المواصلات وتأتى الخضوع لأوامر الحكومة المركزية ،
فلم يكن من الميسور القيام بأى إصلاح أو إحداث أى تقدم مادامت
هذه القبائل على حالها من الاستقلال والعصا . الاستعلاء . وكان
حقيقاً بالولاية أن يهتصوا لردّها إلى الطاعة . بداهتهم أخطأوا في
السبل التي سلكوها لعلاج هذه الحال ، فقد حاربوا للقبيلة وحدها
فأثاروا الخه . فط . والأرا القلوب صعباً . وكان أولى بهم أن يبتعدوا عن
كل أدى أو عنف ، فهؤلاء الرؤسا قوم لهم مكانهم وأهم « حقوقهم »
التي كسوها بمرور الزمن ، وكانوا حير أهل البلاد وديرى الكلمة
المسموعة في لوائح والأهليم ، ولم يكن براهم يأتى عن سبل
السيف بل عن تمهد طرق الزراعة لهم ، كان على الحكام أن يتوجه
إليهم باسمح وفيقول لهم « كهوا عن العيش على هذا النمق . وعيشوا

حناً ولاية الترت
في سياسهم مع تشد

إلى الأسلوب لأحسن ادى سمك لكم » . لم يكن الحق الصحيح
لبمشكلة املبه الدائمة هدم القبائل عن طريق اصريات الدامية بل
بتمهد حياة جديد . لرجالها يقلوها ويفصلوها . وكان حل المعصلة اننى
صادقت نامقا وبجيا هو أن يقولو لرؤسا العشائر « أفردوا هائلكم في
الأرض . وعادوا برحاسكم على أديم » . أرخصهم بالقوات ، أسوهم على
ما أيدهم ، ولا عرصوا عليهم إلا انصرت الحقيقة العادلة ولا

تسمحوا لأحد أن يعدو على أرضهم ، واثقوا المحسن مكافأة طه
وخذوا المني. أحداً معه (١)، فأه الشدة والعنف. وعوالاء الحملات
والبعوث فلم تكن له من نتيجة إلا انقراض القلوب وإقامة الثارات من
القنايل وبعضها، وبينها ومن الحكومة المركزية، وقد حدث ذلك
بالعمل نتيجة لحروب نجحت باشا شهابه سنة ١٩٠٠ مائة بين القنايل وبعضها،
وإما هذات الأحوال بعض الهدوء حين انتم جريكى باشا القنواب
للزراعة، فانصرفت بعض إلى الرع ووجدت أنه أعود عليها بالخير
من مناجرة الحكومة، فسارت إلى الطاعة دون حرب أو سعاية. في
هذه الناحية فمثل الحكم العثماني فشلا أصر بالبلاد وعادها عن المص
في مدارج السدم والخصرة.

هكذا مصى العمل يحطون خط شواء في سياسة البلاد ،
فأفسدوا باليسار ما أصبحوه للبين . وربما أحسن أحدهم وفقد
خليفته عمله . ومصب البلاد في ظل السلطنة في طريق الرحد
والاستقرار الذي هو الخط الأول للتقدم إذ لا يتاح للناس أن يظروا
إلى الحضارة والسمو إلى شأها إلا بعد أن يقرأوا في مارلم وتبدأ
أحوالهم ويسكوا إلى أرضهم .

في كس
المران

في ذلك الحين كانت لدول والشركات الأوروبية وحكومة الهند
وشركتها تواتر الجهد في النوع في العراق ونميد وواجه لطريق
الهند ، فسما كان أهل البلاد يصرون عجاذهم الثقيلة ليتقلوا
صفى دحلة والهرات كان كسى وأصحابه يحجرون عاب سهرين
سيفيتهم البخاريتين و دحلة والهرات و يمسحون شطآنهما
ويسبرون مياههما ويقدرن صلاحتهما للإحالة ، لا شهم عاصمه
هو جاء ترق إحدى سفهم وتمل نراهم ، ولا يعوقهم ركود

المدة في مستشفيات النوم ، حتى تسمى مهم الأمر إلى بعض الأطباء
إلى مكان الملاحظة بحال في الهرس . وبعد ذلك بسنوات قليلة -
حوالى سنة ١٨٢٩ - انتهى لويس لينش من بحوثه وأشأ شركة
الملاحة ، والى قدم سبب يقوم بهن الهرى العظيم في دجلة وهرات ،
وأحمد محمد بطرس لخم الهرن حراً من طبع دائم بين الهند و إنجلترا ،
وساقى بمروسة بحار الأنجليز في الهند واختاروا لأشياء ذلك الطريق
معمداً على فتح الأحداث العظيمة لى قام به استعماريون معامرون
من أمثال فيليكس ، Jones ، جوز ، سلي ، و كوسجود
Clingwood ، و بوشر Bowher ومن أيهم . حتى تمكن من
إشياء شركة مع من يحتاجون استغلت أعمالها ، كانت رشيد باشا
حريكي ، فاعتمدهم معارضة أشده حب و باشا شركة ملاحة أخرى
« لويس أموال عراقيه » أخرى ، « ووفق حريكي توفيقاً طاماً
فيما أراد ، وأشترى سفينتين من الهندكاهما « البصرة » و « بغداد »
ومضى يعمل بها في العمل للحكومة و « حجاز » أفتق الأنجليز ،
فمضوا يستغشون عنه السلطات في الأمه به . ولم يسه ذلك من المصن
في طريقه شحج حليفته تامق باشا على شراء ثلاث سفن لملاحة
السفن الانجليزية بها ، « استمرت سفن عراقين » الموصل » و
« الهرات » و « الرصافة » تنقل صاعده عاظه في الهرس زماناً
طويلاً .

لويس لينش
شركة ملاحة
في الهرن

الوال القزى يعمل
في إبعاد الشركة
الانجليزية

شركة ملاحة من
الانزلك وامل
البلاد

مع ربح المك
الهند

وفي ذلك الحين أيضاً كان المهندسون الأوروبيون يطلبون الطار
إلى العراق وأرضه لتصميم إنشاء سكة حديدية بين الخليج الفارسي والبحر
الابيض ، هذا التأمل الذي كانت ثمرته سكة حديد بغداد بعد ذلك
بسنوات . وكان تواتر الاضطراب واضطراب الأزمات قد صرف
الناس تماماً عن التفكير في تجارته أو طرقها فاعدمت السبل

بين المدن وبعضها، وحلت المدن بعضها من الشعور الصاخة لمسير العربات، فكانت حركة التجارة في شبه ركود تبعاً لذلك، وكانت الصلة بين أمم العراق وبعضها : بين شماله وجزوه شبه معدومة، فكان ذلك من أسباب تفرق البلاد، عدم شعور أهلها بروح الوحدة، فكان من حيز العراق أن يطرا له لأوربيون كطريق صالح لا يهد لأن ذلك بعثهم على العمل لشق الطرق في البلاد من الشمال إلى الجنوب — من البصرة إلى حلب —، إلى التمسك في الوسط الذي يكتمل بها الانتقال من حلب نشاء أو لبلاد الدولة العثمانية، أي للتتمسك في الوسط الذي تقطع وحده العراق وتصله بالعالم الخارجي صلة متصلة، وكان أول من فكر في ذلك رجل فرنسي هو السكوت دي بريريس Route de Pertnérís الذي قطع طريق من دمشق إلى بغداد، ثم وضع مشروعا لخط طريق منتظم للعربات بين البلدين، وقد لقي مشروعه التقدير من اتحرفي الشام والعراق ومن رؤساء القضاة الذين مر بهم، لأن الطريق الجديد كان يصلهم للعالم وهو عليهم إذ يحثونهم ولكنه أثار مخاوف بائق باشا الذي قدر في نفسه وجود علاقه بين هو حرس كة لبش - التي تقطع اهرين من البصرة إلى بغداد وحلب - وهذا المشروع الذي يكمل الطريق إلى البحر الأبيض، هدف معة هذا التدخل والترسيم، وأشفق كثير من اتصال الأوروبيين برجال انقائل وشوء العلاقات بين الفريقين، فعمل على احباط المشروع حتى تمكن من ذلك حوالي سنة ١٨٦٥ وكان أناس آخرون يصكرون في إنشاء الخطوط الحديدية في العراق، فوضع أحد اشجار الايرلنديين مشروع سكة حديدية عظمى من كاليه إلى تكين مارة بالعراق، وهو مشروع حيلى لم يته إلى شيء، ولكنه فتح طريق تمسك في إنشاء السكك الحديدية بالعراق لاهصال الشرق العرب، وبما أعري

سوء الاتصالات
في العراق

مشروع
دي بريريس

مشروع سكة حديدية
من كاليه إلى تكين
مار بالعراق

الأوروبيين بالبدء بالتفكير في إنشاء الحلقة التي تمر بالعراق سهولة أرضه وإمكان مد الخطوط الحديدية فيها ، وخلق معظم الطريق - من نصرة (أو نقرة) إلى بغداد - من المرتفعات أو الأرض الصلبة التي تعسر مد الخطوط الحديدية . وهذا تنافس المهندسون إلى العراق يبحثون الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق ذلك الأمر ، ففي سنة ١٨٤٣ وضع Alexander Campbell مشروع سكة حديدية بخد الفرات ، وشجعت شركة الهند على وضع الخرائط اللازمة لذلك ، ثم تبعه John Right سنة ١٨٤٩ قائم : سيم المشروع ، ولكنه لم يوفق إلى البدء في العمل ، وكذلك الدكتور J. B. Tinsion الذي يوفق في أستاذه حوالي سنة ١٨٥١ ، وبعد ذلك بقليل دعا W. P. Andrew إلى سكور شركة للحصول على رأس المال لازم ، ودعا كبار المستكشفين في أرض العراق للعمل معه على تنفيذ ذلك المشروع ، فاجتمع اليه لشر وكس ، وما كسبل ووضع الجميع خطة موهولة بمكة السعد لطريق نص حبيح فاس ساسحر الأبيض . وقد أثار المشروع حماس بلد سيمون وتأييد ستراهورد كاسح ولكنه - أي اندرو - لم يجد المال لازم . فلم يتم منه إلا حوالي اثني عشر ميلاً من سلوقية وسرايها . واكتفى المشتركون بالاعتماد على الواحر للقرين أعلى لهرات والخليج . واستمرت الجهود متصلة في هذه ناحية حتى انشئت قناة السويس فلم يجد الانجليز داعياً إلى مواصلة الجهود في العراق مادام - انشاء الخدسة قد فتحت لهم طريقاً مائياً سهلاً للهند ، ومن هنا أرحى التفكير في مشاريع سكة الحديد والمواصلات في العراق .

كاسح نعم مشروع
خط حديدى بخد
الفرات

اندرو يعمل
تأليف شركة لهند
الفرات

قناة السويس
بصرف نظر لا تجلب
عن التفكير في
المواصلات المائية

بعد أن ذلك لم يمنع التفكير في إنشاء خط تلغرافى يقطع العراق من لشهاب إلى الحبوب . وقد فصل الانجليز تسيير الخط عن ذلك

خط تلغراف

الطريق — لاجل طريق مصر - لاجلهم قدروا أن الدولة العثمانية لا بد
 مشتركة معهم في نفقات إقامته لما يعود عليها من المنافع إذا تم وانصلت
 البصرة بالاستانة بخط تلغرافى ، لأن ذلك يعيها على الحكم ويوجد
 لها طريقاً سريعاً للاتصال بولاياتها . ولكن الأتراك تخوفوا من إشاريع
 الانجليز في أول الأمر ، ولم يمدوا يداً لها ، لأن مشروعات الانجليز
 كان يرمى إلى مد أسلاك بحرية Calles تحت الماء من الهند إلى ابصرة
 وفي مياه الفرات إلى بغداد ثم على سطح الأرض إلى الاستانة : لاحظ
 الأتراك أن ذلك الخط يراد به الاتصال بالهند فحذروا ما قد يتبع
 عنه بعد ذلك ولم يدحروا الانجليز وسعاً في مواصلة المسعى حتى تم
 الاتفاق بينهم وبين الأتراك حوالى سنة ١٨٦٩ على أن يقوم
 المهندسون الانجليز بإنشاء الخط لحساب الأتراك وحدهم ، وهذا
 أنشئ الخط التلغرافى من الاستانة إلى بغداد حوالى ذلك الوقت
 واستمرت جهود الانجليز في ذلك لسبيل حتى أضافوا إلى الخط فقرة
 جديدة وصلته إلى خمسين جنوبى بغداد سنة ١٨٦٣ ، ومن ثم انصل
 تلغراف العراق بخط فارس التلغرافى وتم إبعاله بخط الخليج
 الفارسى والهند ، وهكذا لم يقص هذا القرن حتى كانت شبكة
 بمرافية قد وصلت بواحي العراق كلها وربطت البلاد الرئيسية جميعها
 وهل كانت شبكة التلغراف إلا إيداً بشبكة أخرى يدبر الصائد
 الأوروبي ، الفاعل على العراق بصيده حمة ، وهل يقع الأوروبيون
 من هذا البلد الحبل تلك الحصاة المنيعة . أنتهى أوروبا حصص العراق
 ومعادنه وتجارته وما يمود عليها من الربح إذا هي أتمت الاستيلاء
 عنه . لقد وضع الانجليز خرائط دقيقة لأرضه وانفقوا ترسيمها ،
 وأفهم منهم قسطنطين العظيم الشأن في بغداد وماتون عنه في مدائن العراق
 الكبرى ، وامتدت خطوطهم التلغرافية في كل ناحية فيه . وأهل بحاثهم

لأن الأتراك يخشون
 من انجليز

انشار خط تلغرافى
 من الاستانة إلى
 بغداد

شبكة الانجليز
 للعراق

إلى بلاده سجنوها ويدفعون في دُمل أحوالها . وحف إلى بلاده
المقنوع والسحاثون ير بحون الستار عن حصارته الداهية وازدهاره
القديم ، فلم يبق بينهم شك في أن هذه البلاد كبر عظيم يسعى الإدارة
إلى الاستيلاء عليه ، وراغم استمساكاً به قرينه من الهدى وضرورته
لمواصلاتها ، لقد بان ذلك كنه الاجلوز وضحا حديا ، وعليها نحن أن
نعرف ماذا كان يدر للعراق في لدر . يدراك ، وعليها كذا أن
نلس انية اني ثات للبلاد تمهي إليها هذه السنوات

صبر الانراك من
حاية البلاد

وكان الانراك يعرفون ذلك ويطوون أنفسهم على الحشية منه ،
ولسكن ماحيلة العاجر ؟ أنهم يسألون الجهد في الاحتياط بكمهم ولا
يكادون يخرجون من حرب حتى يدخلوا في أخرى ، فأن لهم المراع
لدراسة مشاريع اعرق والعمل على استنقاده من الشك الى كات
نحوك حوله ، أين لهم القدرة على إحاطة هذا الكيد واسجاة برعيتهم من
المسبحة الدائرة ؟ ولطو تركيا نفسها على الخوف ، ولتكتف بارحاء
الواقعة ما أمكن الارحاء . حتى بررها لله بمدحت باشا الذي ترسله
المقادير الى العراق حوالي سنة ١٨٦٨ ليضع الأمور وصماً حديداً ،
وليدأ للبلاد عهداً جديداً من الحضارة ، ويمهد نهضة عراق الحديث .

تم الحية الأول والمحدث

مراجع عامة ١

١ - مراجع عربية وتركبية وفارسية

ابن عباس

مذائع الزهور في وقائع الدهور (بולاق ١٣١١ هـ)

ابن خلدون :

العبر وديوان المبتدا والخبر (بولاق ١٢٨٤ هـ)

ابن عساکر .

باربع دمشق مخطوط بدار الكتب بالمسكة

ابن واصل (٧٢٥ هـ)

مفرح الكروب في أحبار بني أيوب (مخطوط بدار الكتب بالقاهرة)

أحمد بن أراهيم الصابوني

باربع حماه (حماه ١٣٣٢ هـ)

أحمد فارس الشدياق

الحوادث التاريخية والوقائع الدولية

أسكندر بك أمكار يوس

المناقب الاراهيمية والمآثر الخديوية (محض ١٩١٠)

أسكندر بيچ قرکمان

فارس تاريخ عالم أرنى عباسى (طبع حجر في طهران سنة ١٣١٤ هـ)

امير بن حسن الحلواني المديني المتوفى سنة ١٨٤٤ م

مطالع السعود

طبع في عماني سنة ١٣١٣ م (طبع حجر) وهو مختصر للتاريخ الذي وضعه الشرح

عثمان بن سدادصري الذي بدأ حوادثه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٨٤ م) وهي سنة ميلاد داوود

(١) م يقتصر هنا على اراد المراجع الى اعتمادنا عليه في كتابه هذا للكتاب ، وانما حرصت على

على أن تضع أمام القارئ هذه واعيان المراجع التي تدارك الكلام على الفقه الاسلامي وعلاقته بالعرب في

الفرة التي بولنا دراستها .

ناشاً. ويسمى سنة ١٩٤٢م (١٨٢٦م). وقد روى الحلواني في مطلع السعد والحوادث إلى سنة ١٨٣١ ميلادية، واعتمد على دوحه الورداء في اجراء كثيرة من كتابه استانس الكرملی (الاب) :

خلاصة تأريخ العراق . طبع مصر سنة ١٩١٩م
موجر مختصر جدا لتاريخ العراق من القدم إلى الحديث مع اشارات معترضة
عن أحوال البلاد . وقد اعتمد اعتمادا شديدا على « ناية المرام » الذي سيرد ذكره
أوب صدى :

تأريخ وهايان (استامبول ١٢٩٦)
ناز رستم :

تاريخ الأمير نشير الشهابی (مخطوط ، مؤسسة الجامعة الامريكية في بيروت
تحت رقم ٣٨٤٧٨)

الجبرقي :

عجائب الآثار في التراجم والأخبار (القاهرة سنة ١٣٢٢ . ٥)

جورجي زيدان

تاريخ التقن الاسلامی (القاهرة ١٩٢٥)

جورجي زيدان :

تراجم مشاهير الشرق في القرن اساع عشر (مجلدان . القاهرة ١٩٠٢)

حافظ وهبه

جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة ١٩٣٥)

حروب الارمن :

مخطوط كتب في بغداد حوالي سنة ١٨٨٠ م . ويسارل تاريخ العراق من

سنة ١٧٢١ م إلى سنة ١٧٤٦ م وقد اعتمد على دوحه الورداء كثيرا

حسن توفيق افندي

حوادث ولاية الموصل سنة ١٣٢٥ هـ

بالركية ، ويحد الغازي . فيه تفاصيل وافية لحصار بغداد على يد نادرشاه (سنة

(١٧٤٣ م) وولاية ايجة بر مدار (١٨٣٥ - ١٨٤٣) وفيه جدول شامل لولاية
الموصل من سنة ١٠٠٠ هـ الى حياة المؤلف

حسين لييب

تاريخ الاتراك العثمانيين (٣ اجزاء القاهرة ١٣٥١)

حنا انور اشدد :

تاريخ جبل الدروز (القاهرة ١٩٢٥)

حوادث ولاية بغداد سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)

التركية وفيه ثلث وافي كام بغداد ابتداء من سنة ١٦٣٩ م . وسوات حكمهم

حيرت احدى .

رباص ايكنتا وحاصل الاداء (بولاق ١٣٤٩ هـ ١٨٢٥ م)

داوود نركات :

ذكرى الطل النسخ ابراهيم باشا (القاهرة ١٩٣٢)

دري افندي

دري افندي سفير تاهمه سي .

مخطوط بالتركية . وقد ترجمه M. Petrus de la Croix وطبعه في باريس

سنة ١٧٣٩ م .

رسول حاوي افندي

دوحة الوزراء :

مطبوع ومخطوط وكلاهما نادر ، الفه صاحبه بالتركية للوالي داوود باشا يبي

سني ١٨٢٧ - ١٨٢٨ - وطبع في بغداد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) طباعة مرزا

محمد بكير النعيسى ، وهو تكملة لكتاب نظامي راده الآه ابيكر ، وتناول تاريخ

العراق من سنة ١٨٨٨ م الى سنة ١٨٢١ م

رشيد م علي الحسني .

مشير الوجد في معرفة اسباب ملوك محمد (في نسب آل سعود ، وفيه فذلكه عن

تاريخهم حتى عام ١٢٩١ هـ . مخطوط في حيازة المؤلف

سليمان بك بن حاجي طالب
 تعداد كوله من حكومه ملكه تشكله اقراضه دائر رسالة
 أو ترجم نشوء حكومه المالك في تعداد سقوطهم
 كتاب صغير تناول الحوادث في العراق بين سنتي ١٧٤٩ - ١٨٣٩ وقد افقه
 سليمان بك بن حاجي طالب كبه ، واحق لقب اسم مستعار - وتوجد له ثلاث
 أو أربع نسخ مخطوطة في تعداد وسحة في القاهرة وأخرى في الآسنة

سليمان بك بن حاجي طالب كية

مرآة الزورا :

يتناول تاريخ العراق من منتصف القرن الثامن عشر تقريبا إلى منتصف ولاية
 على رضا اشنا ، ووجدته نسخة حصه ، يرجع اليها مسوده ، اما النسخة المطبوعة فمطل
 انها ضاعت أثناء نفي المؤلفه .

سليمان صايغ :

تأريخ الموصل : طبع القاهرة سنة ١٩٢٤

ليس فيه من جديد ، وهو كثير الشبه « بحوادث ولاية العراق » الآصف المذكور ،
 والكتابات يعتمدان كل الاعتماد على مخطوط عربي عنوانه « مهمل الاولياء » لمحمد
 بن اهدى الممرى . وتناول تاريخ الموصل

سليمان بك عز الدين :

ابراهيم باشا في سوريا بيروت ١٩٢٩

سيد ابراهيم فصيح

عنوان المجد في احوال بغداد وبصره وتجد

ملاحظات وصفية وجغرافية وتاريخية وتبعية عن تعداد العصرة وأهلها : هم
 تأليفه سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٣٦ م)

شاي زاده

الاجزاء الأربعة الأولى

تأريخ

شفيق غربال :

الجنرال يعقوب والمارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١
(القاهرة ١٩٣٢)

الامير صالح بن يحيى بن الحسين من علماء القرن السابع الهجرى
تاريخ بيروت وأحبار الامراء المحترمين من بني المعرف (بيروت ١٩٠٢)
الشيخ طومس شديو

أخبار الاعيان في جبل لبنان (بيروت ١٨٥٩)
العريق طه الهاشمى

مفصل جغرافيه العربى (مدار ١٩٣٠)
عبد الرحمن الرافعى بك

اربع حركة القومية . . تطور نظام الحكم في مصر ثلاثة مملكات القديمة
١٩٢٩ — ١٩٣٠

عبد الرحمن بن عبد الله اسودى . حذيفة الورداء (١٠٢٢ - ١٨٠٥ م)
تاريخ مفصل للوالى احمد ، شاه ، وحسن شاه ولا توجد الآن الا نسخة مختصرة
التي قام بها سليمان أفسى الداخل عن نسخة أصلية بمكتبة حكومت الله من عصمت الله
افندى في استامبول

عبد الواحد بن الشيخ عبد الله باشعيان
رسالة التواريخ :

في سنة عشر مجدها . بدول تاريخ الخلافة في بغداد وتاريخ مصر ،
ويلام باطراف طويلة من تاريخ لدولة العثمانيه وأحبار احجار ، وقد أورد المؤلف
فيه فقرات طويلة من مؤلفات أخرى كطابع السعود ، واهم ما أحار كثيرة
وتحقيقات فريده

عثمان بن عبد الله

عنوان المجد في تاريخ نجد :

راجعه وصححه عبد العزيز المانع الجدى وسليمان الدجيل ، وطبعه في بغداد

[مطبعة شيندر . بغداد ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)]

سیدی علی ریس :

مرآة الممالیک . ترجمه للانجليزية A. Vambáý معاون

Travels and adventures of the Turkish admiral

S di Ali Reis

London, Luzac, 1899

وبشره في لندن سنة ١٨٩٩ . وقد نشرته مكتبة « اقدام » بالتركية (الاستاء ١٣١٣)

علی ظریف الأعظمی البغدادی

(تعداد ١٣٦٤ هـ) تاریخ الدول الفارسیة فی العراق

رحلة العیاشی

العینی : (٨٥٥ هـ)

عقد الحان فی تاریخ اهل الرمان

مخطوط بدار الكتب بالقاهرة

فتح الله بن علوان الکعبی

راد المسافر ولهنة المقيم والحاضر . (١٦٤٥ — ١٦٦٥)

تاریخ قصیر الحس باشا والی البصرة بين سنی ١٦٤٥ — ١٦٦٥ . طبع في

معداة سنة ١٩٣٤ وقد استعمله Ignon فی كتابه

History of Modern Bassora

کشط الرداء وغسل الزان فی زیارة لعراق . (مخطوط فی

Cambridge Univ. Libraray

مرتضى اعدی نظمی زاده (١١٠٠ هـ ، ١٦٨٨ م

کلشن خلفاء .

بالتركية ، تناول تاریخ الدولة الاسلامیة من تأسيس معداد الى سنة ١١٣٠ هـ

(١٧١٧ م) ، طبع فی استامبول سنة ١٧٣٠ . والنسخ المطبوعة نادرة الآن . يوجد في

منه اربع نسخ مخطوطة فی مكنه المتحف البريطاني

ابحی — بنی الدین بن داوود :

حلاصة الاثر فی أعيان القرن الحادى عشر : (٤ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤ هـ)

محمد ابن بسام الثمينی

الدور الفاخر فی اخبار العرب الاواخر :

یتضمن وصفا وبياناً عن قنن العرب العریفة واحوالها إلى حوالی سنة ١٨١٨ م .

محمد ابتونى :

الرحلة الحجازية (القاهرة ١٣٢٩ هـ ، ص ٨٧ وما بعدها)

محمد رفعت :

تاريخ مصر الساسى فى الازمنة الحديثة (القاهرة ١٩٣٤)

محمد رفعت . محمد على والخلافة . مجلة المقتطف . جلد ٩٣ ص ٢٥٩ الى ٢٦٣

محمدرافتى محمودى هاشم ، المصاحح الحلى

أعلام النبلاء . تاريخ خط لشهاب : ٧ اجراء . حلب ١٩١٣-١٩١٦)

محمد بن سليمان الرحى :

بهجة الاخوان فى ذكر الوزير سليمان

يتضمن تاريخ سليمان باشا والى البصرة

محمد فريد بك

اسبحة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الحسينية (القاهرة ١٣٠٨ هـ)

محمد فريد وحيدى :

المدينة والاسلام (النبعة الثانية القاهرة ١٩٠٤)

محمد كرد على :

الحكومة المصرية فى الشام (المطبعة السامية . القاهرة ١٣٤٣ هـ .

محمد كرد على :

سقط الشام (ستة مجلدات . دمشق ١٩٢٥-١٩٢٨)

المرادى .

سلك الدور فى اعيان القرن الثانى عشر

الانبا مار اسطفان الدويهى

تاريخ الطائفة المارونية (بيروت ١٨٩٠)

الآب مرتين اليسوعى

تاريخ لسان ، تعريب رشيد الجورى انشروتوى (بيروت ١٨٨٩)

ميخائيل الدمشقي :

تاريخ حوادث الشام ولسا ، من ١١٩٧ — ١٢٥٧ هـ (بيروت ١٩١٢)

ميخائيل مشافه :

الجواب على اقتراح الاحزاب

(مخطوط في مكتبة الجامعة الأمريكية بيروت رقم ٢٨٥٣٢)

نعوم مضغب

تاريخ ذمير حيدر لشهاقي (القاهرة ١٩٠٠)

نوافل نوفل

كشف الغلاء عن الحكم بالاحكام في إقليم مصر ودراسات

مخطوط في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم ٦٠٧٧

ياسين العمري من حير الله العمري الموصلي (١٧٣٤ م)

غاية المرام :

مخطوط بصم معلومات طلبة عن حمرية اللاد وفانها ودراسات وعيه تاريخ

لعداد في سنة ١٨٠٥ م ، وحوادث السوات الحسة الاحرة منه مرتبه فيه ترتيبا

واحد له قيمة كبيره

غرائب الاثر :

مخطوط يورد بعض الحوادث الواردة في « غية المرام » بأسلوب آخرو يستمر

في رواية الاخبار حتى سنة ٨١١ م .

٢٠٠ - مراجع افرنجية

اولا مراجع ممد لدراسة تاريخ الشرق الادنى ، ونصف طروفه الجغرافية واحواله الاجتماعية وعناصر سكانه واديانهم ، وشرح الطواهر الهامة في تاريخه وتسرد بايجاز تاريخ اصمحلل الدول الاسلامية وبين مواطن الصعف فيها . وتناول الكلام على الدول الى كانت قائمة في الشرق الادنى في اوائل العصر الحديث كالعثمانية والصنوبية والمغولية والمديك . غير ذلك ، والدول اشرفية غير الاسلامة التي كان لها تأثير في اربحه كالدولة البريطانية ، وبصها يتول وصف محاولات الاوربيين الاولى في الشرق : كفصة الانكلر في الهند ، وحرهم مع الهنسيين ، وتاريخ لبرتاليين في الشرق . وتناول كذلك وصف الرحلات الهامة - ذات الصمة العلمية - التي قام بها بعض معامري الاله روين في البلاد الشرفية في اوائل العصر الحديث

Anon,

Progress and Present Position of Russia in the East
(London 1846)

Anold, Prof. Sir Thomas W :

The Caliphate

Baron ed Tott,

Memoires sur les Turcs et les Tartares (Paris 1794)

Barrault, Emile

Occident et Orient , et des Peuples, Morales

Religieuses, pendant 533-1844, (Paris 1835)

Beazly, Charles Raymond

Dawn of Modern Geography

(3 vols. 1897 — 1906)

Birch W. DE G.

Commentaries of Alfonso Dalbuquerque

Hakluyt Society London 1875 4 Vols,)

B, F. O. P. H. :

The Rise of Islam and the Pan Islamic Movement
The Foreign Policy of Austria-Hungary

British Parliamentary Papers

The Correspondence Relative to the Affairs of the
Levant (London 1833-1841)

British Foreign Office Papers Handbooks

France in the Levant

Brocchi, G. B.

Giornale delle Osservazioni fatte nel Viaggio in
Egitto, nella Siria e nella Nubia
(5 vols. Bassano, 1841-1843)

Bruce, J.

Annals of the Honourable East India Company
(3 vols. London, 1810)

C. illia, Leonardo Di S. :

Viaggi in Palestina, Persia, Mesopotamia
(Rome, 1753-1757.)

C. lard, L. on

Introduction à l'Histoire de l'Asie - L'Asie et l'Europe,
des Origines à 1405 (Paris, 1896)

The Cambridge Modern History :

Vol. X : Chapters VI, XVII ;

Vol. XI : Chapters IX, XI, XXII

Vol. XII : Chapter XIV

Capper, T.

Observations on the Passage to India (London 1785

Courtney of Penwith, Lord (editor) :

Nationalism and War in the Near East (by a
Diplomatist)

Czaplicka :

The Turks of Central Asia

Damas, M. La :

Le Progrès et l'Empire dans l'Océan Indien
du Sixième Century jusqu'à nos Jours (Asiatic
Society January 1921)

Danvers, F.E

Portuguese in India (London, 2 vols 1894)

Darcy, Jean :

Le Voyage de Ruyter (vol. de la collection 1804)

Davis, William Stearns :

A short History of the Near East (New York, 1931)

Dehl :

Byzance, Grandeur et Decadence

Histoire de l'Empire Byzantin

Un Ancien Diplomat,

Le Régime des Capitulations (Paris 1898)

Dupré, Adrien :

Voyage en Perse (1805-1809), en
Perse, en Arabie et le Mesopotam (Paris, 1819)

Epstein, Mordecai :

Early History of the Levant Company (London 1808)

Fontanier, Victor :

Voyages en Orient Interpris par Ordre du Gouver-
nement Français de l'année 1821 à l'année 1829
(2 vols Paris 1829)

Grant, A. J. and Tempelley, Harold

Europe in the Nineteenth Century (1789-1914)
(London, 1929)

Guinet :

La Turquie d'Asie

Heyd,

Histoire de la Commerce Française dans le Levant

Hogarth, David, George,

Nearer East (1902)

Howarth, Sir Henry Hoyle,

History of the Moguls. 3 vols 1810-1883,

Hoskins, Holford Lancaster,

Business Routes to India (New York, 1923)

Houry, C B :

De l'Intervention Européenne en Orient et de son
Influence sur la Civilisation des Musulmans et sur la
Condition Sociale des Chrétiens d'Asie. (Paris, 1840)

Huntington :

The Pulse of Asia

Lavisse et Rambaud :

Histoire Générale :

Vol. X, chapters VI, XXVI

Vol. XI, chapters XI, XV

Vol. XII chapters XI, XIII, XIV, XV

Fischer, L :

La Question d'Orient d'après les Documents Anglais
[Revue des Deux Mondes, 1841, IV, 261-280, 411-454,
517-561]

Milner, Raoul

Le Orient de 1718 à 1817, Histoire, Politique
Religieuse, Mœurs (2 vols Paris 1846,

Mills, S B.

The Portuguese in Eastern Arabia and in the Persian
Gulf (Administration Report for 1884-1885)

Masson, Paul :

Histoire du Commerce Français dans le Levant au
Dixhuitième Siècle.

Malleon, Colonel :

Les Français et les Anglais dans l'Inde

Mechaud, Joseph Francois et J. Pujolat

Correspondance d'Orient 17 vols. Paris, 1833-1835

Miller

The Latins in the Levant

Miler

Essays on the Latin Orient.

Muir, Sir William

The Caliphate (London, 1891)

Mouradja D' Ohsson :

Des Peuples du Caucase (1828)

Olivier, G. A.

Voyage dans l'Empire Ottoman, l'Egypte et la Perse
(Paris IX)

Parsons, A. :

Travels in Asia and Africa (London 1808)

Peisker :

The Asiatic Back-Ground

(Cambridge Med. Hist vol I)

Peisker,

The Expansion of the Slavs.

Pingaud, Leonce :

Chose : Gouverner la France en Orient sous
Louis XVI

Pococke R.

A Description of the East (London 1743)

Pradt, Dom De :

Das System Permaent der Politik der Kaiserin in
la Russie et des Affaires d'Orient (Paris 1827)

Rabbath, le Pere Antoine :

Documens Legits pour servir a l'Histoire du
Christianisme en Orient.
(2 vols- Beirut, 1910)

Rabbath, Tournebize

L'Histoire du Christianisme en Orient

Rawlinson Sir H

The Great Russ and the East (London 1871)

Ronciere, Charles de La :

Histoire de la Marine Francaise

Sauvage de Jehay

Des Relations Legales des Souverains Musulmans

Sykes, Sir. M

Through Five Turkish Provinces (London, 1900)

Temperley, Harold

England and the Near East - the Crimea

(London, 1930)

Thevenot, M. D

Relation d'un Voyage fait en l'Asie Mineure de 1650

Valentia, George, Viscount :

Voyages and Travels to India Ceylon Persia
Abysinn, and Egypt in the Years 1802, 1803, 1804
and 1806 (London 1809 - 3 vols.)

Volney :

Voyage en Syrie et en Egypte

Whiteway, R. F.

Rise of the Portuguese Power in India

(London, 189)

Gusav Weil :

Geschichte der Chaldäer 1843 1867

Yule, Sir Henry :

The Book of Marco Polo , 2 vols 1803

ثانياً - تاريخ المسألة الشرقية

Ancei ,

Manuel Historique de la Question d'Orient

D'Argyll, Duc :

The Eastern Question 1876 1880

(London, 1881)

Bertrand, P. :

Lehrbuch d'Autorität et la Question d'Orient 1880

(Revue Historique, 1889)

Bristish Foreign Office : Peace Handbooks :

The Eastern Question

Chrol, Sir Valentine

Middle Eastern Question 1903

Documents Diplomatiques Relates à la Question

d'Orient

(Paris, 1842)

Draut, Edouard

La Politique Orientale de Napoléon, Sébastien

Gardane

(Paris, 1904)

Draut, E. :

La Question d'Orient depuis ses Origines jusqu'à la Paix de Sévres-1920 (8^e Ed. Paris 1921

Guichen, Vicomte de :

La Crise d'Orient de 1839 à 1841 ex. Europe

(Paris, 1921)

Hasenclever, Adolph :

Die Orientalische Frage von 1838-1841

(Leipzig, 1941)

Holland :

The European Concert in the Eastern Question

Mariott, J. A. R. :

The Eastern Question: An Historical Study in
the European Diplomacy (Oxford, 1917)

Poignant, G.

Questions Diplomatiques et Coloniales XXVI

Rodkey, F. S. :

The Far—Egyptian Question in the Relations of
England France and Russia 1832—1841

(Urbana, Ill., 1924)

Ross

Opinions of the European Press on the Eastern
Question

Sorel, A. :

La question d'Orient au XVIII siècle

(Paris, 1902)

Vandal, A.

Napoléon et Alexandre 1er

(3 vols., Paris 1891—1896)

Zimmerman, Alfred

Kolonialpolitik

(Leipzig 1905)

ثالثا — الدولة العثمانية — الى صلح روس سنة ١٨٥٨

Allen, W. E.

The Turks in Europe

Belin.

Du Régime des Fiefs Militaires

(Journal Asiatique 6eme Série XV)

Bélin

Letras Relativas a la Condicion des Zimmis

British Admiralty Publications :

Handbook Of Turkey in Europe.

British Foreign Office Peace Handbooks : Anatolia

— — — — — : Turkey

Brown

Foreigners in Turkey

Coquelle, P. :

La Mission de Sebastiani a Constantinople en 1801

(Rev. d'Hist. Diplomatique, 1903)

Creasy, Sir. E. :

History of the Attoman Turks.

Czartoryski, A. Prince

Mémoires (2 vols. Paris, 1827)

Denis, Juchereau de St

Histoire de l'Empire Ottoman (4 vols. Paris, 1844)

Blot Sir Charles, F.

Turkey in Europe

Dominian, L.

The Frontiers of Language and Nationality in Europe.

Eversley, Lord :

The Turkish Empire, its Growth and Decay

Freemen, E. A.

The Ottoman Power in Europe (London 1977)

Gibb,

History of Ottoman Poetry

Gibbons,

The Foundation of the Ottoman Empire.

Gorianow, S.

Le Bosphore et les Dardanelles Paris 1911.

Gourdon,

Les Négociations du Congrès de Paris

Hammer

Histoire de la Porte Ottoman.

Hertslet, Lewis

Complete Collection of the Treaties and Conventions and Reciprocal Regulations between Great Britain and Foreign Powers as far as they Relate to Commerce and Navigation (24. Vol London)

Jonquière A. de la.

Histoire de l'Empire Ottoman

(Rev. ed., 2 vols. Paris 1914)

Jarga :

Geschichte des Osmanischen Reiches, (Gotha. 1908)

Heinrich Kuntze :

Die Dardanellenfrage, ein Völker-Rechtliche Studie

(Rostock. 1909)

Lamartine

Histoire de la Turquie

Lavallée Ph. :

Histoire de l'Empire Ottoman

Loyer,

The Government of the Ottoman Empire

Luke:

Cyprus under the Turks.

Miler, William

The Ottoman Empire and its Successors.

1801—1922

(Cambridge, 1923)

Mac Farlane, Charles

Constantinople in 1827

(London, 1829)

Michaud, Louis Gabriel :

Mahmoud II, Biographie.

Biographie Universelle, vol. 72 346—357

Mischef, P. H.

La Mer Noire et les Détroits de Constantinople

Moltke, Helmuth Von :

Brücke über Zustände und Begebeheiten in der
Turkei von dem Jahren 1835 bis 1839

(Berlin, 1841)

Mouraxveiff :

Les Russes sur le Bosphore en 1833

(Moscou 1869)

Nesselrode, Comte Charles de :

Lettres et Papiers du Chancelier Comte de
Nesselrode 1760—1836 (11 vols Paris 1904)

مجلدات الامع والامس

Nicomède, |

Une lettre écrite a S. E. M. Le Marquis de
Villenave (von Hammer, XIV 314 ff and XIII 140)

سول و صف الحمر ، س اتنى وقت من فارس و تركيا فى صيف سنة ١٧٣٣

Nouradounghian, Gabriel.

Recueil d'Actes Internationaux de l'Empire Ottoman

(2 vols, Paris, 1900)

D^r Ohsson,

Tableau General de l'Empire Ottoman

(18th Century)

Otter, M. :

Voyage en Turquie et en Perse

(Paris, 1748)

رحلة من مدالي إلى بغداد إلى البصرة بين سنتي ١٧٤١ - ١٧٤٣

ثم من الموصل إلى ديار بكر وهو كتاب هام جدا

Pinon, René

L'Europe et l'Empire Ottoman

Paris, 1803)

Poole, Lane S :

The Story of Turkey,

Poole, Lane S

Stattford Cannang, Viscount de Redclyffe

(2 vols. London 1888)

Purvey, Vernon John :

England Russia and the Straits Question (1844
1856,) (Berkeley, 1931)

Rousset, Camille

La guerre de Crimée

Rycaut,

The Present State of the Ottoman Empire

(17th Century)

Sax, L. Von :

Geschichte des Mochtverfalls der Tuerken,

Schevill, Ferdinand :

The History of the Balkan Peninsula from the
Farjest Times to the Present Day (New York 1922)

Testa, Le Baron, de :

Recueil des Traités de la Porte Ottomane, avec les
Puissances Etrangères depuis le Premier Traité Conclu en

1536 . jusqu' à nos Jours (6 vols. Paris 1864)

Thornton, T. :

The Present State of Turkey (2 vols London 1820

Loynsee

The Western Question in Greece and Turkey
(London, 1923)

St. Denys, Le Baron Juchereau :

Histoire de l' Empire Ottoman depuis 1722 jusqu'en
1844 (4 vols, Paris, 1844)

Upphart, David :

Turkey and its Resources Its Municipal Organization
and Free Trade, etc. (London, 1833)

— Le Sultan et le Pacha d' Egypte (Paris, 1834)

— La Crise de France devant les Quatres Puissances
(Paris, 1840)

— Far Lebanon : a History and Diary (2 vols London
1860)

Vandal, Albert

Une Ambassade Française en Orient la Mission du
Marquis de Villeneuve

Zinkeisen, John Wilhelm :

Geschichte des Osmanischen Reichs in Europa
(7 Vols. Gotha. 1840—1863)

رأبنا مصر (من قبل الحملة الفرنسية في سنة ١٨٤١)

D'Abnec,

Vie de Kléber (Paris. 1880)

Baldwin George,

Political Reflections relative to Egypt. Containing
Observations on its Government under the Mamelukes, its
Geographical Position its Intrinsic and extrinsic Resources

its Relative Importance to England and to France and
its Dangers to England in the possession of France
(London 1801)

Becker, Martha F.

Désaix (Paris. 1852)

Berterand :

Campagnes d'Egypte et de Syrie

Berthier A. :

La Relation des Campagnes du General Bonaparte
en Syrie et en Egypte (Paris an VIII)

Correia, Le Comte de

sur l'Etat Politique des Provinces de l'Empire
Ottoman Administrees par Mehemed Ali.

(Paris. 1839)

Besunée, Hassan :

Egypt under Mohammed Aly Pasha

(London. 1838)

Bonapartes Letters :

The French Expédition into Syria. Comprising
General Bonapartes Letters 2 vols. ed. London 1799

Bowring, John :

Report on Egypt and Candia &c (London 1840)

Breton :

L'Egypte et la Syrie (6 vols. Paris 1841)

Bricher, L.

Une Famille française les de Lesseps

(Paris. 1906)

Bruce, James :

Travels to Discover the Source of the Nile in the
Years 1768 -1773. (5 vols. Edinburgh 1790)

Cadalvene, Ed. de, et Beuvery, de :

Egypte et la Turquie de 1829 à 1836
(2 vols. Paris, 1836)

Cameron, D. A. :

Egypt in the Nineteenth Century (London 1898)

Capper, James

Observations on the Passage to India through
Egypt and across the Great Desert (London 1784)

Cacull, William

Mohamed Aly Lord Palmerston Russia and Persia
(London 1840)

Carré, Jean — Marie :

Voyageurs et Ecrivains en Egypte de la fin de la
Domination Turque à l'Inauguration du Canal de Suez
(2 vols. Caire, 1932)

Cattaui, Joseph — Edmond :

Histoire des Rapports de l'Egypte avec la Sublime
Porte, (du XVIIIe siècle à 1841) Paris, 1910

Cattaui, René

Le Règne de Mohamed Ali d'après les Archives
Russes en Egypte, Tome Premier- Rapports Consulaires
de 1819 à 1833, (Société Royale de Géographie d'Egypte
(Caire 1931)

Chanut,

Campagnes de Bonaparte en Egypte (3 vols. Paris, 1811

Chuquet, A.

Quatre Généraux de la Révolution : Kleber, Hoche
Desaix, Mancau

(4 Series, Paris 1911)

Clot-Bey, A. B.

Aperçu Général Sur l'Égypte (2 vols Paris 1840)

Delprech, Comeiras :

Considerations sur la possibilité, l'importance et les
Moyens qu'aurait la France de rouvrir l'ancienne route du
commerce de l'Inde (Paris, an VI)

Denon, D. V.

Voyages. (2 vols. Paris, 1802)

Denon, Jean

Sommaire des Archives Turques du Caire
(Société Royale de Géographie d'Égypte) (Caire, 1930)

Description de l'Égypte, ou Recueil des Observations
et des Recherches qui ont été faites en Égypte pendant
l'Expédition de l'Armée française, publiées par les ordres
de Napoléon le Grand (10 vols, Paris, 1803—1822)

Dodwell, Henry :

The founder of Modern Egypt A Study of Mohammad
Ali (Cambridge, 1931)

Driault, Edouard,

La Formation de l'Empire de Mohammed Aly de
l'Arabie au Soudan (1814—1823 , Correspondance des
consuls de France en Égypte (Caire 1923)

Driault, Edouard :

Mohammed Aly et Napoléon

(1807—1814) (Caire, 1925)

Driault, Edouard :

Précis de l'Histoire d'Egypte (Mohamed Ali et Ibrahim) (Caire, 1931)

Douin, George :

- Angleterre et l'Egypte. 2 vols
(Société Royale de Géographie d'Egypte)
(Caire, 1928 — 1930)
- La Mission du Baron de Boislecomte l'Egypte et la Syrie en 1833 (Caire, 1927)
- Mohamed Ali et l'Expédition d'Algérie
(Société Royale de Géographie d'Egypte (Caire, 1930)
- Une Mission Militaire Française au près de Mohamed Aly etc.
(Société Royale de Géographie d'Egypte)
(Cairo 1923)

Durrien :

Lettres sur la campagne d'Egypte
(Carnets Historiques, 1899)

Lieut-Col. Fitzclarence :

Journal of a route across India through Egypt to England in 1817-1818 (London 1819)

Fontanier, Victor :

Voyage dans l'Inde et le Golfe Persique, par l'Egypte et la Mer Rouge (2 parts in 3 vols Paris 1844-1846)

C. De Freycinet :

La Question d'Egypte

Froment, D. :

Du Commerce des Européens avec les Indes par la Mer Rouge.
(Paris, an VII)

Gallaway, John Alexander

Observations on the proposed improvements in
the Overland Route via Egypt, with remarks on the
Ship Canal the Boulac Canal, and the Suez-Railboard
(London, 1844)

Ghorbal, Shafik

The Beginings of the Egyptian Question and the
Rise of Mehemet Aly (London 1928)

Gore, Montague

Some Remarks on the Foreign Relations of England
at the Present Crisis (London, 1838)

Gottheil :

Zimmis and Moslems in Egypt

Gouin, Edouard :

L'Egypte au XIX Siècle Histoire militaire, et
politique, anecdotique et pittoresque de Mèhomet-Ali,
Ibrahim Pasha, Sol nan Pasha, (Colonel, Sève,)
(Paris, 1847)

Guichen, Vicomte de :

La Crise d'Orient de 1839 à 1841 et l'Europe
(Paris, 1821)

Hamont, P. N. :

L'Egypte sous Mehemet-Ali, Population, Gouvernement,
Institutions Publiques, Industrie, Agriculture.
(2 vols, Paris, 1843)

Hilaire, E. G. St.:

Lettres Ecrites d'Egypte (Paris 1901)

De la Jonquiére,

L'Expédition d'Egypte (5 vols. Paris, 1900)

Kleber,

Rapport fait au Gouvernement français des évènements

depuis, el-Arish (Caïre, 1800)

Martin,

Histoire de l'Expedition d'Égypte (Paris 1821)

Lieut. Mascall, :

Plan of the harbour and road of Suez from a survey of Mascall 1777 with some additions by Lieutenant Harvey (London 1772)

Mengin, Félix .

Histoire de l'Égypte sous le gouvernement de Mohammed-Aly (2 vols Paris 1823)

Neurthe, Boulay de la :

La Direction et l'Expedition d'Égypte . Paris 1885)

J. F. Miot :

Memoires pour servir à l'histoire des expéditions en Égypte et en Syrie (Paris, 1804)

Mouriez, P.

Histoire de Mehemet Ali (3 vols . Paris, 1858)

Nahoum, Haim Effendi :

Recueil de Firmans Imperiale Ottomans adressés aux Valis et aux Khédives d'Égypte 1006 — 1322 H. (1597 — 1904) (Caïre, 1934)

Napoléon I,

Campagne d'Égypte .

أُمِّيَّةٌ سِتُّ حِلَالَةٍ، وَهِيَ تَكُونُ الْمَجْلَدَاتِ ٢٩ ، ٣٠ مِنْ مَراسِلَاتِ نابليون

المعروفة باسم Correspondence

Norry, Ch. :

Relation de l'Expedition d'Égypte

(Paris, an VII)

Paton,

History of the Egyptian Revolution

(2 vols. London, 1863)

Politis Athanase :

Le Conflit Turco-Egyptien 1838-1841 et les dernières années de règne de Mohamed Aly, d'après les documents diplomatiques Grecs (Caïre 1881)

Olberg, E. Von :

Geschichte des Krieges zwischen Mehemmed Ali und der Ottomanischen Porte in Syrien und Kleinasien den Jahren 1831 — 1833 (Berlin 1837)

Palmerston, Lord :

Letter addressed to Sir John Cam Hobhouse on the Turko-Egyptian affair

364 il. f. 211. مخطوط بمكتبة صاحب دار بطاوى تحت رقم

Payre, R. :

L'Expédition d'Egypte (Paris, 1850)

Phi lips, Walter Alison :

Mehemet Ali, Cambridge Modern History, vol X P. P. 545 — 572

Planat, Jules :

Histoire de la Régénération de l'Egypte (Paris, 1830)

Prokesch — Osten, Count Anton :

— Erinnerungen aus Aegypten und Klein — Asien, (3 vols Wien, 1829 — 1891)

— Mehmet Ali Vize — König von Aegypten, aus meinem Tagebuche 1826 — 1841 (Wien, 1909)

Rebaud وآخرون

L'Histoire scientifique et militaire de l'Expédition d'Egypte (12 vols. Paris, 1830 — 1836)

Reynier, J. L. E. :

L'Egypte après Heliopolis (1802 - 18٤6)

ترجمت الى الإنجليزية ونشرت في لندن سنة ١٨٠٢

Roy, J. J. E. :

Les Français en Egypte et Soudans des
Catopages d'Egypte et de la Syrie, par un officier de
l'expédition (Tours, 1855)

W. Robinson,

Suez Harbour, surveyed by Captain W. Robinson
(London 1782)

Red Key, Frederick Stanley

The Turco-Egyptian Question in the relations of
England, France and Russia, 1832 - 1841 (London, 1924)

Rousseau,

Kaïr et Monou en Egypte (Paris 1800)

Roux, Francois Charles :

- L'Angleterre - l'Isthme de Suez et l'Egypte au XVIIe
Siècle (Paris, 1922)

Les Origines de l'Expédition d'Egypte et les Echelles
de Syrie et de Palestine au dix-huitième siècle
(Paris, 1910)

Rustum, Asad Jibrail :

The Struggle of Mohammed Ali Pasha with Sultan
Mahmoud II and some of its Geographical aspects.
(Beirut, 1926)

Sabry, Mohammed :

L'Empire Egyptien sous Mohamed Ali et la Question
d'Orient, 1811 - 1849, Egypte, Arabie, Soudan, Morée,
Crée, Syrie, Palestine (Paris 1930)

Sammarco, Angelo.

— Il Regno di Mohammed Ali nei Documenti Diplomatici Italiani inediti :

— vol VIII —

Genesi e Primo Svolgimento della Crisi Egiziana
Orientale (Rome, 1931)

— vol IX

La Presa di San Giovanni d'Acri (Rome, 1932)

Savary :

Lettres sur l'Egypte (Paris, 1786)

Talamas, George Bey :

Recueil de la Correspondance de Mohamed Ali
Khedive d'Egypte du 1er Avril 1807 au 12 Juillet, 1848)
(Le Caire, 1931)

Vandal :

Louis XIV et l'Egypte (Paris Picard, 1830)

Vansleb :

The Present State of Egypt (17th Century)

Volney :

Oeuvres (Paris 1838)

Waghorn, Thomas :

Egypt as it is in 1837 (London 1837)

Sir Robert. T. Wilson :

History of the British Expedition to Egypt
(London, 1803)

David Urquhart :

Le Sultan et le Pasha d'Egypte (London 1859)

Vaulabelle, Achille de :

Histoire Moderne de l'Egypte

(2 vols. Paris, 1836)

W. H. Yates :

The Modern History and Condition of Egypt

(2 vols. London, 1843)

خامساً : بلاد العرب

British Admiralty Publications.

Handbook of Arabia

Brydges H. J. :

A Brief History of the Wahabys

(London, 1834)

Y. J. Burchhardt :

Notes on the Bedouins and Wahabys

(London, 1831)

Corancez :

Histoire des Wahhabis depuis leur origine jusqu'à
la fin de 1809

(Paris, 1810)

C. M. Doughty :

Travels in Arabia Deserta (Cambridge, 1881)

Hogarth, David George :

The Penetration of Arabia : a record of the devel-
opment of Western knowledge concerning the Arabian
peninsula

(N. Y. 1904)

Capt. F. M. Hunter :

An account of the British settlement of Aden in
Arabia

(London 1877)

Snouck Hurgrony :

Mekka

(vol. 1. La Hague 1888)

C. Neibuhr

Voyage en Arabie et en d'autres pays circonvoisins
(Amsterdam, 1776)

J. B. Rousseau,

Note sur les Wahhabis

Sadlier,

The Diary of a Journey across Arabia during the
Year 1816 (Bombay 1899)

سادسا : الشام الى حوالى منتصف القرن التاسع عشر

Arsworth, W. F. :

Ibraahim Pasha in Syria (Colburn's New Monthly
Magazine) (vol .77, 348 f.f.)

D'Avieux,

Memoires, (9 vols, Paris 1735)

Barker, F. :

Memoir on Syria (London, 1845)

Barker, E. B. B. :

Syria and Egypt under the last five Sultans of
Turkey (2 vols, London, 1876)

Berton, J. de, :

Les Chrétien d'Orient et les Reformes du Sultan
(Correspondant, 25 mai, 25 août, 1856)

Bertrand, General Henri G. Comte :

Campagnes d'Egypte et de Syria (2 vols. Paris. 1847)

Besson, Le Père Joseph .

La Syrie et la Terre Sainte au XVIIe siècle
(Poitiers, Oudin, 1862)

Bore, Eugène :

Question des Lieux Saints. (Paris, 1850)

Bowring, John :

Report on the Commercial Statistics of Syria
(London, 1840)

— The Syrian Question, (London, 1840)

Buckingham, F. S. :

Travels in Palestine (London 182.)

Burckhardt, John Lewis

Travels in Syria and the Holy Land (London 1832

Cahuet, Albéric :

La Question d'Orient dans l'Histoire Contemporaine
(Paris' 1905)

Cadalvene, E. de et Barrault E. :

Deux années de l'histoire d'Orient (1839-40)
faisant suite à l'histoire de la guerre de Mehemed Ali
en Syrie et en Asie Mineure. Paris 1840)

Castaing, Aphonse :

La Syrie, les Druses et les Maronites, Paris 1860)

Churchill :

The Druses and the Maronites under the Turkish
rule from 1840 — 1866

Cressaté Comte S. M. de :

La Syrie Française (Paris 1918)

Cuinet,

Syrie, Liban et Palestine

Djuvara, T. G. :

Cents projets de partage de la Turquie (Paris, 1915)

Douin, George

La Première Guerre de Syrie

(2 vols. Caire, 1931)

Draperon, Lud.

Le Grand dessein secret de Louis XIV Contre
l'Empire Ottoman en 1688

(Revue de Géographie, t. I et II, 1877)

R. Dussaud :

Histoire et Religion des Nosairis

(Paris, 1900)

Jouhaud, M.

La Question du Liban

(Paris, 1908)

H. Lammens :

La Syrie. Précis Historique

(2 vols. Beirout, 1921)

Laurent, Achille :

Relation Historique des affaires de Syrie depuis
1830 jusqu'en 1842. Statistique du Mont Liban et
procédure dirigée en 1840 contre les Juifs de Damas

(2 vols. Paris, 1848)

E. Lockroy :

Ahmed le Boucher, la Syrie et l'Egypte au dix-
huitième siècle.

(Paris 1888)

Mariti, (Abbé Giovanni) :

Histoire de l'état présent de Jerusalem. Publiée
par le R. P. Laorty Hadji

(Paris, 1853)

P. Masson :

Eléments d'une Bibliographie Française de la Syrie
[dans le Congrès Français de la Syrie]

(Paris, 1919)

Paul Masson :

Histoire du Commerce Français dans le Levant au
Dixseptième Siècle (Paris, 1896)

Murad, (Mgr. Nicolas) :

Notice historique sur l'origine de la Nation Maronite
et sur ses rapports avec la France, sur la Nation Druse
et sur les diverses populations du Mont-Liban
(Paris, 1844)

Napier, Admiral Sir Charles :

The War in Syria (2 vols. London, 1842)

Paton, A. A. :

The Modern Syrians (London 1844)

Perrier, Ferdinand :

La Syrie sous le Gouvernement de Méhémet,
Al: jusqu'en 1840. (Paris 1842)

Perron, Anquetil du :

Legislation Orientale (Amsterdam 1776)

Poujoulat, J J .

La France et la Russie à Constantinople.

La Question des Lieux Saints. (Paris, 1853)

Relazione dei Consoli Veneti Nella Siria

(ed. Berchet, Venise, 1866)

Ristelhueber :

Les Traditions Françaises au Liban

Rustom, A. J. :

— Les Campagnes d'Ibrahim Pasha en Syrie et en
Asie Mineure. (2 fasc. Caïre, 1927—1938)

Le Liban à l'époque des Emirs Chihab

(3 vols., Beirut, 1933)

— Materials for a Corpus of Arabic Documents
Relating to the History of Syria under Mehemet Ali
(vols I—V Beirut, 1930—1934)

— The Royal archives of Egypt and the Origins of
the Egyptian Expédition to Syria (Beirut, 1933)

Saint-Pierre, Puget de :

Histoire des Druses peuple du Liban avec des notes
(Paris, 1762)

Segur — Dujseryan :

La Syrie et les Bedouins sous l'administration
Turque (Revue des Deux Mondes, 15 mars, 15 avril, 1855)

Verney et Dambmann

Les puissances étrangères dans le Levant en Syrie
et en Palestine (Paris, 1900)

Volney,

Voyage en Syrie et en Egypte en 1783—1786
(Paris 1787)

سادسا العراق (الى سنة ١٨٦٨)

W. F. Ainsworth,

Personal Narrative of the Euphrates Expedition
(2 vols London 1888)

W. F. Ainsworth,

Researches in Assyria, Babylonia and Chaldaea
(London, 1838)

Andrew, W. P.

Memoir on the Euphrates Valley route to India
(London 1837)

Anon ,

Account of the Siege of Mosul by Nadir Shah
ترجمة لمخطوط بالتركية بالمتحف البريطاني

Anon :

Travels of Sir Anthony, sir Robert and Sir Thomas
Sherehy

من حلب الى بغداد الى كركوك عن طريق انقرة لندن ١٨٢٥

Robert Lady Anne

Bedouin Tribes of the Euphrates (London 1879)

B. F. O. P. H.

Armenia and Kurdistan

Valya Chelabi .

Travels of (Stambul, 1314 H)

رحلة في فارس وكردستان وبغداد واسمره

F. R. Chesney,

The Expedition for the survey of The rivers Euphrates
and Tigris (London, 1850)

F. R. Chesney

Narrative of the Euphrates Expedition
(London 1868)

F. R. Chesney

Reports on the Navigation of the Euphrates,
Submitted to the Government by — (London, 1833)

M. Chiha,

La Province de Baghdad (Caire, 1900)

مذكرات ابطال اقام في بغداد خلال القرن التاسع عشر وهي ذات قيمة

تاريخية

Coke, Richard :

Bagdad : the City of Peace (London, 1927)

V. Fontanier :

Voyage dans l'Inde et dans la Golfe Persique
(Paris 1844)

Fraser, J. B. :

Memorandum on the present condition of the
Pashalic of Baghdad (London, 1834)

J. B. Fraser :

Travels in Kurdistan and Mesopotamia
(London, 1840)

Dr. A. Grant :

The Nestorians (London, 1841)

Rev. A. N. Groves :

Journal of a Residence in Baghdad
(London, 1832)

Huart, Clement :

Histoire de Bagdad dans les Temps Modernes
(Paris, éd. Laroux, 1901)

تاريخ على موثوق فيه للعراق الى سنة ١٨٣١ م.

Haji Khalifa :

Jihan Nama (Const. A. H. 1245)

سائح تركى زار العراق في ولاية خسرو پاشا

H. G. Keppel,

Travels in Babylonia, Assyria Media and Scythia in
1826 (London, 1827)

Layard, A. H. :

Nineveh and Balylon

Longrigg, Hemsley Stephen .

Four Centuries of Modern Iraq.

Oxford, 1925)

H. F. B. Lynch:

Armenia - Travels and Studies (2 vols London 1903)

R. Mignon :

Travels in Chaldaea (London 1٥29)

فيه تعليق على [راد المسافر] في الصفحات ٢٦٩ — ٢٨٩

R. P. Philippe:

Voyage d'Orient (Lyon, 1652)

رحلة راهب كرملي فرنسي من حلب إلى بغداد إلى الصرة إلى مارس حوالى

سنة ١٦٣٢ م.

M. H. Pognon,

Chronique syriaque relative au siège de Mossul
par les Persans

ترجمة لمخطوط سرياني عن هذا الموضوع . عثر عليه في كيسة تل فوش على

مقربة من الموصل . ويعطى أن المخطوط كتب سنة ١٦٤٦

Lane Poole :

Life of General F. R. Chesney

Sir. R. K. Parker'

Travels in Georgia, Persia, Armenia, ancient
Babylonia (London, 1822)

J. L. Rousseau :

Description du Pachalik de Bagdad (Paris, 1809)

J. B. Rousseau :

Voyage de Bagdad à Alep. (Paris 1899)

Sestini,

Voyage de Constantinople à Bassora en 1781
(Paris, l'an VI)

W. F. Stclair and D. Fergusen :

The Travels of Pedro Teixeira

سائح رنعاى : من حلب ورس إلى البصرة إلى كربلاء والنجف إلى عانة

Rev Horatio Southgate

Narrative of a tour through Armenia, Kurdistan
Persia and Mesopotamia (2 vols. New York ,

J. B. Tavernier :

The Six Voyages of Tavernier through Turkey into
Asia

سائح تافرنيه في اشرق الاوسط بين سنوات ١٦٦٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٣٨

Antonio Teneyro :

Itinerario de . . . (Lisbon, 1829)

M. O. Theverot

Suite d'un Voyage de (Amsterdam, 1727)

رحلة إلى البصرة والحسا والنفط

J. R. Wellsted .

Travels to the City of the Calphs Along the
Shores of the Persian Gulf and the Mediterranean
(2 vols. London 1840)

سبعاً فارس وأفغانستان وتركستان (إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر)

Browne, Edward Granville :

Abridged translation of the History of Tabarstan
(London, 1905)

Brydges, Sir, H. G

The Dynasty of the Kajars (London 1834)

Sir Alexander Burnes :

Cabool, being a personal narrative of a journey to
and residence in that city in the years 1836, 1837, 1838
(London 1845)

Sir Alexander Burnes,

Travels in Bakhara . . . and narrative of a voyage on
the Indus from the sea to Lahore in the years 1831-1832
1833 (London 1834)

P. Charmoy,

Cheref Namah

أحسن طبعه أوروبية موجودة لكتاب " سفر نامه " عن " ربيع الأكراد
سنة مجلدات (باريس ١٨٦٠ — ١٨٧٥)

Conolly, Lieut. Arthur :

Journey to the North of India, Through Russia,
Persia and Aphaganistan
(2 ed Rev. 2 vols. London 1838)

Gurzon, Hon George N. :

Persia and the Persian question

H. M. Durand

Nadir Shah (London, 1908)

Eastwick, E. B. :

The Galstan of Sadi (London, 1852)

Franklin, W. :

Observations made on a tour from Bengal to Persia
in 1786 & 7 (London, 1790)

Freyer, Dr. :

—A new account of East India and Persia, 1672
— 1881 (London 1688)

Gardane, Le Gle. Alfred de :

Mission du Général Gardane en Perse, sous le
(٢٨)

Premier Empire Documents historiques .(Paris 1865)

Hanway, Jonas :

Historical account of British Trade over the Caspian
(4 vols. London, 1753)

Heude, W. :

A voyage up the Persian Gulf (London, 1816)

Ives, Dr. E.:

A Journey from Persia to England (London 1773)

Jackson, A. V. William :

Persia, Past and Present (New York, 1906)

Jones, William :

History of the life of Nadir Shah, King of Persia
(London, 1773)

Koye, Sir John William :

History of the war in Afghanistan (2 vols. 1851)

Krusinski,

History of the Revolution of Persia

ترجمة عن الروسية الأب Cercean ونشره في لندن سنة ١٧٢٨ م ويتناول
تاريخ فارس في الفترة التي احتلها الافغان خلالها

Lord Curzon of Kedleston, :

Persia and the Persian question
(2 vols, 1892)

Layard, A. H.

Early adventures in Persia, Susiana and Babylon
(London 1887)

Malcolm, Sir John :

History of Persia (1829)

Markham, Sir Clements B. :

General sketch of the History of Persia (1874)

Rawlinson H. C. :

England and Russia in the East.

C. J. Rich :

Narrative of a residence in Koordistan

Stirling, E. :

On the political state of the countries between
Persia and India (London 1835)

Sykes, Lieut Colonel. P. M. :

- A History of Persia (2 vols London, 1915)
- Ten Thousand miles in Persia (London 1902)

Watson, Robert Grant :

History of Persia (1866)

William Ainger Wigram & Edgar F. A. Wigram :

Cradle of Mankind (London 1914)

Wood, Lieut John :

A Personal narrative of a journey to the source
of the river Oxus in the years 1836 — 1837
(London 1841)

تأما المغرب : طرابلس ونوس والجزائر ومراكش (ال حوال

سنة ١٨٣٥)

Gal. Du Baral

Mes Souvenirs (3 vols. 1894—1896)

G. Bapst :

Le Maréchal Canrobert, souvenirs d'un siècle
(4 vols. 1898—1901)

R. Basset :

Documents musulmans sur le siège d'Alger par Charles Quint, (1541)

(Dans Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, (1890. P. P. 172-214)

Card, Rouard De :

Bibliographie des ouvrages relatifs à la Berbérie au XVII et XVIII siècles, (1911 et Suppl 1917)

Carrot, H.

Histoire général de l'Algérie (Alger, 1910)

Charles, P de Castellane, .

Souvenirs de la vie militaire en Afrique (1892)

Delphin,

Histoire des Pashas d'Alger de 1515 — 1745

ds. Journal Asiatique., 1922, I, p. p.
162 — 233

G. Douin,

Mohamed Aly et l'Expédition d'Alger (1829 — 1830)
(Le Caire, 1930)

G. Esquer,

Les Commencements d'un Empire, la prise d'Alger
(1830) (2^e éd. 1923)

H. De. Grammont,

Histoire d'Alger sous la domination Turque 1516-1830
(Paris 1887)

Grammont,

Relations entre la France et la Régence d'Alger au
XVII^e Siècle (4 vols. Alger 1879 — 1885)

P. Grandchamp :

Documents Relatifs aux Corsaires Tunisiens

(2 Octobre 1777 — 4 Mai 1824)

(Tunis, 1925)

S. Gsell, G. Marçais, G. Yver

Histoire de l'Algérie (II^e éd. 1927)

Lacharrière, Ladriet De :

Un Essai de pénétration pacifique en Algérie
de Rev Hist, Dipl. 1909 P P 240 - 270

H. Loin

L'Afrique du Nord, Tunisie — Maroc
(Paris, 1908)

Martimprey, Gal.

Souvenirs d'un officier d'état major. Histoire de
l'établissement de la domination française dans la
province d'Oran, 1830 à 1846

Monchicourt,

Épisodes de la carrière tunisienne de Dragut,
avec un preambule sur :

l'Insécurité en Méditerranée durant l'été de 1550

(Tunis, 1918)

Ch. Monchicourt,

Documents historiques sur la Tunisie
(Paris 1929)

Nettement,

Histoire de la Conquête d'Alger (1856)

Playfair,

The scourge of Christendom annals of British
relations with Algiers prior to the French conquest
(London, 1884)

Y. Pignon,

L'Esclavage en Tunisie de 1590 à 1620.

ds. Revue Tunisienne, 1930. P. P. 18-37

E. de la Primaudaie,

Documents inédits sur l'histoire de l'occupation
espagnole en Afrique (Alger, 1875 1877)

L. Rinn,

Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey

(Alger, 1900)

C. Rousset,

— La Conquête d'Alger, (Avec atlas 1879)

— l'Algérie de 1830 à 1840 (2 vols. 1887)

— La Conquête de l'Algérie (1841 — 1847 ,

(2 vols. 1889)

A. Rousseau,

Annales tunisiennes ou aperçu historique sur la
Régence de Tunis (Paris 1864)

Sander — Rang et Denis

Formation de la Régence d'Alger histoire des
Barbaresques : chronique arabe du XVI^e siècle
(1837. 2 vols)

Th. Shaw,

Travels and observations relating to several parts of
Barbary and the Levant (Oxford, 1738)

Laugier De Tassy,

Histoire du Royaume d'Alger, avec l'état présent de
son gouvernement (Amsterdam 1725

Auxzoux, A

La Mission de Sebastiani à Tripoli (Revue des
Etudes Napoléoniennes 1919)

تاسعاً : ألبانيا

British Foreign Office Peace Handbooks : Albania

C. A. Chekrezi,

Albania, Past and Present

E. Legrand

Bibliographie Albanaise

من القرن الخامس عشر الى سنة ١٩٠٠

W. Peacock

Albania, the founding State of Europe

عاشراً : البلقان (والثورة اليونانية بصفة خاصة)

(. F. Abot, (editor) :

Greece in Evolution : (Studies prepared under
the auspices of the French League for the defence of
Hellenism.)

G. Finlay :

History of Greece. (7 vols ed Tozer)

Gaston Isambert :

L'indépendance Grecque et l'Europe

W. Miller :

The Balkans

W. A. Phillips :

The War of Greek Independence (1821-1833)

Pouqueville :

Histoire de la régénération de la Grèce ~ 4 vols.

L. Sargeant :

Greece in the Nineteenth Century

كشاف

الانابكة : ٣٠

الأتراك (والعثمانيون وآل عثمان)

١٥٤١٠ ١٧٠ ١٩٤ ٢٣٤ ٢٨٠ ٢٩٠

٢١ ٢٢ ٢٤ ٢٦ ٢٨ ٣٠ ٣٢ ٣٤ ٣٦ ٣٨ ٤٠ ٤٢ ٤٤ ٤٦ ٤٨ ٥٠ ٥٢ ٥٤ ٥٦ ٥٨ ٦٠

٦٢ ٦٤ ٦٦ ٦٨ ٧٠ ٧٢ ٧٤ ٧٦ ٧٨ ٨٠ ٨٢ ٨٤ ٨٦ ٨٨ ٩٠ ٩٢ ٩٤ ٩٦ ٩٨ ١٠٠

١٠٢ ١٠٤ ١٠٦ ١٠٨ ١١٠ ١١٢ ١١٤ ١١٦ ١١٨ ١٢٠ ١٢٢ ١٢٤ ١٢٦ ١٢٨ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٦ ١٣٨ ١٤٠

١٤٢ ١٤٤ ١٤٦ ١٤٨ ١٥٠ ١٥٢ ١٥٤ ١٥٦ ١٥٨ ١٦٠ ١٦٢ ١٦٤ ١٦٦ ١٦٨ ١٧٠ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٦ ١٧٨ ١٨٠

١٨٢ ١٨٤ ١٨٦ ١٨٨ ١٩٠ ١٩٢ ١٩٤ ١٩٦ ١٩٨ ٢٠٠ ٢٠٢ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٠٨ ٢١٠ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٦ ٢١٨ ٢٢٠

٢٢٢ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٦ ٢٣٨ ٢٤٠ ٢٤٢ ٢٤٤ ٢٤٦ ٢٤٨ ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٤ ٢٥٦ ٢٥٨ ٢٦٠

٢٦٢ ٢٦٤ ٢٦٦ ٢٦٨ ٢٧٠ ٢٧٢ ٢٧٤ ٢٧٦ ٢٧٨ ٢٨٠ ٢٨٢ ٢٨٤ ٢٨٦ ٢٨٨ ٢٩٠ ٢٩٢ ٢٩٤ ٢٩٦ ٢٩٨ ٣٠٠

٣٠٢ ٣٠٤ ٣٠٦ ٣٠٨ ٣١٠ ٣١٢ ٣١٤ ٣١٦ ٣١٨ ٣٢٠ ٣٢٢ ٣٢٤ ٣٢٦ ٣٢٨ ٣٣٠ ٣٣٢ ٣٣٤ ٣٣٦ ٣٣٨ ٣٤٠

٣٤٢ ٣٤٤ ٣٤٦ ٣٤٨ ٣٥٠ ٣٥٢ ٣٥٤ ٣٥٦ ٣٥٨ ٣٦٠ ٣٦٢ ٣٦٤ ٣٦٦ ٣٦٨ ٣٧٠ ٣٧٢ ٣٧٤ ٣٧٦ ٣٧٨ ٣٨٠

٣٨٢ ٣٨٤ ٣٨٦ ٣٨٨ ٣٩٠ ٣٩٢ ٣٩٤ ٣٩٦ ٣٩٨ ٤٠٠ ٤٠٢ ٤٠٤ ٤٠٦ ٤٠٨ ٤١٠ ٤١٢ ٤١٤ ٤١٦ ٤١٨ ٤٢٠

٤٢٢ ٤٢٤ ٤٢٦ ٤٢٨ ٤٣٠ ٤٣٢ ٤٣٤ ٤٣٦ ٤٣٨ ٤٤٠ ٤٤٢ ٤٤٤ ٤٤٦ ٤٤٨ ٤٥٠ ٤٥٢ ٤٥٤ ٤٥٦ ٤٥٨ ٤٦٠

٤٦٢ ٤٦٤ ٤٦٦ ٤٦٨ ٤٧٠ ٤٧٢ ٤٧٤ ٤٧٦ ٤٧٨ ٤٨٠ ٤٨٢ ٤٨٤ ٤٨٦ ٤٨٨ ٤٩٠ ٤٩٢ ٤٩٤ ٤٩٦ ٤٩٨ ٥٠٠

٥٠٢ ٥٠٤ ٥٠٦ ٥٠٨ ٥١٠ ٥١٢ ٥١٤ ٥١٦ ٥١٨ ٥٢٠ ٥٢٢ ٥٢٤ ٥٢٦ ٥٢٨ ٥٣٠ ٥٣٢ ٥٣٤ ٥٣٦ ٥٣٨ ٥٤٠

٥٤٢ ٥٤٤ ٥٤٦ ٥٤٨ ٥٥٠ ٥٥٢ ٥٥٤ ٥٥٦ ٥٥٨ ٥٦٠ ٥٦٢ ٥٦٤ ٥٦٦ ٥٦٨ ٥٧٠ ٥٧٢ ٥٧٤ ٥٧٦ ٥٧٨ ٥٨٠

٥٨٢ ٥٨٤ ٥٨٦ ٥٨٨ ٥٩٠ ٥٩٢ ٥٩٤ ٥٩٦ ٥٩٨ ٦٠٠ ٦٠٢ ٦٠٤ ٦٠٦ ٦٠٨ ٦١٠ ٦١٢ ٦١٤ ٦١٦ ٦١٨ ٦٢٠

٦٢٢ ٦٢٤ ٦٢٦ ٦٢٨ ٦٣٠ ٦٣٢ ٦٣٤ ٦٣٦ ٦٣٨ ٦٤٠ ٦٤٢ ٦٤٤ ٦٤٦ ٦٤٨ ٦٥٠ ٦٥٢ ٦٥٤ ٦٥٦ ٦٥٨ ٦٦٠

٦٦٢ ٦٦٤ ٦٦٦ ٦٦٨ ٦٧٠ ٦٧٢ ٦٧٤ ٦٧٦ ٦٧٨ ٦٨٠ ٦٨٢ ٦٨٤ ٦٨٦ ٦٨٨ ٦٩٠ ٦٩٢ ٦٩٤ ٦٩٦ ٦٩٨ ٧٠٠

٧٠٢ ٧٠٤ ٧٠٦ ٧٠٨ ٧١٠ ٧١٢ ٧١٤ ٧١٦ ٧١٨ ٧٢٠ ٧٢٢ ٧٢٤ ٧٢٦ ٧٢٨ ٧٣٠ ٧٣٢ ٧٣٤ ٧٣٦ ٧٣٨ ٧٤٠

٧٤٢ ٧٤٤ ٧٤٦ ٧٤٨ ٧٥٠ ٧٥٢ ٧٥٤ ٧٥٦ ٧٥٨ ٧٦٠ ٧٦٢ ٧٦٤ ٧٦٦ ٧٦٨ ٧٧٠ ٧٧٢ ٧٧٤ ٧٧٦ ٧٧٨ ٧٨٠

٧٨٢ ٧٨٤ ٧٨٦ ٧٨٨ ٧٩٠ ٧٩٢ ٧٩٤ ٧٩٦ ٧٩٨ ٨٠٠ ٨٠٢ ٨٠٤ ٨٠٦ ٨٠٨ ٨١٠ ٨١٢ ٨١٤ ٨١٦ ٨١٨ ٨٢٠

٨٢٢ ٨٢٤ ٨٢٦ ٨٢٨ ٨٣٠ ٨٣٢ ٨٣٤ ٨٣٦ ٨٣٨ ٨٤٠ ٨٤٢ ٨٤٤ ٨٤٦ ٨٤٨ ٨٥٠ ٨٥٢ ٨٥٤ ٨٥٦ ٨٥٨ ٨٦٠

٨٦٢ ٨٦٤ ٨٦٦ ٨٦٨ ٨٧٠ ٨٧٢ ٨٧٤ ٨٧٦ ٨٧٨ ٨٨٠ ٨٨٢ ٨٨٤ ٨٨٦ ٨٨٨ ٨٩٠ ٨٩٢ ٨٩٤ ٨٩٦ ٨٩٨ ٩٠٠

٩٠٢ ٩٠٤ ٩٠٦ ٩٠٨ ٩١٠ ٩١٢ ٩١٤ ٩١٦ ٩١٨ ٩٢٠ ٩٢٢ ٩٢٤ ٩٢٦ ٩٢٨ ٩٣٠ ٩٣٢ ٩٣٤ ٩٣٦ ٩٣٨ ٩٤٠

ابن تيمية : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠

ابن خلدون : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

ابن سينا : ١٩

ابن شعبة : ١٣٧ ، ١٣٨

ابن عري (عبي الدين) : ١٨٩

ابن منجب الصيرفي : ١٩

ابراهيم باشا (ابن محمد علي)

١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢

٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥

٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

ابراهيم الك : ٥٧ ، ٦٨ ، ١١١ ، ١١٩

١٦٨

الابراهيمية (قناة) : ١٦٥

اردس (اللورد) : ٢٨٤

اسلنتي - اسكندر : ٢٠٥ ، ٢٠٩

اسلنتي - دميري : ٢٠٩

ابو حنيفة الثعالب : ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٦٠

ابو الذهب : ٦٨ ، ٢٦٨ ، ٣٢٧

ابو زناك : ٣١٤

ابو سعيد ابن أبي الخير الشاعر : ١٩

ابو عبد الله محمد بن الحسن الخفص

٢٩٥

ابو العلاء : ١٤

ابو قير : ٦٠ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦

ابو ليلى : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

ايروس : ٩٣ ، ٣٥٢

الاصلاح في تركيا ٢٤٥، ٢٤١

الاصلاح الديني: ١٨٨

الاطلسي (الحجط): ٣٠٥، ٤٥٠

اطله: ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٥٠

اغا الحجة: ٣٠٨

الاعريق: ٢٤

الاعواب ٢٩٩، ٢٩٨

اظارقه: ٢٩٧

افراسياب: ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢

٣٤٩، ٣٤٣

افريقية: ١٥، ٣٤، ٤٣، ١٩٦

٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٤٤

افشا: ٢٨

افغانستان: ١٠، ٣٢، ٣٠، ٥١، ٤٥٠

٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٦

آق قيون لو: ١٩

الاصطاع استبان: ٣٣٢

اكسموث: ٣٩٠

اكس لاشابل: ٣٠٩

اكراد: ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٤٦

٣٣٧، ٣٣٣

الاليا (والالبايون): ٧٤٠، ١٠٩، ١٢٥

١٢٦، ١٢٨، ١٢٧، ١٣٤

١٣٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥

١٣٦، ١٣٧، ١٣٨

البوكر: ٤٣، ٤٣٠، ٣٣٠

الالتزام (في الشام): ٢٦٥

الرد: ٢٣٩

٤٩٠، ٢٤٨٥، ٤٨٤، ٤٨٤، ٧٤

١٦٢، ١٦٠، ١٤٥، ١٢٧

٣٦٠، ٢١٢، ١٧٦

اسكى ٣٦٠

الاسلام: ١٣، ١٢، ٩، ٨، ٧، ٤، ٥

٢٨، ٢٩، ٢٧، ٢٢، ١٥

٦٧، ٥٢، ٤٥، ٤٢، ٤١

١٩١، ١٠٧، ٩٤، ٧٥

٢٤٤، ٢٤٢، ٢١٦، ١٩٣

٢٩٧، ٢٩٠، ٢٧٩، ٢٦٤

٣٧٢، ٣٢٥

اسماعيل (الحدوي): ٢٠١، ٩١، ٩٠

اسماعيل اغا: ١١٨

اسماعيل جوده: ١٣٦

اسماعيل الصغرى: ٣٠٠، ٢٨، ٢٠، ١٩

٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢١

اسماعيل القرطلى: ١٩

آسا: ٣٠، ٥٠، ٤٠، ١٠، ٢٩، ٣٩

١٥٦، ٤٩

آسيا الصغرى: ٨٤، ٣١، ٢٩، ١٨، ١٥

٢٨٨، ٢٢٧، ٢١٥، ١٣٣

آسيا الوسطى: ٤٩، ٣٢، ٣١، ٣٠

اسوان: ٢٧، ٢٣

اسوج: ٣٠٥

اسوس: ٣٢٤

اسيوط: ١٠١

اشرف حان لافشار: ٢٤٦

اشور: ٢٤٣، ٣٢٤، ٤٤

اصفهان: ٥١، ٣٢، ٣١، ٤٣٠، ٢٩، ٣٤٢، ٣٢٩

٣١٢٠٢٢٥٠٢٢٤
 باريس ٢٨٩٠ ٢٢٣٠٢٢٩٠٧٠٠ ٦٩
 ٣٧٩٠٣٢٩ ٣١٦٠٣١٣٤٣٠١
 باقيا ٤٥
 باي: ٢٩٧
 بايريد ٢٩٥٠٤٥٠٢٠ ٤٢٨٠٢٤٠ ٢٠
 ست ٨٧٠٧٠
 ترودى لامل ٢١
 راج: ٢١
 رتريس (الكونت دي): ٣٨٩
 بخت: ٢٩٠ ٤٠ ٣٠
 البحر الابيض المتوسط: ١٦٠ ٤٠ ٣٠
 ٨٢٠٧٤٠٧١٠ ٤٤٠ ٤٢٠ ٤١
 ٤١٢٠ ٤١١٠ ٤٨٨ ٤٨٥٠٨٣
 ٤٢٠٦٠ ١٩٧٠ ١٩٦٠ ١٥٦
 ٢٢٥ ٤٢١٨ ٤٢١٧٠ ٢٠٧
 ٤٢٧٧ ٤٢٧٦٠ ٢٢٩ ٤٢٢٦
 ٤٣٠٩ ٤٢٩٥ ٤٢٩٢ ٤٢٨٩
 ٤٣٥٤ ٤٣٠٥ ٤٣٠٣ ٤٣٠٢
 ٢٩٠ ٤٣٨٩ ٤٣٨٨ ٤٣٦٨
 البحر الاحمر ٧٩٠٤٤٠٤٣٠٢٧٠٢٣
 ٤١٦٥ ٤١٥٧ ٤١٢٠ ٤٨١
 ٤٣٣٠ ٤٢٤٤ ٤١٩٧ ٤١٩٦
 البحر الاسود: ١٠ ٤٩٠ ٤٨٠
 ٢٩٥٠ ٢٨٨ ٤٢٨٦ ٤٢١٧٠ ١٧٩
 بحر قزوين: ٣٩
 البحر الهندي: ٣٢٣
 الحيرة (مديرية): ١١٠ ١١٠ ٨٠

اسكوت ٢٢٧
 انكرمان: ٢٨٨
 الاتودى الشاعر: ١٩
 الاهرام: ٧٩
 اورث دووايه ٧٦
 اورمخ رس ٥٢٢٠
 اوسترلنز: ١٧٦
 اولياريوس: ٣١
 اوليفيه: ٢٥٧
 ايران: (أظر فارس)
 إيطاليا: ٢٩٢٠٢٢٧٠٢٢٦٠٧٥٠٢٩
 ٣٥٤ ٣١٤ ٣٠٣ ٣٠١
 الايوبيون: ٢٢٦ ٣٠ ٤٢٣
 أبوش ٦٠
 الايوبيات (جرائر): ٧٤

ب

بابان (ولاية): ٣٥٢ ٣٤٩ ٣٣٤
 ٢٦٢ ٣٦٢
 ب: ٣٢٦ ٣٠
 الباب العالي: ١٢٠ ٤١١٤ ٤٨٨
 ٣٥١٢٣٢٤٤٢٨٩٢٦٩٤١٢٦
 بابل: ٣٢٤
 الباقية: ٢٨
 برسباي: ٢٧ ٢٥ ٢٣
 باركر (الاستاذ ارست): ٣٨
 باركر (فصل اجلثرا): ١٦٥ ٤١٩٢

برومير : ٨٤
 بروي (الاميرال) : ٨٥
 روير : ٨٧
 برسم : ١٧٥
 يساروقتر : ٢٤٩
 الستيون : ٣٠٦٠٣٠٧
 سكر : ٣٠٠
 حوان او غلو : ٢٠٣
 بسمرك : ٢٠٥
 لشير جنلاط : ٢٧٣ ، ٢٧٠
 لشير الثاني : ٢٧٠ ، ٢٦٩
 لشير شهاب : ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢
 النصره : ١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠
 ٢٤٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٣٢٢
 ٣٤٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٢ ، ٢٤١
 ٣٦٥ ، ٣٦٠ ، ٣٥٤ ، ٢٤٩
 ٢٨٩ ، ٣٨٨ ، ٢٧٨ ، ٢٦٦
 ٣٩١
 نطرس الاكبر : ٤٩ ، ١٧٩
 بغداد : ١٩٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧
 ٢٢٢ ، ١٩٧ ، ٩٣ ، ٥١ ، ٣٣
 ٣٤٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥
 ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٠ ، ٣٤٢
 ٣٦٢ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ٣٥٢
 ٣٧٢ ، ٣٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢
 ٣٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٦٣
 ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٣٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٧٨

بحاري : ٣٩ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠
 بلير (موقعة) : ١٣٠ ، ١٩٣
 بلير الجمالي : ٩٤
 بلير وناظرو : ٢٩٥
 برادست : ٣٨٥
 برمس (برمس) : ٣٠٥
 البربر : ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ١٥
 بربروسا الاول : ٢٩٥
 بربروسا الثاني : ٢٩٦
 بربون : ٣٦
 البربرعال : ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٤
 ٢٩٠ ، ٢٢٥ ، ٥٤ ، ٥١ ، ٤٦
 ٣٠٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩١
 ٣٣٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩
 ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٣٩ ، ٣٢٥
 بربرير : ٣١٩
 برتوليه : ٨٠
 البرديسي : ٥٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩
 ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢٠
 برست : ٨٥
 بريديوس Presidios : ٢٩٠
 برفوق : ٢٢
 البروتستنتيه : ٢٨٢ ، ٣٨ ، ٣٦
 البروث : (بر) : ٢٨٦
 بروسه : ٢٧٧
 روسيا : ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢١٩
 روفانس : ٣١٦
 روكش اوستن : ٢١٠

مات : ٤٩
 بدير عباس : ٣٤٠٠٠٣٣٩٤٠٥١
 بدشيري : ٥٤٠٥٣٠٠٣٤١
 السدقة : ٤٤٤٤٤٤٣١٤٣٠٠٣٨٠٣٧
 ٣٦٥٠٣٣٥٠٣٣٠٠٤٩٩٠٤٨٠٤٦
 بنسني : ٢٣٤٠٢٣٢٠٢٣١٠٠١٦٩
 ٢٧٧٠٢٧٦٠٢٦٩
 السفالة : ٥٤
 بك النولة العتاش : ٢٥٥
 بنو اسرائيل : ٤
 بواتيه : ١٣٠
 بوالسكت (الارون) : ١٢٤
 بورمون : ٣١٨٠٣١٧٠٣١٦٠
 بوسعور : ٣٢٩
 الوسة : ٣٧٧
 بوشار : ٩٣٠
 بوعوص بك : ١٧١٠١٦٣
 بولده : ٤٦ و ٤٨
 بولباك : ٣١٨٠٣١٧٠٣١٢٠
 بولو (آل) : ٣٩
 بوبابرت (٦٨) (واطر مالبون)
 بونه : ٣١٨
 بوهبية : ٣٦٥
 بوشير : ٣٨٨
 البويهيوب : ٢٠
 يابكي : ٢٧٣
 يبرس : ٢٥٠٢٤٠٢٣٠
 بيت المقدس : ٢٢٨٠٠٦٧٠٤٠٣٩٠٣١

نكر : ٢٣٦
 نكر الصوامشي : ٢٤٩٠٣٣
 البكري : (يعقوب كوهين) : ٥٣٠١٤
 ٣٢١٠٣١٥
 بكين : ٣٨٩٠٣٩
 بلاسي : ٤٥٤٥٤
 بلا كلافا : ٢٨٨
 بلباس : ٣٤٥
 بلجيكا : ١٨٨٠٢١٧
 بلج : ٥١
 البلطيق : ٤٩
 بلعاريا : ٨٥٠
 بلعر : ٧١٠٤٨٠٤٩٠٤٥٠
 اللقان : ١٨٧٤٦٠٠٤٨٠٤٤٧٠١٥
 ٠٢٠٩٠٢٠٦٠٢٠٣٠١٨٧
 ٠٢٥٤٠٢٤٤٠٢٤١٠٢١٩
 ٣١٨٠٢٨٥
 بلوس لينش : ٢٨٨٠٢٦٨
 بلرستون : ٤١٥٦٠١٤٧٠٤٨٩٠٦٣
 ٢٢٩٠٢٥٥٠٢٤٤٠١٧٢
 ٠٢٣٤٤٠٢٣٣٠٢٣٢٠٢٣٠
 ٠٢٧٦٠٢٤٠٠٢٣٩٠٢٣٨٠٢٣٦
 ٣٩٠٠٢٦٩
 بلبار (جرتر) : ٣٠١
 البليدة : ٣١٨٠٣١٧
 بليك : ٣٠٥
 بلماي : ٢٧٢٠١٩٦٠١٩٥٠٠٥٤

١٧٧ ٠ ١٧٦ ١٧٤ ٠ ١٧٣

١٨٦ ٠ ١٨٥ ٠ ١٨١ ٠ ١٧٩

٢٠٦٢٠٥٠١٩٩٠١٩٢٠١٩٠

٢١٥ ٠ ٢١٥ ٠ ٢١٤ ٠ ٢٠٧

٢١٩ ٠ ٢١٨ ٠ ٢١٧ ٠ ٢١٦

٢٤٢ ٠ ٢٤١ ٠ ٢٤٣ ٠ ٢٢٩

٢٤٩ ٠ ٢٤٨ ٠ ٢٤٥ ٠ ٢٤٣

٢٧٦ ٠ ٢٧٦ ٠ ٢٧٦ ٠ ٢٥٧ ٠ ٢٠٥

٢٨١ ٠ ٢٩٧ ٠ ٢٦٢ ٠ ١٧٨

٢٩٤ ٠ ٢٨٥ ٠ ٢٨٤ ٠ ٢٨٣

٢٨٩ ٠ ٢٨٦ ٠ ٢٠٦ ٠ ٢٩٦

٣٧٩٠١٣٧٠٢٤٣٠٢٤١٠٣٣٥

٣٩٢ ٠ ٣٩١ ٠ ٣٨٩ ٠ ٣٨٢

تفليس : ١٤٨ ٠ ٣٤٩ ٠ ٣٦٢

تق الدين باشا : ٣٨٥

تلفت : ١٧٥

تمسك : ٤٩

ترمويل : ٢٠٩

القطيات الخيرية : ٢٥٩

نوح : ٢٧٢ ٠ ٢٣٩

نود لين : ٢٨٧

توماس موروسيني : ٤٨

تومس : ٣٩

تولوز (اسرة) : ٤٣

تولس : ٤٧ ٠ ٢٩٠ ٠ ٢٩١ ٠ ٢٩٧

٢٩٥ ٠ ٢٩٩ ٠ ٣٠٠ ٠ ٣٠١

٣٠٢ ٠ ٣٠٦ ٠ ٣١٠

تيطري : ٢٩٦

٢٨٣ ٠ ٢٨١

اليرقدار مصطفى : ١٧٧

بيروت : ٢٢٠ ٠ ٢١٥ ٠ ٢٠٨ ٠ ٢١٤ ٠ ٢٢٩

البيروني : ١٩

بيري ملك : ٢٣٠ ٠ ٤٤

بربطة : ٢٠٤ ٠ ٢٠

بيرم : ٣١

ت

تافريه : ٢٤٢ ٠ ٢٣٥

تاليران : ١٢٥ ٠ ١١٢ ٠ ٨٧ ٠ ٧٧ ٠ ٣٤

١٢٧ ٠ ١٧٥ ٠ ٣١٥ ٠ ٣١٤

تامسار : ٤٩

تيلور : ٢٧٢

تيرير : ٣٢٩ ٠ ٣٩

التار : ٣٦٥ ٠ ٣٣٤ ٠ ٣٠

تشارتوريسكي : ١٧٤

تعاب : ٢٩

تشيكوسلوفاكيا : ٣٨٠

ترقيا : ٤٩

تركستان : ١٧٩٠ ٠ ٤٩٤١٠

التركيان : ٣٠ ٠ ٢٢

تركيا (والدولة العثمانية) : ٢٨٠ ٠ ٢٥٠ ٠ ٤٠

٣٠ ٠ ٤٦ ٠ ٤٨ ٠ ٤٩ ٠ ٥٠

٥١ ٠ ٥٥ ٠ ٦٣ ٠ ٦٤ ٠ ٧٠

٧١ ٠ ٧٢ ٠ ٧٥ ٠ ٧٦ ٠ ٧٧

٧٩ ٠ ١١٠ ٠ ١٢١ ٠ ١٥٥

١٥٦ ٠ ١٥٩ ٠ ١٦٧ ٠ ١٧٠

بمورلك ٢٥

تبير : ٢٧٨ : ٢٣٥ : ٢٢٧

ث

اشعابه : ٢٩٥

ثورة أغسطس : ١٧٨٩ : ١٠٧ : ٦٤

الثقافة السكونية ٩١

الثقافة الفارسية : ١٩

الثقافة الفرنسية : ٩٠

الثقافة اللاتينية : ٩١

ثورات النعاب : ٢٠٣ : ٢٠٥

ثورة اشام : ٢٧٨

الثورة الفرنسية : ٢٠٥

الثورة اليونانية : ٢٠٩ : ٢١١

ج

جاردا : ١٨٠

حادة : ١٠

جيب : ٢٧٨

الجرفى : ٥٦٠ : ٥٧٠ : ٥٨٠ : ٦٤ : ٦٧

١٢٢ : ١١٨ : ١٠٨ : ٩٨ : ٦٨

١٥٢ : ١٤١

الجبل الاسود : ٢٠٣ : ٢٠٤ : ٢٥٤

جبل اللوز : ٢٧١ : ٢٧٢

ججارات : ٤٤

جدة : ١٣٤ : ١٩٦

الجركن : ٣٠٥ : ٣٢٣

جروفر : ٢٧٢

الجرار باش : ٨٤ : ٧٢٠ : ٢٢٣

٤ : ٣٥٥ : ٣٥٤ : ٢٦٨ : ٢٥٢

الجزائر : ٤٧ : ١٤٧ : ١٥٦ : ١٨٧

٢٢٧ : ٢٩٠ : ٢٩٤ : ٢٩٦

٢٩٧ : ٣٠٠ : ٣٠٦ : ٣٢٠

جزائر تحرير : ٣٣٠ : ٣٣٩ : ٣٥١

الجريكلى : ٣٥١

جزليكي : ٣٥٨ : ٣٨٧ : ٣٨٨

الجزيرة العراقية : ٦٧ : ١٥٨ : ١٩٠

حريرة لعرب : ٢٤٢ : ٢٧٨ : ٢٢٤

٢٤٣

جستاف ادولف : ٣٨

جف (سو) : ٣٤٥

جقق : ٧٨

جل بابا : ٤٩

جنياد : ٥١

جلعاه : ٢٥٨

جليبو : ٣١٢

الجليل (اسرة) : ٢٦٧ : ٣٤٩ : ٣٨٥

الجمعية العمومية (في فرنسا) : ٧٥ : ٧٦

الجمعية التشريعية (د د) : ٧٥ : ٧٦

جسلاط (أسرة) : ٢٧٢

ججاء : ٢٤٨

الجحوا ليل : ٢٢٦

جنوا (والجنويون) : ٢٩ : ٣١٤ : ٣٠٣

٢٢٥ : ٩٩٠

الجيه (قصر) : ٢٠٨

جوان كاتو : ٨٠ : ٣٠٩

جوتارد (سان) : ٤٧

الحروب الصليبية: ١١٨٤-١١٨٧	حورجيا: ١٨٠-١٩٧٩، ٢٤٩-٢٤٦
٢٨-٢٧، ٣٨-٣٩، ٤٤-٤٣	جومي: ٢٢٥
٤٣-٤٥، ٤٧-٤٩، ١٨٠-١٨١	جولستان (ك ب): ١٩
١٨١-١٩١، ٢٠٤-٢٤٤	جور: ١٦٥
٢٧٢-٢٧٩، ٢٨٩-٢٩٦، ٣٢٦-٣٢٥	جوز (السامح): ٢٨٨
٦١-٦٢، ٢٣٢-٢٣٧	جوت موت كورفيتو: ٢٩
٢٧٤	جوهري الصفي: ٩٤٠
حرب القرم: ٢٤٣-٢٥٧، ٢٥٨	جيجل: ٢٩٦-٣٠٦
٢٨١-٢٩٥، ٢٨٠-٢٨٨	جورو: ٢٢٧-٢٣٧
الحرب الكبرى: ٢٩-٦٤، ٢٤٢	الجيرة: ٨٠-١١٩
٢٥٨-٢٧٨	جيات: ٢٢٥
حرب المورو: ٢٧٠	جيمر (النج): ٣٣٩
حرب الوراثية القسطنطينية: ٤٠-٤١، ٤٨-٧٢	ح
الحرم الشريف: ١٦٨-٢٢٧	حادث الروح: ٣١٦
الحريز (تجارة): ٢٤٢	حافظ وحنة: ١٨٩
الحما: ٣٥٩	حجج: ٢٦٢
الحسين (وضي افقته): ٣٦٠	حشمة: ٤١
حسين باشا: ٢٤٢-٢٩٠، ٣١٠-٣١٤، ٣١٥	حجاج الحضري: ١٣٦-١٣٧
٣١٧-٣١٨، ٣٣١-٣٤٤	الحجاز: ٧٩-١٤٤، ١٥٧-١٦٨
حسبنا: ٢٢٥-٢٤٤، ٢٤٥-٢٤٩	١٧٣-١٩٤، ١٩٥
٣٥٥	حجر رشيد: ١٨-٩٣
الحصار لاسلامه: ٤٠٤-٨١٦، ١٤٠-٢٤٠	الحديدة: ١٩٦
الحصار الاوروية: ٦١-٦٢، ٦٤	حروب الاسترداد: ٢٦٤-٢٨٩
١٧٨-١٨٦، ٢٢١-٢٤٢	الحروب الأعلنة (ق ر ما): ١١٣
٢٤٣-٢٤٦، ٢٥٦-٢٨٥	حرب الثلاثين سنة: ٣٦
الحضارة القبطية بالهيلية: ٧٤٦	حروب الصليبية: ٧٩
الحضارة الرومانية: ٨	
حضارة العباسيين: ٨	

حسرو : ١١٧ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٣١

٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧١

الخط الشريف : ١٧٧ ، ٢٥٧

الخطيب القنطاري : ٣٣٧

الخلعاء (مسجد) : ٢٩٠

الخليج الفارسي : ٤٤ ، ٥١ ، ١٥٧ ،

١٩٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٣٣٨ ،

٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٨

٢٨٨ ، ٢٩١ ،

حوارزم - ١٨

حورشيد ناشا : ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٣٣

١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٢٠٣ ،

٢٠٩

خير الدين : ٢٩٦ ، ٣٠٣

د

لدار البيضاء ١٠

داعستان : ٢٤٦

دالي عامس : ٣٦٥

الدانوب : ٢١٤ ، ٢٨١

داود : ٣٤٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٥٦

٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠

٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

٣٧٥ ، ٣٧٦

الدي : ٢٠٠

دائرة العمران : ٣ ، ١٦

دائرة المعارف الاسلامية : ١٨٩

الذجلة : ٥٩ ، ٣٧٣ ، ٣٤٣ ، ٣٦٨ ،

٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

الخصارة المصرية القديمة : ٤

الخصارة اليونانية : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٠

حكومة الادارة (في فرنسا) : ٧٣ ،

٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

حكومة الجمهورية الفرنسية : ٧٤

حلب : ٢١٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩

٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٥

٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨٩

حاما : ٢٠٣

الحلة : ٢٩٠

الحدايون : ١٩

الحلة الايطالية : ٧٧

احلة الفرنسية : ٦٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠

٨١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٣٦٨

احداد : ١٢٢٠

احود ناشا : ٢٩٩

احورات : ٣٥٤ ، ٣٧٢

احره : ٣٤٥

«خ»

الخارسار : ٣٠٨

خامس : ٢٩١

خامس فارس : ٤٠ ، ٥١

خانة ناشا : ٣٤٩

خارسان : ٣٤٧

الخارصوم : ٢٠٣

الخراال : ٣٥٨

٢٦٢ ٢٥٢ ٢٤٦ ٢٤٤	برشد (مرو) ٢٧٥ ٣٤١ ٣٨٠ ٨
٢٨٢ ٢٧٩ ٢٦٥	الرصافة : ٢٨٨
الروم الارثوذكس : ٢٨٤	رماسا : ٢٥٧ ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٣ ٢٥٢
روما : ١١٣	رقت باشا : ٢٥٦
الروملى : ٢٢٠	الرق : ٢٥٨
ريتر : ٣٠٤	الريان الفرنسيسكان : ٣٩
ريدان : ٢٨٨	الريان الكرمليون : ٢٦٥
الريس (في المغرب) : ٣١٢ ٢٩٧	روبرت كلايف : ٥٤
الريس افدى : ٢٥١	الرومان (و دولة دارو) : ٢٠٠
الريت : ٢٣٦	٢٤ ٢١
ر	الدولة الرومانية المقدسة : ١٤
	رودس : ٤٥
الراب : ٣٠٠	ار. سا : ٧٢٠ ٧٠٠ ٥١٦ ٤٩٠ ٤٨
الرابر : ٢١٧	٤١٥ ٦٤١ ٤٨٠ ٨٨٠ ٧٩٤ ٧٧
ر.ه : ٤٨	١٧٢٠ ١٧١٠ ١٧٠٤ ١٦٩
الروانية (الدولة) : ٢٩٦	٤١٩٢ ٤١٨٠ ٤١٧٥ ٤١٧٤
الربى باشا : ٣٣٨	٤٢٠٩ ٤٢٠٨ ٤٢٠٧ ٤٢٠٥
ريقب البكرية : ١٠٦	٤٢١٧ ٢١٤ ٤٢ ٣٠ ٢١١
س	٤٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢١٩
لسادات : ١٠٠ ٩٧	٤٢٣٤ ٢٢٣٢ ٢٢٩ ٢٢٦
سارليه : ١٩٨	٤٢٤٢ ٢٤١ ٢٢٩ ٢٢٥
سافارى دوق راججو : ٣١٩	٤٢٥٥ ٢٥١ ٢٤٦ ٢٤٤
ساقى هليز : ٨٠	٢٧٦ ٢٧٤ ٢٦٨ ٢٦١ ٢٥٧
سان جوتارد : ٥٤ ٢٩	٤٢٨٤ ٢٨٣ ٢٨٢ ٢٨١
	٤٢٨٩ ٢٨٨ ٢٨٦ ٢٨٥

سليمان بك : ٣٣٥	سنت جون : ٢٢٨
سليمان ماث : ٢٥٢ ، ١٥٩	سن مارتان : ٢٥٣
سليمان القاوي : ٤٦١ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٢١	ساسون ناطون : ٣٠٣ ، ٣٠٢
٣٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٢ ، ٩٠ ، ٧٤	ساسنول : ٢٨٨ ، ٢٨٦
سليمان الحلبي : ٨٦	سفته : ٣٣٥
سليمان ماشاواني العراق : ٢٥١	سستياي : ٢٣٤ ، ١٧٦ ، ١٧٥
٠٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٥٥	سو : ٣٠٩
٢٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٠ ، ٢٥٩	سوارث : ١٢١ ، ١٢٠
السليمان : ٣٦٠	سراجين : ٣٩٠
سليمان الحلي : ٨	سترافورد رذكف : ٢٢٥ ، ٢١١
السلاجقة : ٨ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٥	٣٩٠ ، ٢٨٥ ، ٢٣١
١١٦ ، ١١٥	ميدني سث : ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤
السلوقي : ١٢٥	سردنيا : ٣٠٥
سلوقية : ٢٩٠	سرمشي : ٢٨٥
سم غد : ١٠ ، ٣٣ ، ٥٣	سسنة : ٣٦٧
سمسون : ٢٨٧	سكة حديد الحجر : ٢٨٨
السمة : ٢٦٥	سعيد (نو) : ٣٨٤
سجار : ٣٣٧	سلاميس : ١٣٠
السدة : ٥١٠	سلايك : ١٤١
السوية : ١٩٤	سلي : ٢٨٨
لسه : ٢٥٨ ، ٢٤٥ ، ٢١٨ ، ١٩	سستريا : ٢١٤
السواط : ٢٠٢	سليم الفتح : ٤٤
سويكي : ٤٨	سليم الكاث : ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥
سورات : ١٩٧	٢٩٦ ، ٢٨٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩
سوري : ٧٢	سليم افندي : ٢٠٢

الصوريون : ٢٣ ، ٥١ ، ٥٥ ، ١٩٥

٢٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

صلاح الدين : ١١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦

صفية : ٨٣

صحاء : ١٩٦

الصليبيون : ٣٠ ، ٣٩ ، ٧٣ ، ٢٠٨

٢٣١

صيدا : ٢٦٨

الصين : ٤٠

ض

ظاهر العمر : ٢٦٧ ، ٢٦٨

ط

طاهر باشا : ١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨

١٣٤ ، ٣١٢

الطائر (جريدة) : ٢٣٥

طريقه : ٣٠٣

طراروب : ٢٦٤

طرابلس : ١٧٦

طقطا : ١٤٤

طوسون : ١٩٣

طولون : ٤٥ ، ٣١٧

طيه : ٩٣

ع

عباس (الشاه) : ٥٠ ، ٥١

عباس مرزا : ٣٦٢

العاسيون : ٥٠

شفيق غرنال : ٦٨ ، ١١٠ ، ١١٤

١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٧٤

شمولبرن : ٨١

شمر (نو) : ٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٢٧٦

شدر ناجور : ٥٤

شدى : ٢٠١

شهاب (آل) : ٢٧٢ ، ٢٧٣

شهر زور : ٣٥٢ ، ٢٧٨

الشبامه : ١٤

شيعة : ١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨

٢٤٥ ، ٢٥٩

شيرار : ٣٤٠ ، ٣٤١

شيخ الاسلام : ٢٢٦

ص

صادق انا : ١٢١

صادق امدى : ٢٨٢ ، ٢٨٤

صارى عسكر : ١٠٦

صالح بك : ٢٧٧

الصالحية : ٨٠ ، ١٨٨

الصاوى (الشيخ) : ٢١٠

صبرى (الدكتور محمد) : ١٦٨

صحر : ٣٤١

الصدر الاعظم : ٤٧

انصرب : ٤٥ ، ٢٠٧

الصعيد : ٨٠ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١٤١

صعد : ١٦٧

١٦٤٠٤٣٠٤١٠٢٣٠٢٧

٤١٩٣٠١٩٢٠١٨٧٤١٥٧

٢٠٠٠٠١٩٥٠١٩٧٠١٩٦

٢٩٥٠٢١٧٤٢١٥٠٢١٢

٣٢٦٠٣٢٥٠٣٢٣٤٠٢٩٦

٣٣٠٠٣٢٤٠٣٢٨٠٣٢٧

٣٦٦٠٣٥٨٠٣٥٤٠٢٣٨

٣٨٣٠٣٧٩٠٣٦٨٠٣٦٧

عسان ٣٣٤

المراق : ١٠٠١٠٠٢٣٠٢٣٤٣٣

٣٢٢٠٢٨٩٠٢٢٧٤٥٠

٣٩٠

عروح بن يعقوب : ٢٩٦٠٢٩٥

العرش ٨٤٠٨٣

عجيل : ٣٧٦

عكر ٥٨

علي بن أبي طالب : ١٨٩

علي (الأخا) : ٢٩٩

علي أفندي : ٢٤٩

علي حوجه : ٢١٠

علي الجزائرلي : ١٧٤

علي شلى : ٢٣٠

عبيد الله : ٣٤٠٣٤٢٠٣٧٨

علي بك : ٢٦٨

علي الكبير : ٦٨

علي رضا : ٣٧٤٣٧٦٠٣٧٧٠٣٨٢

العصر العباسي الثاني : ١٤

خلافة الماسه ٢٧٠

عبد الحميد : (السلطان) ٢٥٨

عبد العزيز : ٢٥٦٠٢٦٣

عبد القادر : ٣١٧٠٣١٩

عبد الله الجزائر : ١٩٣٠٢٦٨٠٢٦٩

٢٧٠٠٢٧١٠٢٧٣

٢٧٤

عبد الله باشا الطويل : ٣٥٣

عبد الله كبرلي : ٣٤٨

عبد المل الرحمة : ٣٤١

عبد الحميد (السلطان) : ٢٥٢٠٢٥٦

٢٦٢٠٢٦٣

٣٨٤

عبد الواد (بنو) : ٢٩١

عبد الوهاب (محمد بن) : ١٩٤

عبدى باشا : ٢٥٣

عبد الله ميو : ٥٨

عثمان كتنخدا : ٩٧

عثمان طيل : ٣٤٨

عثمان باشا البنى : ٢٠٣

عديلة هاتم : ٣٥٠٣٥١٠٣٥٢

عدن : ١٥٧

عراقى : ٦٢٠

العرب : ٣٠٠١٩٠١٩٠٢٥٠٢٥٠

ف

فارس: ٦٠٠ ١٦٤ ١٥٤ ١٣٠ ١١٩ ١١٠ ٠٠٦

٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠

٥١٠ ٥١٠ ٥١٠ ٥١٠ ٥١٠ ٥١٠ ٥١٠

١٨١ ١٨١ ١٨١ ١٨١ ١٨١ ١٨١ ١٨١

٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨

٣٣٥ ٣٣٥ ٣٣٥ ٣٣٥ ٣٣٥ ٣٣٥ ٣٣٥

٣٤٠ ٣٤٠ ٣٤٠ ٣٤٠ ٣٤٠ ٣٤٠ ٣٤٠

٣٤٦ ٣٤٦ ٣٤٦ ٣٤٦ ٣٤٦ ٣٤٦ ٣٤٦

٣٦٠ ٣٦٠ ٣٦٠ ٣٦٠ ٣٦٠ ٣٦٠ ٣٦٠

٣٨٢ ٣٨٢ ٣٨٢ ٣٨٢ ٣٨٢ ٣٨٢ ٣٨٢

٣٩١ ٣٩١ ٣٩١ ٣٩١ ٣٩١ ٣٩١ ٣٩١

فارما: ٢٢٠ ٤٥٠

فاسكودي جانا: ٤٣

فاسمار (معاهدة): ٤٧

الفاطميون: ٢٠٠ ٢٠٠ ٢٠٠ ٢٠٠ ٢٠٠ ٢٠٠ ٢٠٠

الفران: ٤٥

فتح علي (الشاہ): ١٨٠

فرديند الثاني: ٢٩٩

القرات: ١٥٨ ١٧٢ ٣٤٥ ٣٣٣ ٣٣٣ ٣٣٣ ٣٣٣

٣٨٨ ٣٨٨ ٣٨٨ ٣٨٨ ٣٨٨ ٣٨٨ ٣٨٨

٣٩٠

فرقة الشرف (وسم): ٢٤٠

الفرق الطامة: ٣٧٢

فرنسا: ٣٠ ٣٦ ٣٨ ٤٢ ٤٦ ٤٦ ٤٦

٢٨٥ ٢٨٥ ٢٨٥ ٢٨٥ ٢٨٥ ٢٨٥ ٢٨٥

عكا: ٨٤ ١٧٦ ٢٣٤ ٢٣٤ ٢٣٤ ٢٣٤ ٢٣٤

٢٦٧ ٢٦٨ ٢٧١ ٢٧١ ٢٧١ ٢٧١ ٢٧١

٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥

عمر باشا: ٣١٠ ٣٣٥ ٣٥٢ ٣٥٢ ٣٥٢ ٣٥٢ ٣٥٢

عمانت: ٣٤٩

عمر بن الخطاب: ١٨٨

عمر بن الفارض: ١٧٩

عمر مكرم: ٥٦ ٥٦ ٥٦ ٥٦ ٥٦ ٥٦ ٥٦

١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤

١٢٩ ١٢٩ ١٢٩ ١٢٩ ١٢٩ ١٢٩ ١٢٩

١٣٥ ١٣٥ ١٣٥ ١٣٥ ١٣٥ ١٣٥ ١٣٥

١٤١ ١٤١ ١٤١ ١٤١ ١٤١ ١٤١ ١٤١

١٦٣

عبد: ١٢٢

عين جالوت: ٢٤٠

عين شمس: ٨٦ ٩٣

غ

الشریف غالب: ١٩٣

الغاليلون: ٣١٣

غرفة التجارة في مرسلية: ٣١٥

غرة: ٨٣

فلاد يفتك : ٤٩
فلورس يتجيل : ٢٨٨
فولس وشركاء : ١٩٥
فلكس ميجان : ١٤٠
فلكس (المكتشف بالعراق) : ٢٨٨
فلكشين : ١٨٠
افور : ٢٠٣
فواريل : ٣١٩
فورييه : ٨٠
فوناييه (فكتور) : ٣٦٩
الفرنج : ٢٠٣
قولق : ٧٤ ، ٧٥
عريد لد : ١٨٠
فيا . ٤٦ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨
٤٩ ، ٣٦٥
فليب : ٢٣٧ ، ٢٣٥
فيليف : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٢
فيليو : ٨٤
الفيومي (الشمس) : ١٠٠
« ق »
قاسم افندي : ٣٧٤ ، ٣٧٦
القاهرة : ٢٠ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٠
٨٦ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٨
١١١ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦٨ ، ١٧٦
١٩٣ ، ١٩١ ، ٢٢٣ ، ٢٧١
٣٧٨

٤٧ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧
٥٨ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣
٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
٩١ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧
١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤
١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠
١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩
١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٧٤
١٠٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٤
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧
٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩١
٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨
٣١٩
فروتيراس : ٢٩١
فروود : ٢٩٣
فلسطين : ٧١ ، ١٥٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٥
٢٢٧

مصر الروسية : ١١٣٠ - ٣٣٩	قاضي القضاء : ٣٣١
الفيروان : ٩٣	قادون : ٣٣٨
ك	القانون الفرنسي : ٩٠
	قبان : ٣٣٤
كاودسترياس : ٢٠٧	انصايه : ٢٩٠
الكاسنيون : ٣٠	قطان باشا : ٣٤٩
كابل : ٣١٠	القيقول : ٢٦٥
الكاثوليك : ٢٨٢، ٢٨١، ٣٨٤، ٣٦	فرد جورج : ٢٠٧
كارلوروسى : ٥٩	فرد جولان : ٣٣٥
كارلوفر : ٢٤١، ٤٤٩	فرد مصطفى : ٣٣٥
الكارينييه (الجزائر) : ٤٠	قروين (عمر) : ١٧٩، ٤٥٠، ٤٩٠، ١٠٠
كارينكال : ٥٤	القبطانية (اطر الاستانة)
كازر : ٢٨٨	انشيم : ٣٤٠
كالبكوت : ٤٣	القصة (قصر) : ٣٠٨
كامل (اسكندر) : ٣٩٠	قطر : ٣٤
كامبل (باترك) : ٢٢٥، ٤١٧٨، ٤١٦٩	القطيف : ٣٣٠
كاس (ولم) : ١٧٢	قلعة القاهرة : ١٦٠، ٤١٤٩، ١٣٥
كاله : ٣٧٩	القناطر الخيرية : ١٦٠
كاروروت : ٢٨٧	قال السويس : ٩١
كيرال : ٤٣	قندهار : ٥١
كبيريل (أسرة) : ٢٤٢٠	القرم : ٢٩
الكتاب المقدس : ١٨٩٢	انرغير : ٤٩٠، ١٠
كثري الثانية : ٢١٤	القوقاز : ٢٨٨، ٤٣١٤، ٤٥٧، ٤٥١
كتروف (طيشهون) : ٣٢٤	قويه : ٢٢٢، ٤١٧١، ٩٤٥
كتشك كيارجى : ٢٨٢، ٢٤١، ٥٤	٢٢٦، ٤٢٢٣
٣٥٢	القور : ٣٤٠

كتشكا : ٤٩
الكنج (نر) : ٥٢
كيجليك (الكسد) : ٩٠
كنجود : ٣٨٨
كندی : ٣٣٩
الكنية اللاتينية في بكين : ٣٩
الكنيسة : ٣٠٤
الكنية : ٣٥٠ : ٢٩٣
كوت : ٣٦٠
كوتاميه : ٣٥٣ : ٢٢٣
كوريس : ٢٠٦
كوسني : ١٦٤
كوشيه : ١٥٨
الكوا : ٢٧٤
كولومب : ٤٠
كوله مر : ٣٥٠
كوبية : ٨١ : ٨٠ : ٩٢
الكويت : ٣٦٦
كويستجق : ٢٣٨ : ٢٣٤

ل

لارسيير : ٢١٦
لاتين (ولاتينية) : ٧٧٢ : ٧١٠ : ٤٦
لافوسير : ٣٣
لام (بو) : ٢٤٥ : ٣٣٤
لامرتين : ٢٣٦ : ٢٣٥
لاهور : ٥١
لاوند : ١٦٤

كتشي بك : ٢٤٦ : ٢٤٢
كدرجيس : ٢١٣
كراسوفسك : ٤٩
كرلا : ٣٥٩ : ٣٤٧ : ٣٢٧ : ٣٢٦
٣٨٦ : ٣٦٠
الكرح : ٣٥٩ : ٣٥٠ : وانظر بحاليك
العراق :
كرستان : ٣٢٣ : ٢٢٨
كر كوك : ٣٧٨ : ٣٣٧ : ٣٣٥
كرم : ٥١
كرمشاء : ٣٦١ : ٣٤٦
كرمت : ١٦٥ : ٨٢ : ٤٨
كسوك : ٤٥
كسني (الكاتن) : ٣٨٧ : ٢٦٩ : ١٥٨ : ٢٩٠
كشران : ٢٠٨
الكشف الامريكي : ٣٨
الكشف الاسوي : ٢٩
الكمة : ١٦٩
كلير : ٣٠٦
كلديا : ٢٢٤
كلفن : ٢٠٥
كلكتا : ٥٤
كلودبوس حمس رنشر : ٣٦٧
كلورل : ٢١٩ : ٣١٨
كلير : ١٠٧٦ : ٩٢ : ٨٦ : ٨٥ : ٨٤
الكاليون : ٢٥٤ : ٢٤٢
كموفورميو : ٧٧ : ٧٥ : ٧٤
كمبالوك : ٣٩

م. و. و. ك. و. س. ٢٠٩
 متر مخ ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢١٠ ، ٤٧٠
 منقح (ح. ٥٠) ٢٩٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٣
 المقي: ١٩٤١٤
 المجر: ٤٨٤٤٦ ، ٤٥٤٢٢ ، ٤٢٩
 ٣٠٨٤٢٤١٤٤٩
 حر- (هر) ٣٠١
 مجلس أعيان البلاد: ٣٢٢
 مجلس لشورى ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩١
 مجلس نواب في تركيا: ٢٥٤
 مجلس النواب البريطاني: ٦٣
 المجمع الفرنسي: ٤٣ ، ٧٥
 المجموعه لأور. ٣٦٩
 محمد مير: ٣٣٨
 محمد باشا لأرض: ٣٣٥
 محمد باشا: ٣٨٥
 محمد بنق: ٣٢٧
 محمد رشيد شاه: ٣٨٥
 محمد بن سعود: ١٩٠
 محمد بن شيب: ١٨٩
 محمد بن عبد الوهاب: ١٨٩ ، ١٩٠
 محمد رفعت: ٧٨ ، ٩٣
 محمد الرابع: ٤٧
 محمد علي: ٤٨٩٤٧٩٤٧٠ ، ٤٦٣٤٥٧٤٢٩
 ١١٣٠١٠٩ ، ١٠٧٤٩٨٠٩٩
 ١١٩٤١١٨٤١١٧٤١١٦
 ٤١٢٦٤١٢٤ ، ١٢٢ ، ١٢٠

لنان: ٢٦٧ ، ٢٢٩ ، ٢١٨ ، ٢٩٢
 ٢٧٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩
 ٣٦٩ ، ٣٥٤ ، ٢٨٢
 لندن: ١٢١ ، ١٢٠ ، ٨١ ، ٧٠
 ٢٥٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢١٨
 ٢٩٢
 لويس سابع: ٢٩١ ، ٢٧٤
 لويس الرابع عشر: ٤٧ ، ٣٠٤٢٧٢
 لون فيلب: ٢٢٤
 لورستان: ٣٤٦ ، ٣٣٤
 لوزيانا: ٧٦
 لياو: ٤٣ ، ٤١ ، ٢٩
 لير: ٩٢
 ليستر: ٧٤ ، ٤٧
 ليمانت: ٢١٦
 ليهوريا: ٣١٤
 لينان: ١٥٩
 ليون: ٣٠٢

م

مارتن لوثر: ١٨٩
 مارنيك: ٣١٦
 ماردن: ٣٨٥ ، ٢٦٠
 مارمون: ٣١٢
 ماكسل: ٢٩٠
 مالطه: ١٢١ ، ٢٩
 مالك (سبو): ٣٢٤

محمود خان : ٣٤٦	١٢٧ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١
نحا : ١٧٩	١٣٢ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧
مدرست باشا : ٣٤٢ - ٣٨٤ - ٣٨٥	١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢
٣٩٢	١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
مدراس : ٥٤	١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠
مدرسة المعلمين بباريس : ٧٦ - ٧٥	١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
المدينة : ١٦٨ - ١٧٥ - ١٩٢ - ٣٧٧	١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
مراد (الباي) : ٢٩٩	١٦٢ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
مراد الثاني : ٣٢ - ٥٧ - ٥٩ - ٦٨	١٦٧ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١
مراد بك : ٨٦ - ١٠٠ - ٣٣٠	١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٧ - ١٧٩
مراد الرابع : ٥٩ - ٣٣٣	١٨١ - ١٨٧ - ١٩٢ - ١٩٣
مرتضى باشا : ٣٣٥	١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨
المرتبة : ٣٥٣	١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٣٨ - ٢٤٢
مرسلها : ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٦	٢٤٦ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢
مرلبره : ٣٠٥	٢٥٥ - ٢٦٣ - ٢٦٩ - ٢٧٠
المسألة السورية : ٢٢١	٢٧١ - ٢٧٩ - ٣١٠ - ٣١١
المسألة الشرقية : ٤٧ - ٤٩ - ٦٢	٣١٤ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٨٤
٢١٩	محمد علي رضا باشا : ٣٧٤
المسألة المصرية : ٧٠ - ٨٧ - ١١٠	محمد فريد أبو حديد : ١٣١
١٢١ - ١٧٤ - ٢١٧	المحمرة : ٣٨٣
مست : ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١٢٦	محمود الثاني : ٢٠٩ - ٢١٥ - ٢١٦
١٩٨	٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٨
مستفانم : ٣١٩	٢٦٩ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٣٨٤
المستنصر : ٣٧٤	محمود شاكر : ١٤
مسط : ٣٤ - ١٩٧ - ٣٣٦ - ٣٤١	محمود العورى : ١٥
مولجى : ٢١٠	المحمودة (قناة) : ١٦٠
المسيحية : ٨ - ١٣٠ - ٢٥١ - ٢٧٩	المحيط الهندى : ١٧٩
٢٨٠	

١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ، ٢٥٠

٢٦٦

تأليك العراق : ٣٢٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٣٥٥

٢٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

٢٨١ ، ٢٨٤

المسقى : ٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨

صح (اسرة) : ٤٠

مجان : ١٢٢

مدالي : ٣٦٠

مشيكوف : ٢٨٥ ، ٢٨٦

ابصورة : ٧٤

المدى : ١٠٠

المدة : ١٩٤

الموارة : ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢

المورة : ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٢

١٩٢

موج : ٨٠ ، ٩٢

الموحدون : ١٩

ن

نابليون : ٣٧ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٢

٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٣

٨٥ ، ٩٢ ، ٩٠ ، ١٠٢

١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٧٥

١٧٦ ، ٢٦٨ ، ٣١٤ ، ٣١٧

نابير : ٢٢٧

نادر شاه : ٣٤٨

نشير العرص الهاموني ٢٦٥

مصر في معظم صحائف الكتاب

تعميرا

مصطفى باشا : ٣٥٣

مصطفى الثاني : ١٣٩

مصطفى بوري باشا : ٣٨٥

معن : ٢٧٢

معبد القاهرة : ٩٢

امبول : ١٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٥٢

٢٢٦

المعرب : ١٦ ، ٢٩٠ ، ٢٢٢

المقطف : ١٤

مقدونيا : ٧٤

مكة : ٢٦ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٩٣

٢١٥ ، ٢٨٨ ، ٣٦٦ ، ٣٥٩

ملا كوف : ٢٨٨

الملايو : ٧١

مليورن : ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨

ملك المناريس (لوى فيليب) : ٢٣٦

ملدايا : ٢٦٨ ، ٢٥٤

الممالك : ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٤

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٧

٧٩ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣

١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩

١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨

١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠

هكاو : ٣٩

هولند (والهولنديون) : ٣٣٥ (٤١)

٣٤٩ ، ٢٤٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤

الهيلينيون (الحركة الهيلينية) : ٤٦

٢٠٨

- و -

واو : ٣١٧ ، ٢٣٥

وسعدا (معاهدة) : ٣٦

وليم كاميل : ١٧٢

الوهابيون : ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٩٨

١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨

٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٠٨

٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١

ومرا : ٣٠٩ ، ٣١٨

ويلس (الكاتب) : ١١٣٠

ي

اليابان : ١٦٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٣٦٢

ياسى : ٧٤١

يشك : ٢٣٩

يعقوب (الجلال) : ٦٨

اليهود : ٦ ، ٩٠ ، ٢٧٥ ، ٣٠٠

يوحنا (الأمير) : ٤٨

ليون : ٥٠ ، ٦٢ ، ١٧٧ ، ١٣٠

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٧٢

بافاريين : ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٢٢٧

تامق ياشا : ٣٨٨

تقلا (عصر روم) : ٢١٢

٢٢٤ ، ٢٢٩

التجف : ٣٨٦

النسطوريون : ٧٩

تسلوود : ٢٣٤

التمسا والتساريون : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩

٤٧٠ ، ١٧٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٤

٢٣٦ ، ٣٨٠

تومسار : ٤٩

٨٢ ، ٧

هـ

هاسبرج (آل) : ٣٦ ، ٤٥

هارفورد جونز : ٣٥١

هايدو (المؤرخ) : ٣٠١

هرت (المسيو) : ٢٤٩

هرمر : ٤٤٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤١

الهد : ١٥ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٠

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٨٦

٧٨ ، ٩٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧

١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ٢٠٣

٣١٨ ، ٣٢٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٩

٣٣٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٧٧ ، ٣٩٠

٣٩١ ، ٣٩٢

هكار اسكلى : ٣٣٢ ، ٢٧٤

ص	س	حط	ص
٤	١٩	أصلية	أصيلة
٧	١٥	لقائحوب	لبسو هم ثلثه ثلثين
١٤	٣	لعي	ل
١٥	٢١	لقورى	لقورى
٢١		السطر الاخير : الملح	المسح
٤١	١٤	لعم الاسلام	عم الاسلام القدوة
٤٣	٥	يصرب	يصوبا
٤٧	١٩	بدأ	بدأ
٤٨	١٩	الواحدة بعد الاخرى	الواحد بعد الاخر
٥	اعادش	عارس الصغور	ع س - الصغور
٥٤	١٢	مراصكرا	مراصكرا
٥٥	٢	توشك لقط ركب	توشك ركب
٦٢	٨	ص عراي	ص عراي
٦٧	٨	لا تكاد تقاس بها	لا تكاد تقاس بها
٦٩	٣	طررة	طررة
٧٧	١٧	لاخاد	لاخاد
٧٧	٢١	تواخوا	تواخوا
٧٨	٢٢	محتاجوب	محتاجوب
٨٣	٨	أستفلال	أستفلال
٨٤	١	أمرلا	أمرلا
٨٤	١٧	١٧٨٩	١٧٨٩
٨٧	١٥	م حراج	م حراج
٩٢	٢٢	insuti	institut
٩٨	٨	فيأخون	فيأخون
١٠٩	٢٣	أبها	أبها
١٠٠	٩	شكراه القم	شكراه
١٢	٨	تقطنى	تقطنى
١٢٠	١٤	contrairio	contraire
١٢٠	٢١	co dite	conduite
١٤٠	١٥	إذا	إذا
١٤٢	٣	استعظم الى	استعظم الى
١٤٣	٨	سحما	سحما
١٤٦	١٧	محمد عليا	محمد عليا

ص	س	حفظاً	صوب
١٥٣	١٩	شبهه	سبه
١٥٦	١٤	درو	دروا
١٥٩	١٥	هد الشكاوى	هد الشكاوى
١٥٦	١٦	محمد صبا	محمد عبد
١٦	٢٢	والفصل	والله مع
١٦٠	٢٣	ى	وى
١٦٣	٢٢	وعدا	عد
١٧١	عشر	Afficiel	officiel
١٨٠	٢٠	عد	عد
١٨٦	١	سبها بأن	بأن سبها
١٩١	٧	انصبه	انصبه
٢٠٣	١٩	نوارات	نوارات
٢٦	١٤	غير لحولة	غير لحولة
٢٦٢	٢٣	١٨٢٠	١٨٣٠
٢١٨	٦	للصاح	الصاح
٢٣٤	١٦	لا مل	الامت
٢٣٥	١٠	ببرسون	ببرسون
٢٣٦	٣	معدله	معدله
٢٤٩	١٣	مصرح	مصرح
٢٤٩	١٥	سبها	سبها
٢٥٠	٢٣	لارمان	لارمان
٢٥٦	١٧	ارى	ارى
٢٦٥	١٧	الابات	الابات
٢٧١	٢٢	يؤدوا	يؤدوا
٢٨٥	١٧	لمعريين	المعريين
٢٨٧	١٨	مقبه	مقبه
٢٨٩	٧	المساواة	المساواة
٢٩١	الحاشى	سقوط الاسلام	سقوط الادلس
٢٩٣	٢٠	حجر	حجرا
٢٩٢	١١	وها وتايجها	وتائجها
٢٩٣	الحاشى	مهاجرو المغرب	مهاجرو الادلس
٣٢٦	١	وقد كات	وقد كات

صف	س	م
٩	٣٧٥	في صل الاسلام
١٩	٣٢٩	أو جبر
٢٠	٣٥٩	جل
٥	٣٨١	لقد اهتم

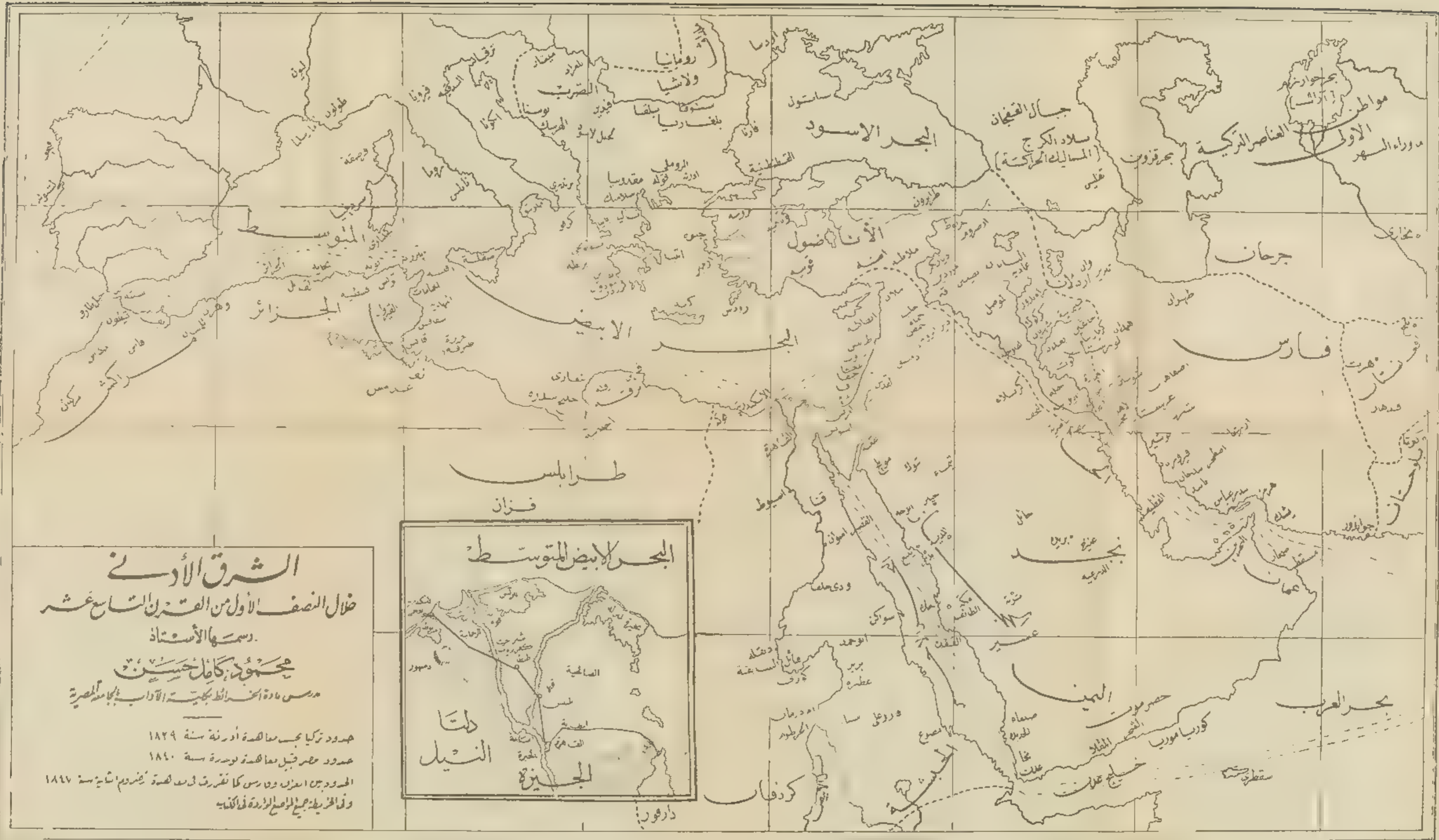
ملاحظة

تصحح من ١٠٣ من سطر ١٩ الى سطر ٢٢ كما يلي :

« بصرف أموره جده . اعلمه الانحلال . ولا ساحة في رعايه منعهان أو حرمه متوك على هؤلاء .
 هم العرب سبوا بمحكوم . منهم بأنفسهم اموالهم ومنه سبوا . وأولئك هم ١١ »
 ليستقيم سياق الكلام

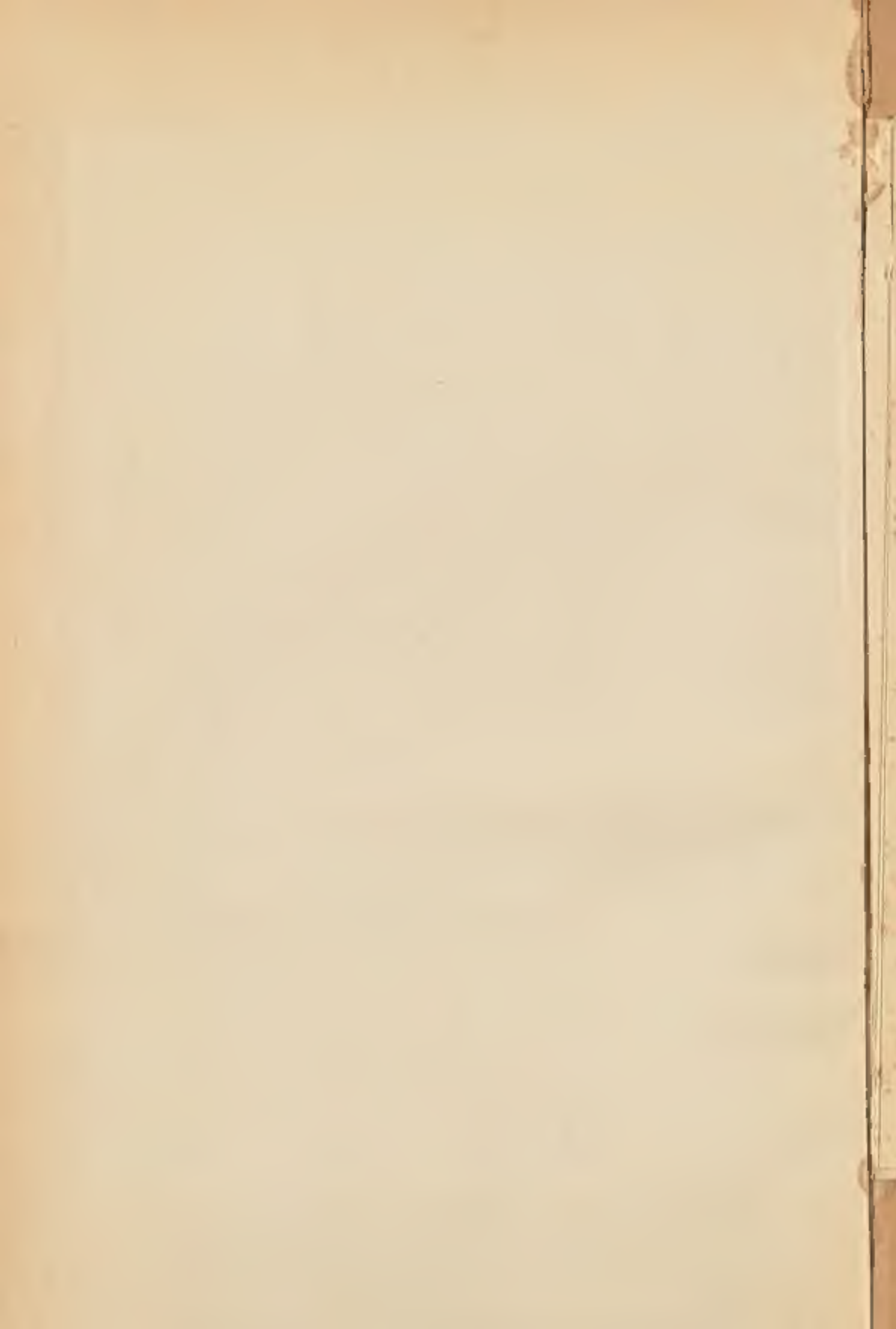


مَجْلَدُ الْجَامِعِينَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ



الشرق الأدنى
 خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر
 رسمها الأستاذ
محمد كامل حسين
 مدرس مادة الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة القاهرة
 حدود تركيا مع الهند أوردت سنة ١٨٢٩
 حدود مصر قبل معاهدة بوندي سنة ١٨٤٠
 الحدود بين العراق وفرنسا كما تقررت في معاهدة لندن سنة ١٨٤٧
 وفي الخريطة جميع المصطلحات الواردة في الكتاب







Library of



Princeton University.



32101 074298215